

بجاني القلوب
في
حدائق العرب

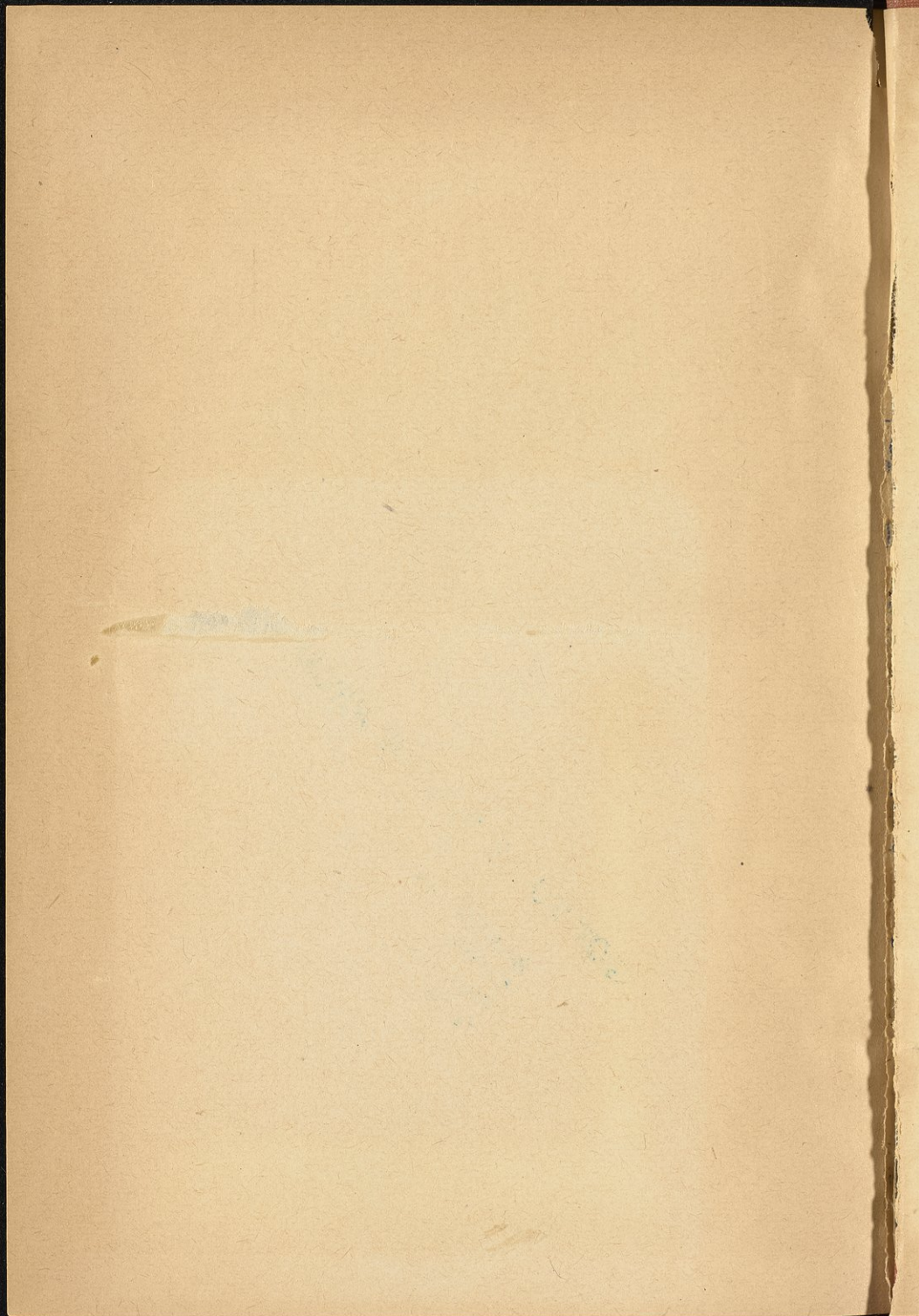
المطبعة السكائولية - بيروت

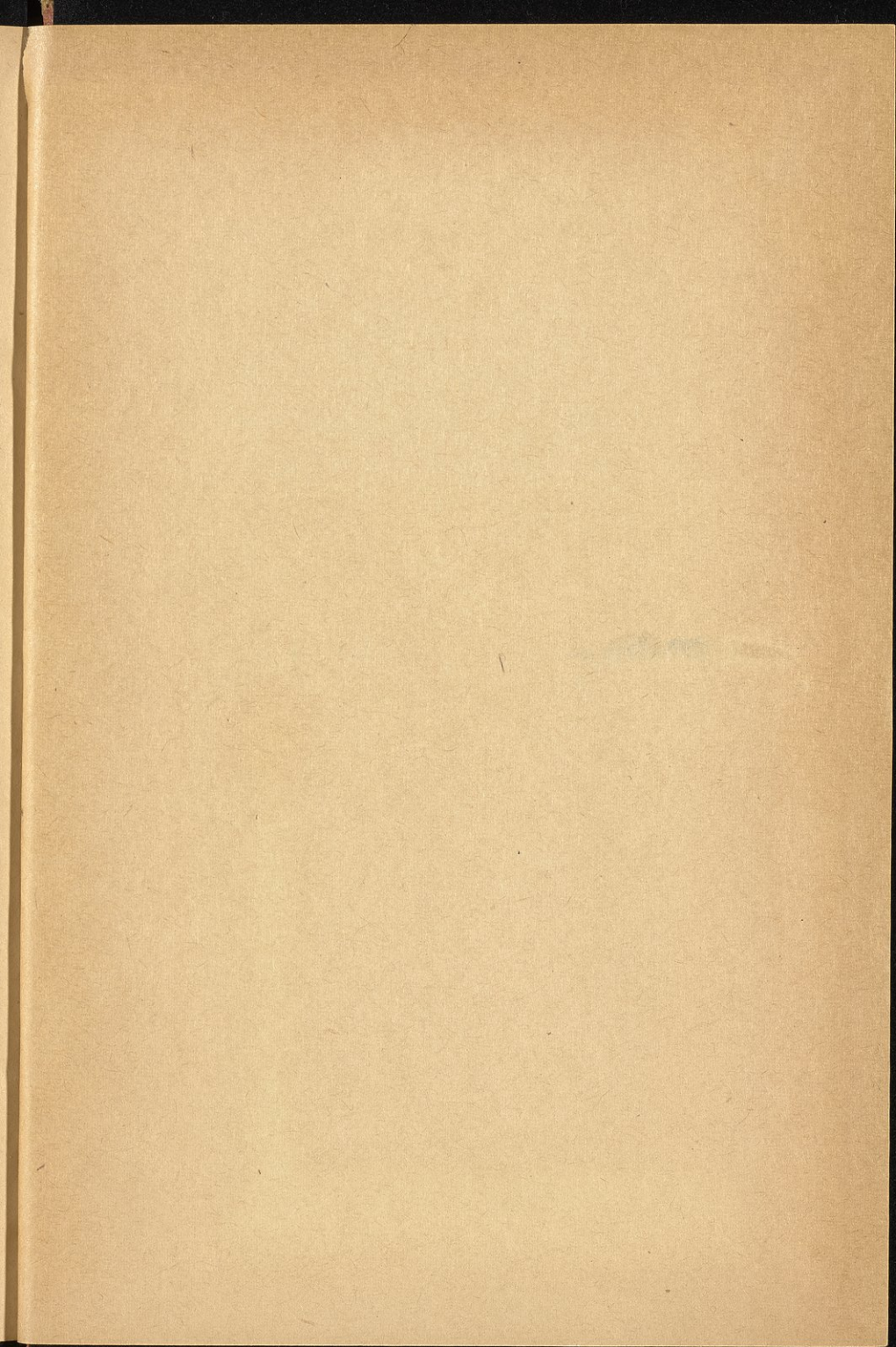
32101 043490208

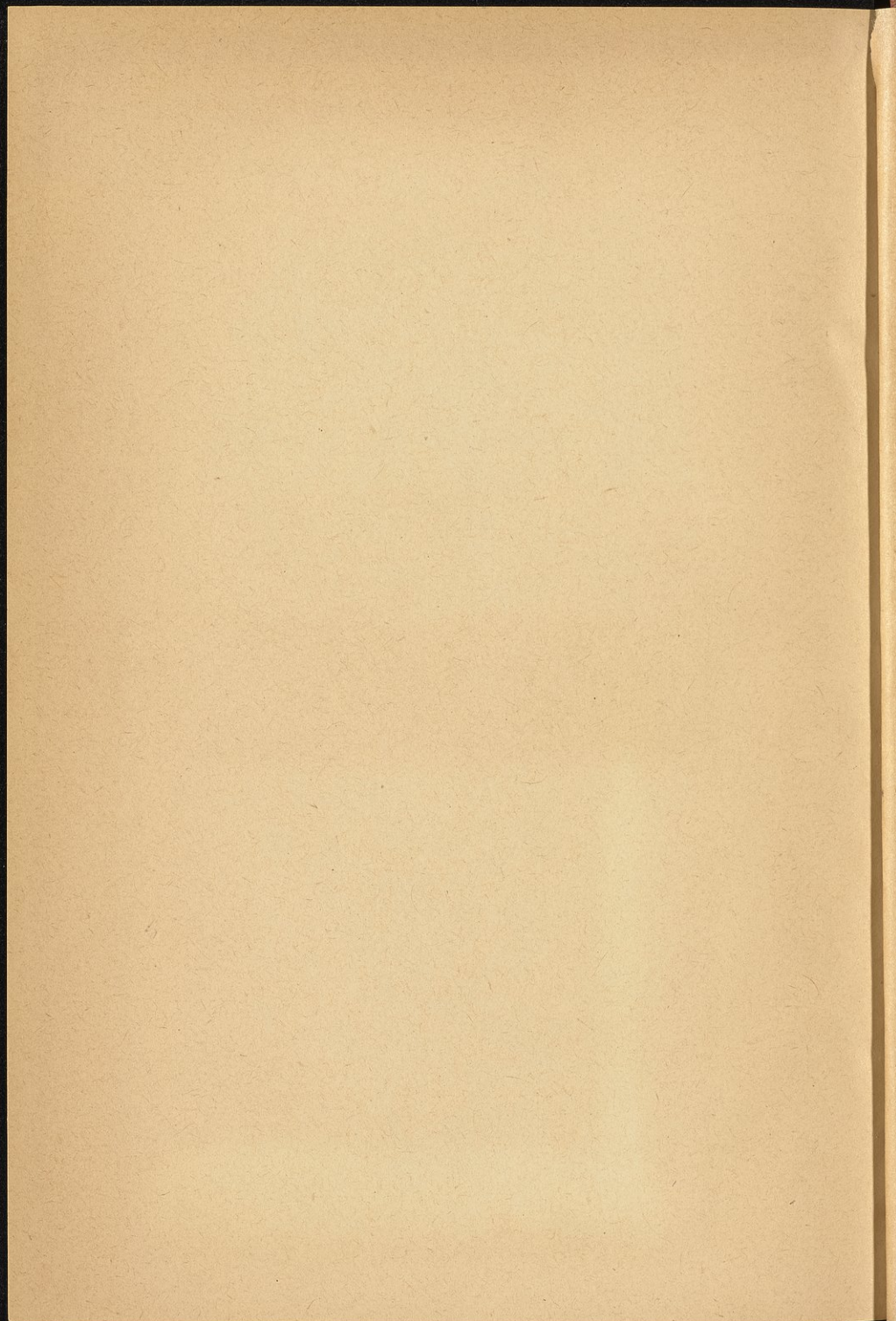
2260
• 252
• 11

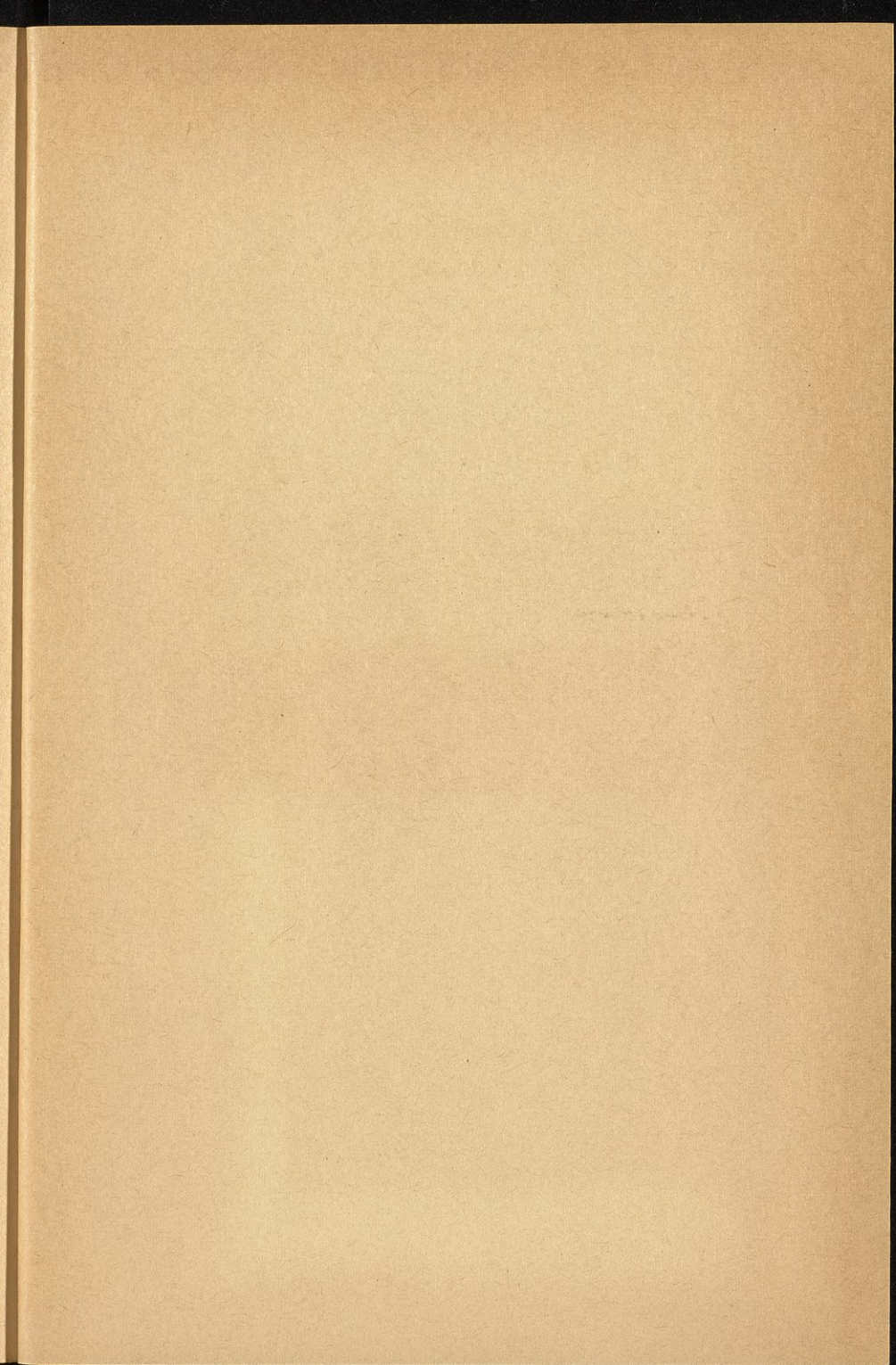
V. 4

[illegible]









Cheikho, Louis, 1859-1927, ed.

بجاني اللدوب
في
حركات العرب

للأب لويس شيخو اليسوعي

الطبعة السابعة

•

المطبعة الكاثوليكية
بيروت



PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

PAIR>

3210 928331148

2260

.252

.11

V.4

كل الحقوق محفوظة

الباب الأول في السِّرِّين

عظمة الخالق وجبروته

١ سُجْنَانِ مَنْ تَقَدَّسَتْ سُجُحَاتُ جَمَالِهِ عَنْ سَمَةِ الْحُدُوثِ وَالزَّوَالِ .
وَتَنَزَّهَتْ سُرَادِقَاتُ جَلَالِهِ عَنْ وَصْمَةِ التَّغْيِيرِ وَالْإِنْتِقَالِ . تَلَاَّتْ عَلَى
صَفَحَاتِ الْمَوْجُودَاتِ أَنْوَارُ جَبْرُوتِهِ وَسُلْطَانِهِ . وَتَمَلَّكَتْ عَلَى وَجَنَاتِ
الْكَائِنَاتِ آثَارُ مَلَكُوتِهِ وَإِحْسَانِهِ . تَحَيَّرَتْ الْعُقُولُ وَالْأَفْهَامُ فِي
كِبَرِيَاءِ ذَاتِهِ . وَتَوَلَّهَتْ الْأَذْهَانُ وَالْأَوْهَامُ فِي بَيْدَاءِ عَظَمَةِ صِفَاتِهِ .
دَلَّ عَلَى ذَاتِهِ بِذَاتِهِ . وَشَهِدَ بِوَحْدَانِيَّتِهِ نِظَامُ مَصْنُوعَاتِهِ

(شرح موافق الايجي للبرجاني)

٢ الْعَظَمَةُ لَكَ وَالْكِبَرِيَاءُ لَجَلَالِكَ يَا قَائِمَ الدَّاتِ . وَمُفِضَ الْخَيْرَاتِ .
وَوَاجِبَ الْوُجُودِ وَوَاهِبَ الْعُقُولِ وَقَاطِرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ وَمُبْدِيَ
الْحَرَكَةِ وَالزَّمَانِ . وَمُبْدِعَ الْحَيِّينَ وَالْمَكَانِ . وَفَاعِلَ الْأَرْوَاحِ وَالْأَشْبَاحِ
وَجَاعِلَ النُّورِ وَالظُّلُمَاتِ . وَتَحَرَّكَ الْأَفْلاكِ الْمُدْبَرَاتِ . وَمَزَيَّنَ أَبْنَاءَ النُّجُومِ
الْقَوَائِمِ وَالسَّيَّارَاتِ . وَمَقَرَّرَ الْأَرْضِ وَمُمَهِّدَهَا لِأَنْوَاعِ الْحَيَّوَانِ
وَأَصْنَفِ الْمَعَادِنِ وَالنَّبَاتِ . دَامَ حَمْدُكَ وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ . وَتَعَالَى ذِكْرُكَ
وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُكَ . لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَسِعَتْ رَحْمَتُكَ . وَكَثُرَتْ
آلَاؤُكَ وَنِعْمَاؤُكَ . أَفْضَ عَلَيْنَا أَنْوَارَ مَعْرِفَتِكَ . وَطَهَّرْ نُفُوسَنَا عَنْ

كُدُورَاتِ مَعْصِيَتِكَ . وَأَمْطِرْ عَلَيْنَا سَحَابَ فَضْلِكَ وَمَرَحْمَتِكَ وَأَضْرِبْ
عَلَيْنَا سُرَادِقَاتِ عَفْوِكَ وَمَغْفِرَتِكَ . وَأَدْخِلْنَا فِي حِفْظِ عِنَايَتِكَ وَمَكْرَمَتِكَ
(عجائب المخلوقات للقرظيني)

متن الشيبانية في التوحيد

٣

سَاحِدُ رَبِّي طَاعَةً وَتَعَبُدًا وَأَنْظُمُ عَهْدًا فِي الْعَقِيدَةِ أَوْحَدًا
وَأَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ تَعَزَّزَ قَدَمًا بِالْبَقَا وَتَقَرَّرَدَا
هُوَ الْأَوَّلُ الْمُبْدِي بَغَيْرِ بَدَايَةٍ وَآخِرُ مَنْ يَبْقَى مُقِيمًا مُوَبَّدًا
سَمِيعُ بَصِيرُ عَالَمٌ مُتَكَلِّمٌ قَدِيرٌ يُعِيدُ الْعَالَمِينَ كَمَا بَدَا
مُرِيدٌ أَرَادَ الْكَائِنَاتِ لَوْقَتَهَا قَدِيمٌ فَأَنْشَأَ مَا أَرَادَ وَأَوْجَدَا
إِلَاهُهُ عَلَى عَرْشِ السَّمَاءِ قَدِ اسْتَوَى وَبَايَنَ مَخْلُوقَاتِهِ وَتَوَحَّدَا
فَلَا جِهَةٌ تَحْوِي إِلَّا إِلَاهَهُ وَلَا لَهُ مَكَانٌ تَعَالَى عَنْهُمَا وَتَجَبَّدَا
إِذَا الْكَوْنُ مَخْلُوقٌ وَرَبِّي خَالِقٌ لَقَدْ كَانَ قَبْلَ الْكَوْنِ رَبًّا وَسَيِّدًا
وَلَا حَلَ فِي شَيْءٍ تَعَالَى وَلَمْ يَزَلْ مَلِيًّا غَنِيًّا دَائِمٌ الْعِزِّ سَرْمَدًا
وَلَيْسَ كَمِثْلِ اللَّهِ شَيْءٌ وَلَا لَهُ شَيْءٌ تَعَالَى رَبَّنَا أَنْ يُجَدَّدَا
وَمَنْ قَالَ فِي الدُّنْيَا يَرَاهُ بَعِينُهُ فَذَلِكَ زِنْدِيقُ طَغَا وَتَمَرَّدَا
وَلَكِنْ يَرَاهُ فِي الْجَنَانِ عِبَادُهُ كَمَا صَحَّ فِي الْأَخْبَارِ زَوِيهِ مُسْنَدًا
٤ رَوَى أَنَّ الزُّنْجَشِيرِيَّ سَأَلَ الْأِمَامَ الْغَزَالِيَّ عَنْ قَوْلِ الْقَائِلِ:
الرَّحْمَانُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى . فَأَجَابَ:
قُلْ لِمَنْ يَفْهَمُ عَنِّي مَا أَقُولُ أَتُرْكِي أَلْبَحْثَ قَدْ شَرَحَ يَطُولُ

ثُمَّ سِرٌّ غَامِضٌ مِنْ دُونِهِ
أَنْتَ لَا تَعْرِفُ إِيَّاكَ وَلَمْ
لَا وَلَا تَدْرِي صِفَاتِ رُكْبَتِ
أَيْنَ مِنْكَ أَرْوَحُ فِي جَوْهَرِهَا
أَنْتَ أَكْثَلُ الْخُبْرِ لَا تَعْرِفُهُ
فَإِذَا كَانَتْ طَوَايَاكَ الَّتِي
كَيْفَ تَدْرِي مَنْ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى
فَهُوَ لَا كَيْفُ وَلَا أَيْنُ لَهُ
وَهُوَ فَوْقَ الْفَوْقِ لَا فَوْقَ لَهُ
جَلَّ ذَاتًا وَصِفَاتٍ وَعَلَا
ضُرِبَتْ بِالسَّيْفِ أَغْشَاكُ الْفُجُولِ
تَدْرِي مَنْ أَنْتَ وَلَا كَيْفَ الْوُجُولِ
فِيكَ حَارَتْ فِي خَفَايَاهَا الْعُقُولِ
هَلْ تَرَاهَا أَوْ تَرَى كَيْفَ تَجُولِ
كَيْفَ يَجْرِي فِيكَ أَمْ كَيْفَ يُؤُولِ
بَيْنَ جَنبَيْكَ بِهَا أَنْتَ جَهُولِ
لَا تَقُلْ كَيْفَ اسْتَوَى كَيْفَ الْوُجُولِ
هُوَ رَبُّ الْكَيْفِ وَالْكَيفُ يُجُولِ
وَهُوَ فِي كُلِّ الْنَوَاحِي لَا يَزُولِ
وَتَعَالَى رَبَّنَا عَمَّا نَقُولِ

قصيدة لاحمد البرعي في الاستدلال على الحق تعالى

كُلُّ شَيْءٍ مِنْكُمْ عَلَيْكُمْ دَلِيلُ
أَحَدُ الْخَلْقِ بَيْنَ كَافٍ وَنُونِ
مَنْ أَقَامَ السَّمَاءَ سَقْفًا رَفِيعًا
وَدَحَا الْأَرْضَ فَهِيَ بَحْرٌ وَوَرْدُ
وَجِبَالٌ مُنِيفَةٌ شَايِخَاتُ
وَرِيَا حُتُبٌ فِي كُلِّ جَوٍّ
وَدَرَارٌ بِكُمْ وَشَمْسٌ وَبَدْرُ
حِكْمَةٌ تَاهَتْ أَبْصَارُ فِيهَا
وَضَحَّ الْحَقُّ وَأَسْتَبَانَ السَّبِيلُ
مَنْ يَكُونُ الْمُرَادُ حِينَ يَقُولُ
يَرْجِعُ الطَّرْفُ عَنْهُ وَهُوَ كَلِيلُ
وَوُجُودُ مُجْهُولَةٌ وَسُهُولُ
وَعَيْنٌ مَعِينَةٌ وَسَيُولُ
وَسَحَابٌ يَسْقِي الْجِبَاهَاتِ ثَقِيلُ
وَنُجُومٌ طَوَالِغُ وَأَفُولُ
وَأَعْتَرَاهَا دُونَ الذُّهُولِ ذُهُولُ

قَالَ سَمَواتُ السَّعْبِ وَالْعَرْشُ وَالْكَرْسِيُّ وَالْحُجُبُ ذِكْرُهَا التَّهْلِيلُ
 مُسْكُ الطَّيْرِ فِي الْهَوَاءِ وَنَحْيِي السُّحُوتِ فِي الْمَاءِ فَهُوَ كَافٍ كَفِيلُ
 سِرْمَدِي الْبَقَا أَخِيرُ قَدِيمُ قَصَرَتْ عَنْ مَدَى عِلَاهُ الْعُقُولُ
 حَيْثُ لَمْ يَشْتَمَلْ عَلَيْهِ مَكَانُ يَحْتَوِيهِ أَوْ غُدُوهُ وَأَصِيلُ
 مَنْ لَهُ الْمُلْكُ وَالْمُلُوكُ عَيْدُ وَلَهُ الْعِزُّ وَالْعَزِيزُ ذَلِيلُ
 كُلُّ شَيْءٍ سِوَاهُ يَفْنَى وَيَبْلَى وَهُوَ حَيٌّ سُبْحَانَهُ لَا يَزُولُ
 أَلَقْتُ بِهِ الْبَرَائَا فَهُمْ فِي رَحْمَةٍ ظَلَمَا عَلَيْهِمْ ظَلِيلُ
 سَيِّدِي أَنْتَ مَقْصِدِي وَمُرَادِي أَنْتَ حَسْبِي وَأَنْتَ نِعْمَ الْوَكِيلُ
 أَحْيِ قَلْبِي بِمَوْتِ نَفْسِي وَصَلْبِي وَأَنْلِنِي إِنْ الْكَرِيمَ يُنِيلُ
 وَأَجْرَنِي مِنْ كُلِّ خُطْبٍ جَلِيلُ قَبْلَ قَوْلِ الْوُشَاةِ صَبْرٌ جَمِيلُ
 وَافْتَقِدْنِي بِرَحْمَةٍ وَأَقْلِنِي مِنْ عِثَارِي فَإِنِّي مُسْتَقِيلُ
 كَيْفَ يَظْلَمَا قَلْبِي وَعَفْوُكَ بَحْرُ زَاخِرُ طَافِحُ عَرِيضُ طَوِيلُ
 رَبِّ صَفْحًا فَإِنَّ ذَنْبِي كَبِيرُ وَأَصْطَبَارِي عَلَى الْعَذَابِ قَلِيلُ
 وَالرَّجَائِيكَ وَالرِّضَامُنْكَ فَضْلُ وَلَكَ الْمُنُّ وَالْعَطَاءُ الْجَزِيلُ

منجبة من متن بدء الامالي في التوحيد

يَقُولُ الْعَبْدُ فِي بَدْءِ الْأَمَالِي لِتَوْحِيدٍ يَنْظُمُ كَاللَّالِي
 إِلَهُ الْخَلْقِ مَوْلَانَا قَدِيمُ وَمَوْصُوفُ بِأَوْصَافِ الْكَمَالِ
 هُوَ الْحَيُّ الْمُدَبِّرُ كُلِّ أَمْرٍ هُوَ الْحَقُّ الْمُقَدِّرُ ذُو الْجَلَالِ
 صِفَاتُ اللَّهِ لَيْسَتْ عَيْنَ ذَاتٍ وَلَا غَيْرًا سِوَاهُ ذَا انْفِصَالِ

صَفَاتُ الذَّاتِ وَالْأَفْعَالِ طُرًّا
 تُسَمَّى اللَّهُ شَيْئًا لَا كَالْأَشْيَاءِ
 وَلَيْسَ الْأِسْمُ غَيْرًا لِلْمُسَمَّى
 وَمَا إِنْ جَوْهَرُ رَبِّي وَجِسْمُ
 وَرَبُّ الْعَرْشِ فَوْقَ الْعَرْشِ لَكِنْ
 وَمَا التَّشْبِيهُ لِلرَّحْمَنِ وَجْهًا
 وَلَا يَمِضِي عَلَى الدَّيَّانِ وَقْتُ
 وَمُسْتَعْنٍ إِلَّا هِيَ عَنْ عِبَادِ
 يُمِيتُ الْخَلْقَ طُرًّا ثُمَّ يُحْيِي
 لِأَهْلِ الْخَيْرِ جَنَّاتٍ وَنُعْمَى
 وَلَا يَفْنَى الْحُجُومُ وَلَا الْجَنَانُ
 يَرَاهُ الْمُؤْمِنُونَ بِغَيْرِ كَيْفٍ
 فَيَسُونُ النَّعِيمَ إِذَا رَأَوْهُ
 قَدِيمَاتُ مَصُونَاتِ الزَّوَالِ
 وَذَاتًا عَنْ جِهَاتِ أَلْسِنِ خَالِ
 لَدَى أَهْلِ الْبَصِيرَةِ خَيْرِ آلِ
 وَلَا كُلُّ وَبَعْضُ ذُو أَشْتِمَالِ
 بِالْأَوْصَفِ التَّمَكُّنِ وَاتِّصَالِ
 فَضْنُ عَنْ ذَلِكَ أَصْنَافُ الْأَهَالِي
 وَأَحْوَالُ وَأَزْمَانُ بِحَالِ
 تَقَرَّدَ ذُو الْجَلَالِ وَذُو الْمَعَالِي
 فَيُجْزِيهِمْ عَلَى وَفْقِ الْخِصَالِ
 وَلِلْكَفَّارِ إِذْرَاكُ النَّكَالِ
 وَلَا أَهْلُوهَا أَهْلُ ائْتِقَالِ
 وَإِذْرَاكِ وَضَرْبِ مِنْ مِثَالِ
 فَيَا خُسْرَانَ أَهْلِ الْإِعْتِرَالِ
 قَصِيدَةُ لِلْبَرْعِيِّ فِي الْحَقِّ سُبْحَانَهُ

أَغِيبْ وَذُو اللَّطَائِفِ لَا يَغِيبُ
 وَأَسْأَلُهُ السَّلَامَةَ مِنْ زَمَانِ
 وَأَنْزِلْ حَاجَتِي فِي كُلِّ حَالِ
 وَلَا أَرْجُو سِوَاهُ إِذَا دَهَانِي
 فَكَمْ لِلَّهِ مِنْ تَدْبِيرِ أَمْرِ
 وَأَرْجُوهُ رَجَاءً لَا يَخِيبُ
 لَيْتَ بِهِ نَوَابِهُ تُشِيبُ
 إِلَى مَنْ تَطْمَئِنُّ بِهِ الْقُلُوبُ
 زَمَانُ الْجَوْرِ وَالْجَارِ الْمُرِيبُ
 طَوْتُهُ عَنِ الْمَشَاهِدَةِ الْغُيُوبُ

وَكَمْ فِي الْغَيْبِ مِنْ تَيْسِيرٍ عُسْرٍ
وَمِنْ كَرَمٍ وَمِنْ لُطْفٍ خَفِيٍّ
وَمَا لِي غَيْرَ بَابِ اللَّهِ بَابٍ
كَرِيمٍ مُنْعِمٍ بِرُ لَطِيفٍ
حَلِيمٍ لَا يُعَاجِلُ بِالْخَطَايَا
فَيَا مَلِكَ الْمُلُوكِ أَقِلْ عِثَارِي
وَأْمُرْ ضِيَّ الْهُوَى لِهَوَانِ حَظِي
وَعَانِدِي الزَّمَانَ وَقُلْ صَبْرِي
وَعَدِ النَّائِبَاتِ إِلَى عَدَوِي
وَأَنْسِنِي بِأَوْلَادِي وَأَهْلِي
وَلَكِنِّي نَبَذْتُ زِمَامَ أَمْرِي
هُوَ الرَّحْمَانُ حَوْلِي وَاعْتَصَامِي
إِلَهِهِ أَنْتَ تَعْلَمُ كَيْفَ حَالِي
وَكَمْ مُتَمَلِّقِي يُخْفِي عِنَادًا
وَحَافِرِ حُفْرَةٍ لِي هَارَ فِيهَا
وَمُتَمَتِّعِ الْهُوَى مُسْتَضْعَفِي
وَذِي عَصِيَّةٍ بِالْمَكْرِ يَسْعَى
فَيَادِيَانِ يَوْمَ الدِّينِ فَرَجٌ
وَصِلْ حَبْلِي بِحَبْلِ رِضَاكَ وَانْظُرْ

وَمِنْ تَفَرُّجٍ نَائِبَةٍ تَتَوْبُ
وَمِنْ فَرَجٍ تَزُولُ بِهِ الْكُرُوبُ
وَلَا مَوْلَى سِوَاهُ وَلَا حَيْبُ
جَمِيلُ السِّرِّ لِلدَّاعِي مُحِبُ
رَحِيمٌ غَمٍّ رَحْمَتُهُ يَصُوبُ
فَإِنِّي عَنْكَ أَنَاثَتِي الذُّنُوبُ
وَلَكِنْ لَيْسَ غَيْرُكَ لِي طَلِبُ
وَصَاقَ بَعْبِكَ الْبَلَدُ الرَّحِيبُ
فَإِنَّ النَّائِبَاتِ لَهَا يُوبُ
فَقَدْ يَسْتَوْحِشُ الرَّجُلُ الْغَرِيبُ
لِمَنْ تَذْبِيرُهُ فِيهِ عَجِيبُ
بِهِ وَإِلَيْهِ مُبْتَلَا أُنِيبُ
فَهَلْ يَا سَيِّدِي فَرَجٌ قَرِيبُ
وَأَنْتَ عَلَى سِرِّرَتِهِ رَقِيبُ
وَسَمَهُمُ الْبَغْيِ يَذْرِي مَنْ يُصِيبُ
قَضَتْ قَوَاهُ عَنِّي يَا حَسِيبُ
إِلَى سَعْيِي بِهِ يَوْمَ عَصِيبُ
هُمُومًا فِي الْفَوَادِ لَهَا دَيْبُ
إِلَيَّ وَتُبْ عَلَيَّ عَسَى أَتُوبُ

وَرَاعَ حِمَايَتِي وَتَوَلَّى نَصْرِي وَشَدَّ عُرَايَ إِن عَرَّتِ الْخُطُوبُ
وَأَفْنِ عِدَايَ وَأَقْرِنِ نَجْمَ حَظِّي بِسَعْدٍ مَا إِطَالَعَهُ غُرُوبُ
وَالْهَمْنِي لَذِكْرِكَ طُولَ عُمْرِي فَإِنَّ بِذِكْرِكَ الدُّنْيَا تَطِيبُ
فَظَنِّي فِيكَ يَا سَنَدِي جَمِيلُ وَمَرَعَى ذَوْدِ آمَالِي خَصِيبُ

قصيدة له في الابتهاال الى الله تعالى

٨

قَفَّ بِالْخُضُوعِ وَنَادَى رَبَّكَ يَا هُوَ إِنَّ الْكَرِيمَ يُجِيبُ مَنْ نَادَاهُ
وَأَطْلَبْ بِطَاعَتِهِ رِضَاهُ فَلَمْ يَزَلْ بِالْجُودِ يُرْضِي طَالِبِينَ رِضَاهُ
وَأَسْأَلُهُ مَسْئَلَةً وَفَضْلًا إِنَّهُ مَبْسُوطَتَانِ لِسَائِلِيهِ يَدَاهُ
وَأَقْصِدْهُ مُنْقَطَعًا إِلَيْهِ فَكُلُّ مَنْ يَرْجُوهُ مُنْقَطَعًا إِلَيْهِ كَفَاهُ
شَمَلَتْ لَطَائِفُهُ الْخَلَائِقَ كُلَّهَا مَا لِلْخَلَائِقِ كَافِلٌ إِلَّا هُوَ
فَقَرِّبْهَا وَذَلِّلْهَا وَغَنِّهَا وَفَقِّرْهَا لَا يَرْجُونَ سِوَاهُ
مَلِكٌ تَدِينُ لَهُ الْمُلُوكُ وَيَلْتَجِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقَرُّهُمْ بِغِنَاهُ
هُوَ أَوَّلُ هُوَ آخِرُ هُوَ ظَاهِرُ حَجَّتِهِ أَسْرَارُ الْجَلَالِ فَدُونَهُ
صَمَدٌ بِلَا كُفٍّ وَلَا كَيْفِيَّةٍ هُوَ بَاطِنُ لَيْسَ الْعَيْونُ تَرَاهُ
شَهِدَتْ غَرَائِبُ صُنْعِهِ بُجُودِهِ تَقِفُ الظُّنُونُ وَتُخْرَسُ الْأَفْوَاهُ
وَالِيهِ أَذْغَعَتِ الْعُقُولُ فَأَمَنْتَ أَبَدًا فَمَا النُّظْرَاءُ وَالْأَشْبَاهُ
سُبْحَانَ مَنْ عَنَتِ الْوُجُوهُ لَوَجْهِهِ لَوْلَاهُ مَا شَهِدَتْ بِهِ لَوْلَاهُ
طَوَعًا وَكَرْهًا خَاشِعِينَ لِعِزِّهِ بِالْغَيْبِ ثَوَّرُ حُبِّهَا إِيَّاهُ
وَلَهُ سُجُودُ أَوْجُهُ وَجِبَاهُ وَلَهُ عَلَيْهَا الطُّوعُ وَالْإِكْرَاهُ

سَلَّ عَنْهُ دَارَاتِ الْوُجُودِ فَإِنَّهَا تَدْعُوهُ مَعْبُودًا لَهَا رَبَّاهُ
 مَا كَانَ يُعْبَدُ مِنْ إِلَهِ غَيْرِهِ وَالْكُلُّ تَحْتَ أَقْهَرٍ وَهُوَ الْإِلَهِ
 أَبَدِي يُحْكِمُ صُنْعِهِ مِنْ نُظْفَةٍ بَشَرًا سَوِيًّا جَلَّ مَنْ سِوَاهُ
 وَبَنَى السَّمَاوَاتِ الْعُلَى وَالْعَرْشَ وَالْكَرْسِيَّ ثُمَّ عَلَا الْجَمِيعَ عُلَاهُ
 وَدَحَا بَسِيطَ الْأَرْضِ فَرَشًا مُثَنَّا بِالرَّاسِيَّاتِ وَبِالنَّبَاتِ حُلَاهُ
 تَجْرِي الرِّيحُ عَلَى اخْتِلَافٍ هُبُوبِهَا عَنْ إِذْنِهِ وَالْفَلَكَ وَالْأَمْوَاهُ
 رَبُّ رَحِيمٌ مُشْفِقٌ مُتَعَطِّفٌ لَا يَنْتَهِي بِالْخَصْرِ مَا أَعْطَاهُ
 كَمْ نِعْمَةٍ أَوَّلَى وَكَمْ مِنْ كُرْبَةٍ أَجْلَى وَكَمْ مِنْ مُبْتَلًى عَافَاهُ
 فَإِذَا بُلِيتَ بَعْرِيَّةً أَوْ كُرْبِيَّةً قَادَعُ الْإِلَآهِ وَقُلْ سَرِيعًا يَا هُوَ
 لَا مُحْسِنَ الظَّنِّ الْجَمِيلِ بِهِ يَرَى سُوءًا وَلَا رَاجِيَهُ خَابَ رَجَاهُ
 وَحِلْمِهِ سُبْحَانَهُ يُعْصِي قَلَمٌ يَأْتِيهِ مُعْتَذِرًا فَيَقْبَلُ عُذْرَهُ
 وَيَنْفِرُ عَمْدَهُ وَخَطَاهُ كَرَمًا وَيَنْفِرُ عَمْدَهُ وَخَطَاهُ

وللبرعي في حمد الله

٩

لَكَ الْحَمْدُ يَا مُسْتَوْجِبَ الْحَمْدِ دَائِمًا عَلَى كُلِّ حَالٍ حَمْدٌ فَإِنْ لَدَائِمٍ
 وَسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ تَسْبِيحٌ شَاكِرٍ لِمَعْرِفِكَ الْمَعْرُوفِ يَا ذَا الْمَرَاحِمِ
 فَكَمْ لَكَ مِنْ سِتْرٍ عَلَى كُلِّ خَاطِيٍّ وَكَمْ لَكَ مِنْ بَرٍّ عَلَى كُلِّ ظَالِمٍ
 وَجُودُكَ مَوْجُودٌ وَفَضْلُكَ فَائِضٌ وَأَنْتَ الَّذِي تُرْجَى لِكَشْفِ الْعِظَائِمِ
 وَبَابُكَ مَفْتُوحٌ لِكُلِّ مُؤْمِلٍ وَبَرُّكَ مَمْنُوحٌ لِكُلِّ مُصَادِمٍ
 فَيَا قَاتِلَ الْأَصْبَاحِ وَالْحَبِّ وَالنَّوَى وَيَا قَاسِمَ الْأَرْزَاقِ بَيْنَ الْعَوَالِمِ

وَيَا كَافِلَ الْحِيتَانِ فِي لُجِّ بَحْرِهَا
وَيَا حَصِيَّ الْأُورَاقِ وَالنَّبْتِ وَالْخَصِي
إِلَيْكَ تَوَسَّلْنَا بِكَ اغْفِرْ ذُنُوبَنَا
وَحَبِّبْ إِلَيْنَا الْحَقَّ وَأَعْصِمْ قُلُوبَنَا
وَدَمِّرْ أَعَادِيَنَا بِسُلْطَانِكَ الَّذِي
وَمَنْ عَلَيْنَا يَوْمَ يَنْكَشِفُ الْغَطَا

وله أيضاً من قصيدة في الرجاء بالله

١٠

لِكُلِّ خَطْبٍ مِنْهُمْ حَسْبِي اللَّهُ
وَأَسْتَعِثُّ بِهِ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ
ذُو الْمَنِّ وَالْمُجْدِ وَالْفَضْلِ الْعَظِيمِ وَمَنْ
لَهُ الْمَوَاهِبُ وَالْآلَاءُ وَالْمَثَلُ أَوْ
الْقَادِرُ الْأَمْرُ النَّاهِي الْمُدِيرُ لَا
مَنْ لَا يُقَالُ بِحَالٍ عَنْهُ كَيْفَ وَلَا
وَلَا يُغَيَّرُهُ مَرُّ الدُّهُورِ وَلَا
وَلَا يُعْبَرُ عَنْهُ بِالْحُلُولِ وَلَا
أَنْشَأَ الْعَوَالِمَ أَعْلَامًا بِقُدْرَتِهِ
قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

لَبَسْتُ تَوْبَ الرَّجَاءِ وَالنَّاسُ قَدَرَقَدُوا
وَقُلْتُ يَا عِدَّتِي فِي كُلِّ نَائِبَةٍ
فَقُمْتُ أَشْكُو إِلَى مَوْلَايَ مَا أَجِدُ
وَمَنْ عَلَيْهِ لِدَفْعِ الضَّرِّ اعْتِمِدُ

لَقَدْ مَدَدْتُ يَدِي وَالضُّرُّ مُشْتَمِلٌ إِلَيْكَ يَا خَيْرَ مَنْ مَدَّتْ إِلَيْهِ يَدٌ

قصيدة لعبد الغني النابلسي في الثقة بالله

١١

كُنْ مَعَ اللَّهِ تَرِ اللَّهُ مَعَكَ وَأَتْرُكِ الْكُلَّ وَحَازِرْ طَمَعَكَ
وَأُزِمِ الْقَنْعَ يَمِنْ أَنْتَ لَهُ فِي جَمِيعِ الْكَوْنِ حَتَّى يَسَعَكَ
بِالْصَّفَاحَيْنِ كَدَرُ الْحُسِّ قَبْ وَأَطْرَحِ الْأَغْيَارَ وَأَتْرُكْ خُدَعَكَ
لَا تُؤَمِّهِ بِكَ وَأَطْلُبْ مِنْكَ مَا نُورِكَ اللَّهُ بِهِ كُنْ مُشْرِقًا
وَأَعْبُدِ اللَّهَ بِكَشْفِ وَأَصْطَبِرْ وَعَلَى الْكَشْفِ تَوَقَّ جَزَعَكَ
لَا تَقُلْ لَمْ يَفْتَحِ اللَّهُ وَلَا تَطْلُبِ الْفَتْحَ وَحَرِّزْ وَرَعَكَ
كَيْفَمَا شَاءَ فَكُنْ فِي يَدِهِ لَكَ إِنْ فَرَّقَ أَوْ إِنْ جَمَعَكَ
فِي الْوَرَى إِنْ شَاءَ خَفَضَ ذِقَّتَهُ وَإِذَا شَاءَ عَلَيْهِمْ رَفَعَكَ
وَإِذَا ضَرَّكَ لَا نَافِعَ مِنْ دُونِهِ وَالضُّرُّ لَا إِنْ نَفَعَكَ
وَإِذَا أَعْطَاكَ مَنْ يَمْنَعُهُ ثُمَّ مَنْ يُعْطِي إِذَا مَا مَنَعَكَ
لَيْسَ يُوقِيكَ إِذَا أَحَدٌ وَإِنْ اسْتَنْصَرْتَ فِيهِ شَيْعَكَ
إِنَّمَا أَنْتَ لَهُ عَبْدٌ فَكُنْ جَاعِلًا بِالْقُرْبِ مِنْهُ وَلَمَكَ
كُلَّمَا نَابَكَ أَمْرٌ ثِقَ بِهِ وَاحْتَرِزْ لِلْغَيْرِ تَشْكُو وَجَمَعَكَ
لَا تَوَمِّلْ مِنْ سِوَاهُ أَمَلًا إِنَّمَا يَسْقِيكَ مَنْ قَدْ زَرَعَكَ
لَيْتَ لَوْ تَشَعَّرُ مَاذَا كُنْتَ مِنْ قَبْلِ مَا مَوَى الْمُوَالِي اخْتَرَعَكَ
كُنْتَ لَا شَيْءَ وَأَصْبَحْتَ بِهِ خَيْرَ شَيْءٍ بَشَرًا قَدْ طَبَعَكَ

تَابِعًا كُنْ دَائِمًا أَنْتَ وَلَا تَتَمَنَّ أَنْهُ لَوْ تَبِعَكَ
وَدَعَ التَّدْبِيرَ فِي الْأَمْرِ لَهُ وَأَصْنَعَ الْمَعْرُوفَ مَعَ مَنْ صَنَعَكَ
وَأَحْفَظَ حُرْمَةً مَنْ يُبْصِرُ إِنْ رُمْتَ فِعْلًا أَوْ تُكَادِي سَمْعَكَ
كُنْ بِهِ مُعْتَصِمًا وَأَخْضَعَ لَهُ لَا تُعَانِدْ فِيهِ وَأَهْجُرْ بَدْعَكَ
١٢ قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ جَعْمَانَ فِي هَذَا الْمَعْنَى :

قَصْدِي رِضَاكَ بِكُلِّ وَجْهِ امْكِنَا
وَلَنْ رَضِيتَ فَذَاكَ غَايَةُ مَطْلَبِي
لَوْ أَبْذَلَنْ رُوحِي فِدَى لَرَأَيْتَهَا
وَبَقِيتُ فِي نَجْلِ كَعْبِدٍ قَدْ جَنَى
وَلَقَدْ تَفَضَّلْتُمْ بِإِبْجَادِي كَمَا
لَوْ لَا تَطَوَّلْتُكُمْ عَلَيَّ وَفَضَّلْتُمْ
مَنْ ذَا الَّذِي يَسْعَى وَيَشْكُو فَضْلَكُمْ
وَأَنَا الْمُسِيكِينُ الَّذِي قَدْ جَاءَكُمْ
فِيَا سَمْعَكُمْ وَبِعِزِّكُمْ وَبِجَاهِكُمْ
قَالَ ابْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ :

لَمْ يَبْقَ لِي أَمْلٌ سِوَاكَ فَإِنْ يَفُتْ
وَدَعْتُ أَيَّامَ الْحَيَاةِ وَدَاعَا
لَا أَسْتَلِدُّ بَغِيرَ وَجْهِكَ مَنْظَرًا
وَسَوَى حَدِيثِكَ لَا أُرِيدُ سَمَاعَا

قصيدة للباي في التوسل والاستعطاف

هَوَتْ الْمَشَاعِرُ وَالْمَدَا رِكَ عَنْ مَعَارِجِ كِبَرِيَاكَ

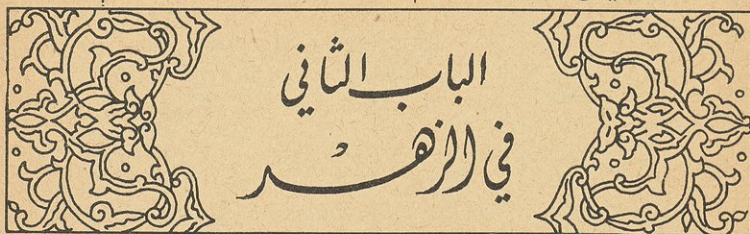
يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ قَدْ بَهَرَ الْعُقُولَ سَنَا بَهَائِكَ
أَثْنِي عَلَيْكَ بِمَا عَلِمْتُ وَأَيْنَ عِلْمِي مِنْ ثَنَائِكَ
مُتَّحِبٌ فِي غَيْبِكَ أَوْ أَحْمِي مَنِيْعٌ فِي عِلَائِكَ
وَضَهَرْتَ بِالْآثَارِ وَأَزْ أَعْمَالٍ بَادٍ فِي جَلَائِكَ
عَجَبًا خَفَاؤُكَ مِنْ ظُهُورِكَ أَمْ ظُهُورُكَ مِنْ خَفَائِكَ
مَا الْكَوْنُ إِلَّا ظُلْمَةٌ فَتَبَسَّ الْأَشْعَةُ مِنْ ضِيَائِكَ
بَلْ كُلُّ مَا فِيهِ فَقِيرٌ مُسْتَسْتَجِبٌ مِنْ عَطَائِكَ
مَا فِي الْعَوَالِمِ ذَرَّةٌ فِي جَنْبِ أَرْضِكَ أَوْ سَمَائِكَ
إِلَّا وَوُجْهَتُهَا إِلَيْكَ بِالْإِقْتِفَارِ إِلَى غَمَائِكَ
فَانْظُرْ إِلَى مَنْ يَسْتَغِيثُكَ عَائِدًا بِكَ مِنْ بَلَائِكَ
قَدَفَتْ بِهِ مِنْ شَاهِقٍ أَيْدِي امْتِحَانِكَ وَأَتْبَلَائِكَ
وَسَطَتْ عَلَيْهِ لَوَازِمُ أَوْ أَمَكَانَ صَدًّا عَنْ فَنَائِكَ
وَرَمَتْهُ فِي ظُلْمِ الْغَنَاءِ صِرَ وَالطَّبَائِعِ فِي شَبَائِكَ
فَإِذَا أُرْعَوَى أَوْ كَادَ نَا دَتْهُ الْقِيُودُ إِلَى وَرَائِكَ
فَالْطُفْ بِهِ فِيمَا جَرَى فِي طَيِّ عِلْمِكَ مِنْ قَضَائِكَ
وَأَسْلُكْ بِهِ سَنَنَ الْهُدَا يَةِ فِي مَعَارِجِ أَصْفِيَائِكَ
١٤ قَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدُّؤْلِيُّ :

وَإِذَا طَلَبْتَ مِنَ الْخَوَاصِّ حَاجَةً
فَادْعُ الْإِلَآهَ وَأَحْسِنِ الْأَعْمَالَ
فَلِكَيْطِنِكَ مَا أَرَادَ بِقُدْرَةٍ
فَهُوَ اللَّطِيفُ إِمَّا أَرَادَ فَعَالًا

إِنَّ الْعِبَادَ وَشَأْنَهُمْ وَأُمُورَهُمْ
قَدَحَ الْعِبَادَ وَلَا تَكُنْ بِطَائِلِهِمْ
قَالَ أَبُو الْفَتْحِ الْبُسْتِي :

تَقَى اللَّهَ وَالزَّمَ هُدَى دِينِهِ
وَلَا تَغْتَرَّرْ بِأَنَاسٍ رَضُوا
وَدَعَ عَنْكَ قَوْمًا يَعِيبُونَهَا
لَمَّا حَضَرَتِ الْوَفَاةُ أَبَا الْحَسَنِ الْهَمْدَانِيَّ أَنْشَدَ لِنَفْسِهِ :

قَالُوا غَدًا نَأْتِي دِيَارَ الْحِمَى
وَكُلُّ مَنْ كَانَ مُطِيعًا لَهُمْ
فَقُلْتُ لِي ذَنْبٌ فَمَا حِيلَتِي
قَالُوا أَلَيْسَ الْغَفْوُ شَأْنَهُمْ
وَيَنْزِلُ الرُّكْبُ بِغَنَائِهِمْ
أَصْبَحَ مَسْرُورًا بِفَقَائِهِمْ
بِأَيِّ وَجْهِ أَلْقَاهُمْ
لَأَسِيًّا عَمَّنْ تَرَجَّاهُمْ



الباب الثاني في الزهد

الزهد في الدنيا والانقطاع الى الله

١٥ (مِنْ أَلْفِجِ) خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ حِينَ خَلَقَهُمْ غَنِيًّا عَنْ طَاعَتِهِمْ آمِنًا
مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ . لِأَنَّهُ لَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةٌ مِنْ عَصَاةٍ وَلَا تَنْفَعُهُ طَاعَةٌ مِنْ
أَطَاعَةٍ . فَتَقَسَّمَ بَيْنَهُمْ مَعَالِشُهُمْ وَوَضَعَهُمْ فِي الدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ . فَالْمُتَّقُونَ
فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْقَضَائِلِ . مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ وَمَلْبَسُهُمُ الْإِقْتِصَادُ وَمَشِيهِمْ

أَلْتَوَضَّعُوا بَصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ وَوَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ
 النَّافِعِ لَهُمْ . نَزَلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلَاءِ كَمَا تَنَزَّلَتْ فِي الرِّخَاءِ .
 لَوْلَا الْأَجَلُ الَّذِي كَتَبَ اللَّهُ لَهُمْ لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ
 طَرَفَةً عَيْنٍ شَوْقًا إِلَى الثَّوَابِ . وَخَوْفًا مِنَ الْعِقَابِ . عَظُمَ الْخَلْقُ فِي
 أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ فَهُمْ وَالْجَنَّةُ كَمَنْ قَدَرَا هَا فَهُمْ فِيهَا
 مُسَعَمُونَ . وَهُمْ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدَرَا هَا فَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ مُعَذَّبُونَ .
 أَرَاخْتَهُمُ الدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُوهَا وَأَسَرَّتْهُمْ فَقَدُوا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا . لَا يَرْضَوْنَ
 مِنْ أَعْمَالِهِمُ الْقَلِيلَ وَلَا يَسْتَكْبِرُونَ الْكَثِيرَ . فَهُمْ لَا أَنْفُسَهُمْ مُتَمِّمُونَ .
 وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ . إِذَا رَكِبَ أَحَدُهُمْ خَافَ بِمَا يَقَالُ لَهُ يَقُولُ :
 أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي وَرَبِّي أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنِّي . اللَّهُمَّ لَا تَوَاحِذْنِي
 بِمَا يَقُولُونَ وَاجْعَلْنِي أَفْضَلَ بِمَا يَظُنُّونَ وَأَغْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ . فَمِنْ
 عَلَامَةِ أَحَدِهِمْ أَنَّكَ تَرَى لَهُ قُوَّةً فِي الدِّينِ . وَخِزْمًا فِي الْإِيمَانِ . وَإِيمَانًا فِي
 يَقِينٍ . وَخِزْمًا فِي عِلْمٍ . وَعَمَلًا فِي حِلْمٍ . وَقَصْدًا فِي غِنَى . وَخُشُوعًا
 فِي عِبَادَةٍ . وَتَجَمُّلاً فِي فَاقَةٍ . وَصَبْرًا فِي شِدَّةٍ . وَطَلَبًا فِي حَلَالٍ . وَنَشَاطًا
 فِي هُدًى . وَتَحَرُّجًا عَنْ طَمَعٍ . يَعْمَلُ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ وَهُوَ عَلَى وَجَلٍ .
 يَمْسِي وَهُوَ الشُّكْرُ . وَيُصْبِحُ وَهُوَ الذِّكْرُ . يَبِيتُ حَذِرًا وَيُصْبِحُ فَرِحًا .
 حَذِرًا لِمَا حَذَرَ مِنَ الْغَفْلَةِ . وَفَرِحًا بِمَا أَصَابَ مِنَ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ . إِذَا
 اسْتَضَعَبَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِيمَا تَكَرَّهَ لَمْ يُعْطَهَا سُؤْلَهَا فِيمَا تَحَبُّ . قُرَّةَ عَيْنِهِ
 فِيمَا لَا يَزُولُ وَرَهَادَتُهُ فِيمَا لَا يَبْقَى . يَمِزُجُ الْحِلْمَ بِالْعِلْمِ وَالْقَوْلَ بِالْعَمَلِ .

تَرَاهُ قَرِيبًا أَمَلُهُ . قَلِيلًا زَلَلُهُ . حَاشِعًا قَلْبُهُ . قَانِعَةً نَفْسُهُ . مَزُورًا
 أَكْلُهُ . سَهْلًا أَمْرُهُ . حَرِيذًا دِينُهُ . مَيِّتَةً شَهْوَتُهُ . مَكْظُومًا غَيْظُهُ . إِنْ
 كَانَ فِي الْغَافِلِينَ كُتِبَ فِي الذَّاكِرِينَ . وَإِنْ كَانَ فِي الذَّاكِرِينَ لَمْ
 يَكُتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ . يَغْفُو عَنْ ظَلَمِهِ . وَيُعْطِي مِنْ حَرَمِهِ . وَيَصِلُ مِنْ
 قِطْعِهِ . بَعِيدًا فُحْشُهُ . لِينًا قَوْلُهُ . غَائِبًا مُنْكَرُهُ . حَاضِرًا مَعْرُوفُهُ . مُثْقَلًا
 خَيْرُهُ . مُدْبِرًا شَرُّهُ . فِي الزَّلَازِلِ وَقُورٌ . وَفِي الْمَكَارِهِ صَبُورٌ . وَفِي
 الرِّخَاءِ شُكُورٌ . لَا يَحِيفُ عَلَى مَنْ يُغْنِصُ . وَلَا يَأْتُمُّ فَيْنَ يُحِبُّ . يَعْتَرِفُ
 بِالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْهِ . لَا يُضِيعُ مَا اسْتَحْفَظَ . وَلَا يُنْسِي مَا ذَكَرَ .
 وَلَا يُنَابِزُ بِالْأَلْقَابِ . وَلَا يُضَارُّ بِالْجَارِ . وَلَا يَشْتُمُ بِالْمَصَائِبِ . وَلَا
 يَدْخُلُ فِي الْبَاطِلِ . وَلَا يُخْرِجُ مِنَ الْحَقِّ . إِنْ صَمِتَ لَمْ يَغْمُصْ صَمْتُهُ . وَإِنْ
 صَحَكَ لَمْ يَغْلُصْ صَوْتُهُ . وَإِنْ بُغِيَ عَلَيْهِ صَبَرَ حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي
 يَنْتَقِمُ لَهُ . نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ أَتَعَبَ نَفْسُهُ لِأَخْرَجَتْهُ
 وَأَرَاخَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ . بَعْدَهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ زَهْدٌ وَرَاهَةٌ . وَدُنُوهُ
 مِنْ دَنَا مِنْهُ لِينٌ وَرَحْمَةٌ . لَيْسَ تَبَاعُدُهُ بِكَبِيرٍ وَعَظَمَةٌ وَلَا دُنُوهُ بِمَكْرٍ
 وَخَدِيعَةٍ

(الكشكول لبهاء الدين العاملي)

قصيدة للبرعي في الزهد

١٦

أَحْبَابَ قَلْبِي مَضَى زَمَانِي وَتَغَصَّتْ عَيْشِي أَلْهُومُ
 وَفَرَّقَ الْمَوْتُ أَهْلَ عَصْرِي فَلَا صَدِيقٌ وَلَا حَمِيمُ
 وَأَخْلَفَ الدَّهْرُ خَلْفَ سَوْءٍ كَأَنِّي بَيْنَهُمْ يَتِيمُ

وَأَلَا نَحْنُ الرَّحِيلُ مِمَّنِ
وَمَا تَزُودُ غَيْرَ ذَنْبٍ
يُصْرَحُ الْوَعْظُ بِي وَقَلْبِي
أَبَارَزُ اللَّهَ بِالْخَطَايَا
فَكَمْ خَلَعْتُ الْعَذَارَ جَهْلًا
وَكَمْ تَعَامَيْتُ عَنْ رَشَادِي
لَا أَتَّهِي عَنْ قَبِيحٍ فَعَلِي
عَصَيْتُ طِفْلًا وَصِرْتُ أَعْصَى
شَيْبٌ وَعَيْبٌ وَحَمَلُ ذَنْبٍ
يَا جَامِعَ أَمْالٍ مِنْ حَرَامٍ
وَتَقْضِي وَزْرَهُ وَتُلْقِي
وَكَيْفَ يَهْنِكَ صَفْوُ عَيْشٍ
يَا وَاسِعَ الْأُطْفِ جُدْ بِفَضْلٍ
إِنْ قَالَ عَبْدُ الرَّحِيمِ ذَنْبِي
وَإِنْ شَكَاهُ مِنْ خُصُومٍ سَوْءٍ
وَسَاحَجَ الْكُلِّ فِي ذُؤُوبٍ
وَهَذِهِ الدَّارُ لَا تَدُومُ
عَذَابُهُ دَائِمٌ أَلِيمٌ
كَأَنَّهُ صَخْرَةٌ صَمِيمٌ
وَاللَّهُ سُجَّانُهُ حَلِيمٌ
وَلَمْ تُفِ الْغِيَّ مَنْ يَلُومُ
وَمَنْ هَجَى الْحَقَّ مُسْتَقِيمٌ
وَلَا أَصْلِي وَلَا أَصُومُ
وَالشَّيْبُ فِي مَفْرَقِي يَوْمُ
وَالذَّنْبُ بَعْدَ الشَّيْبِ شُومُ
سَيَقْضِي مَالِكَ الْغَرِيمِ
فِي النَّارِ يَغْلِي بِهَا الْحَمِيمِ
خِتَامُهُ عَلَقَمٌ عَقِيمٌ
وَرَحْمَةُ مِنْكَ يَا كَرِيمِ
فَقُلْ أَنَا الْمُسْتَقِيُّ الرَّحِيمِ
فَحُلْ مَا تَعْقِدُ الْخُصُومُ
أَنْتَ بِهَا سَيِّدِي عَلِيمٌ
١٧ قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَرْطَاقٍ لَمَّا سَأَلَهُ أَنْ يُعْطَاهُ لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَرْجُو
الْآخِرَةَ بِالْعَمَلِ . وَيَرْجِي التَّوْبَةَ بِطُولِ الْأَمَلِ . يَقُولُ فِي الدُّنْيَا يَقُولُ
الزَّاهِدِينَ . وَيَعْمَلُ فِيهَا بِقَوْلِ الرَّاعِبِينَ . إِنْ أُعْطِيَ مِنْهَا لَمْ يَشْبَعْ . وَإِنْ

مَنْعٌ لَمْ يَقْنَعْ . يَنْهَى وَلَا يَنْتَهِي . وَيَأْمُرُ بِمَا لَا يَأْتِي . يُحِبُّ الصَّالِحِينَ
وَلَا يَعْمَلُ عَمَلَهُمْ . وَيُبْغِضُ الْمُذْنِبِينَ وَهُوَ أَحَدُهُمْ . وَيَكْرَهُ الْمَوْتَ لَكثْرَةِ
ذُنُوبِهِ وَيُقِيمُ عَلَى مَا يَكْرَهُ الْمَوْتَ لَهُ . إِنْ سَقَمَ ظَلَّ نَادِمًا وَإِنْ صَحَّ آمِنٌ
لَاهِيًا . يُعْجِبُ بِنَفْسِهِ إِذَا عُوِيَ وَيَقْطُ إِذَا ابْتُلِيَ . إِنْ أَصَابَهُ بَلَاءٌ دَعَا
مُضْطَرًّا . وَإِنْ نَالَهُ رَخَاءٌ أَعْرَضَ مُغْتَرًّا . تَغْلِبُهُ نَفْسُهُ عَلَى مَا تَطْنُ وَلَا
يَعْلِيهَا عَلَى مَا يَسْتَقِينُ . يَخَافُ عَلَى غَيْرِهِ بِأَذْنٍ مِنْ ذَنْبِهِ وَدَجْوٍ لِنَفْسِهِ
بِأَكْثَرِ مِنْ عَمَلِهِ . إِنْ أَسْتَعْنَى بِطَرِّ وَفَتْنٍ . وَإِنْ أَفْتَقَرَ قَنَطَ وَوَهْنٍ .
يَقْصُرُ إِذَا عَمِلَ . وَيُبَالِغُ إِذَا سَالَ . إِنْ عَرَضَتْ لَهُ شَهْوَةٌ أَسْلَفَ الْمُعْصِيَةَ
وَسَوَّفَ التَّوْبَةَ . وَإِنْ عَرَتْهُ مِحْنَةٌ أَنْفَرَجَ عَنْ شَرَائِطِ الْمَلَّةِ . يَصِفُ
الْعَبْرَ وَلَا يَعْتَبِرُ . وَيُبَالِغُ فِي الْمَوْعِظَةِ وَلَا يَتَعَطَّ . فَهُوَ بِالْقَوْلِ مُدِلٌّ .
وَمِنْ الْعَمَلِ مُقِلٌّ . يُنَافِسُ فِيمَا يَفْنَى وَيُسَامِحُ فِيمَا يَبْقَى . يَرَى الْغَنَمَ
مَغْرَمًا . وَالْغَرَمَ مَغْنَمًا . يَخْشَى الْمَوْتَ . وَلَا يُبَادِرُ الْقَوْتَ . يَسْتَغْظَمُ مِنْ
مَعْصِيَةِ غَيْرِهِ مَا يَسْتَقِيلُ أَكْثَرَ مِنْهُ مِنْ نَفْسِهِ . وَيَسْتَكْثِرُ مِنْ طَاعَتِهِ مَا
يَحْتَقِرُ مِنْ طَاعَةِ غَيْرِهِ . فَهُوَ عَلَى النَّاسِ طَاعِنٌ . وَلِنَفْسِهِ مُدَاهِنٌ . اللَّهُوْ مَعَ
الْأَغْنِيَاءِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الذِّكْرِ مَعَ الْفُقَرَاءِ . يَحْكُمُ عَلَى غَيْرِهِ لِنَفْسِهِ
وَلَا يَحْكُمُ عَلَيْهَا لِغَيْرِهِ . يُرْشِدُ غَيْرَهُ وَيُغْوِي نَفْسَهُ . فَهُوَ يُطَاعُ وَيَعْصَى .
وَيَسْتَوْفَى وَلَا يُوفَى . وَيَخْشَى الْخَلْقَ عَلَى غَيْرِ رَبِّهِ وَلَا يَخْشَى رَبَّهُ فِي
خَلْقِهِ . قَالَ جَامِعُ التَّحْجِ : كَفَى بِهَذَا الْكَلَامِ مَوْعِظَةً نَاجِعَةً وَحِكْمَةً
بَالِغَةً وَبَصِيرَةً لِمَبْصَرٍ وَعِبْرَةً لِنَازِلٍ مُفَكِّرٍ
(لبهاء الدين)

زهد رجل من بني عباس

١٨ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعَلِّمِ خَرَجْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ حُجَّاجًا فَإِذَا أَنَا بِرَجُلٍ
مِنْ بَنِي هَاشِمٍ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّابِ قَدْ رَفَضَ الدُّنْيَا
وَأَقْبَلَ عَلَى الْآخِرَةِ . فَجَمَعَتْنِي وَإِيَّاهُ الطَّرِيقُ فَأَنْسَتْ بِهِ وَقُلْتُ لَهُ :
هَلْ لَكَ أَنْ تُعَادِلَنِي فَإِنَّ مَعِيَ فَضْلًا مِنْ رَاحَتِي . فَحَزَانِي خَيْرًا .
ثُمَّ أَلَسَ إِلَيَّ فَجَعَلَ يُحَدِّثُنِي فَقَالَ : أَنَا رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ الْعَبَّاسِ كُنْتُ
أَسْكُنُ الْبَصْرَةَ وَكُنْتُ ذَا كِبَرٍ شَدِيدٍ وَنِعْمَةٍ طَائِلَةٍ وَمَالٍ كَثِيرٍ وَبَذَخَ
زَائِدٌ . فَأَمَرْتُ يَوْمًا خَادِمًا لِي أَنْ يَحْشُو لِي فِرَاشًا مِنْ حَرِيرٍ وَنَجْدَةٍ بَوْرِدٍ
ثَنِيرٍ . فَفَعَلَ . فَإِنِّي لَنَائِمٌ إِذَا يَقْمَعُ وَرَدَّةٌ قَدْ لَسِيَهُ الْخَادِمُ فَقُمْتُ إِلَيْهِ
فَأَوْجَعْتُهُ ضَرْبًا . ثُمَّ عُدْتُ إِلَى مُضْجِعِي بَعْدَ إِخْرَاجِ الْقِمَعِ مِنَ الْخُدَّةِ
فَأَتَانِي آتٍ فِي مَنَامِي فِي صُورَةِ فَطِيعَةٍ فَهَزَّنِي وَقَالَ : أَفِقْ مِنْ غَشِيَتِكَ
وَأَنْتَبَهْ مِنْ رَقَدَتِكَ ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

يَا خَلُّ إِنَّكَ إِنْ تَوَسَّدَ لَيْثًا وَسَدْتَ بَعْدَ الْيَوْمِ صُمَّ الْجُنْدَلِ
فَأَمَهْدَ لِنَفْسِكَ صَالِحًا تَسْعُدُ بِهِ فَلَتَسُدَّ مِنْ غَدَا إِذَا لَمْ تَفْعَلْ
فَأَتَنَبَهْتَ مُرْعُوبًا . وَخَرَجْتَ مِنْ سَاعَتِي هَارِبًا إِلَى رَبِّي

(مستطف المستظرف للابشيحي)

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْبَكْرِيُّ الشَّنَرِيُّ فِي الرَّهْدِ :

يَا مَنْ يُصْبِحُ إِلَى دَاعِي السَّقَاةِ وَقَدْ نَادَى بِهِ النَّاعِيَانِ الشَّيْبُ وَالْكِبَرُ
إِنْ كُنْتَ لَا تَسْمَعُ الذِّكْرَى فَعِيمٌ تَوَى فِي رَاسِكَ الْوَاعِيَانِ السَّمْعُ وَالذِّكْرُ

لَيْسَ الْأَصَمُّ وَلَا الْأَعْمَى سِوَى رَجُلٍ لَمْ يَهْدِهِ الْهَادِيَانِ الْعَيْنُ وَالْأُذُنُ
لَا الدَّهْرُ يَتَّقِي وَلَا الدُّنْيَا وَلَا الْفُلُكُ أَلَّا أَعْلَى وَلَا النَّيِّرَانِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
لَيَرْحَلَنَّ عَنِ الدُّنْيَا وَإِنْ كَرِهَا فِرَاقَهَا الثَّوَابِيَانِ الْبَدْوُ وَالْحَضَرُ
١٩ قَالَ ابْنُ جُبَيْرٍ الْكُتْنَانِيُّ أَحَدُ الرَّاحِلِينَ إِلَى الْمَشْرِقِ:

عَجِبْتُ لِلْمَرْءِ فِي دُنْيَاهُ تَطْمَعُهُ فِي الْعَيْشِ وَالْأَجَلِ أَخْتَوِمُ يَقْطَعُهُ
مِيسِي وَيَصْبُحُ فِي عَشَوَاءٍ يَخْطِطُهَا أَعْمَى الْبَصِيرَةِ وَالْأَمَالُ تَخْذَعُهُ
يَعْتَرِ بِالْدَّهْرِ مَسْرُورًا بِصُحْبَتِهِ وَقَدْ تَيَقَّنَ أَنَّ الدَّهْرَ يَصْرَعُهُ
وَيَجْمَعُ الْمَالَ حِرْصًا لَا يُفَارِقُهُ وَقَدْ دَرَى أَنَّهُ لِلْغَيْرِ يَجْمَعُهُ
تَرَاهُ يُشْفِقُ مِنْ تَضْيِيعِ دِرْهَمِهِ وَلَيْسَ يُشْفِقُ مِنْ دَيْنٍ يُضَيِّعُهُ
وَأَسْوَأُ النَّاسِ تَذْبِيرًا لِعَاقِبَةٍ مَنْ أَنْفَقَ الْعُمْرَ فِي مَا لَيْسَ يَنْفَعُهُ
قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْحِمَيْرِيُّ مِنْ قَصِيدَةٍ:

فَوَادُّ بِأَيْدِي النَّائِبَاتِ مُصَابُ وَجَفَنُ لِقَيْضِ الدَّمْعِ فِيهِ مُصَابُ
تَنَابَتْ دِيَارُ قَدْ أَلْفَتْ وَجِيرَةً فَهَلْ لِي إِلَى عَهْدِ الْوَصَالِ إِيَابُ
وَفَارَقْتُ أَوْطَانِي وَلَمْ أَبْلُغِ الْمُنَى وَدُونَ مُرَادِي أَبْجُرُّ وَهَضَابُ
مَضَى زَمَنِي وَالشَّيْبُ حَلَّ بِمَفَرِّقِي وَأَبْعَدُ شَيْءٍ أَنْ يُرَدَّ شَبَابُ
إِذَا مَرَّ عُمُرُ الْمَرْءِ لَيْسَ بِرَاجِعٍ وَإِنْ حَلَّ شَيْبٌ لَمْ يَفِدْهُ خِضَابُ

ذو النون والزايدة

٢٠ قَالَ ذُو النُّونِ بَيْنَا أَنَا أَسِيرُ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ إِذْ بَصُرْتُ بِجَارِيَةٍ
عَلَيْهَا أَطْهَارُ شَعْرٍ . فَإِذَا هِيَ نَاحِلَةٌ ذَابِلَةٌ . فَدَنَوْتُ مِنْهَا لِأَسْمَعَ مَا تَقُولُ .

فَرَأَتْهَا مُتَّصِلَةً الْأَحْزَانِ بِالْأَشْجَانِ . وَعَصَمَتِ الرِّيحُ وَأَضْطَرَبَتْ
 الْأَمْوَاجُ وَظَهَرَتِ الْحِيتَانُ . فَصَرَخَتْ ثُمَّ سَقَطَتْ إِلَى الْأَرْضِ . فَلَمَّا
 قَامَتْ نَحَبَتْ ثُمَّ قَالَتْ : سَيِّدِي بِكَ تَقَرَّبَ الْمُتَقَرَّبُونَ فِي الْخُلُوتِ .
 وَلَعِظَمَتِكَ سَبَّحَتِ النَّيَّانُ فِي الْبَحَارِ الزَّائِرَاتِ . وَجَلَّالِ قُدْسِكَ
 تَصَافَقَتِ الْأَمْوَاجُ الْمُتَلَاطِمَاتُ . أَنْتَ الَّذِي سَجَدَ لَكَ سَوَادُ اللَّيْلِ
 وَضَوْءُ النَّهَارِ . وَالْفَلَكَ الدَّوَارُ وَالْبَحْرُ الزَّخَارُ . وَالْقَمَرُ النُّوَارُ وَالنَّجْمُ
 الزَّهَارُ . وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَكَ بِمِقْدَارٍ لِأَنَّكَ أَعْلَى السَّمَاوَاتِ . ثُمَّ أَشَدَّتْ :
 يَا مُؤْنِسَ الْأَبْرَارِ فِي خُلُوتِهِمْ يَا خَيْرَ مَنْ حَطَّتْ بِهِ الْأَنْزَالُ
 مَنْ ذَاقَ حُبِّكَ لَا يَرَالُ مُتِمِّمًا قَرَحَ الْفُؤَادِ مُتِمِّمًا بَلْبَالُ
 فَقُلْتُ لَهَا : عَسَى أَنْ تَرِيدِيَنِي مِنْ هَذَا . فَقَالَتْ : إِلَيْكَ عَيْنِي ثُمَّ
 رَفَعَتْ طَرْفَهَا نَحْوَ السَّمَاءِ فَقَالَتْ :

أُجِبُّكَ حَبِيبَ حُبِّ الْوُدَادِ وَحُبًّا لِأَنَّكَ أَهْلُ لَذَائِكَا
 فَمَا الَّذِي هُوَ حُبُّ الْوُدَادِ فَحُبُّ شُغْلٍ بِهِ عَنْ سَوَاكَا
 وَمَا الَّذِي أَنْتَ أَهْلُ لَهُ فَكَشْفُكَ الْحُجُبِ حَتَّى أَرَاكَا
 فَمَا الْحَمْدُ فِي ذَا وَلَا ذَاكَ لِي وَلَكِنْ لَكَ الْحَمْدُ فِي ذَا وَذَاكَ
 ثُمَّ سَهَقَتْ سَهَقَةً فَإِذَا هِيَ قَدْ فَارَقَتْ الدُّنْيَا (اسواق الاشواق للمقاعي)

ذَلَّةُ الدُّنْيَا

٢١ قِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ : صِفْ لَنَا الدُّنْيَا فَقَالَ : أَمَلٌ بَيْنَ يَدَيْكَ .
 وَأَجَلٌ مُطْلَقٌ عَلَيْكَ . وَشَيْطَانٌ قَتَانٌ . وَأَمَانِي جَرَّارَةُ الْعِنَانِ . تَدْعُوكَ

فَلَسْتَحْيِبُ. وَتَرْجُرُهَا فَتَحْيِبُ. نَاقِضَةٌ لِلْعَزِيمَةِ مُرْتَجِعَةٌ لِلْعَطِيَّةِ. كُلُّ مَنْ
فِيهَا يَجْرِي. إِلَى مَا لَا يَدْرِي. وَقَالَ أَبُو الْعَرَبِ الصِّقْلِيُّ :

وَلَا يَغْرُزُكَ مِنْهَا حُسْنُ بُرْدٍ لَهُ عِلْمَانِ مِنْ عِلْمِ الذَّهَابِ
قَاوُلُهُ رَجَاءٌ مِنْ سَرَابٍ وَآخِرُهُ رِدَاءٌ مِنْ تُرَابٍ
قَالَ ابْنُ قَاضِي مِيلَةَ :

لَدُنْيَاكَ نُورٌ وَلَكِنَّهُ ظَلَامٌ يَحَارُ بِهِ الْمُبْصِرُ
فَإِنْ عِشْتَ فِيهَا عَلَى أَنَّهَا كَمَا قِيلَ قَنْطَرَةٌ تُعْبَرُ
فَلَا تَعْمُرَنَّ بِهَا مَنْزِلًا فَإِنَّ الْخُرَابَ لَمَّا تَعْمُرُ
وَلَا تَذْخُرَنَّ خِلَافَ التُّقَى فَتَقْفَى وَيَبْقَى الَّذِي تَذْخُرُ
وَمِنْ جَيْدِ شِعْرِ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ قَوْلُهُ :

وَأَعْجَبَا لِلنَّاسِ لَوْ فَكَّرُوا وَحَاسَبُوا أَنْفُسَهُمْ أَبْصَرُوا
وَعَبَرُوا الدُّنْيَا إِلَى غَيْرِهَا فَإِنَّمَا الدُّنْيَا لَهُمْ مَعْبَرٌ
الْخَيْرُ مِمَّا لَيْسَ يَخْفَى هُوَ الْمَعْرُوفُ وَالشَّرُّ هُوَ الْمُنْكَرُ
وَالْمَوْعِدُ الْمَوْتُ وَمَا بَعْدَهُ الْحَشَرُ فَذَاكَ الْمَوْعِدُ الْأَكْبَرُ
لَا فَخْرَ إِلَّا فُخْرُ أَهْلِ التُّقَى عَدَا إِذَا ضَمَّهُمُ الْحَشَرُ
لَيَعْلَمَنَّ النَّاسُ أَنَّ التُّقَى وَالْبِرَّ كَانَا خَيْرًا مِمَّا يَذْخُرُ

زوال الدنيا

٢٣ (مِنْ النَّهْجِ) وَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ وَبَادِرُوا أَجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ.
وَابْتَاعُوا مَا يَبْقَى لَكُمْ بِمَا يَزُولُ عَنْكُمْ. وَتَرَحَّلُوا فَقَدْ جَدَّ بِكُمْ السَّيْرُ.

وَأَسْتَعِدُّوا لِمَوْتٍ فَقَدْ أَظْلَكَكُمْ. وَكُونُوا قَوْمًا صَاحِبِينَ بِهَمٍّ فَأَنْتَبَهُوا. وَعَلِمُوا
 أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ لَهُمْ بِدَارٍ فَاسْتَبَدُّوا. فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا
 وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدًى. وَمَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ إِلَّا الْمَوْتُ
 أَنْ يَنْزِلَ بِهِ. وَإِنَّ عَايَةَ تَنْقُصُهَا الْخَطِيئَةُ وَتَهْدِمُهَا السَّاعَةُ جَدِيدَةٌ يَقْصُرُ
 الْمُدَّةُ. وَإِنَّ عَايَةَ يَحْدُوهُ الْجُدِيدَانِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَرِيٌّ بِسُرْعَةِ
 الْأَوْبَةِ. وَإِنَّ قَادِمًا يَهْدِمُ بِالْقُورِ أَوْ الشَّقْوَةِ لَمْسْتَحَقٌّ لِأَفْضَلِ الْعُدَّةِ.
 فَتَرَوُذُوا فِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا مَا تُحَرِّزُونَ بِهِ نَفُوسَكُمْ غَدًا. فَأَتَقَى عَبْدُ
 مَنْ نَصَحَ نَفْسَهُ وَقَدَّمَ تَوْبَتَهُ وَعَلَبَ شَهْوَتَهُ. فَإِنْ أَجَلُهُ مُسْتَوْدَعٌ عَنْهُ وَأَمَلُهُ
 خَادِعٌ لَهُ. وَالشَّيْطَانُ مُوَكَّلٌ بِهِ يُذِنُ لَهُ الْمَعْصِيَةَ لِيَرْكَبَهَا. وَيَمْنِيهِ التَّوْبَةُ
 لِيُسَوِّفَهَا. حَتَّى تَهْجُمَ مَنِيَّتُهُ عَلَيْهِ أَغْفَلَ مَا يَكُونُ عَنْهَا. فَيَأْخُذُ حَسْرَةً
 عَلَى كُلِّ ذِي عَمَلٍ أَنْ يَكُونَ عُمرُهُ عَلَيْهِ حُجَّةً. وَأَنْ تُوَدِّيَهُ أَيَّامُهُ إِلَى
 شَقْوَةٍ. نَسَأَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ لَا تُبْطِرُهُ نِعْمَةٌ. وَلَا
 تُقْصِرُ بِهِ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ عَايَةُ. وَلَا تَحُلُّ بِهِ بَعْدَ الْمَوْتِ نَدَامَةٌ وَلَا
 كَابَةٌ

(لبهاء الدين)

قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

عَلَيْكُمْ سَلَامُ اللَّهِ إِيَّيْ مُودَعُ وَعَيْنَايَ مِنْ مَضَى التَّفَرُّقِ تَدْمَعُ
 فَإِنْ نَحْنُ عِشْنَا يَجْمَعُ اللَّهُ بَيْنَنَا وَإِنْ نَحْنُ مُتْنَا فَالْقِيَامَةُ تَجْمَعُ
 أَلَمْ تَرَى رَبَّ الدَّهْرِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ لَهُ عَارِضٌ فِيهِ الْمُنِيَّةُ تَلْمَعُ
 أَيَا بَنِي الدُّنْيَا لِغَيْرِكَ تَبْتَنِي وَيَا جَامِعَ الدُّنْيَا لِغَيْرِكَ تَجْمَعُ

أَرَى الْمَرْءَ وَتَابًا عَلَى كُلِّ فُرْصَةٍ
تَبَارَكَ مَنْ لَا يَمْلِكُ الْمُلْكَ غَيْرُهُ
وَأَيُّ أَمْرٍ فِي غَايَةٍ لَيْسَ نَفْسُهُ
إِلَى غَايَةٍ أُخْرَى سِوَاهَا تَطْلُعُ
٢٤ قَالَ أَيْضًا:

طُولُ التَّعَاشُرِ بَيْنَ النَّاسِ مَمْلُوءٌ
يَارَاعِي الشَّأْنَ لَا تُغْفَلْ رِعَايَتُهُ
إِنِّي لَفِي مَنْزِلٍ مَا زِلْتُ أَعْمُرُهُ
وَلَيْسَ مِنْ مَوْضِعٍ يَأْتِيهِ ذُو نَفْسٍ
لَمْ يُشْغَلِ الْمَوْتُ عَنْهُ مَذْأُودٌ لَنَا
وَمِنْ يَمِتُ فَهُوَ مَقْطُوعٌ وَمُجْتَبَبٌ
كُلُّ مَا بَدَأَ لَكَ فَالْأَكْلُ قَانِيَةٌ
٢٥ قَالَ الْأَسْوَدُ الدَّارِمِيُّ بَعْدَ نَكْبَةِ الْأَكْسَرَةِ لِأَلِ الْحُرِّقِ:

مَاذَا نُؤْمِلُ بَعْدَ آلِ مُحَرِّقٍ
أَهْلُ الْخَوَرْتَقِ وَالسَّدِيرِ وَبَارِقِ
تَزَلُّوا بِأَنْقِرَةِ يَسِيلٍ عَلَيْهِمِ
جَرَّتِ الرِّيحُ عَلَى رُسُومِ دِيَارِهِمْ
وَلَقَدْ غَنُوا فِيهَا بِأَنْعَمِ عَيْشَةٍ
فَإِذَا النَّعِيمُ وَكُلُّ مَا يُلْهِي بِهِ
وَمِنْ رَفِيقٍ مَا جَاءَ فِي الزُّهْدِ قَوْلُ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ:
٢٦

تَرَكُوا مَنَازِلَهُمْ وَبَعْدَ إِيَادِ
وَالْقَصْرِ ذِي الشُّرُفَاتِ مِنْ سِنْدَادِ
مَاءِ الْفَرَاتِ يَجِيءُ مِنْ أَطْوَادِ
فَكَانَهُمْ كَانُوا عَلَى مِيعَادِ
فِي ظِلِّ مُلْكٍ ثَابِتِ الْأَوْتَادِ
يَوْمًا يَصِيرُ إِلَى بِلَى وَنَقَادِ

تَعَالَى اللَّهُ يَا سَلَمَ بْنَ عَمْرٍو
 هَبِ الدُّنْيَا تَسَاقُ إِلَيْكَ عَفْوًا
 تَعَى نَفْسِي إِلَيَّ مِنَ اللَّيَالِي
 فَمَا لِي لَسْتُ مُشْغُولًا بِنَفْسِي
 أَمَا فِي السَّالِقِينَ لِي أَعْتَبَارُ
 كَأَنِّي بِالْمَنَةِ أَرْجَعْتَنِي
 وَخَلْفِي نِسْوَةٌ يَبْكِينَ بَعْدِي
 وَحَقَّ كُلُّ ذَا يَفْنَى سَرِيعًا
 قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

إِنَّمَا نِعْمَةٌ دُنْيَا مُتَعَةٌ
 وَصُرُوفُ الدَّهْرِ فِي أَطْبَاقِهِ
 بَيْنَمَا الْإِنْسَانُ فِي عِلْيَانِهَا
 إِذْ هَوَى فِي هَوَا مِنْهَا فَعَارَ

٢٧ قَدْ شَبَّ بَعْضُهُمُ الدُّنْيَا بِخَيَالِ الظِّلِّ فَقَالَ :

رَأَيْتُ خَيَالَ الظِّلِّ أَعْظَمَ عِبْرَةً
 شُخُوصًا وَأَشْبَحًا يُخَالِفُ بَعْضُهَا
 تَحِيٍّ وَمُضِيٍّ بَابَةً بَعْدَ بَابَةٍ
 وَقَالَ شَرَفُ بْنُ أَسَدٍ فِي مَعْنَاهُ :

يَا مَنْ تَمَلَّكَ مُلْكًا لَا بَقَاءَ لَهُ
 هَلِ الْحَيَاةُ بِذِي الدُّنْيَا وَإِنْ عَذُبَتْ
 حَمَلَتْ نَفْسَكَ آثَامًا وَأَوْزَارًا
 إِلَّا كَهَيْفِ خَيَالٍ فِي الْكَرَى زَارًا

وَقَالَ بَعْضُهُمْ :

وَعَايَةُ هَٰذِي الدَّارِ لَذَّةُ سَاعَةٍ
وَهَاتِيكَ دَارُ الْأَمْنِ وَالْعِزِّ وَالسَّقَى

٢٨ قَالَ الْبُسْتِيُّ :

أَقُولُ لِمَنْ لَاحَ الْمَشِيبُ بِفَوْدِهِ
عَذَّتْكَ أَنْ أَضَلَّتْ رُشْدَكَ حَاطِطًا
فَهَلْ لَكَ فِي سِنِّ الْكُهُولَةِ عَازِرٌ
إِذَا زِعْتَ عَنْ قَصْدٍ وَلَيْلِكَ مُقِمِرٌ

قَالَ ابْنُ حَاجِبٍ يَذْكُرُ إِيوَانَ كِسْرَى :

يَا مَنْ بَنَى بِشَاهِقِ الْبُلْبَانِ
هَٰذِي الْمَصَانِعَ وَالِدَسَاكِرَ وَالْبِنَا
كَتَبَ اللَّيَالِي فِي ذَرَاهَا أَسْطُرًا
إِنَّ الْحَوَادِثَ وَالْخُطُوبَ إِذَا سَطَتْ
أَتَيْتُ الْقُبُورَ فَتَادَيْتُهَا
وَأَيْنَ الْمَذَلِّ بِسُلْطَانِهِ
فَوَدِيتُ مِنْ بَيْنِهِمْ لَا أَرَى
تَقَانُوا جَمِيعًا فَلَا تُخْبِرُ
أَمَّا لَكَ فِيمَا تَرَى مُعْتَبِرٌ

ذكر المنية والعواقب

٢٩ قَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ :

فَأَيْنَ الْمُعْظَمِ وَالْمُتَحَرَّرِ
وَأَيْنَ الْمُدَّسِكِي إِذَا مَا انْفَتَحَرِ
شُحُوصًا لَهُمْ وَلَا مِنْ أَثَرِ
وَمَاتُوا جَمِيعًا وَمَاتَ الْخَبَرُ
فَيَسْأَلُنِي عَنْ أَنْاسٍ مَضَوْا
أَمَّا لَكَ فِيمَا تَرَى مُعْتَبِرٌ

رُوحٌ وَتَعْدُو بَنَاتُ الثَّرَى وَتَهْجَى مَحَاسِنُ تِلْكَ الصُّورِ

٣٠ قَالَ سَابِقُ الْبَرْبَرِيِّ وَأَجَادَ:

تَلْهُو وَتَأْمُلُ أَيَّامًا تُعَدُّ لَنَا سَرِيعَةً الْمَرِّ تَطْوِينًا وَنَطْوِينَهَا
كَمْ مِنْ عَزِيزٍ سَلَقَى بَعْدَ عِزَّتِهِ ذُلًّا وَصَاحِكَةً يَوْمًا سَتَبُكِيهَا
وَالْخُتُوفِ تَرْتِي كُلَّ مُرْضِعَةٍ وَلِلْحَسَابِ بَرَى الْأَرْوَاحَ بَارِيهَا
لَا تَبْرَحُ النَّفْسُ تُنْعَى وَهِيَ سَالِمَةٌ حَتَّى يَفُومَ بِنَادِي الْقَوْمِ نَاعِيهَا
أَمْوَالُنَا لَذَوِي الْمِيرَاثِ تَجْمَعُهَا وَدُورُنَا لِحِرَابِ الدَّهْرِ نَبْنِيهَا
٣١ وَلَا يَبِي الْعَتَاهِيَّةِ :

خَانَكَ الطَّرْفُ الطَّمُوحُ أَيُّهَا الْقَلْبُ الْجَبُوحُ
لِدَوَاعِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ مَدْنُو وَرُوحُ
هَلْ لِمَطْلُوبٍ بِذَنْبٍ تَوْبَةٌ مِنْهُ نَصُوحُ
كَيْفَ إِصْلَاحُ فُلُوبٍ إِنَّمَا هُنَّ رُوحُ
أَحْسَنَ اللَّهُ بِنَا أَنْ مِ الْخَطَايَا لَا تَفُوحُ
فَإِذَا الْمُسْتُودُ مِنْهَا بَيْنَ تَوْبَتِهِ فُضُوحُ
كَمْ رَأَيْنَا مِنْ عَزِيزٍ طُوِيَتْ عَنْهُ الْكُشُوحُ
صَاحٍ مِنْهُ بِرَحِيلِ صَاحِ الدَّهْرِ الصَّدُوحُ
مَوْتُ بَعْضِ النَّاسِ فِي الْأَرْضِ عَلَى قَوْمٍ فُتُوحُ
سَيَصِيرُ الْمَرْءُ يَوْمًا جَسَدًا مَا فِيهِ رُوحُ
بَيْنَ عَيْنِي كُلِّ حَيٍّ عَلِمُ أَمَوْتُ يَلُوحُ

كُنَّا فِي غَفْلَةٍ وَأَمَاتُ يَغْدُو وَيَرُوحُ
لَبَنِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا يَا غَبُوقُ وَصَبُوحُ
رُحْنٍ فِي الْوُشْيِ وَأَصْبَحَ نَ عَلَيْهِنَ الْمُسُوحُ
كُلُّ نَطَاحٍ مِنَ اللَّهِ لَهُ يَوْمٌ نَطُوحُ
نُحْ عَلَى نَفْسِكَ يَا مَسْكِينُ إِنْ كُنْتَ تُسُوحُ
لَتَمُوتَنَّ وَإِنْ عُمِرْتَ مَا عُمِرَ نُوحُ

٣٢ قَالَ بَهَاءُ الدِّينِ زُهَيْرٌ:

لَيْتَ شِعْرِي لَيْتَ شِعْرِي أَيَّ أَرْضٍ هِيَ قَبْرِي
ضَاعَ عُمْرِي فِي أَغْتِرَابٍ وَرَجِيلٍ مُسْتَمِرٍّ
وَمَتَى يَوْمُ وَفَاتِي لَيْتَنِي لَوْ كُنْتُ أَذْرِي
لَيْسَ لِي فِي كُلِّ أَرْضٍ جِثَّتْهَا مِنْ مُسْتَقَرٍّ
بَعْدَ هَذَا لَيْتَنِي أَعْرِفُ مَا آخِرُ عُمْرِي
وَمَتَى أَخْلَصُ مِمَّا أَنَا فِيهِ لَيْتَ شِعْرِي
وَلَقَدْ أَنَا بَانَ أَصْحُو فَمَا لِي طَالَ سُكْرِي
أَتْرَى يُسْتَدْرَكُ الْفَا رِطُ مِنْ تَضْيِيعِ عُمْرِي

٣٣ قَالَ آخِرُ:

قَدِمَ لِنَفْسِكَ خَيْرًا وَأَنْتَ مَا لَكَ مَا لَكَ
مَنْ قَبْلَ أَنْ تَتَفَانِيَ وَلَوْ نَحَاكَ حَالِكَ
لَمْ تَذَرِ نَفْسَكَ حَقًّا أَيُّ الْمَسَالِكِ سَالِكَ

لَجَنَةٍ أَمْ لِنَارٍ إِلَى مَمَالِكٍ مَالِكٍ
وَأَنْتَ لَا بَدَّ يَوْمًا بَعْدَ التَّكَاهُلِ هَالِكٍ

قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ فِي وَصْفِ الْمَوْتِ :

كَأَنَّ الْأَرْضَ قَدْ طُوِيَتْ عَلَيَّا وَقَدْ أُخْرِجْتُ مِمَّا فِي يَدَيَّا
كَأَنِّي صِرْتُ مُنْفَرِدًا وَحِيدًا وَمُرْتَهَنًا لَدَيْكَ بِمَا عَلَيَّا
كَأَنَّ الْأَبَاكِيَّاتِ عَلَيَّ يَوْمًا وَلَا يُغْنِي الْبُكَاءُ عَلَيَّ شَيْئًا
ذَكَرَنَ مِنِّْي فَنَعَيْنَ نَفْسِي أَلَا أَسْعِدُ أَخِيكَ يَا أَخِيَّ

٣٤ قَالَ ابْنُ الْمُعْتَرِّ عِنْدَ مَوْتِهِ :

يَا نَفْسُ صَبْرًا لَعَلَّ الْخَيْرَ عُثْبَاكِ خَاتَمُكَ مِنْ بَعْدِ طَوْلِ الْأَمْنِ دُنْيَاكِ
مَرَّتْ بِنَا سَحْرًا طِيرُ فَقُلْتُ لَهَا طُوبَاكِ يَا لَيْتَنِي إِيَّاكِ طُوبَاكِ
إِنْ كَانَ قَصْدُكَ شَرْقًا بِالسَّلَامِ عَلَيَّ شَاطِي الْأَفْرَاتِ أَلْبَغِي إِنْ كَانَ مَثْوَاكِ
مِنْ مُوْتَقٍ بِالْمَنَآيَا لَا فَكَاكِ لَهُ يَبْكِي الدَّمَاءَ عَلَى الْفَالِ لَهُ بَاكِ
أَظْنُهُ آخِرَ الْأَيَّامِ مِنْ عُمْرِي وَأَوْشَكَ الْيَوْمَ أَنْ يَبْكِي لَهُ بَاكِ

٣٥ وَمَا أَجُودَ قَوْلَ ابْنِ أَبِي زَمَنْيَنَ :

الْمَوْتُ فِي كُلِّ حِينٍ يَنْشُرُ الْكَفَنَا وَنَحْنُ فِي غَفْلَةٍ عَمَّا يُرَادُ بِنَا
لَا تَطْمَئِنُّ إِلَى الدُّنْيَا وَبَهْجَتِهَا وَإِنْ تَوَشَّحْتَ مِنْ أَثْوَابِهَا الْحَسَنَا
أَيُّنَ الْأَحِبَّةِ وَالْجِيرَانِ مَا فَعَلُوا أَيْنَ الَّذِينَ هُمْ كَانُوا لَنَا سَكَنَا
سَقَاهُمُ الْمَوْتُ كَأَسَا غَيْرَ صَافِيَةٍ فَصَيَّرْتَهُمْ لِأَطْبَاقِ الثَّرَى رُهْنَا
تَبْكِي الْمَنَازِلَ مِنْهُمْ كُلَّ مُنْسَجِمٍ بِالْمَكْرُمَاتِ وَتَرْتِي الْإِلَهَ وَالْمَنَنَا

حَسَبُ الْجَمَامِ لَوْ أَبْقَاهُمْ وَأَمَلَهُمْ أَلَّا يُظَنَّ عَلَى مَعْلُومِهِ حَسَنًا
 ٢٦ دَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْفَضْلِ عَلَى أَبِي حَفْصٍ الشَّيْطَرِ نَجِيٍّ يَعُودُهُ فِي
 عَلَيْهِ الَّتِي مَاتَ فِيهَا . فَأَنشَدَهُ قَوْلَهُ :

نَعَى لَكَ ظِلَّ الشَّبَابِ الْمُسِيبُ وَنَادَتْكَ بِاسْمِ سِوَاكَ الْخُطُوبُ
 فَكُنْ مُسْتَعِدًّا لِدَاعِي الْفَنَاءِ فَإِنَّ الَّذِي هُوَ آتٍ قَرِيبُ
 أَلَسْنَا نَرَى شَهَوَاتِ النُّفُوسِ تَفْنَى وَتَبْقَى عَلَيْهَا الذُّنُوبُ
 وَقَبْلَكَ دَاوَى الْمَرِيضِ الطَّيِّبُ فَعَاشَ الْمَرِيضُ وَمَاتَ الطَّيِّبُ
 يَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ مَنْ يَتُوبُ فَكَيْفَ تَرَى حَالَ مَنْ لَا يَتُوبُ
 وَلَا يَبْتَغِي الْعَاقِبَةَ :

لِدَاوَى الْمَوْتِ وَابْنُوا لِلْخَرَابِ فَكُلُّكُمْ يَصِيرُ إِلَى الذَّهَابِ
 أَلَا يَمُوتُ لَمْ أَرِ مِنْكَ بُدًّا أَتَيْتَ وَمَا تُحِيفُ وَمَا تُحَايِ
 كَأَنَّكَ قَدْ هَجَمْتَ عَلَى مَشِيئِي كَمَا هَجَمَ الْمُسِيبُ عَلَى شَبَابِي
 ٣٧ وَجَاءَ فِي قَلَابِدِ الْعُقَيَانِ :

أَيْنَ الْمُلُوكُ وَمَنْ بِالْأَرْضِ قَدْ عَمَرُوا قَدْ فَارَقُوا مَا بَنَوْا فِيهَا وَمَا عَمَرُوا
 وَأَضْبَحُوا رَهْنَ قَبْرِ الَّذِي عَمَلُوا عَادُوا رَمِيمًا بِهِ مِنْ بَعْدِ مَا دَثَرُوا
 أَيْنَ الْعَسَاكِرُ مَا رَدَّتْ وَمَا نَفَعَتْ وَأَيْنَ مَا جَمَعُوا فِيهَا وَمَا أَذْخَرُوا
 أَتَاهُمْ أَمْرُ رَبِّ الْعَرْشِ فِي عَجَلٍ لَمْ يُنْجِهِمْ مِنْهُ لَا مَالٌ وَلَا وَزَرُ
 قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ وَلَهُ الْيَدُ الطُّوْلَى فِي مَعَانِي الزُّهْدِ :

إِعْمَدْ لِنَفْسِكَ وَأَذْكُرْ سَاعَةَ الْأَجَلِ وَلَا تُغَرَّنْ فِي دُنْيَاكَ بِالْأَمَلِ

سَابِقُ خُوفِ الرَّدَى وَاعْمَلْ عَلَى مَهَلٍ
وَأَعْلَمْ بِأَنَّكَ مَسْئُولٌ وَمُفْتَحَصٌ
لَا تَلْعَبَنَّ بِكَ الدُّنْيَا وَزُخْرُفُهَا
لَا يَخْذَرُ النَّفْسَ إِلَّا ذُو مُرَاقَبَةٍ
مَا أَقْرَبَ الْمَوْتِ مِنْ أَهْلِ الْحَيَاةِ وَمَا
مَا أَحْسَنَ الدِّينَ وَالدُّنْيَا إِذَا اجْتَمَعَا
وَلَهُ أَيْضًا:

قَدْ سَمِعْنَا أَلْوَعظَ لَوْ يَنْفَعُنَا
كُلُّ نَفْسٍ سَتَوَانِي سَعْيِهَا
جَفَّتِ الْأَفْلامُ مِنْ قَبْلُ بِمَا
يَهْرُبُ الْمَرءُ مِنَ الْمَوْتِ وَهَلْ
كُلُّ نَفْسٍ سَتَقَامِي عَاجِلًا
أَيُّهَا ذَا النَّاسِ مَا حَلَّ بِكُمْ
وَسَقَامٌ ثُمَّ مَوْتٌ نَازِلٌ
وَحِسَابٌ وَكِتَابٌ حَافِظٌ
وَصِرَاطٌ مَنْ يَزُلْ عَنْ حُدَيْهِ
قَالَ بَعْضُهُمْ:

وَتَلَحُّظِي مُلَاحَظَةَ الرَّقِيبِ
وَتَنْشُرُ لِي كِتَابًا فِيهِ طَيِّبٌ
وَتَلَحُّظِي الْمُنِيَّةَ مِنْ قَرِيبٍ
بِحِطِّ الدَّهْرِ أَسْطَرُهُ مَشِيئِي

كِتَابُ فِي مَعَانِيهِ غُمُوضُ تَلُوحُ لِكُلِّ أَوَاتٍ مُنِيبُ
 أَرَاكَ اللَّهُ يَا صَاحِي شَبَابِي فَعَوَّضْتُ الْبَغِضَ مِنَ الْحَبِيبِ
 وَبَدَّلْتُ التَّكَاثُلَ مِنْ تَشَاطِي وَمِنْ حُسْنِ النَّصَارَةِ بِالشُّحُوبِ
 كَذَلِكَ الشَّمْسُ يَعْلُوهَا أَصْهَرَارُ إِذَا جَنَحَتْ وَمَاتَ لِلْغُرُوبِ
 قَالَ الْإِلْبِيرِيُّ :

كَأَنِّي بِنَفْسِي وَهِيَ فِي السَّكَرَاتِ تُعَاجُ أَنْ تَرَقَى إِلَى اللَّهِوَاتِ
 وَقَدْ زَمَّ رَحْلِي وَأَسْتَقَلَّتْ رِكَائِي وَقَدْ آذَنَتْنِي بِالرَّحِيلِ خُدَاتِي
 إِلَى مَنْزِلٍ فِيهِ عَذَابٌ وَرَحْمَةٌ وَكَمْ فِيهِ مِنْ زَجَرٍ لَنَا وَعِظَاتِ
 وَمِنْ أَعْيُنٍ سَالَتْ عَلَى وَجَنَاتِهَا وَمِنْ أَوْجِهٍ فِي التُّرْبِ مُنْغِفَرَاتِ
 وَكَمْ وَارِدٍ فِيهِ عَلَى مَا يَسْرُهُ وَكَمْ وَارِدٍ فِيهِ عَلَى الْحُسَرَاتِ

في النهر ونهائيه

٣٩ أَلَسَدَ الْخَلِيفَةُ الْمُعْتَصِدُ لَمَّا حَضَرَتهُ الْوَفَاةُ قَصِيدَةً مِنْهَا :
 وَلَا تَأْمَنَّ الدَّهْرَ إِنِّي أَمِنْتُهُ فَلَمْ يُبْقِ لِي خِيَلًا وَلَمْ يَرَعْ لِي حَقًّا
 قَتَلْتُ صَنَادِيدَ الرِّجَالِ وَلَمْ أَدَعْ عَدُوًّا وَلَمْ أَهْلَ عَلَى طَعْنِهِ خَلْقًا
 وَأَخْلَيْتُ دَارَ الْمُلْكِ مِنْ كُلِّ نَازِعٍ فَشَرَحْتُهُمْ غَرْبًا وَزَقَقْتُهُمْ شَرْقًا
 فَمَا بَلَغَتْ أُنْجُمُ عِزًّا وَرَفْعَةً وَصَارَتْ رِقَابُ الْخُلُقِ أَجْمَعُ لِي رِقَا
 رَمَانِي الرَّدَى سَهْمًا فَأَخَذَ جَهْرَتِي فَهَا أَنَا ذَا فِي خُفْرَتِي مَا جَلَا أَلْقَى
 قَالَ الْأَمَامُ أَبُو مُظَفَّرٍ الْأَبْيُورْدِيُّ :

يَا مَنْ يُؤْمَلُ أَنْ يَعِيشَ مُسَلِّمًا جَذَلَانِ لَا يُدْهَى بِحَطَبٍ يُخْزِنُ

أَفَرَطْتَ فِي شَطَطِ الْأَمَانِي فَأَقْتَصِدْ
لَيْسَ الْأَمَانُ مِنَ الزَّمَانِ بِمُحْكِنٍ
مَعْنَى الزَّمَانِ عَلَى الْحَقِيقَةِ كَأَسْمِهِ
وَأَعْلَمَ بَأَنِّ مِنَ الْمُنَى مَا يَفْتَرُ
وَمِنَ الْحَالِ وَجُودُ مَا لَا يُمْكِنُ
فَعَلَامَ زَجْوِ أَنَّهُ لَا يُزْمِنُ

قصيدة لاسماعيل المقرئ في التوبة

٤٠

إِلَى كَمِّ تَمَادَى فِي غُرُورٍ وَغَفْلَةٍ
لَقَدْ ضَاعَ عُمْرُ سَاعَةٍ مِنْهُ تُشْتَرَى
أَتَرْضَى مِنَ الْغَيْشِ الرَّغِيدِ وَعَيْشَةٍ
فِيَا دُرَّةَ بَيْنِ الزَّابِلِ أُلْقِيَتْ
أَفَأَنْ بِبَاقٍ تَشْتَرِيهِ سَفَاهَةً
أَأَنْتَ صَدِيقٌ أَمْ عَدُوٌّ لِنَفْسِهِ
وَلَوْ فَعَلَ الْأَعْدَا بِنَفْسِكَ بَعْضَ مَا
لَقَدْ بَعَثَهَا هُونًا عَلَيْكَ رَخِيسَةً
كَلَفَتْ بِهَا دُنْيَا كَثِيرُ غُرُورِهَا
عَلَيْكَ بِمَا يُجِدِي عَلَيْكَ مِنَ التَّقَى
تُصَلِّي بِلَا قَلْبٍ صَلَاةً يُمَثِّلُهَا
تُخَاطِبُهُ إِيَّاكَ تَعْبُدُ مُقْبِلًا
وَلَوْ رَدَّ مِنْ نَاجَاكَ لِغَيْرِ طَرَفِهِ
فَوَيْلَكَ تَدْرِي مَنْ تُنَاجِيهِ مُعْرِضًا
تَقُولُ مَعَ الْعَصِيَانِ رَبِّي غَافِرٌ
وَكَمْ هَكَذَا نَوْمٌ إِلَى غَيْرِ يَقْظَةٍ
يَمِلُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ آيَةً ضَيْعَةٍ
مَعَ الْمَلَأِ الْأَعْلَى بِعَيْشِ الْبَيْمَةِ
وَجَوْهَرَةٍ يَبِيعُ بِأَجْحَسِ قِيَمَةٍ
وَسُخْطًا بِرِضْوَانٍ وَنَارًا بِحِجَّةٍ
فَأَنْتَ تَرْمِيهَا بِكُلِّ مُصِيبَةٍ
فَعَلْتَ لَمَسْتَهُمْ لَهَا بَعْضُ رَحْمَةٍ
وَكَانَتْ بِهَذَا مِنْكَ غَيْرَ حَقِيقَةٍ
تُقَابِلُنَا فِي نُصْحِهَا بِالْخَدِيعَةِ
فَأَنْتَ فِي سَهْوٍ عَظِيمٍ وَغَفْلَةٍ
يَصِيرُ الْهَلَى مُسْتَوْجِبًا لِلْعُقُوبَةِ
عَلَى غَيْرِهِ فِيهَا لِغَيْرِ ضَرُورَةٍ
تَمَيَّزَتْ مِنْ غَيْظٍ عَلَيْهِ وَغَيْرَةٍ
وَبَيْنَ يَدَيَّ مِنْ تَخَنُّي غَيْرِ مُخْبِتٍ
صَدَقْتَ وَلَكِنْ غَافِرٌ بِالْمُسِيئَةِ

وَرَبُّكَ رَزَاقٌ كَمَا هُوَ غَافِرٌ فَلَمْ لَمْ تُصَدِّقْ فِيهِمَا بِالسَّوِيَّةِ
فَكَيْفَ تُرْجِي الْعَفْوَ مِنْ غَيْرِ تَوْبَةٍ وَلَسْتَ تُرْجِي الرِّزْقَ إِلَّا بِحِيلَةٍ
وَهَا هُوَ بِالْأَرْزَاقِ كَفَّلَ نَفْسَهُ وَلَمْ يَتَّكِلْ لِلْأَنَامِ بِحِجَّةٍ
وَمَازَلَتْ تَسْعَى فِي الَّذِي قَدْ كُفِّتَهُ وَتَهْمِلُ مَا كُفِّتَهُ مِنْ وَظِيفَةٍ
تُسَيِّئُ بِهِ ظَنًّا وَتُحْسِنُ تَارَةً عَلَى حَسَبِ مَا يَقْضِي الْهَوَى بِالْقَضِيَّةِ

للبرعي في الاغراء بالتوبة

٤١

يَا مُحْسِنًا بِالزَّمَانِ ظَنًّا لَمْ تَدْرِ مَا يَفْعَلُ الزَّمَانُ
لَا تَتَّبِعِ النَّفْسَ فِي هَوَاهَا إِنَّ أَتْبَاعَ الْهَوَى هَوَانُ
وَأَجَلْتِي مِنْ عِتَابِ رَبِّي إِنَّ قَالَ أَسْرَفْتَ يَا فُلَانُ
إِلَى مَتَى أَنْتَ فِي الْمَعَاصِي تَسِيرُ مُرْخِي لَكَ الْعَنَانُ
لَوْ خَوَّفَتْكَ الْحَجِيمُ بَطْشِي لَشَوَّقَتْ قَلْبَكَ الْجِنَانُ
أَنْتَ شَجَاعٌ عَلَى الْمَعَاصِي وَأَنْتَ عَنْ طَاعَتِي جَبَانُ
عِنْدِي لَكَ الصُّلْحُ وَهُوَ بَرِّي وَعِنْدَكَ السَّيْفُ وَالسَّيَّانُ
فَأَسْتَحْيِ مِنْ شَيْبَةٍ تَرَاهَا فِي النَّارِ مَسْجُونَةً تِهَانُ
أَيُّ أَوَانٍ تَتُوبُ فِيهِ هَلْ بَعْدَ قَطْعِ الرَّجَا أَوَانُ
يَا سَيِّدِي هَذِهِ عِيُوبِي وَأَنْتَ فِي الْخَطْبِ مُسْتَعَانُ
يَا مَنْ لَهُ فِي الْعَصَا شَأْنُ وَشَأْنُهُ الْعُطْفُ وَالْحَنَانُ
يَا مَنْ مَلَأَ بَرَّهُ النَّوَاحِي لَمْ يَخْلُ مِنْ بَرِّهِ مَكَانُ
عَفْوًا فَإِنِّي رَهَيْنُ ذَنْبٍ حَاشَاكَ أَنْ يَغْلِقَ الرِّهَانُ

٤٢ قَالَ حُرَيْثُ بْنُ جَبَلَةَ الْعُذْرِيُّ وَقِيلَ عَثِيرُ بْنُ لَيْدٍ الْعُذْرِيُّ:
يَا قَلْبُ إِنَّكَ فِي الْأَحْيَاءِ مَعْرُورٌ فَأَذْكُرْ وَهَلْ يَنْفَعُكَ الْيَوْمَ تَذْكِيرُ
تُرِيدُ أَمْرًا فَمَا تَدْرِي أَعَاجِلُهُ خَيْرٌ لِنَفْسِكَ أَمْ مَا فِيهِ تَأْخِيرُ
فَأَسْتَشِيرُ اللَّهَ خَيْرًا وَأَرْضَيْنَ بِهِ فَيَدِينَا الْعُسْرُ إِذْ دَارَتْ مَيَاسِيرُ
وَبَيْنَمَا الْمَرْءُ فِي الْأَحْيَاءِ مُعْطَبٌ إِذْ صَارَ فِي الرَّمْسِ تَعْفُوهُ الْأَعَاصِيرُ
حَتَّى كَانَ لَمْ يَكُنْ إِلَّا تَوْهُهُ وَالْدَّهْرُ فِي كُلِّ حَالِهِ دَهَارِيرُ
يَكْبِي الْغَرِيبَ عَلَيْهِ لَيْسَ يَعْرِفُهُ وَذُو قَرَابَتِهِ فِي الْحَيِّ مَسْرُورُ
قَالَ آخَرُ:

وَيْلِي إِذَا كَانَ الْحَجِيمُ جَزَائِي مَاذَا يَحِلُّ بِمُتَحَيِّي وَبَهَائِي
يُسِيلُ الْعَذَابُ مُحَاسِنِي وَيَشِينُهَا وَيَطُولُ مِنِّي فِي الْحَجِيمِ بُكَائِي
وَيَقُولُ لِي الْجَبَّارُ جَلَّ جَلَالُهُ يَا عَبْدَ سَوْءٍ أَنْتَ مِنْ أَعْدَائِي
بَارَزْتَنِي وَعَصَيْتَ أَمْرِي جَاهِلًا وَنَسِيتَ وَعَدِي مَا تَخَافُ لِقَائِي
وَرَرَى وَجْهَ الطَّائِعِينَ كَأَنَّهَُا بَدُرٌ بَدَأَ فِي لَيْلَةٍ ظَلَمَاءُ
كَشَفُوا الْحِجَابَ فَشَاهَدُوهُ وَأَدْهَشُوا وَكُسُوا نَعِيمًا دَائِمًا بَضِيَاءُ

٤٣ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ بْنُ حَاتِمَةَ مُسْتَعِثًا بِهِ تَعَالَى:

يَا مَنْ نَيْثُ الْوَرَى مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا إِرْحَمْ عِبَادًا أَكْفَأَ الْفَقْرِ قَدَبَسَطُوا
عَوْدَتَهُمْ بَسَطَ أَرْزَاقٍ بِلا سَبَبٍ سَوَى جَمِيلِ رَجَاءٍ نَحْوَهُ أَنْبَسَطُوا
وَعَدَتْ بِالْفَضْلِ فِي وَرْدٍ وَفِي صَدْرِ بِالْجُودِ إِنْ أَقْسَطُوا وَالْحِلْمِ إِنْ قَسَطُوا
عَوَارِفُ أَرْتَبَتْ شَمُّ الْأَنْوَفِ بِهَا وَكُلُّ صَعْبٍ يَقِيدُ الْجُودَ يَرْتَبُطُ

يَا مَنْ تَعَرَّفَ بِالْمَعْرُوفِ فَأَعْتَرَفَتْ
وَعَالِمًا بِخَفِيَّاتِ الْأُمُورِ فَلَا
عَبْدَ فَقِيرٍ بَابِ الْجُودِ مِنْكَسِرُ
مَهْمَا أَتَى لِيَمْدُ الْكَفِّ أَجْجَلُهُ
يَا وَاسِعًا صَاقَ خَطُوهُ الْخَلْقِ عَنْ نَعَمٍ
وَنَاشِرًا بِيَدِ الْإِجْمَالِ رَحْمَتُهُ
إِرْحَمْ عِبَادًا بِضْنِكَ الْعَيْشِ مَا لَهُمْ
لَكِنَّهُمْ مِنْ ذُرَى عَلِيَاكَ فِي نَمَطٍ
وَمَنْ يَكُنْ بِالَّذِي يَهْوَاهُ مُجْتَمِعًا
تَحْنُ الْعَيْدُ وَأَنْتَ الْمَلَكُ لَيْسَ سِوَى
قَالَ آخَرُ:

أَفْصَرْتُ عَنْ طَلَبِ الْبَطَالَةِ وَالصَّبَا
لِلَّهِ أَيَّامُ الشَّبَابِ وَأَهْلُهُ
قَدَعَ الصَّبَا يَا قَلْبُ وَالْهَمُّ عَنْ الْهَوَى
وَأَنْظِرْ إِلَى الدُّنْيَا بَعَيْنِ مُودِعٍ
وَالْحَادِثَاتُ مُوَكَّلَاتُ يَأْتِي
قَالَ بِشَرِّ بْنِ الْمُعْتَمِرِ:

تَعَاثُرَ الْقَدَى فِي الْمَاءِ لَا تَسْتَطِيعُهُ
وَتَوَثَّرَ مِنْ أَكْلِ الطَّعَامِ الَّذِي
وَتَكَرَّرَ فِي حَوْضِ الذُّنُوبِ فَتَشْرَبُ
وَلَا تَذْكُرُ الْمُسْكِينَ مِنْ أَيْنَ يَكْسِبُ

وَتَرَفُّدُ يَامِسْكِينُ فَوْقَ نَمَارِقَ
فَحَتَّى مَتَى لَا تَسْتَفِيقُ جَهَالَةً
٤٤ قَالَ أَبُو الْعَتَّاهِيَّةِ:

فَيَا مَنْ بَاتَ يَنْوِي بِالْخَطَايَا
أَمَا تَخْشَى مِنَ الدَّيَّانِ طَرْدًا
أَتَعْصِي اللَّهَ وَهُوَ يَرَاكَ جَهْرًا
وَتَخْلُو بِالْمَعَاصِي وَهُوَ دَانٍ
وَتُشْكِرُ فِعْلَهَا وَلَهَا شُحُودُ
فَيَا حُزْنَ الْمَسِيِّ لِشُومِ ذَنْبٍ
فَيَنْدُبُ حَسْرَةً مِنْ بَعْدِ مَوْتٍ
يَعِضُ يَدَيْهِ مِنْ نَدَمٍ وَحُزْنٍ
فَيَا دِرَّ بِالصَّلَاحِ وَأَنْتَ حَيٌّ
وَعَيْنُ اللَّهِ سَاهِرَةٌ تَرَاهُ
بُجْرُمٍ دَائِمًا أَبَدًا تَرَاهُ
وَتَنْسَى فِي غَدٍ حَقًّا تَرَاهُ
إِلَيْكَ وَلَيْسَ تَخْشَى مِنْ لِقَاةِ
بِمَكْتُوبٍ عَلَيْكَ وَقَدْ حَوَاهُ
وَبَعْدَ الْحُزْنِ يَكْفِيهِ جَمَاهُ
وَيَبْكِي حَيْثُ لَا يُجْدِي بُكَاهُ
وَيَنْدُبُ حَسْرَةً مَا قَدْ عَرَاهُ
لَعَلَّكَ أَنْ تَتَالَ بِهِ رِضَاهُ

ما كتب على القبور

٤٥ تُوِّي رَجُلٌ مِنْ كِنْدَةَ فَكُتِبَ عَلَى قَبْرِهِ هَذِهِ الْأَنْبِيَاتُ:
يَا وَاقِعِينَ أَلَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُوا
لَوْ تَنْزِلُونَ لَشَعِينَا لَعَرَفْتُمْ
لَا تَسْتَغْرُوا بِالْحَيَاةِ فَإِنَّكُمْ
سَاوَى الرَّدَى مَا بَيْنَنَا فِي خُفْرَةٍ
وَمِمَّا وَجَدَ عَلَى قَبْرِ:

أَنَّ الْحِمَامَ بِكُمْ عَلَيْنَا قَادِمٌ
أَنَّ الْمُرْطَ فِي التَّرْوِدِ نَادِمٌ
تَبْنُونَ وَالْمَوْتُ الْمُرْقُ هَادِمٌ
حَيْثُ الْخُدْمُ وَاحِدٌ وَالْخَادِمُ

إِنَّ الْحَسْبَ مِنَ الْأَحْبَابِ مُحْتَسِبٌ لَا يَمْنَعُ الْمَوْتَ بَوَابٌ وَلَا حَرَسٌ
فَكَيْفَ تَفْرَحُ بِالْذُّنْيَا وَلَتَتْهَا يَأْمَنُ يَمَدُّ عَلَيْهِ الْاَلْفُظُ وَالنَّفْسُ
لَا يَرْحَمُ الْمَوْتُ ذَا جَاهٍ لِعِزَّتِهِ وَلَا الَّذِي كَانَ مِنْهُ الْعِلْمُ يُقْبَسُ
قَدْ كَانَ قَصْرُكَ مَعْمُورًا لَهُ شَرَفٌ فَقَبْرُكَ الْيَوْمَ فِي الْأَجْدَاثِ مُنْدَرِسٌ
قَالَ ابْنُ الزُّرَّاقِ هَذِهِ الْآيَاتُ وَأَوْصَى أَنْ تُكْتَبَ عَلَى قَبْرِهِ:

أَخَوَانَا وَالْمَوْتُ قَدْ حَالَ دُونَنَا وَلِلْمَوْتِ حُكْمٌ نَأْذِي فِي الْخُلَاقِ
سَبَقْتُمْ لِلْمَوْتِ وَالْعَمْرُ طِيَهُ وَأَعْلَمُ أَنَّ الْكُلَّ لَا بَدَّ لِأَحْيٍ
بَعِثْتُمْ أَوْ بِأَصْطِحْجَاعِي فِي الثَّرَى أَلَمْ نَكُ فِي صَفْوٍ مِنَ الْعِيشِ رَاقٍ
فَمَنْ مَرَّ بِي فَلْيَمِضْ بِي مُتَرَجِّمًا وَلَا يَكُ مَنَسِيًّا وَقَاهُ الْأَصَادِقُ
٤٦ أَمَرَ أَبُو الصَّلْتِ الْأَشْجَلِيُّ أَنْ تُكْتَبَ هَذِهِ الْآيَاتُ عَلَى قَبْرِهِ:
سَكُنْتُكَ يَا دَارَ الْفَنَاءِ مُصَدِّقًا بِأَنِّي إِلَى دَارِ الْبَقَاءِ أَصِيرُ
وَأَعْظَمُ مَا فِي الْأَمْرِ أَنِّي صَارْتُ إِلَى عَادِلٍ فِي الْحُكْمِ لَيْسَ يُجُورُ
فَيَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ أَلْقَاهُ عِنْدَهَا وَزَادِي قَلِيلٌ وَالذُّنُوبُ كَثِيرُ
فَإِنْ أَكْ مَجْزِيًا بِذُنُوبِي فَإِنِّي بِشَرِّ عِقَابِ الْمُذْنِبِينَ جَدِيدُ
وَإِنْ يَكُ عَفْوَكَ عَنِّي وَرَحْمَةُ فَتَمَّ نَعِيمٌ زَانِدٌ وَسُرُورُ
خَفِرَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ عَلَى قَبْرِ ابْنِ بَاقٍ وَهِيَ مِنْ تَصْنِيفِهِ:

تَرَحَّمْ عَلَى قَبْرِ ابْنِ بَاقٍ وَحْيِهِ فَمَنْ حَقَّ مِيتَ الْحَيِّ تَسْلِيمُ حَيِّهِ
وَقُلْ أَمَّنَ الرَّحْمَنُ رَوْعَةً خَائِفٍ لَتَفْرِيطُهُ فِي الْوَأَجِبَاتِ وَغِيهِ
وَإِنِّي بِفَضْلِ اللَّهِ أَوْثَقُ وَاثِقٍ وَحَسْبِي وَإِنْ أَذْنَبْتُ حَسْبُ صَفِيهِ

٤٧ قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْمُقَرِّيُّ أَخْيَاطُ عَلَى لِسَانِ مَيْتٍ :

أَيُّهَا الزَّائِرُونَ بَعْدَ وَفَاتِي جَدًّا صَمْنِي وَلَحْدًا عَمِيقًا
سَتَرُونَ الَّذِي رَأَيْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ عِيَانًا وَتَسْلُكُونَ طَرِيقًا
نَظَّمَ أَسْعَدُ مُصْطَفَى الْقُتَيْبِيِّ قَبْلَ مَوْتِهِ تَارِيحًا لِقَبْرِهِ :

قَبْرُهُ بِهِ مَنْ أَوْثَقَتْهُ ذُنُوبُهُ وَتَحَدَّ السُّوءُ فِعَالَهُ مُتَحَوِّفًا
قَدْ ضَاعَ مِنْهُ عُمْرُهُ بِطَالَةِ وَالْعَيْشُ مِنْهُ بِالتَّكْدُرِ مَا صَفَا
مَاذَا طَوَى قَبْرُ الْقُتَيْبِيِّ أَرْخُوا مُسْتَمْتَحًا لِلْعَفْوِ أَسْعَدُ مُصْطَفَى

٤٨ لَمَّا قُتِلَ سَيْفُ بْنُ ذِي يَزْنَ الْحَمِيرِيُّ دُفِنَ فِي صَنْعَاءَ بِمَقْبَرَةٍ
وَوُضِعَ فِي سَرِيرِهِ عِنْدَ رَأْسِهِ لَوْحٌ قَدْ كُتِبَتْ فِيهِ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ :

أَنَا ابْنُ ذِي يَزْنَ مِنْ قُرْعِ ذِي يَمَنٍ
جَلَبْتُ مِنْ فَارِسٍ جَيْشًا عَلَى عَجَلٍ
حَتَّى غَزَوْتُ بِهِمْ قَوْمًا مُهَاجِرَةً
بِالْخُسْفِ وَالذَّلِّ حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ
فَأَوْقَعُوا بِهِمْ وَالْدَّهْرُ ذُو دَوْلٍ
حَتَّى إِذَا ظَفَرَتْ نَفْسِي بِمَا طَلَبْتُ
وَنِلْتُ أَكْثَرَ مِمَّا كُنْتُ أَمِلُهُ
جَاءَ الْقَضَاءُ بِمَا لَا يُسْتَطَاعُ لَهُ
مِنْ بَعْدٍ مَا جَبْتُ أَحْوَالَ مُضَرَّمَةٍ
قَدْ صَرْتُ مُرْتَهَنًا فِي قَاعِ مُظْلَمَةٍ

مَلَكَتُ مِنْ حَدِّ صَنْعَاءَ إِلَى عَدَنٍ
فِي الْبَحْرِ أَجْمَلُهُمْ فِيهِ عَلَى السُّفُنِ
فِي الْبَرِّ جَاسُوا خِلَالَ الْحَيِّ مِنْ يَمَنٍ
ذُوقُوا ثَمَارَ ذَوَاتِ الْحَقْدِ وَالْإِحْنِ
حَتَّى كَانَ مَقَارَ الْقَوْمِ لَمْ يَكُنْ
وَزَالَ مَا كَانَ فِي قَلْبِي مِنَ الْحَزَنِ
مِنْ قَتْلِي الْجُبْشِ حَتَّى طَابَ لِي وَطَنِي
دَفَعْتُ وَلَا يُشْتَرَى بِأَقْوَمِ بِالْثَمَنِ
قُطِرَ الْبِلَادِ فَلَمْ أَعْجِزْ وَلَمْ أَهْنِ
لِلَّهِ دَرِي مِنْ تَاوٍ وَمُرْتَهَنِ

الباب الثالث في المراثي

رثاء اعرابية لابنها

٤٩ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: حَجَّتْ أَعْرَابِيَّةٌ وَمَعَهَا ابْنٌ لَهَا فَأَصَابَتْ بِهِ . فَلَمَّا
 دُفِنَ قَامَتْ عَلَى قَبْرِهِ وَهِيَ مُوجِعَةٌ فَقَالَتْ : وَاللَّهِ يَا بُنَيَّ لَقَدْ غَذَوْتُكَ
 رَضِيعًا . وَفَقَدْتُكَ سَرِيعًا . وَكَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَالَيْنِ مُدَّةٌ أَلْتَدُّ
 بِعَيْشِكَ فِيهَا . فَأَصْبَحْتَ بَعْدَ النَّضَارَةِ وَالْعَضَارَةِ وَرَوْتَنِي الْحَيَاةَ
 وَالتَّنَسُّمَ فِي طِيبِ رَوَائِحِهَا تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرَى جَسَدًا هَامِدًا وَرَفَا
 سَحَابًا وَصَعِيدًا جُرْزًا . أَيُّ بُنَيَّ قَدْ سَحَبْتَ الدُّنْيَا عَلَيْكَ أَذْيَالُ الْفَنَاءِ
 وَأَسْكَنْتَكَ دَارَ الْإِلَى . وَرَمَتْنِي بَعْدَكَ نَكْبَةً الرَّدَى . أَيُّ بُنَيَّ لَقَدْ
 أَسْفَرَلِي عَنْ وَجْهِ الدُّنْيَا صَبَاحُ دَاجٍ ظَلَامُهُ . (ثُمَّ قَالَتْ) : أَيُّ رَبِّ وَمَنْكَ
 الْعَدْلُ وَمِنْ خَلْقِكَ الْجَوْرُ . وَهَبْتَهُ لِي قُرَّةَ عَيْنٍ فَلَمْ يُتِمَّعْنِي بِهِ كَثِيرًا
 بَلْ سَلَبْتَنِيهِ وَشَيْكًا . ثُمَّ أَمَرْتَنِي بِالصَّبْرِ وَوَعَدْتَنِي عَلَيْهِ الْأَجْرَ فَصَدَقْتُ
 وَعْدَكَ وَرَضِيتُ قَضَاءَكَ . فَرَحِمَ اللَّهُ مَنْ تَرَحَّمَ عَلَيَّ مَنْ اسْتَوْدَعْتُهُ
 الرَّدَمَ وَوَسَدْتُهُ الثَّرَى . اَللّهُمَّ ارْحَمْ غُرْبَتَهُ وَأَنْسَ وَخَشَتَهُ وَأَسْرُ
 سَوَّءَتَهُ يَوْمَ تَنْكَشِفُ السَّوْءَاتُ . (فَلَمَّا أَرَادَتْ الرُّجُوعَ إِلَى
 أَهْلِهَا وَقَفَتْ عَلَى قَبْرِهِ فَقَالَتْ) : أَيُّ بُنَيَّ إِنِّي قَدْ تَرَوَدْتُ لِسَفَرِي
 فَلَيْتَ شِعْرِي مَا زَادُكَ لِبَعْدِ طَرِيقِكَ وَيَوْمَ مَعَادِكَ . اَللّهُمَّ إِنِّي

أَسْأَلُكَ لَهَ الرِّضَا بِرِضَايَ عَنْهُ . ثُمَّ قَالَتْ : أَسْتَوْدَعُكَ مِنْ أَسْتَوْدَعِيكَ
 فِي أَحْسَائِي جَنِيئًا . وَأَتُكَلِّمُ الْوَالِدَاتِ مَا أَمْضَى حَرَارَةِ قُلُوبِهِنَّ وَأَقْلَقَ
 مَضَاجِعِهِنَّ وَأَطْوَلَ لَيَلِهِنَّ وَأَقْصَرَ نَهَارِهِنَّ وَأَقْلَأَ أَلْسِنَهُنَّ وَأَشَدَّ
 وَخَشَتِهِنَّ . وَأَبْعَدُهُنَّ مِنَ السُّرُورِ وَأَقْرَبَهُنَّ مِنَ الْأَحْزَانِ . فَلَمْ تَزَلْ
 تَقُولُ هَذَا وَتَحْوُدُ حَتَّى أَبْكْتَ كُلَّ مَنْ سَمِعَهَا . وَحَدَّثَ اللَّهُ وَصَلَتْ
 رَكَاتٍ عِنْدَ قَبْرِهِ وَأَنْطَلَقَتْ

الاحنف بن قيس والرائية

٥٠ . لَمَّا دُفِنَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ بِالْكُوفَةِ قَامَتِ امْرَأَةٌ عَلَى قَبْرِهِ
 فَقَالَتْ : لِلَّهِ دَرْكٌ مِنْ حُجْنٍ فِي جَنٍّ . وَمُدْرَجٌ فِي كَهْنٍ . نَسَأَلُ الَّذِي
 فَجَعَلَنَا بِمَوْتِكَ . وَأَبْتَلَانَا بِفَقْدِكَ . أَنْ يَجْعَلَ سَبِيلَ الْخَيْرِ سَبِيلَكَ . وَدَلِيلَ
 الرُّشْدِ دَلِيلَكَ . وَأَنْ يُوسِّعَ لَكَ فِي قَبْرِكَ . وَيَغْفِرَ لَكَ فِي حَشْرِكَ .
 فَلَقَدْ كُنْتُ فِي الْحَافِلِ شَرِيفًا . وَعَلَى الْأَرَامِلِ عَطُوفًا . وَلَقَدْ كُنْتُ فِي
 الْحَيِّ مُسَوِّدًا . وَإِلَى الْخَلِيفَةِ مُوقِّدًا . وَلَقَدْ كَانُوا الْقَوْلَكَ مُسْتَمِيعِينَ .
 وَلَرَأَيْكَ مُتَّبِعِينَ . وَأَنْتَ أَهْلُ الْحُسْنِ الشَّنَاءِ وَطِيبِ الْبَقَاءِ . أَمَا وَالَّذِي
 كُنْتُ مِنْ أَجْلِهِ فِي عِدَّةٍ . وَمِنْ الْحَيَاءِ إِلَى مُدَّةٍ . وَمِنْ الْقَدَارِ إِلَى
 غَايَةٍ . وَمِنْ الْأَثَارِ إِلَى نِهَآيَةٍ . الَّذِي رَفَعَ عَمَّاكَ لَمَّا قَضَى أَجْلَكَ . لَقَدْ
 عِشْتَ حَمِيدًا مُؤَدُّودًا . وَمِتَّ سَعِيدًا مَفْهُودًا . ثُمَّ أَنْصَرَفَتْ وَهِيَ تَقُولُ :
 لِلَّهِ دَرْكٌ يَا أَبَا بَجْرٍ مَاذَا تَعَيَّبَ مِنْكَ فِي الْقَبْرِ
 لِلَّهِ دَرْكٌ أَيَّ حَشْوٍ رَأَى أَصْبَحْتَ مِنْ عُرْفٍ وَمِنْ نُكْرٍ

إِنْ كَانَ دَهْرُ فَيْكَ جَدًّا لَنَا حَدَّثًا بِهِ وَهَنْتَ قَوَى الصَّبْرِ
فَلَكُمْ يَدِ أَسَدَيْهَا وَيَدِ كَانَتْ تَرْدُ جَرَارَ الدَّهْرِ
ثُمَّ أَنْصَرَفَتْ . فَقَالَ النَّاسُ : مَا سَمِعْنَا كَلَامَ أَمْرَأَةٍ قَطُّ أَبْلَغَ وَلَا
أَصْدَقَ مِنْهُ . فَسُئِلَ عَنْهَا فَإِذَا هِيَ أَمْرَأَتُهُ (زهر الآداب للقيرواني)

٥١ قَالَ أَبُو حِبَالِ الْبَرَاءِ بْنُ رَبِيعٍ الْقَعَسِيُّ يَرْثِي إِخْوَتَهُ :
أَبْعَدَ بَنِي أُمِّي الَّذِينَ تَتَابَعُوا أَرْجَى حَيَاةٍ أَمْ مِنْ الْمَوْتِ أَجْزَعُ
ثَمَانِيَّةٌ كَانُوا ذَوَابَّةَ قَوْمِهِمْ كُنْتُ أُعْطِي مَا أَشَاءُ وَأَمْنَعُ
أُولَئِكَ إِخْوَانُ الصَّفَاءِ رُزِئْتَهُمْ وَمَا الْكَفُّ إِلَّا إِصْبَعٌ ثُمَّ إِصْبَعُ
لَعَمْرُكَ إِنِّي بِالْحَلِيلِ الَّذِي لَهُ عَلَى دَلَالٍ وَاجِبٍ لَمُتَّعُ
وَإِنِّي بِالْمَوْلَى الَّذِي لَيْسَ نَافِعِي وَلَا ضَارِي فَقَدَانُهُ لَمُسْتَعُ
٥٢ وَقَالَ أَشْجَعُ بْنُ عَمْرِو السَّلْمِيِّ فِي ابْنِ سَعِيدٍ :

مَضَى ابْنُ سَعِيدٍ حِينَ لَمْ يَبْقَ مَشْرِقٌ وَلَا مَغْرِبٌ إِلَّا لَهُ فِيهِ مَا دَحُ
وَمَا كُنْتُ أَدْرِي مَا فَوَاضِلُ كَفِّهِ عَلَى النَّاسِ حَتَّى غَيْبَتْهُ الصَّفَائِحُ
فَأَصْبَحَ فِي لَحْدٍ مِنَ الْأَرْضِ مَيِّتًا وَكَانَتْ بِهِ حَيًّا تَضِيقُ الصَّخَاصِخُ
سَاءَ بَكَيْكَ مَا فَاضَتْ دُمُوعِي فَإِنْ تَقَضَّ فَحَسْبُكَ مِنِّي مَا تَجْنُ الْجَوَانِحُ
فَمَا أَنَا مِنْ رُزْءٍ وَإِنْ جَلَّ جَارِعُ وَلَا بِسُرُورٍ بَعْدَ مَوْتِكَ فَارِحُ
كَانَ لَمْ يَمُتْ حَتَّى سَوَاكَ وَلَمْ تَقُمْ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَيْكَ النُّوَانِحُ
لَنْ حَسُنَتْ فَيْكَ الْمَرَاتِي وَذَكَرُهَا لَقَدْ حَسُنَتْ مِنْ قَبْلِ فَيْكَ الْمَدَانِحُ
٥٣ وَقَالَ مَوْلِيكَ الْمَرْمُومُ يَرْثِي أَمْرَأَتَهُ أُمَّ الْعَلَاءِ :

أَمْرٌ عَلَى الْجَدَثِ الَّذِي حَلَّتْ بِهِ
 أَنِّي حَلَلْتُ وَكُنْتُ جَدَّ قُرُوقَةٍ
 صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ مِنْ مَقْشُودَةٍ
 فَلَقَدْ تَرَكْتَ صَغِيرَةً مَرْحُومَةً
 فَقَدْتَ شَمَائِلَ مِنْ لَزَامِكَ حُلُوةً
 وَإِذَا سَمِعْتُ أُنِينَهَا فِي لَيْلِهَا
 ٥٤ وَقَالَ أَعْرَابِي يَرِثِي بَنِيهِ :

أَسْكَانَ بَطْنِ الْأَرْضِ لَوْ يُقْبَلُ الْفِدَا
 فَيَأْتِيَتْ مَنْ فِيهَا عَلَيْهَا وَلَيْتَ مَنْ
 وَقَاتَمَنِي دَهْرِي بَنِي مُشَاطِرَا
 فَصَارُوا دُيُونًا لِلْمَنَايَا وَلَمْ يَكُنْ
 كَانَهُمْ لَمْ يَعْرِفِ الْمَوْتَ غَيْرَهُمْ
 وَقَدْ كُنْتُ حَيًّا الْخَوْفَ قَبْلَ وَقَاتِهِمْ
 فَلِلَّهِ مَا أَعْطَى وَلِلَّهِ مَا حَوَى
 رَأَى ذُو الْوَرَارَيْنِ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ رَجُلًا مَاتَ مُجْدُومًا .

مَاتَ مَنْ كُنَّا نَرَاهُ أَبَدًا
 سَأَلِمَ الْعَقْلُ سَقِيمَ الْجَسَدِ
 كَانَ مِثْلَ السِّيفِ إِلَّا أَنَّهُ
 حُسِدَ الدَّهْرُ عَلَيْهِ فَصَدِي

٥٥ قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَيْهِ يَرِثِي وَلَدًا لَهُ :

قَصَدَ الْمُبُونُ لَهُ فَمَاتَ فَقِيدًا
 وَمَضَى عَلَى صَرْفِ الْخُطُوبِ حَمِيدًا

يَا بِي وَأُمِّي هَالِكًا أَفْرَدْتُهُ
سُودُ الْمَقَابِرِ أَصْبَحَتْ بِيضًا بِهِ
لَمْ نُرْزُهُ لَمَّا رُزِينَا وَحَدَهُ
لَكِنْ رُزِينَا الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ
وَأَبْنُ الْمُبَارَكِ فِي الرِّقَائِقِ مَعْمَرًا
وَالْأَخْفَشِينَ فَصَاحَةً وَبَلَاغَةً
كَانَ الْوَصِيِّ إِذَا أَرَدَتْ وَصِيَّةً
وَلَى حَفِظَهَا فِي الْأَزِمَّةِ حَافِظًا
مَا كَانَ مِثْلِي فِي الرِّزْيَةِ وَالِدًا
حَتَّى إِذَا بَدَأَ السَّوَابِقُ فِي الْعُلَى
يَأْمَنُ يُنْفِدُ مِنَ الْبُكَاءِ مَوْلَهَا
تَأْتِي الْقُلُوبُ الْمُسْتَكْنَةَ لِلْأَسَى
إِنَّ الَّذِي بَادَ السَّرُورُ بِمَوْتِهِ
أَلَانَ لَمَّا أَنْ حَوِيَتْ مَآثِرًا
وَرَأَيْتُ فَيْكَ مِنَ الصَّلَاحِ شَمَانًا
أَبْكِي عَلَيْكَ إِذَا الْحَمَامَةُ أَطْرَبَتْ
لَوْلَا الْحَيَا أَيْ أَرْنُ بِيَدَعَةٍ
لَجَعَلْتُ يَوْمِي فِي الْمَلَاخَةِ مَأْتَمًا
قَدْ كَانَ فِي كُلِّ الْعُلُومِ فَرِيدًا
وَعَدَتْ لَهُ بِيضُ الضَّمَامِ سُودًا
وَإِنْ أُسْتَقَلَّ بِهِ الْمُنُونُ وَحِيدًا
فِي فَضْلِهِ وَالْأَسُودَ بْنَ يَزِيدَا
وَأَبْنُ الْمُسَيَّبِ فِي الْحَدِيثِ سَعِيدَا
وَالْأَعَشَيْنِ رَوَايَةً وَكَشِيدَا
وَالْمُسْتَفَادَ إِذَا طَلَبْتَ مُفِيدَا
وَمَضَى وَدُودًا فِي الْوَرَى مُودُودَا
ظَفَرْتُ يَدَاهُ بِمِثْلِهِ مَوْلُودَا
وَالْعَالَمُ ضَمِنَ شِلْوَهُ مَلْخُودَا
مَا كَانَ يَسْمَعُ فِي الْبُكَاءِ تَفْنِيدَا
مِنْ أَنْ تَكُونَ حِجَارَةً وَحَدِيدَا
مَا كَانَ حَزَنِي بَعْدَهُ لِيَلِيدَا
أَعَيْتَ عَدُوًّا فِي الْوَرَى وَخَسُودَا
وَمِنْ السَّمَاكِ دَلَالًا وَشُهُودَا
وَجَهَ الصَّبَاحِ وَغَرَدَتْ تَغْرِيدَا
مِمَّا يُعَدُّهُ الْوَرَى تَعْدِيدَا
وَجَعَلْتُ يَوْمَكَ فِي الْمَوَالِدِ عِيدَا
قَالَ الشَّمْرَدُلُ يَرَى أَخَاهُ حَكَمًا:

يَقُولُونَ أَحْتَسِبُ حَكَمًا وَرَاحُوا
وَقَبْلَ فِرَاقِهِ أَيقَنْتُ أَتِي
أَخِي لَوْ دَعَوْتُ أَجَابَ صَوْتِي
فَقَدْ أَفْنَى الْبُكَاءَ عَلَيْهِ دَمْعِي
مَضَى لِسَبِيلِهِ لَمْ يُعْطَ ضَمِيمًا
فَقَلْنَا عَنْهُ قَاتِلُهُ وَكُنَّا
قَتِيلًا لَيْسَ مِثْلَ أَخِي إِذَا مَا
وَكُنْتَ سِنَانٌ رَمَحِي مِنْ قَتَاتِي
وَكُنْتَ بَنَانٌ كَفِّي مِنْ يَمِينِي
وَكَانَ يَهَابُكَ الْأَعْدَاءُ فِينَا
فَقَدْ أَبَدُوا ضَعْفَانَهُمْ وَشَدُّوا
فِدَاكَ أَخُ نَبَا عَنْهُ غِنَاهُ

٥٧ وَمِنْ رَقِيقٍ مَرَّاثِي لَبِيدٍ :

بَلِينَا وَمَا تَبَلَّى النُّجُومُ الطَّوَالِعُ
وَقَدْ كُنْتُ فِي أَكْثَافِ دَارِ مَضْنَةٍ
فَلَا جَزَعُ إِنْ فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا
وَمَا النَّاسُ إِلَّا كَالْدَيَّارِ وَأَهْلَهَا
وَيَمْضُونَ أَرْسَالًا وَتُخَلَّفُ بَعْدَهُمْ
وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا كَالشَّهَابِ وَضُوئِهِ
وَتَبَقَى الْجِبَالُ بَعْدَنَا وَالْمَصَانِعُ
فَقَارَقَنِي جَارٌ يَأْرَبِدُ نَافِعُ
فَكُلُّ أَمْرِي يَوْمًا بِهِ الدَّهْرُ فَاجِعُ
بِهَا يَوْمٌ حَلَّوْهَا وَعَدُّوا بِالْأَقْعِ
كَمَا ضَمَّ أُخْرَى التَّالِيَاتِ الْمَشَاعِ
يُخَوِّرُ رَمَادًا بَعْدَ إِذْ هُوَ سَاطِعُ

وَمَا أَلْبَسَ إِلَّا مُمْسِرَاتٍ مِّنَ الثَّقَى
أَلَيْسَ وَرَائِي إِنْ تَرَأَخْتَ مَنِيَّتِي
أَخْبَرَ أَخْبَارَ أَقْرُونِ الَّتِي مَضَتْ
فَأَصْبَحْتُ مِثْلَ السِّيفِ أَخْلَقَ جَفْنَهُ
فَلَا تَبْعَدْنِ إِنَّ الْمُنَى مَوْعِدُ
أَعَاذِلْ مَا يُدْرِيكَ إِلَّا تَطْنِيًا
أَتَجَزَّعُ مِمَّا أَحْدَثَ الدَّهْرُ بِأَلْفَتِي
لَعْمَرِكَ مَا تَدْرِي الصَّوَارِبُ بِالْحَصَى
٥٨ لَمَّا تَوَفَّى مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ قَالَ

بِأَيِّ يَدٍ أَسْطَوْ عَلَى الدَّهْرِ بَعْدَ مَا
وَهَاضَ جَنَاحِي حَادِثُ جَلِّ خُطْبُهُ
وَمِنْ عَادَةِ الْأَيَّامِ أَنَّ صُرُوفَهَا
لَعْمَرِي لَقَدْ غَالَ أَلْتَجَلَّدُ أَنَا
فَمَا أَعْرِفُ الْأَيَّامَ إِلَّا ذَمِيمَةً
وَلَا لِي مِنَ الْإِخْوَانِ إِلَّا مُكَاشِرُ
فَقَدْتُ قَتَى قَدْ كَانَ لِلْأَرْضِ زِينَةً
لَعْمَرِي لَيْنٌ كَانَ أَلَرْدَى بِكَ فَاتَنِي
أَقْدَ أَخَذْتُ مِنِّي التَّوَابِ حُكْمَهَا
وَلَا تَرَكَتَنِي أَرْهَبُ الدَّهْرَ بَعْدَهُ
وَمَا أَلْمَالُ إِلَّا عَارِيَاتٌ وَدَائِعُ
لُزُومُ الْعَصَا تُخْنِي عَلَيْهَا الْأَصَابِعُ
أَدَبُ كَأَنِّي كَلَّمَا قُمْتُ رَأَيْتُ
تَقَادُمُ عَهْدِ الْهَيْئِ وَالنَّصْلُ قَاطِعُ
عَلَيْنَا قَدَانِ لِلطَّلُوعِ وَطَالِعُ
إِذَا رَحَلَ الْفَتَيَانُ مَنْ هُوَ رَاجِعُ
وَأَيُّ كَرِيمٍ لَمْ تُصِبْهُ الْقَوَارِعُ
وَلَا زَا جَرَاتِ الطَّيْرِ مَا اللَّهُ صَانِعُ
سَعِيدُ بْنُ حَمِيدٍ يَرِثُهُ :

أَبَانَ يَدَيَّ عَضْبُ الدُّبَابِينَ قَاصِبُ
وَسَدَّتْ عَنِ الصَّبْرِ الْجَمِيلِ الْمَذَاهِبُ
إِذَا سَرَّ مِنْهَا جَانِبُ سَاءَ جَانِبُ
فَقَدْ نَاكَ فَقَدْ أَلْعَيْتُ وَالْعَامُ جَادِبُ
وَلَا الدَّهْرَ إِلَّا وَهُوَ بِالْثَّارِ طَابُ
فَوَجَّهْ لَهُ رَاضٍ وَوَجَّهْ مُغَاضِبُ
كَمَا زَيَّنَتْ وَجْهَ السَّمَاءِ الْكَوَاكِبُ
وَكُلُّ أَمْرِي يَوْمًا إِلَى اللَّهِ ذَاهِبُ
فَمَا تَرَكَتُ حَقًّا عَلَيَّ التَّوَابِ
أَقْدَ كَلَّ عَيْنِي نَابَهُ وَالْخَالِبُ

سَقَى جَدًّا أَمْسَى الْكَرِيمُ ابْنُ صَالِحٍ
 إِذَا بَشَّرَ الرُّوَادَ بِالْفَيْتِ بَرَقَهُ
 يَحُلُّ بِهِ دَانَ مِنَ الْمَزْنِ سَاكِبُ
 مَرَّتُهُ الصَّبَا وَاسْتَجْلَبَتْهُ الْجُنَابُ
 رِيْعًا زَهَتْ مِنْهُ الرَّبِّي وَالْمَذَانُ
 ٥٩ قَالَ بَكْرُ بْنُ النَّطَّاحِ يَرْنِي مَالِكُ بْنُ عَلِيٍّ الْخُزَاعِيُّ وَخَرَجَ عَلَى
 الشَّرَاقَةِ لِيَقَاتِلَهُمْ فَأَصِيبَ بِلِسْمِهِمْ :

يَا عَيْنُ جُودِي بِالْذَّمِّوعِ السَّجَامِ
 عَلَى فَتَى الدُّنْيَا وَصَنْدِيدِهَا
 عَلَى الْأَمِيرِ الْيَمِينِيِّ الْهَمَامِ
 وَقَارِسِ الدِّينِ وَسَيْفِ الْأَمَامِ
 لَا تَذْخِرِي الدَّمْعَ عَلَى هَالِكِ
 طَابَ ثَرَى حُلْوَانٍ إِذْ ضُمِنَتْ
 أَغْلَقَتْ الْخَيْرَاتُ أَبْوَابَهَا
 وَأَصْبَحَتْ خَيْلُكَ بَعْدَ الْوَجْهِ
 إِرْحَلْ بِنَا نَهْرُبْ إِلَى مَالِكِ
 كَانَ لِأَهْلِ الْأَرْضِ فِي كَفِّهِ
 وَكَانَ فِي الصُّبْحِ كَشْمَسِ الصُّحَى
 وَسَائِلُ يَنْجِبُ مِنْ مَوْتِهِ
 قُلْتُ لَهُ عَهْدِي بِهِ مُعَلَّمًا
 وَالْحَرْبُ مَنْ طَارَ لَهَا لَمْ يَكْدُ
 لَمْ يَنْظُرِ الدَّهْرُ لَنَا إِذْ عَدَا
 لَنْ يَسْتَقِيلُوا أَبَدًا فَقَدَهُ
 عَلَى الْأَمِيرِ الْيَمِينِيِّ الْهَمَامِ
 وَقَارِسِ الدِّينِ وَسَيْفِ الْأَمَامِ
 لَا تَذْخِرِي الدَّمْعَ عَلَى هَالِكِ
 طَابَ ثَرَى حُلْوَانٍ إِذْ ضُمِنَتْ
 أَغْلَقَتْ الْخَيْرَاتُ أَبْوَابَهَا
 وَأَصْبَحَتْ خَيْلُكَ بَعْدَ الْوَجْهِ
 إِرْحَلْ بِنَا نَهْرُبْ إِلَى مَالِكِ
 كَانَ لِأَهْلِ الْأَرْضِ فِي كَفِّهِ
 وَكَانَ فِي الصُّبْحِ كَشْمَسِ الصُّحَى
 وَسَائِلُ يَنْجِبُ مِنْ مَوْتِهِ
 قُلْتُ لَهُ عَهْدِي بِهِ مُعَلَّمًا
 وَالْحَرْبُ مَنْ طَارَ لَهَا لَمْ يَكْدُ
 لَمْ يَنْظُرِ الدَّهْرُ لَنَا إِذْ عَدَا
 لَنْ يَسْتَقِيلُوا أَبَدًا فَقَدَهُ

٦٠ وَقَالَ أَيْضًا يَرْثِيهِ :

يَا حُفْرَةَ ضَمْتِ حَاسِنَ مَالِكٍ
لَهْفِي عَلَى الْبَطْلِ الْمَعْرُضِ خَدَهُ
حَرَقَ الْكِتَبَةَ مُعَلِّمًا مُتَكَبِّرًا
ذَهَبَتْ بِشَاشَةِ كُلِّ شَيْءٍ بَعْدَهُ
هَدَمَ الشُّرَاةَ عُدَاةَ مَصْرَعِ مَالِكٍ
قَتَلُوا فَتَى الْعَرَبِ الَّذِي كَانَتْ بِهِ
حَرَمُوا مَعَدًّا مَا لَدَيْهِ وَأَوْقَعُوا
تَرْكُوهُ فِي رَهْجِ الْعَجَاجِ كَأَنَّهُ
هَوَتْ الْجُدُودُ عَنِ السُّعُودِ لِفَقْدِهِ
لَا يُبْعِدُنْ أَخُو خِرَاعَةٍ إِذْ تَوَى
عَزَّ الْغَوَاةُ بِهِ وَذَلَّتْ أُمُّهُ
وَبَكَاهُ مُصْحَفُهُ وَصَدْرُ حُسَامِهِ
وَعَدَتْ يُعْقِرُ خَيْلُهُ وَتَقَسَّمَتْ
أَفْتَحْمَدُ الدُّنْيَا وَقَدْ ذَهَبَتْ بَيْنَ
مَا فِيكَ مِنْ كَرَمٍ وَمِنْ إِحْسَانٍ
وَجَبِينُهُ لِأَسِنَّةِ الْفَرَسَانِ
وَالْمُرْهَفَاتِ عَلَيْهِ كَالنَّيْرَانِ
فَالْأَرْضُ مُوحِشَةٌ بِلَا عُمَرَانِ
شَرَفَ الْعُلَا وَمَكَارِمِ الْبُلْبَانِ
تَقَوَّى عَلَى اللَّزَبَاتِ فِي الْأَزْمَانِ
عَصِيَّةً فِي قَلْبِ كُلِّ نِيْمَانِ
أَسَدٌ يَصُولُ بِسَاعِدِ وَبَنَانِ
وَتَمَسَّكَتْ بِالنُّخَسِ وَالْدَّبْرَانِ
مُسْتَشْهِدًا فِي طَاعَةِ الرَّحْمَانِ
مُحَبَّةً بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ
وَالْمُسْلِمُونَ وَدَوْلَةُ السُّلْطَانِ
أَذْرَاعُهُ وَسَوَابِغُ الْأَبْدَانِ
كَانَ الْفُجِيرَ لَنَا مِنَ الْحِدَثَانِ

٦١ قَالَ بَهَاءُ الدِّينِ الْعَامِلِيُّ يَرْثِي وَالِدَهُ :

قِفْ بِالطُّلُولِ وَسَلَهَا أَيْنَ سَلَامَهَا
وَرَدِّدِ اطَّرَفَ فِي اطَّرَافِ سَاحَتِهَا
وَإِنْ يَفْتِكَ مِنَ الْأَطْلَالِ مَخْبَرُهَا
وَرَوْ مِنْ جُرْعِ الْأَخْفَانِ رِيَاهَا
وَرَوْحِ الرُّوحِ مِنْ أَرْوَاحِ أَرْجَاهَا
فَلَا يَفُوتُكَ مَرَاهَا وَرِيَاهَا

رُبْعُ فَضْلٍ يُضَاهِي الثَّبَرَ ثُرْبَتَهَا
عَدَا عَلَى جِرَةٍ حَلُّوا بِسَاحَتِهَا
بُدُورُ تَمِّ غَمَامُ الْمَوْتِ جَلَّلَهَا
فَالْحُجْدُ يَبْكِي عَلَيْهَا جَارِعًا أَسْفًا
يَا حَبْدًا أَرْمَنُ فِي ظِلِّهِمْ سَلَفَتْ
أَوْقَاتُ أَنْسٍ قَضَيْنَاهَا فَمَا ذُكِرَتْ
يَا سَادَةَ هَجْرُوا وَاسْتَوطِنُوا هَجْرًا
رَعِيًا لِلْيَلَاتِ وَصَلِّ بِالْحِمَى سَلَفَتْ
لِقَدِّكُمْ شَقَّ جِيبُ الْحُجْدِ وَأَنْصَدَعَتْ
وَحَرٌّ مِنْ شَانِحَاتِ الْعِلْمِ أَرْفَعَهَا
يَا نَاوِيَا بِالْمَصَلِيِّ مِنْ قَرَى هَجْرٍ
أَقَمْتَ يَا بَحْرُ بِالْبَحْرَيْنِ فَاجْتَمَعَتْ
ثَلَاثَةٌ أَنْتَ أَسَدَاهَا وَأَغْزَرُهَا
حَوَيْتَ مِنْ دُرَرِ الْحُلَيَاءِ مَا حَوِيَا
يَا أَنْخَصَا وَطِئَتْ هَامَ السُّهَى شَرْفًا
وَيَا ضَرْيَحًا عَلَا فَوْقَ السَّمَاءِ عُلا
فِيكَ أَنْطَوَى مِنْ شُمُوسِ الْفَضْلِ آخِرُهَا
وَمِنْ شَوَائِخِ أَطْوَادِ الْفُتُوَّةِ أَرْ
فَأَسْحَبَ عَلَى الْفَلَكَ الْعُلَوِيِّ ذَيْلَ عَلَا
وَدَارُ أَنْسٍ يُحَاكِي الدَّرَّ حَصْبَاهَا
صَرَفُ الزَّمَانِ فَأَبْلَاهُمْ وَأَبْلَاهَا
شُمُوسُ فَضْلِ سَحَابِ الثَّرْبِ غَشَاهَا
وَالَّذِينَ يَنْدُبُهَا وَالْفَضْلُ يَنْعَاهَا
مَا كَانَ أَقْصَرَهَا عُمْرًا وَأَحْلَاهَا
إِلَّا وَقَطَعَ قَلْبُ الصَّبِّ ذِكْرَهَا
وَاهَا لِقَلْبِ الْمُغْنَى بَعْدَكُمْ وَاهَا
سَقِيًا لِأَيَّامِنَا بِالْحَيْفِ سَقِيَهَا
أَرْكَانُهُ وَبِكُمْ مَا كَانَ أَقْوَاهَا
وَأَنْهَدَ مِنْ بَاذِخَاتِ الْحِلْمِ أَرْسَاهَا
كُسَيْتَ مِنْ حُلْلِ الرِّضْوَانِ أَرْضَاهَا
ثَلَاثَةٌ كُنَّ أَمْثَالًا وَأَشْبَاهَا
جُودًا وَأَعْدَبَهَا طَعْمًا وَأَحْلَاهَا
لَكِنَّ دَرَكَ أَعْلَاهَا وَأَعْلَاهَا
سَقَاكَ مِنْ دِيَمِ الْوُسْطَى أَسْمَاهَا
عَلَيْكَ مِنْ صَلَوَاتِ اللَّهِ أَرْكَاهَا
وَمِنْ مَعَالِمِ دِينِ اللَّهِ أَسْنَاهَا
سَاهَا وَأَرْفَعُهَا قَدْرًا وَأَنْهَاهَا
فَقَدْ حَوَيْتَ مِنَ الْعُلَيَاءِ أَعْلَاهَا

عَلَيْكَ مَنِّي سَلَامُ اللَّهِ مَا صَدَحْتَ عَلَى غُصُونِ أَرَاكِ الدَّوْحَ وَرَقَاهَا
٦٢ قَالَ أَبُو فِرَاسٍ الْحَمْدَانِي يُرِيّ جَابِرَ بْنَ نَاصِرٍ الدِّينِي:

أَلْفَكَ فِيكَ مُقَصِّرُ الْأَمَالِ وَالْحِرْصُ بَعْدَكَ غَايَةُ الْجَهَالِ
لَوْ كَانَ يَخْلُدُ بِالْفَضَائِلِ فَاضِلٌ وَصَلَتْ لَكَ الْأَجَالُ بِالْأَجَالِ
لَوْ كُنْتَ تُفْدِي لَأَفْتَدَيْتَ سِرَاتَنَا بِقَائِسِ الْأَرْوَاحِ وَالْأَمْوَالِ
أَوْ كَانَ يَدْفَعُ عَنْكَ بَأْسُ أَقْبَلَتْ صَرَعًا تَكْدِسُ بِأَلْقَانَا الْعَسَالِ
أَعَزَّ عَلَى سَادَاتِ قَوْمِكَ أَنْ تُرَى فَوْقَ الْفِرَاشِ مُقَلَّبَ الْأَوْصَالِ
وَأَسْمَرُ عِنْدَكَ لَمْ تَرَقَّ صُدُورُهَا وَخَيْلٌ وَاقِفَةٌ عَلَى الْأَطْلَالِ
وَالسَّائِغَاتُ مَصُونَةٌ لَمْ تُبْتَذَلْ وَأَلْيَضُ سَالِمَةٌ مَعَ الْأَبْطَالِ
وَإِذَا أَلْنِيَّةٌ أَقْبَلَتْ لَمْ يَنْبَهَا حِرْصُ الْحَرِيصِ وَحِيلَةُ الْمُخْتَالِ
مَا لِلْخُطُوبِ وَمَا لِأَحْدَاثِ النَّوَى أَعْجَلْنَ جَابِرَ غَايَةَ الْإِعْجَالِ
لَمَّا تَسَرَّبَلْ بِالْفَضَائِلِ وَارْتَدَى بُرْدُ الْعُلَى وَأَعْتَمَّ بِالْإِقْبَالِ
وَتَشَاهَدَتْ صَيْدُ الْمُلُوكِ لِفَضْلِهِ وَارَى الْمَكَارِمَ مِنْ مَكَانٍ عَالِ
أَبَا الْمَرْجِي غَيْرُ خُزْنِي دَارِسُ أَبَدًا عَلَيْكَ وَغَيْرُ قَلْبِي سَالِ
وَلَيْنَ هَلَكْتَ فَمَا أَلُوفَاءُ بِهَا لِكَ وَلَيْنَ يُلَيْتَ فَمَا أَلُودَادُ بِهَا لِ
لَا زِلْتُ مَعْدُوقُ الثَّرَى مَطْرُوقُهُ بِسَحَابَةٍ مَجْرُورَةٍ الْأَذْيَالِ
وَحُجِبَ عَنْكَ السَّيِّئَاتُ وَلَمْ يَزَلْ لَكَ صَاحِبٌ مِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ

٦٣ قَالَتْ هِنْدُ بِنْتُ مُعَبِّدٍ تَرِيّ خَالِدَ بْنَ نَضَلَةَ:
أَأَمِّمِ هِيَّاتِ الصِّبَا ذَهَبَ الصِّبَا وَأَطَارَ عَنِّي الْحِلْمَ جَهْلُ غُرَابِي

أَيْنَ الْأَلَى بِالْأَمْسِ كَانُوا حَيْرَةً أَمَسُوا دَفِينِ جَنَادِلٍ وَتَرَابٍ
مَا تَوَا وَلَوْ أَنِّي قَدَرْتُ بِحِيلَةٍ لَأَحَدْتُ صَرْفَ الْمَوْتِ عَنْ أَحْبَابِي
مَا حِيلَتِي إِلَّا الْبُكَاءُ عَلَيْهِمْ إِنَّ الْبُكَاءَ سِلَاحٌ كُلُّ مُصَابٍ
٦٤ وَقَالَ يَحْيَى بْنُ زِيَادٍ يَرَى أَخَاهُ عَمْرًا :

أَلَا نَوَهَ الدَّاعِي بَلِيلٍ فَاسْتَمَعَ بِخَرَقٍ كَرِيمٍ كَانَ فِي النَّاسِ أَرْوَعًا
مَضَى صَاحِبِي وَاسْتَقْبَلَ اللَّهُ صَرْعِي وَلَا بَدَّ أَنْ أَلْقَى حِمَامِي فَأَصْرَعَا
كَانَ لَمْ نَكُنْ يَا عَمْرُو فِي دَارِ غِبْطَةٍ جَمِيعًا وَلَمْ نَشْرَعْ إِلَى مَوْعِدٍ مَعَا
دَفَعْنَا بِكَ الْأَيَّامَ حَتَّى إِذَا أَتَتْ تَرِيدُكَ لَمْ نَسْطِغْ لَهَا عَنْكَ مَدْفَعًا
فَلَمْ يَبْلُ ذِكْرُ مِنْكَ كُنْتَ تُجِدُّهُ جَمِيلٌ وَلَكِنَّ الْبَلَى فَيْكَ أَسْرَعَا
وَمَا دَرَسَ الثَّوْبُ الَّذِي زَوَّدُوهُ وَإِنْ خَانَهُ رَيْبُ الْبَلَى فَتَقَطَّعَا
وَطَابَ ثَرَى أَصْبَحَتْ فِيهِ وَإِنَّمَا يَطِيبُ إِذَا كَانَ الثَّرَى لَكَ مَضْجَعًا
٦٥ أَنشَدَ مُحَمَّدُ بْنُ عُلُقَمَةَ يَرَى أَخَاهُ شَرِيكًا :

لَقَدْ وَارَى الْمُقَابِرُ مِنْ شَرِيكِ كَثِيرَ تَكْرُمٍ وَقَلِيلَ عَابٍ
بِهِ كُنَّا نَصُولُ عَلَى الْأَعَادِي وَنَدْفَعُ مَرَّةَ الْقَوْمِ الْغَضَابِ
صَمُوتٌ فِي الْمَجَالِسِ غَيْرُ عِيٍّ جَدِيرٌ حِينَ يَنْطِقُ بِالْأَصَوَابِ
كَرِيمُ الْخُلُقِ لَا طَمِعَ غَيْبٌ وَلَا فَحَاشَةٌ تَرْقُ السَّبَابِ
كَرِيمُ مَوَاطِنِ الْأَحْسَابِ عَفُ إِذَا الضَّيْلُ مَالَ بِهِ التَّصَابِي
دَلُوفٌ بِالْقَرَى وَاللَّيْلُ قَرُ إِلَى الْمُسْتَعِينِ ذَرَى الرِّكَابِ
٦٦ وَقَالَ الْأُبَيْرُ بْنُ الْيَرْبُوعِيِّ يَرَى أَخَاهُ بَرِيدًا وَتُرْوَى إِسْلَمَةُ الْجَعْفِيِّ :

أَقُولُ لِنَفْسِي فِي الْخَلَاءِ أَلُومَهَا
أَمَّا تَعْلَمِينَ أَخْبِرَ أَنْ لَسْتُ لَاقِيًا
فَتَى كَانَ يُدْنِيهِ الْغَنَى مِنْ صَدِيقِهِ
فَتَى كَانَ يُعْطِي السَّيْفَ فِي الْحَرْبِ حَقَّهُ
وَسَخَى بِنَفْسِي أَنِّي سَوْفَ أَغْدِي
وَقَالَ أَيضًا فِيهِ : ٦٧

تَطَاوَلَ لَيْلِي لَمْ أَمْنُهُ تَقَلُّبًا
فَإِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ فَرَقْنَ بَيْنَنَا
أَحَقًّا عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ لَاقِيًا
فَتَى إِنْ هُوَ اسْتَعْنَى يُخْرِقُ فِي الْغَنَى
فَلَيْتَكَ كُنْتَ أَلْمَى فِي النَّاسِ بَاقِيًا
فَتَى يَشْتَرِي حُسْنَ الثَّنَاءِ بِمَالِهِ
كَأَنَّ لَمْ يُصَاحِبْنَا بَرِيدٌ بَغِيظَةٌ
وَلَمَّا نَعَى النَّاعِي بَرِيدًا تَعَوَّلَتْ
عَسَاكَرُ تَعَشَّى النَّفْسِ حَتَّى كَانِي
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو فِي بَرِيدٍ مُصِيبَتِي
قَالَتْ الْخُصَاءُ تَرَى أَخَاهَا صَخْرًا : ٦٨

قَدَى بَيْنِكَ أَمَّ بِالْعَيْنِ عَوَارُ
كَأَنَّ عَيْنِي لِدِكْرَاهُ إِذَا خَطَرَتْ
أَمَّ أَفْقَرَتْ إِذْ خَلَتْ مِنْ أَهْلِهَا الدَّارُ
فَيْضُ يَسِيلُ عَلَى الْخُدَيْنِ مِدْرَارُ

تَبْكِي خُنَاسٌ عَلَى صَخْرٍ وَحَقَّ لَهَا
لَا بَدَّ مِنْ مَيِّتَةٍ فِي صَرْفِهَا غَيْرُ
يَا صَخْرُ وَارِدَ مَاءٍ قَدْ تَوَارَدَهُ
وَإِنَّ صَخْرًا حَلَمِينَا وَسَيِّدَنَا
وَإِنَّ صَخْرًا لَتَأْتُمُ الْهَدَاةُ بِهِ
لَمْ تَرَهُ جَارَةً يَمْشِي بِسَاحَتِهَا
مِثْلُ الرُّدَيْنِيِّ لَمْ تَهْدُ شَيْئَهُ
طَلَقُ الْيَدَيْنِ بِفِعْلِ الْحَيْرِ مُعْتَمِدُ
٦٩ وَقَالَتْ أَيْضًا:

يُذَكِّرُنِي طُلُوعُ الشَّمْسِ صَخْرًا
وَلَوْ لَا كَثْرَةُ الْبَاكِينَ حَوْلِي
وَمَا يَبْكُونَ مِثْلَ أَخِي وَلَكِنْ
٧٠ قَالَ الْمُتِمِّمُ يَرْتِي أَخَاهُ مَا لَكَ:

إِذَا ذَرَّتِ الرِّيحُ الْكَثِيفَ الْمَرْبَعَا
سَرِيعًا إِلَى الدَّاعِي إِذَا هُوَ أَفْرَعَا
أَرَى كُلَّ حَبْلٍ دُونَ حَبْلِكَ أَقْطَعَا
وَكُنْتَ جَدِيدًا أَنْ تُحِبَّ وَتُسَمِعَا
ذَهَابَ الْغَوَادِي الْمُدْجَنَاتِ فَأَمْرَعَا
فَقَدْ بَانَ مُحَمَّدًا أَخِي يَوْمَ وَدَعَا
أَعْيَنِي جُودِي بِالْذُّمِّ لِمَالِكٍ
فَقَدْ كَانَ مَقْدَامًا إِلَى الرَّوْعِ رَكْضُهُ
أَبِي الصَّبْرِ آيَاتُ أَرَاهَا وَإِنِّي
وَإِنِّي مَتَى مَا أَدْعُ بِاسْمِكَ لَا تُجِبْ
سَقَى اللَّهُ أَرْضًا حَلَّهَا قَبْرُ مَالِكٍ
فَإِنْ تَكُنِ الْآيَامُ فَرَقْنَ بَيْنَنَا

وَعَشْنَا بِخَيْرٍ فِي الْحَيَاةِ وَقَبَلْنَا
فَتًى كَانَ أَحْيَا مِنْ فَتَاةٍ حَيَّةٍ
تَقُولُ ابْنَةُ الْعَمَرِيِّ مَا لَكَ بَعْدَ مَا
فَقُلْتُ لَهَا طُولُ الْأَسَاءَةِ سَاءَ نِي
٧١ قَالَ زُهَيْرٌ يَزِيدِي بَعْضَ مَنْ يَعْزُ عَلَيْهِ :

أَرَاكَ هَجَرْتَنِي هَجْرًا طَوِيلًا
وَمَا عَوَّدْتَنِي مِنْ قَبْلُ ذَاكَ
عَهْدُكَ لَا تُطِيقُ الصَّبْرَ عَنِّي
وَتَعْصِي فِي وَدَادِي مَنْ نَهَاكَ
فَكَيْفَ تَغَيَّرْتَ تِلْكَ السَّجَايَا
وَمَنْ هَذَا الَّذِي عَنِّي ثَاكَ
فَلَا وَاللَّهِ مَا حَاوَلْتُ غَدْرًا
فَكُلُّ النَّاسِ يَغْدُرُ مَا خَلَاكَ
وَمَا فَارَقْتَنِي طَوْعًا وَلَكِنْ
دَهَاكَ مِنَ الْمُنِيَةِ مَا دَهَاكَ
فَيَا مَنْ غَابَ عَنِّي وَهُوَ رُوحِي
وَكَيْفَ أُطِيقُ مِنْ رُوحِي أَنْفَكَ
وَلَيْتَكَ لَوْ بَقِيتَ لِضَعْفِ حَالِي
وَكَانَ النَّاسُ كُلُّهُمْ فِدَاكَ
يَعِزُّ عَلَيَّ حِينَ أُدِيرُ عَيْنِي
أَفْتَشُ فِي مَكَانِكَ لَا أَرَاكَ
خَتَمْتُ عَلَى وَدَادِكَ فِي ضَمِيرِي
وَلَيْسَ يَزَالُ مَخْتُومًا هُنَاكَ
لَقَدْ عَجَلْتُ عَلَيْكَ يَدُ الْمُنَايَا
وَمَا اسْتَوْفَيْتَ حَظَّكَ مِنْ صَبَاكَ
فَيَا مَنْ غَابَ عَنِّي وَهُوَ رُوحِي
وَكَيْفَ أُطِيقُ مِنْ رُوحِي أَنْفَكَ
وَلَيْتَكَ لَوْ بَقِيتَ لِضَعْفِ حَالِي
وَكَانَ النَّاسُ كُلُّهُمْ فِدَاكَ
يَعِزُّ عَلَيَّ حِينَ أُدِيرُ عَيْنِي
أَفْتَشُ فِي مَكَانِكَ لَا أَرَاكَ
خَتَمْتُ عَلَى وَدَادِكَ فِي ضَمِيرِي
وَلَيْسَ يَزَالُ مَخْتُومًا هُنَاكَ
لَقَدْ عَجَلْتُ عَلَيْكَ يَدُ الْمُنَايَا
وَمَا اسْتَوْفَيْتَ حَظَّكَ مِنْ صَبَاكَ
وَيَذْهَبُ بَعْدَ بَهْجَتِهِ سَنَاكَ
وَلَسْتُ مُشَارِكًا لَكَ فِي بِلَاكَ
وَمَاتُوتُ وَمَا أَمُوتُ عَلَيْكَ حُزْنًا
وَحَقَّ هَوَاكَ خُنْتُكَ فِي هَوَاكَ
وَيَا حَجَلِي إِذَا قَالُوا مُحِبُّ
وَلَمْ أَنْفَعَكَ فِي خَطْبِ آتَاكَ

أَرَى الْبَاكِينَ فِيكَ مَعِيَ كَثِيرًا
وَيَا مَنْ قَدْ نَوَى سَفَرًا بَعِيدًا
مَتَى قُلْ لِي رُجُوعَكَ مِنْ نَوَاكَا
جَزَاكَ اللَّهُ عَنِّي كُلَّ خَيْرٍ
وَأَعْلَمُ أَنَّهُ عَنِّي جَزَاكَ
فَيَا قَبْرَ الْحَبِيبِ وَدِدْتُ أَنِّي
حَمَلْتُ وَلَوْ عَلَى عَيْنِي ثَرَاكَ
سَقَاكَ الْغَيْثُ تَهْنَأًا وَإِلَّا
فَحَسْبُكَ مِنْ دُمُوعِي مَا سَقَاكَ
وَلَا زَالَ السَّلَامُ عَلَيْكَ مِنِّي
يُزَفُّ عَلَى النَّسِيمِ إِلَى ذَرَاكَ
٧٢ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ مِنْ رِثَاءٍ فِي بَنِي أُمَيَّةَ:

بَكَيْتُ وَمَاذَا يَرُدُّ الْبُكَاءُ
وَقَلَّ الْبُكَاءُ لِقَتْلَى كُدَا
أُصِيبُوا مَعًا فَتَوَلَّوْا مَعًا
كَذَلِكَ كَانُوا مَعًا فِي رَجَا
بَكَّتْ لَهُمُ الْأَرْضُ مِنْ بَعْدِهِمْ
وَنَاحَتْ عَلَيْهِمْ نُجُومُ السَّمَاءِ
وَكَانُوا ضِيَاءِي فَلَمَّا انْقَضَى
رَمَانِي بِقُوْمِي تَوَلَّى الصَّيَا
وَقَالَ فِيهِمْ أَيْضًا وَتَرَوْنَ هَذِهِ الْأَيَّاتُ لِلْعَبَايِي:

أَفَاضَ الْمَدَامِعَ قَتْلَى كُدَا
وَقَتْلَى بَوَجٍّ وَبِالْأَلْبَتَيْنِ
وَقَتْلَى بَوَجٍّ وَبِالْأَلْبَتَيْنِ
وَبِالْزَبِينِ نَفُوسُ تَوْتٍ
أُولَئِكَ قَوْمٌ أَنَاخَتْ بِهِمْ
نَوَائِبُ مِنْ زَمَنِ مُتَعَسٍّ
وَإِنْ جَلَسُوا زِينَةَ الْمَجَالِسِ
وَهُمْ الصَّمُورُ الرَّغْمُ بِالْمَغْطَسِ
هُمْ أَضْرَعُونِي لِزَيْبِ الزَّمَانِ
فَمَا أَنَسَ لَا أَنَسَ قَتْلَاهُمْ
وَقَتْلَى بِكُشُورَةٍ لَمْ تَرْمَسْ
يَثْرِبُ هُمْ خَيْرٌ مَا أَنَفَسْ
وَأُخْرَى بِنَهْرِ أَبِي فُطْرُسٍ
نَوَائِبُ مِنْ زَمَنِ مُتَعَسٍّ
وَإِنْ جَلَسُوا زِينَةَ الْمَجَالِسِ
وَهُمُ الصَّمُورُ الرَّغْمُ بِالْمَغْطَسِ
هُمْ أَضْرَعُونِي لِزَيْبِ الزَّمَانِ
فَمَا أَنَسَ لَا أَنَسَ قَتْلَاهُمْ

٧٤ كَانَ لِابْنِ عَمَّارِ ابْنُ يُقَالُ لَهُ مَعْنُ فَمَاتَ فَقَالَ يَرْثِيهِ :

يَا مَوْتُ مَا لَكَ مُوَلِّعًا بِضَرَارِي إِيَّيَ عَلِيكَ وَإِنْ صَبَرْتُ لَزَارِي
تَعْدُو عَلَيَّ كَأَنِّي لَكَ وَارِثٌ وَأَوَّلُ مِنْكَ كَمَا يَوُلُّ فِرَارِي
نَفْسُ الْبَعِيدِ إِذَا أَرَدَتْ قَرِيبَهُ لَيْسَتْ بِنَاجِيَةٍ مَعَ الْأَقْدَارِ
وَالْمُرُءُ سَوْفَ وَإِنْ تَطَاوَلَ عُمُرُهُ يَوْمًا يَصِيرُ لِحِفْرَةِ الْحَفَارِ
لَمَّا عَلَا عَظْمِي بِهِ فَكَأَنَّهُ مِنْ حُسْنِ بَيْتِهِ قَضِيبُ نُضَارِ
فَجَعَلَنِي بِأَعَزِّ أَهْلِي كُلِّهِمْ تَعْدُو عَلَيْهِ عِدْوَةً الْجُبَّارِ
هَلَّا بِنَفْسِي أَوْ بِبَعْضِ قَرَابَتِي أَوْفَعْتَ أَوْ مَا كُنْتَ بِالْخِتَارِ
وَتَرَكْتَ رَبِّيَ إِلَيَّ مِنْ أَجْلِهَا عَفْتُ الْجِهَادَ وَصَرْتُ فِي الْأَمْصَارِ

٧٥ قَالَتْ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ تَرَى أَبَاهَا وَأَخَوَيْهَا :

مَنْ حُسْنِي الْأَخَوَيْنِ كَالْغُصْنَيْنِ أَوْ مَنْ رَاهُمَا
قَرْمَانٍ لَا يَنْظُرُ إِلَّا نِ وَلَا يُرَامُ جِهَاهُمَا
وَيَلِي عَلَى أَبِي الْقَبْرِ الَّذِي وَارَاهُمَا
لَا مِثْلَ كَهْلِي فِي الْكُھُولِ وَلَا فَتَى كَفَتَاهُمَا

٧٦ قَالَ أَعْرَابِي يَرْثِي ابْنَهُ وَكَانَ وَقَعَ صَرِيحًا فِي الْحَرْبِ :

حُسَيْنٌ لَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا وَمَنْ فِيهَا إِذْ أَنْتَ خَلَيْتَهَا فِي مَنْ يُخَالِفَا
نَعَى النُّعَاةُ حُسَيْنًا لِي فَقُلْتُ لَهُمْ مَا لَتُنَا الْأَرْضُ أَوْ زَالَتْ رَوَاسِيهَا
الْحَزْمُ وَالْعَزْمُ كَأَنَّا مِنْ صَنِيعَتِهِ مَا كُلُّ آلِيهِ يَأْقُومُ أَحْصِيهَا
زَوِي الرِّمَاحَ بِأَيْدِنَا فَنُورِدُهَا بِيضًا وَنُصْدِرُهَا حُمْرًا أَعَالِيهَا

لَيْتَ السَّمَاءَ عَلَى مَنْ تَحْتَهَا وَقَعَتْ وَأَنْشَقَّتِ الْأَرْضُ فَأُنْجِبَتْ بَيْنَ فِيهَا
لَا أَصْلَحَ اللَّهُ مِنَّا مَنْ يُصَالِحُكُمْ مَا لَاحَتْ الشَّمْسُ فِي أَعْلَى تَجَارِيهَا

رثاء مشاهير العرب

٧٧ قَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ مُطَيْرٍ الْأَسَدِيُّ فِي مَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ :

أَلِمَّا عَلَى مَعْنٍ وَقُولًا لِقَبْرِهِ سَقَّتَكَ الْفَوَادِي مَرَبَعًا ثُمَّ مَرَبَعًا
فَيَا قَبْرَ مَعْنٍ أَنْتَ أَوَّلُ حُفْرَةٍ مِنْ الْأَرْضِ خُطَّتِ لِلْسَّمَاحَةِ مَضْجَعًا
وَيَا قَبْرَ مَعْنٍ كَيْفَ وَارَيْتَ جُودَهُ وَقَدْ كَانَ مِنْهُ الْبَرُّ وَالْبَجْرُ مُتَرَعًا
بَلَى قَدْ وَسِعَتْ الْجُودَ وَالْجُودُ مَيَّتٌ وَلَوْ كَانَ حَيًّا ضَمِنْتُ حَتَّى تَصَدَّعًا
فَتَى عَيْشٍ فِي مَعْرُوفِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ كَمَا كَانَ بَعْدَ السَّيْلِ مَجْرَاهُ مَرْتَعًا
وَلَمَّا مَضَى مَعْنٍ مَضَى الْجُودُ فَانْقَضَى وَأَصْبَحَ عِرْنَيْنُ الْمَكَارِمِ أَجْدَعًا

٧٨ قَالَ ثَابِتُ بْنُ هَارُونَ الرَّقِّيُّ النَّصْرَانِيُّ يَرِي أَبُو الطَّيِّبِ الْمَتَّبِعِيُّ :
الْتَهَرُ أَخْبْتُ وَاللَّيَالِي أَنْكَدُ مِنْ أَنْ تَعِيشَ لِأَهْلِيهَا يَا أَحْمَدُ
قَصَدْتُكَ لَمَّا أَنْ رَأَيْتُكَ نَفِيسَهَا بُحْلًا بِمِثْلِكَ وَالنَّفَاسُ تُقْصَدُ
ذُقْتَ الْكُرْهِيَّةَ بَغْتَةً وَقَعْدَتَهَا وَكَرِهَ فَقْدُكَ فِي الْوَرَى لَا يُفْقَدُ
قُلْ لِي إِنْ أَسْطَعْتَ الْخُطَابَ فَإِنِّي صَبُّ الْفَوَادِ إِلَى خُطَابِكَ مَكْمَدُ
أَتَرَكْتَ بَعْدَكَ شَاعِرًا وَاللَّهُ لَا لَمْ يَبْقَ بَعْدَكَ فِي الْوَرَى مَنْ يُشَدُّ
أَمَّا الْعُلُومُ فَإِنَّهَا يَا رَبِّهَا تَبْكِي عَلَيْكَ بِأَدْمُعٍ لَا تَجْمَدُ
٧٩ وَرثاه أيضا أبو القاسم المظفر بن علي الكاتب :

لَا رَعَى اللَّهُ سِرْبَ هَذَا الزَّمَانِ إِذْ دَهَانَا فِي مِثْلِ ذَلِكَ اللِّسَانِ

مَا رَأَى النَّاسُ ثَانِي الْمُتَبِّبِي أَيُّ ثَانٍ يُرَى لِيَكْرِ الزَّمَانِ
كَانَ مِنْ نَفْسِهِ الْكَبِيرَةِ فِي جَيْشٍ وَفِي كِبَرِيَاءِ ذِي سُلْطَانِ
كَانَ فِي لَفْظِهِ نَبِيًّا وَلَكِنْ ظَهَرَتْ مُعْجَزَاتُهُ فِي الْمَعَانِي
٨٠ لِأَيِّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَطَوِيِّ مِنَ الْمُرْقُصِ فِي رِثَاءِ ابْنِ أَبِي دَوَادٍ:
وَلَيْسَ صَرِيحُ النَّعْشِ مَا تَسْمَعُونَهُ وَلَكِنَّهُ أَصْلَابُ قَوْمٍ تَقْصَفُ
وَلَيْسَ فَيْقُ الْمِسْكِ مَا تَجِدُونَهُ وَلَكِنَّهُ ذَاكَ الثَّنَاءُ الْمُخْلَفُ
وَقَالَ غَيْرُهُ فِيهِ:

أَلْيَوْمَ مَاتَ نِظَامُ الْمُلْكِ وَاللَّسَنِ وَمَاتَ مَنْ كَانَ يُسْتَعْدَى عَلَى الزَّمَنِ
وَأَظْلَمَتْ سُبُلُ الْأَدَابِ وَأَحْتَجَبَتْ شَمْسُ الْمَكَارِمِ فِي غَيْمٍ مِنَ الْكَفَنِ
٨١ قَالَ جَرِيذُ بَنِي الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ:

يَا عَيْنُ جُودِي بِدَمْعٍ هَاجَهُ الذِّكْرُ فَمَا لِدَمْعِكَ بَعْدَ الْيَوْمِ مُدْخَرُ
إِنَّ الْخَلِيفَةَ قَدْ وَارَى شِمَالَهُ غِبْرَاءُ مَلْحُودَةٍ فِي جُوهِهَا زَوْرُ
أَمْسَى يَنُوهُ وَقَدْ جَلَّتْ مُصِيبَتُهُ مِثْلَ النُّجُومِ هَوَى مِنْ بَيْنِهَا الْقَمَرُ
كَانُوا شُهُودًا فَلَمْ يَدْفَعْ مِنْبِتُهُ عَبْدُ الْغَزِيرِ وَلَا رَوْحُ وَلَا عُمَرُ
وَخَالِدٌ لَوْ أَرَادَ الدَّهْرُ فِدَيْتَهُ أَغْلَوْا مُخَاطَرَةً لَوْ يَنْفَعُ الْخَطَرُ
قَدْ شَفَّنِي رَوْعَةُ الْعَبَّاسِ مِنْ فَرَعٍ لَمَّا آتَاهُ بِدِيرِ الْقَسْطَلِ الْخَبِيرُ
٨٢ قَالَ الشُّبْرَاوِيُّ بَنِي الْعَلَّامَةِ الْعَبَّادِيِّ:

يَا طَالِبًا رَاحَةً مِنْ دَهْرِهِ عَبَسًا أَقْصَرَ فَمَا الدَّهْرُ إِلَّا بِالْهَمِّ مُلِي
كَمْ مَنْظَرٍ رَأَيْتُ أَفْنَتَ جَمَالَتِهِ يَدُ الْمُنُونِ وَأَعْيَتْهُ عَنِ الْحِيلِ

وَكَمْ هُمَامٍ وَكَمْ قَرَمٍ وَكَمْ مَلَكٍ
وَكَمْ إِمَامٍ إِلَيْهِ تَنْتَهِي دُولُ
وَكَمْ عَزِيزٍ أَذَلَّتْهُ الْمُنُونُ وَمَا
يَا عَارِفًا دَهْرُهُ يَكْفِيكَ مَعْرِفَةً
هَلْ فِي زَمَانِكَ أَوْ مِنْ قَبْلِهِ سَمِعْتُ
وَهَلْ رَأَيْتُ أَنْاسًا قَدْ عَلَوْا وَعَلَوْا
أَوْ هَلْ نَسِيتَ لِدَوَائِلِ الْمَوْتِ أَوْ عَمِيتَ
وَهَلْ رَعَى الْمَوْتُ ذَا عِزٍّ لِعِزَّتِهِ
أَمُوتْ بَابُ وَكُلِّ النَّاسِ دَاخِلُهُ
وَأَيْسَ فَقْدُ إِمَامٍ عَالِمٍ عَالِمٍ
وَأَيْسَ مَوْتُ الَّذِي مَاتَ لَهُ أُمَمٌ
لِأَجْلِ ذَا طَالَ مَتَا النُّوحُ وَانْحَدَرَتْ
عَلَى إِمَامٍ هُمَامٍ فَاضِلٍ فَطْنٍ
لَهُ يَدُ وَرَدَتْ بِحَرِّ الْمُدَى وَرَوَتْ
وَكَمْ لَهُ مِنْ تَأْلِيفٍ بِجَوْهَرِهَا
٨٣ قَالَ الْبَزْزِيُّ بْنُ مَغِيرَةَ الْمَقْرِي يَرْثِي الْكَسَائِيَّ وَحَمَّادَ بْنَ
الْحَسَنِ وَكَانَا قَدْ خَرَجَا مَعَ الرَّشِيدِ إِلَى خُرَاسَانَ فَمَا تَأَنَّى الطَّرِيقَ :
تَصَرَّمَتِ الدُّنْيَا فَلَيْسَ حُلُودُ
وَمَا قَدْ تَرَى مِنْ بَهْجَةٍ سَيِّدُ
سَيِّفِيكَ مَا أَفْنَى الْفُرُونَ الَّتِي خَلَّتْ
فَكُنْ مُسْتَعِدًّا فَالْتَفَاءُ عَتِيدُ

أَسَيْتُ عَلَى قَاضِي الْقَضَاةِ مُحَمَّدٍ فَأَذَرَيْتُ دَمْعِي وَالْفُؤَادَ عَمِيدُ
وَقُلْتُ إِذَا مَا الْخُطْبُ أَشْكَلَ مِنْ لَنَا بِإِيضَاحِهِ يَوْمًا وَأَنْتَ فَقِيدُ
وَأَقْلَقْنِي مَوْتَ الْكِسَاءِيِّ بَعْدَهُ وَكَادَتْ بِي الْأَرْضُ الْقَضَاءُ تَمِيدُ
وَأَذْهَلْنِي عَنْ كُلِّ عَيْشٍ وَلَذَّةٍ وَارَقَ عَيْنِي وَالْعُيُونُ هُجُودُ
هُمَا عَالِمَانِ أَوْدِيَا وَتَحَرَّمَا وَمَا لُهُمَا فِي الْعَالَمِينَ نَدِيدُ
فَحَزَنِي إِنْ تَخْطُرَ عَلَى الْقَلْبِ خَطَرَةٌ بِذِكْرِهَا حَتَّى أَلَمَاتٍ جَدِيدُ

٨٤ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ يَزِيدُ الْأَصْمَعِيُّ:

أَسَيْتُ لِقَعْدِ الْأَصْمَعِيِّ لَقَدْ مَضَى حَمِيدًا لَهُ فِي كُلِّ صَالِحَةٍ سَهْمُ
تَقَصَّتْ بِشَاشَاتِ الْمَجَالِسِ بَعْدَهُ وَوَدَّعْنَا إِذْ وَدَّعَ الْأَنْسُ وَالْعِلْمُ
وَقَدْ كَانَ نَجْمُ الْعِلْمِ فِينَا حَيَاتُهُ فَلَمَّا أُنْقَضَتْ أَيَّامُهُ أَقْلُ النُّجُومِ
٨٥ قَالَ الْمُعْتَمِدُ يَزِيدُ أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ:

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو أَسَى عَرَانِي كَوَفِعَ الْأَسْلَ
عَلَى رَجُلٍ أَرْوَعَ يُرَى مِنْهُ فَضْلُ الْوَجَلِ
شِهَابُ خَبَا وَقَدْهُ وَعَارِضُ غَيْثٍ أَفْلُ
شَكَتْ دَوْلَتِي فَقَدْهُ وَكَانَ يَزِينُ الدُّوَلُ

٨٦ قَالَ الشَّهَابُ الْمَنْصُورِيُّ يَزِيدُ الْإِمَامَ كَمَالَ الدِّينِ السُّيُوطِيَّ:

مَاتَ الْكَمَالُ فَقَالُوا وَلَّى الْحُجْبَى وَالْجَلَالَ
فَالْعُيُونُ بُكَاءُ وَلِلدُّمُوعِ أَنْهَمَالَ
وَفِي فُؤَادِي حُزْنٌ وَلَوْعَةٌ لَا تَرَالُ

لِلَّهِ عِلْمٌ وَحِلْمٌ وَارْتَهُ تِلْكَ الرِّمَالُ
بِكَيْ الرِّشَادِ عَلَيْهِ دَمًا وَسِرَّ الضَّلَالُ
قَدْ لَاحَ فِي الْخَيْرِ نَقْصٌ لَمَّا مَضَى وَاخْتِلَالُ
وَكَيْفَ لَمْ تَرَ نَقْصًا وَقَدْ تَوَلَّى الْكَمَالُ
عُلُومُهُ رَاسِخَاتُ تَرْوُلٍ مِنْهَا الْجِبَالُ
بِقَبْرِهِ الْعِلْمُ تَاوَى وَالْفَضْلُ وَالْإِفْضَالُ

٨٧ قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ مَعْبُدٍ يَرْثِي يَحْيَى بْنَ مَعِينٍ:

لَقَدْ عَظَمْتَ فِي الْمُسْلِمِينَ رِزْيَةً غَدَاةَ نَعَى النَّاعُونَ يَحْيَى فَأَسْمَعُوا
فَقَالُوا وَإِنَّا قَدْ دَفَنَاهُ فِي الثَّرَى فَكَأَدَ فُؤَادِي حَسْرَةً يَتَصَدَّعُ
فَقُلْتُ وَلَمْ أَمْلِكْ لِعَيْنِي عَابِرَةً وَلَا خَزَعًا إِنَّا إِلَى اللَّهِ تَرْجِعُ
أَلَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ عِظَمُ رِزْيَتِي يَحْيَى إِلَى مَنْ لَسْتُ رِجُوعُ وَنَفْعُ
وَمَنْ ذَا الَّذِي يُوتَى فَيُسْأَلُ بَعْدَهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلنَّاسِ فِي الْعِلْمِ مُنْفَعُ
لَقَدْ كَانَ يَحْيَى فِي الْحَدِيثِ بَقِيَّةً مِنَ السَّلَفِ الْمَاضِينَ حِينَ تَقَشَعُوا
فَلَمَّا مَضَى مَاتَ الْحَدِيثُ بِمَوْتِهِ وَأُذِرَجَ فِي أَكْفَانِهِ الْعِلْمُ أَجْمَعُ
وَصِرْنَا حَيَارَى بَعْدَ يَحْيَى كَأَنَّا رَعِيَّةَ رَاعٍ بِثَمِّهِمْ فَتَصَدَّعُوا
وَلَيْسَ بَيْنُنَا عَنْكَ دَمْعٌ سَخِمَهُ وَلَكِنْ إِلَيْهِ يَسْتَرْجِعُ الْمُفْضَعُ
لَعَمْرُكَ مَا لِلنَّاسِ فِي الْمَوْتِ حِيلَةٌ وَلَا لِقَضَاءِ اللَّهِ فِي الْخَلْقِ مَدْفَعُ
وَلَكِنَّمَا أَبْكَى عَلَى الْعِلْمِ إِذَا مَضَى فَمَا بَعْدَ يَحْيَى فِيهِ لِلنَّاسِ مَفْرَعُ
فَقَدْ تَرَكَ الدُّنْيَا وَفَرََّ بِدِينِهِ إِلَى اللَّهِ حَتَّى مَاتَ وَهُوَ مُمْتَعُ

٨٨ قَالَ إِسْحَاقُ الْمُوصِلِيُّ يَرِي أَبَاهُ إِبْرَاهِيمَ الْمُغْنِيَّ :
أَقُولُ لَهُ لَمَّا وَقَفْتُ بِقَبْرِهِ عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ يَا صَاحِبَ الْقَبْرِ
وَيَا قَبْرَ إِبْرَاهِيمَ حَيْثُ حُفِرَ وَلَا زِلْتُ تُسْقِي الْغَيْثَ مِنْ سُبُلِ الْقَطْرِ
لَقَدْ عَزَّنِي وَجْدِي عَلَيْكَ فَلَمْ يَدْعُ وَلَقَلْبِي نَصِيبًا مِنْ عَزَاءٍ وَلَا صَبْرٍ
وَقَدْ كُنْتُ أَبْكِي مِنْ فِرَاقِكَ لَيْلَةً فَكَيْفَ وَقَدْ صَارَ الْفِرَاقُ إِلَى الْحَشْرِ
٨٩ لَمَّا مَاتَ أَبُو إِسْحَاقَ الصَّابِيُّ رِثَاهُ الشَّرِيفُ الرُّضِيُّ الْمُوسَوِيُّ بِقَوْلِهِ :
أَعْلَمْتُ مَنْ حَمَلُوا عَلَى الْأَعْوَادِ أَرَأَيْتَ كَيْفَ خَبَأَ ضِيَاءُ النَّادِي
جَبَلُ هَوَى لَوْ خَرَّ فِي الْبَحْرِ اغْتَدَى مِنْ وَقَعِهِ مُتَتَابِعُ الْأَرْبَادِ
مَا كُنْتُ أَعْلَمُ قَبْلَ حَطِّكَ فِي الثَّرَى أَنَّ الثَّرَى يَعْلُو عَلَى الْأَطْوَادِ
٩٠ قَالَ الشَّهَابُ الْمَنْصُورِيُّ يَرِي الْعَلَامَةَ مُحْيِي الدِّينِ الْكَافِيَّ :
بَكَتْ عَلَى الشَّيْخِ مُحْيِي الدِّينِ الْكَافِيَّ عِيُونَنَا بِدُمُوعٍ مِنْ دَمِ الْهَمِّ
كَانَتْ أَسَارِي هَذَا الدَّهْرِ مِنْ دَرَرٍ تَزْهِي قَبْدِلَ ذَاكَ الدَّرَرِ بِالسَّجِّ
فَكَمْ نَفَى بِسَمَاحٍ مِنْ مَكَارِمِهِ فَقَرًّا وَقَوْمَ بِالْإِعْطَاءِ مِنْ عَوَجِ
يَا نُورَ عِلْمٍ أَرَاهُ الْيَوْمَ مُنْطَفِئًا وَكَانَتْ النَّاسُ تُشْفِي مِنْهُ فِي سِرِّجِ
فَلَوْ رَأَيْتَ أَلْفَتَاوَى وَهِيَ بَاكِئَةٌ رَأَيْتَهَا مِنْ تَجِيعِ الدَّمْعِ فِي لَحْجِ
وَلَوْ سَرَتْ بِنَاءٌ عَنْهُ رِيحُ صَبَا لَأَسْتَشْفُوا مِنْ شَدَاهَا أَطِيبَ الْأَرْجِ
يَا وَحْشَةَ الْعِلَامِ مِنْ فِيهِ إِذَا اعْتَرَكَ أَبْطَالُهُ قَتَوَاتٍ فِي دُجَى الرَّهْجِ
لَمْ يَلْخُصُوا شَأْوَ عِلْمٍ مِنْ خَصَائِصِهِ أَنَّى وَرَثَتُهُ فِي أَرْفَعِ الدَّرَجِ
قَدْ طَالَ مَا كَانَ يَفْرِيتَنَا وَيُفْرِوْنَا فِي حَالَتِهِ بِوَجْهِهِ مِنْهُ مُبْتَهَجِ

سَفِيَّالَهُ وَكَسَاهُ اللَّهُ نُورَ سَنَا مِنْ سُنْدُسٍ بِيَدِ الْغَفْرَانِ مُنْسَجٍ
 ٩١ وَقَالَ أَيْضًا يَرْثِي الْحَجَّازِيَّ أَبَا الطَّيِّبِ الْحَزْرَجِيَّ :

لَهْفَ قَلْبِي عَلَى أَفْوَلِ الشَّهَابِ نُخْفَةَ الْقَوْمِ زُهْرَةَ الْأَصْحَابِ
 كَانَ فِي مَطْلَعِ الْبَلَاغَةِ يَسْرِي فَتَوَارَى مِنْ الثَّرَى بِحَبَابِ
 فَقَدَتْ بِهِ آيَايَ الْمَعَانِي وَتَيَامَى جَوَاهِرِ الْأَدَابِ
 هَظَلْتُ أَدْمَعُ السَّحَابِ عَلَيْهِ وَقَلِيلٌ فِيهِ دُمُوعُ السَّحَابِ
 وَذُووُ الْجَمْعِ أَصْبَحُوا حِينَ وَلَّى كُلُّهُمْ جَامِعًا بِلَا مِخْرَابِ
 يَا شَيْهًا بَاطِلُوعُهُ فِي سَمَا الْفَضْلِ وَلَكِنْ أَفْوَلُهُ فِي الثَّرَابِ
 لَكَ فِيهَا أَلَّتْ تَذَكُّرَةٌ مِنْ مَا أَتَتْكَ ذُرَّةُ أُولُو الْأَلْبَابِ
 رَوْضَةٌ أُنِعَتْ بِفَاكِهَةٍ مِنْ حُسْنِ لَفْظٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابِ
 فَسَقَى ثَرْبَهَا الرَّبَّابُ لَتَهْتَزَّ وَتَرْبُو عَلَى سَمَاعِ الرَّبَّابِ
 وَرَأَى كَسْرَهُ فَقَابَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْجَبْرِ يَوْمَ الْحِسَابِ

٩٢ قَالَ عِمَادُ الْكَاتِبِ يَرْثِي صَلَاحَ الدِّينِ :

سَمِعْتُ أَلْهَدَى وَالْمُلُوكَ عَمَّ شَتَاتُهُ وَالْدَّهْرُ سَاءَ وَأَقْلَعَتْ حَسَنَاتُهُ
 بِاللَّهِ أَيْنَ النَّاصِرُ الْمَلِكُ الَّذِي لِلَّهِ خَالِصَةٌ صَفَتْ نِيَّاتُهُ
 أَيْنَ الَّذِي مَا زَالَ سُلْطَانًا لَنَا يَرْجَى نَدَاهُ وَتَتَقَى سَطَوَاتُهُ
 أَيْنَ الَّذِي شَرَفَ الزَّمَانَ بِفَضْلِهِ وَنَمَتْ عَلَى الْفَضْلَاءِ تَشْرِيفَاتُهُ
 أَيْنَ الَّذِي عَنَتِ الْقَرْنُجُ لِبَاسِهِ ذُلًّا وَمِنْهَا أُدْرِكَتْ نَارَاتُهُ
 أَغْلَالُ أَعْنَاقِ الْعِدَى أَسْيَافُهُ أَطَوَّقَ أَجْيَادَ النُّورِ حَسَنَاتُهُ

الباب الرابع في الحسب

٩٣ قَالَ الْعَسْجَدِيُّ لِبَعْضِ أَصْحَابِ ابْنِ الْعَمِيدِ ذِي الْكُفَايَتَيْنِ :
كَيْفَ رَأَيْتَ الْوَزِيرَ . فَقَالَ : رَأَيْتُهُ يَأْبِسُ الْعُودَ ذَمِيمَ الْعُهُودِ سَيِّئَ
الظَّنِّ بِالْمَعْبُودِ . فَقَالَ الْعَسْجَدِيُّ : أَمَا رَأَيْتَ تِلْكَ الْأَبْهَةَ وَالصَّيْتَ
وَالْمَوَاكِبَ وَالتَّجَمُّلَ الظَّاهِرَ وَالْدَّارَ الْجَلِيلَةَ وَالْفَرْشَ السَّنِّيَّ وَالْحَاشِيَةَ
الْجَمِيلَةَ . فَقَالَ ذَلِكَ الرَّجُلُ : الدَّوْلَةُ غَيْرُ السُّودِ . وَالسَّاطِنَةُ غَيْرُ
الْكَرَمِ . وَالْحَظُّ غَيْرُ الْمَجْدِ . أَيْنَ الزُّوَارُ وَالْمُسْتَجِمُونَ . وَأَيْنَ الْأَمَلُونَ
وَالشَّاكِرُونَ . وَأَيْنَ الْوَاصِفُونَ الصَّادِقُونَ . وَأَيْنَ الْمُتَصَرِّفُونَ
الرَّاضُونَ . وَأَيْنَ الْهَبَاتُ وَأَيْنَ التَّفَضُّلَاتُ وَأَيْنَ الْخُلُوعُ وَالشَّرِيفَاتُ .
وَأَيْنَ الْهَدَايَا وَأَيْنَ الصِّيَافَاتُ . هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لَا تَجِيءُ الرِّئَاسَةُ
بِالْتَرَهَاتِ . وَلَا يَحْصُلُ الشَّرَفُ بِالْخُرْعِيَّاتِ . أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ الشَّاعِرِ :

أَبَا جَعْفَرٍ لَيْسَ فَضْلُ الْقَتَى إِذَا رَاحَ فِي فَرْطِ إِعْجَابِهِ
وَلَا فِي فَرَاغَةِ بَرْدُونِهِ وَلَا فِي مَلَاخَةِ أَثْوَابِهِ
وَلَكِنَّهُ فِي أَلْعَالِ الْجَمِيلِ وَالْكَرَمِ الْأَشْرَفِ النَّابِ

٩٤ اجْتَمَعَ عَامُ بْنُ الظَّرْبِ الْعَدَوَانِيُّ وَحُمَةُ بْنُ رَافِعِ الدَّوْسِيِّ عِنْدَ
مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ حِمَيْرَ . فَقَالَ : لَا تَسْأَلَا حَتَّى أَسْمَعَ مَا تَقُولَانِ . فَقَالَ
عَامِرُ الْحُمَةِ : أَيْنَ نَحْبُ أَنْ تَكُونَ أَيَادِيكَ . قَالَ : عِنْدَ ذِي الرُّتْبَةِ

الْعَدِيمِ وَعِنْدَ ذِي الْحُلَّةِ الْكَرِيمِ . وَالْمُعْسِرِ الْغَرِيمِ . وَالْمُسْتَضَعْفِ الْحَلِيمِ .
 قَالَ : مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِالْمَقْتِ . قَالَ : الْفَقِيرُ الْمُخْتَالُ . وَالضَّعِيفُ
 الصَّوَالُ . وَالْغَنِيُّ الْقَوَالُ . قَالَ : فَمَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِالْمَنْعِ . قَالَ : الْحَرِيصُ
 الْكَانِدُ وَالْمُسْتَمِيدُ الْحَاسِدُ . وَالْمُخَافُ الْوَاجِدُ . قَالَ : مَنْ أَجْدَرُ النَّاسِ
 بِالصَّيْعَةِ . قَالَ : مَنْ إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ . وَإِذَا مُنِعَ عَذَرَ . وَإِذَا مُطِلَّ
 صَبَرَ . وَإِذَا قَدِمَ الْعَهْدُ ذَكَرَ . قَالَ : مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ عِشْرَةً . قَالَ : مَنْ
 إِذَا قُرِبَ مَنْعَ . وَإِذَا ظَلِمَ صَفَحَ . وَإِنْ ضُوقِبَ سَمِعَ . قَالَ : مَنْ أَلَامَ
 النَّاسَ . قَالَ : مَنْ إِذَا سَأَلَ خَضَعَ . وَإِذَا سُئِلَ مَنَعَ . وَإِذَا أَمَلَكَ كَنَعَ .
 ظَاهِرُهُ جَشَعَ . وَبَاطِنُهُ طَبَعَ . قَالَ : فَمَنْ أَجَلُّ النَّاسِ . قَالَ : مَنْ عَفَا إِذَا
 قَدَرَ . وَأَجَلَ إِذَا انْتَصَرَ . وَلَمْ تُطْعِمِهِ عِزَّةُ الطَّقِرِ . قَالَ : فَمَنْ أَحْزَمُ النَّاسِ .
 قَالَ : مَنْ أَخَذَ رِقَابَ الْأَسْوَدِ بِيَدَيْهِ . وَجَعَلَ الْعَوَاقِبَ نَضْبَ عَيْنَيْهِ .
 وَنَبَذَ التَّهْيَبَ دُبُرَ أَذْنَيْهِ . قَالَ : فَمَنْ أَخْرَقُ النَّاسِ . قَالَ : مَنْ رَكِبَ
 الْحِطَارَ . وَأَعْسَفَ الْعِثَارَ . وَأَسْرَعَ فِي الْبِدَارِ قَبْلَ الْإِقْتِدَارِ . قَالَ : مَنْ
 أَجْوَدُ النَّاسِ . قَالَ : مَنْ بَدَلَ الْجَهْدَ . وَلَمْ يَأْسَ عَلَى الْمَفْقُودِ . قَالَ : مَنْ
 أَبْلَغُ النَّاسِ . قَالَ : مَنْ حَلَّى الْمَعْنَى الْمَرْيِزَ بِاللَّفْظِ الْوَجِيزِ . وَطَبَّقَ الْمَفْصَلَ
 قَبْلَ التَّخْزِيزِ . قَالَ : مَنْ أَنْعَمَ النَّاسُ عَيْشًا . قَالَ : مَنْ تَحَلَّى بِالْعَفَافِ
 وَرَضِيَ بِالْكَفَافِ . وَتَجَاوَزَ مَا يَخَافُ إِلَى مَا لَا يَخَافُ . قَالَ : فَمَنْ أَشَقَى
 النَّاسِ . قَالَ : مَنْ حَسَدَ عَلَى النِّعَمِ . وَسَخِطَ عَلَى الْقِسْمِ . وَأَسْتَشَعَرَ
 الدَّمَّ عَلَى مَا مُنَحْتَمَ . قَالَ : مَنْ أَغْنَى النَّاسَ . قَالَ : مَنْ أَسْتَشَعَرَ

أَلْيَاسَ . وَأَظْهَرَ التَّجَمُّلَ لِلنَّاسِ وَاسْتَكْتَرَّ قَلِيلَ النِّعَمِ . وَلَمْ يَسْخَطْ عَلَى الْقَسَمِ . قَالَ فَمَنْ أَحْكَمُ النَّاسِ . قَالَ : مَنْ صَمَتَ فَادَّكَرَ . وَنَظَرَ فَأَعْتَبَرَ . وَوَعِظَ فَازْدَجَرَ . قَالَ : مَنْ أَجْهَلُ النَّاسِ . قَالَ : مَنْ رَأَى الْخُرْقَ مَغْنَمًا . وَالتَّجَاوَزَ مَغْرَمًا .
(لابن عبد ربه)

٩٥ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : أَعْجَبُ مَا فِي الْإِنْسَانِ قَلْبُهُ وَلَهُ مَوَادُّ مِنَ الْحِكْمَةِ وَأَضْدَادٌ مِنْ خِلَافِهَا . فَإِنْ سَخَّ لَهُ الرَّجَاءُ أَذَلَّهُ الطَّمَعُ . وَإِنْ هَاجَهُ الطَّمَعُ أَهْلَكَهُ الْحِرْصُ . وَإِنْ مَلَكَهُ الْيَأْسُ قَتَلَهُ الْأَسَفُ . وَإِنْ عَرَضَ لَهُ الْغَضَبُ اشْتَدَّ بِهِ الْغَيْظُ . وَإِنْ أَسْعَدَ بِالرِّضَا نَفْسِي اتَّخَفُظَ . وَإِنْ أَتَاهُ الْخَوْفُ شَغَلَهُ الْحَذَرُ . وَإِنْ اتَّسَعَ لَهُ الْأَمْنُ اسْتَلَبَتْهُ الْغَرَّةُ . وَإِنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ فَضَحَّتْهُ الْجَزَعُ . وَإِنْ اسْتَفَادَ مَا لَا أَطْعَاهُ الْغِنَى . وَإِنْ عَصَتْهُ فَاقَةٌ بَلَغَ بِهِ الْبَلَاءُ . وَإِنْ جَهَدَ بِهِ الْجُوعُ قَعَدَ بِهِ الضَّعْفُ . وَإِنْ أَفْرَطَ فِي الشَّبَعِ كَطَّهَ الْبُطْنَةَ . فَكُلُّ تَقْصِيرٍ بِهِ خَيْرٌ مِنْ كُلِّ إِفْرَاطٍ لَهُ قَاتِلٌ

نخبة من وصية ابن سعيد المغربي لابنهِ وقد اراد السفر

أَوْدِعَكَ الرَّحْمَانُ فِي غُرْبَتِكَ مُرْتَقِبًا رُحْمَاهُ فِي أَوْبَتِكَ
فَلَا تُطِلْ حَبْلَ النَّوَى إِنِّي وَاللَّهِ أَشْتَاقُ إِلَى طَلْعَتِكَ
وَأَخْتَصِرِ التَّوَدِيعَ أَخْذًا فَمَا لِي نَاطِرٌ يَقْوَى عَلَى فُرْقَتِكَ
وَأَجْعَلَ وَصَاتِي نُصْبَ عَيْنٍ وَلَا يَبْرَحَ مَدَى الْأَيَّامِ مِنْ فِكْرَتِكَ
خُلَاصَةُ الْعُمْرِ الَّتِي حَنَنْتَ فِي سَاعَةِ زُفْتٍ إِلَى فِطْنَتِكَ

فَلْتَجَارِبِ أُمُورَ إِذَا طَالَتْهَا تَشْحُذُ مِنْ غَفْلَتِكَ
فَلَا تَتَمَّ عَنْ وَعْيِهَا سَاعَةً فَإِنَّهَا عَوْنٌ إِلَى يَفْظَنِكَ
وَكُلُّ مَا كَابَدَتْهُ فِي النَّوَى إِيَّاكَ أَنْ يَكْسِرَ مِنْ هِمَّتِكَ
فَلَيْسَ يُدْرَى أَصْلُ ذِي غُرْبَةٍ وَإِنَّمَا تُعْرِفُ مِنْ شَيْتِكَ
وَأَمْشِ الْهُوَيْنَا مُظْهِرًا غَفَةً وَأَنْطِقْ بِحَيْثُ الْعِيُ مُسْتَقْبِحٌ
وَلِجْ عَلَى رِزْقِكَ مِنْ بَابِهِ وَأَقْصِدْ لَهُ مَا عَشْتَ فِي بُكَرَتِكَ
وَوَفِّ كَلًّا حَقَّهُ وَلْتَكُنْ تَكْسِرُ عِنْدَ الْفَخْرِ مِنْ حَدَّتِكَ
وَحَيْثُمَا خِيمْتَ فَأَقْصِدْ إِلَى صُحْبَةٍ مِنْ تَرْجُوهُ فِي نُصْرَتِكَ
وَلِلرَّيَا وَثْبَةً مَا لَهَا إِلَّا الَّذِي تَذْخُرُ مِنْ عُدَّتِكَ
وَلَا تَقُلْ أَسْلَمَ لِي وَحْدَتِي فَقَدْ تُقَاسِي الذَّلَّ فِي وَحْدَتِكَ
وَأَلْتَرِمِ الْأَحْوَالَ وَزَنَا وَلَا تَرْجِعْ إِلَى مَا قَامَ فِي شَهْوَتِكَ
وَلِتَجْعَلِ الْعَقْلَ مَحَكًّا وَخُذْ كَلًّا بِمَا يَظْهَرُ فِي نَقْدَتِكَ
وَأَعْتَبِرِ النَّاسَ بِالْفَاطِظِهِمْ وَأَصْحَبْ أَخَا يَرْغَبُ فِي صُحْبَتِكَ
كَمْ مِنْ صَدِيقٍ مُظْهِرٍ نَصْحَهُ وَفَكَّرْهُ وَقِفْ عَلَى عَثْرَتِكَ
إِيَّاكَ أَنْ تَغْرُبَهُ إِنَّهُ عَوْنٌ مَعَ الدَّهْرِ عَلَى كُرْبَتِكَ
وَأَنْهُمْ نُمُو النَّبْتِ قَدْ زَارَهُ غِبُّ النَّدَى وَأَسْمُ إِلَى قُدْرَتِكَ
وَلَا تُضَيِّعْ زَمَنًا مُمَكِّنًا تَذْكَارُهُ يُذَكِّي لَطْفَ حَسْرَتِكَ
وَالشَّرُّ مَهْمَا اسْتَطَعْتَ لَا تَأْتِيهِ فَإِنَّهُ حَوْزٌ عَلَى مُهْجَتِكَ

يَا بُنَيَّ الَّذِي لَا نَاصِحَ لَهُ مِثْلِي وَلَا مَنْصُوحَ لِي مِثْلُهُ . قَدْ قَدَّمْتُ
لَكَ فِي هَذَا النِّظْمِ مَا إِنْ أَخْطَرَتْهُ بِخَاطِرِكَ فِي كُلِّ أَوَانٍ رَجَوْتُ لَكَ
حُسْنَ الْعَاقِبَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . وَإِنْ أَخَفَّ مِنْهُ لِلْحِفْظِ وَأَعْلَقَ
بِالْفِكْرِ وَاحَقَّ بِالتَّمَدُّمِ قَوْلُ الْأَوَّلِ :

يَزِينُ الْغَرِيبَ إِذَا مَا أُغْتَرِبَ ثَلَاثُ فَمِنْهُمْ حُسْنُ الْأَدَبِ
وَتَأْنِيَةُ حُسْنِ أَخْلَاقِهِ وَثَالِثُهُ اجْتِنَابُ الرِّيبِ
وَأَصْنَعُ يَا بُنَيَّ إِلَى أَلَيْتِ الَّذِي هُوَ يَتِيمَةُ الدَّهْرِ وَسَأَمُ الْكَرَمِ وَالصَّبْرِ
وَلَوْ أَنَّ أَوْطَانَ الدِّيَارِ نَبَتْ بِكُمْ لَسَكَنْتُمْ الْأَخْلَاقَ وَالْآدَابَا
إِذْ حُسْنُ الْخُلُقِ أَكْرَمُ نُزِيلٍ . وَالْأَدَبُ أَرْحَبُ مَنَزِلٍ . وَلَتَكُنْ
كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ فِي أَدِيبٍ مُتَغَرَّبٍ : وَكَانَ كُلَّمَا طَرَأَ عَلَى مَلِكٍ
فَكَانَتْ مَعَهُ وَلَدٌ وَإِلَيْهِ قَصْدٌ . غَيْرُ مُسْتَرِيبٍ بِدَهْرِهِ . وَلَا مُنْكَرٍ شَيْئًا
مِنْ أَمْرِهِ . وَإِذَا دَعَاكَ قَلْبُكَ إِلَى ضُحْبَةٍ مِنْ أَخَذَ بِجَمَاعٍ هَوَاهُ فَأَجْعَلِ
التَّكْلِفَ لَهُ سُلْمًا وَهَبْ فِي رَوْضِ أَخْلَاقِهِ هُبُوبَ التَّسْمِيمِ . وَحُلَّ بِطَرْفِهِ
حُلُولُ الْأَوْسَنِ وَأُزِلْ بِقَلْبِهِ نُزُولُ الْمُسْرَةِ حَتَّى يَتِمَّكَ لَكَ وَدَادُهُ .
وَيَخْلُصَ فَيْكَ اعْتِقَادُهُ . وَطَهَّرْ مِنَ الْوُقُوعِ فِيهِ لِسَانَكَ . وَأَغْلِقْ تَمَعَكَ
وَلَا تَرْخُصْ فِي جَانِبِهِ لِحُسُودِ لَكَ مِنْهُ يُرِيدُ إِبْعَادَكَ عَنْهُ لِيَنْفَعْتَهُ . أَوْ
حُسُودٍ لَهُ يَغَارُ لِحِمْلِهِ بِصُحْبَتِكَ . وَمَعَ هَذَا فَلَا تَقْتَرِبْ بِطُولِ صُحْبَتِهِ وَلَا
تَتَمَهَّدْ بِدَوَامِ رِقْدَتِهِ . فَقَدْ يَنْبَغِيهِ الزَّمَانُ . وَيَتَغَيَّرُ مِنْهُ الْقَلْبُ وَاللِّسَانُ .
وَإِنَّمَا الْعَاقِلُ مَنْ جَعَلَ عَمَلَهُ مَعْيَارًا وَكَانَ كَأَمْرِ آتٍ يَلْقَى كُلَّ وَجْهِ بِمِثَالِهِ

وَفِي أَمْثَالِ الْعَامَّةِ : مَنْ سَبَقَكَ يَوْمَ فَقَدْ سَبَقَكَ بِعَقْلٍ . فَأَحْتَذِ
بِأَمْثَلِهِ مِنْ جَرَبٍ . وَاسْتَمِعْ إِلَى مَا خَلَدَ الْمَاضُونَ بَعْدَ جُهِدِهِمْ وَتَعْيِهِمْ مِنْ
الْأَقْوَالِ . فَإِنَّهَا خُلَاصَةُ عُمْرِهِمْ وَزُبْدَةُ تَجَارِبِهِمْ . وَلَا تَتَكَلَّلْ عَلَى
عَقْلِكَ فَإِنَّ النَّظَرَ فِي مَا تَعَبَ فِيهِ النَّاسُ طُولُ أَعْمَارِهِمْ وَابْتِاعُوهُ غَالِيًا
بِتَجَارِبِهِمْ يُرْبِحُكَ وَيَقَعُ عَلَيْكَ رَخِيصًا . وَإِنْ رَأَيْتَ مَنْ لَهُ عَقْلٌ وَمُرُوءَةٌ
وَتَجَرِبَةٌ فَاسْتَفِدْ مِنْهُ وَلَا تُضِيعْ قَوْلَهُ وَلَا فِعْلَهُ . فَإِنَّ فِي مَا تَلْقَاهُ تَلَقِيحًا
لِعَقْلِكَ وَحَثًّا لَكَ وَاهْتِدَاءً . وَلَيْسَ كُلُّ مَا تَسْمَعُ مِنْ أَقْوَالِ الشُّعْرَاءِ يَحْسُنُ
بِكَ أَنْ تَتَّبِعَهُ حَتَّى تَتَذَرَّهُ . فَإِنْ كَانَ مُوَافِقًا لِعَقْلِكَ مُصْلِحًا لِحَالِكَ
فَرَاغْ ذَلِكَ عِنْدَكَ وَإِلَّا فَأَنْذِرْهُ نَبَذَ النَّوَاةِ . فَلَيْسَ لِكُلِّ أَحَدٍ يَتَّبِعُ
وَلَا كُلِّ شَخْصٍ يُكَلِّمُ . وَلَا الْجُودُ مِمَّا يُعْمُ بِهِ . وَلَا حُسْنُ الظَّنِّ وَطِيبُ
النَّفْسِ مِمَّا يُعَامَلُ بِهِ كُلُّ أَحَدٍ . وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ :

وَمَا لِي لَا أُوْفِي الْبَرِيَّةَ قِسْطَهَا عَلَى قَدَرٍ مَا يُعْطَى وَعَقْلِي مِيزَانُ
وَإِيَّاكَ أَنْ تُعْطَى مِنْ نَفْسِكَ إِلَّا بِقَدَرٍ . فَلَا تُعَامِلِ الدُّونَ بِمُعَامَلَةِ
الْكُفُوِّ وَلَا الْكُفُوِّ بِمُعَامَلَةِ الْأَعْلَى . وَلَا تُضِيعْ عُمْرَكَ فِي مَنْ يُعَامِلُكَ
بِالْمُطَامَعِ وَيُشِيبُكَ عَلَى مَصْلَحَةٍ حَاضِرَةٍ عَاجِلَةٍ بِغَائِبَةِ آجِلَةٍ . وَلَا تَحْفُفْ
النَّاسَ بِالْجُمْلَةِ وَلَكِنْ يَكُونُ ذَلِكَ بِحَيْثُ لَا يُلْحَقُ مِنْهُ مَلَلٌ وَلَا ضَجْرٌ وَلَا
جَفَاءٌ . فَمَتَى فَارَقْتَ أَحَدًا فَعَلَى حُسْنِي فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ فَإِنَّكَ لَا تَذَرِي
هَلْ أَنْتَ رَاجِعٌ إِلَيْهِ . فَلِذَاكَ قَالَ الْأَوَّلُ : وَلَمَّا مَضَى سَلَمٌ بَكَيْتُ
عَلَى سَلَمٍ . وَإِيَّاكَ وَالْبَيْتَ السَّائِرَ :

وَكُنْتَ إِذَا حَلَّتْ بِدَارِ قَوْمٍ رَحَلْتَ بِخِزْيَةٍ وَتَرَكْتَ عَارًا
وَأَحْرَصَ عَلَى مَا جَمَعَ قَوْلُ الْقَائِلِ : ثَلَاثَةٌ تُبْقِي لَكَ الْوَدَّ فِي
صَدْرِ أَخِيكَ . أَنْ تَبْدَأَهُ بِالسَّلَامِ وَتُوسِّعَ لَهُ فِي الْمَجْلِسِ وَتَدْعُوهُ بِأَحَبِّ
الْأَسْمَاءِ إِلَيْهِ . وَاحْذَرُ كُلَّ مَا بَيْنَهُ لَكَ الْقَائِلُ : كُلُّ مَا تَغْرِسُهُ تُجْنِيهِ
إِلَّا ابْنَ آدَمَ . فَإِذَا غَرَسْتَهُ يَقْلَعُكَ . وَقَوْلُ الْآخَرِ : ابْنُ آدَمَ ذُئِبٌ مَعَ
الضَّعْفِ أَسَدٌ مَعَ الْقُوَّةِ . وَإِيَّاكَ أَنْ تُثَبَّتَ عَلَى صُحْبَةِ أَحَدٍ قَبْلَ أَنْ
تُطِيلَ اخْتِبَارَهُ . (وَيُحْكِي) أَنَّ ابْنَ الْمُفَقَّعِ خَطَبَ مِنَ الْحَلِيلِ صُحْبَتَهُ .
فَجَاوَبَهُ أَنَّ الصُّحْبَةَ رِقٌّ وَلَا أَضْعُرِّي فِي يَدَيْكَ حَتَّى أَعْرِفَ كَيْفَ
مَلَكَتُكَ . وَأَسْتَمِلَ مِنْ عَيْنٍ مِنْ تَعَاشِرُهُ وَتَفَقَّدَ فِي فَلَاتٍ الْأَلْسُنَ
وَصَفَحَاتِ الْأَوْجِهَةِ . وَلَا يَحْمِلُكَ الْحَيَاءُ عَلَى السُّكُوتِ عَمَّا يَضُرُّكَ أَنْ لَا
تُبَيِّنَهُ . فَإِنَّ الْكَلَامَ سِلَاحُ السَّلَامِ . وَبِالْأَيْنِ يُعْرِفُ أَلَمَ الْجَرْحِ وَاجْعَلْ
لِكُلِّ أَمْرٍ أَخَذْتَ فِيهِ غَايَةً تَجْعَلُهَا نِهَايَةً لَكَ . وَأَقْبِلْ مِنَ الدَّهْرِ مَا
آتَاكَ . مَنْ قَرَّ عَيْنًا بِعَيْشِهِ نَفَعَهُ إِذَا الْفَكَارُ تَجَلَّبَبُ الْهُمُومِ . وَتَضَاعَفُ
الْهُمُومُ . وَمَلَا زِمَةَ الْقُطُوبِ . عَنْوَانُ الْمَصَائِبِ وَالْخُطُوبِ . يَسْتَرِيبُ بِهِ
الصَّاحِبُ . وَيَسْتَمُتُ الْعَدُوُّ وَالْجَانِبُ . وَلَا تَضُرُّ بِالْوَسَاوِسِ إِلَّا نَفْسُكَ
لَا نَكَ تَنْصُرُ بِهَا الدَّهْرَ عَلَيْكَ . وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ :

إِذَا مَا كُنْتَ لِلْأَخْزَانِ عَوْنًا عَلَيْكَ مَعَ الزَّمَانِ فَمَنْ تَلُومُ
مَعَ أَنَّهُ لَا يَرُدُّ عَلَيْكَ الْغَائِبَ الْحَزْنَ . وَلَا يَرْعَوِي بِطُولِ غَيْبِكَ
الزَّمَنُ . وَلَقَدْ شَاهَدْتُ بِغَرْنَاطَةِ شَخْصًا قَدْ أَلْفَتَهُ الْهُمُومُ . وَعَشِيقَتُهُ

الْغُومُ . وَمِنْ صَغَرِهِ إِلَى كِبَرِهِ لَا تَرَاهُ أَبَدًا خَلِيًّا مِنْ فِكْرَةٍ حَتَّى لُتِبَ
بَصْدَرُ أَهْلِهِ . وَمِنْ أَعْجَبَ مَا رَأَيْتُهُ مِنْهُ أَنَّهُ يَتَنَكَّدُ فِي الشَّدَةِ وَلَا
يَتَعَلَّلُ بِأَنْ يَكُونَ بَعْدَهَا فَرَجٌ وَيَتَنَكَّدُ فِي الرَّخَاءِ خَوْفًا مِنْ أَنْ لَا يَدُومَ
(وَيُنْشِدُ) : تَوَقَّعْ زَوَالًا إِذَا قِيلَ تَمَّ . (وَيُنْشِدُ) : وَعِنْدَ التَّنَاقُصِ يَقْصُرُ
الْمُتَطَاوِلُ . وَلَهُ مِنَ الْحِكَايَاتِ فِي هَذَا الشَّانِ عَجَائِبُ . وَمِثْلُ هَذَا عَمْرُهُ
مُخْشَوْرٌ يَمُرُّ ضَيَاعًا . وَمَتَى رَفَعَكَ الزَّمَانُ إِلَى قَوْمٍ يَذُمُّونَ مِنَ الْعِلْمِ مَا
تُحْسِنُهُ حَسَدًا لَكَ وَقَصْدًا لِتَصْغِيرِ قَدْرِكَ عِنْدَكَ وَتَرْهِيْدًا لَكَ فِيهِ
فَلَا يَحْمِلُكَ ذَلِكَ عَلَى أَنْ تَرْهَدَ فِي عِلْمِكَ وَتَرْكُنَ إِلَى الْعِلْمِ الَّذِي
مَدَّ حَوْهَ . فَتَكُونُ مِثْلَ الْغُرَابِ الَّذِي أَعْجَبَهُ مَشْيُ الْحَجَلَةِ فَرَامَ أَنْ يَتَلَمَّهَ
فَصَعِبَ عَلَيْهِ . ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى مَشْيِهِ فَنَسِيَهُ فَبَقِيَ مُخْبِلٌ الْمَشْيِ كَمَا قِيلَ :
إِنَّ الْغُرَابَ وَكَانَ يَمْشِي مِشْيَةً فِي مَاضِي مِنْ سَالِفِ الْأَجْيَالِ
حَسَدًا لِقَطَا وَأَرَادَ يَمْشِي مِشْيَهَا فَأَصَابَهُ ضَرْبٌ مِنَ الْعُقَالِ
فَأَضَلَّ مِشْيَتَهُ وَأَخْطَأَ مِشْيَهَا فَلِذَاكَ كُنُوهُ أَبَا مِرْقَالٍ
وَلَا يُفْسِدُ خَاطِرُكَ مَنْ جَعَلَ يَذُمُّ الزَّمَانَ وَأَهْلَهُ وَيَقُولُ : مَا بَقِيَ
فِي الدُّنْيَا كَرِيمٌ وَلَا فَاضِلٌ وَلَا مَكَانٌ يُرْتَاحُ فِيهِ . فَإِنَّ الَّذِينَ تَرَاهُمْ
عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ أَكْثَرُ مَا يَكُونُونَ مِنْ صَحْبَةِ الْحُرْمَانِ . وَأَسْتَحَقْتُ طَلْعَتَهُ
لِلْهَوَانِ . وَأَبْرَمُوا عَلَى النَّاسِ بِالسُّوَالِ فَمَقْتُوهُمْ وَعَجَزُوا عَنْ طَلَبِ الْأُمُورِ
مِنْ وُجُوْهَهَا فَأَسْتَرَا حُوا إِلَى الْوُقُوعِ فِي النَّاسِ . وَأَقَامُوا الْأَعْذَارَ
لِأَنْفُسِهِمْ بِقَطْعِ أَسْبَابِهِمْ . وَلَا تَرَلْ هَذَيْنِ الْيَتِيمَيْنِ مِنْ فِكْرِكَ :

لِنْ إِذَا مَا نِلْتَ عِزًّا فَأَخُو الْعِزِّ يَلِينُ
فَإِذَا نَابَكَ دَهْرٌ فَكَمَا كُنْتَ تَكُونُ
وَالْأَمْثَالُ تُضْرَبُ لِذِي أَلْبَبٍ الْحَكِيمِ . وَذُو الْبَصَرِ يَمِشِي عَلَى
الصِّرَاطِ الْأَسْتَقِيمِ . وَالْفُطْنُ يَفْضَعُ بِالْقَلِيلِ وَيَسْتَدِلُّ بِالْيَسِيرِ . وَاللَّهُ
سُبْحَانَهُ خَائِفَتِي عَلَيْكَ لَا رَبَّ سِوَاهُ (مُلَخَّصٌ عَنْ الْمُقْرِي)

طُرُقَةٌ مِنْ وَصِيَّةِ ابْنِ طَاهِرٍ لِابْنِهِ

٩٧ أَمَّا بَعْدُ فَعَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَحَدِّهِ وَخَشْيَتِهِ وَمُرَاقَبَتِهِ عَزَّ وَجَلَّ
وَمُرَآيَلَةِ سُخْطِهِ وَحِفْظِ رَعِيَّتِكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ . وَأَلْزَمَ مَا أَلْبَسَكَ
مِنَ الْعَاقِبَةِ بِالذِّكْرِ لِمَعَادِكَ وَمَا أَنْتَ صَاحِبٌ إِلَيْهِ وَمَوْقُوفٌ عَلَيْهِ
وَمَسْئُولٌ عَنْهُ وَالْعَمَلُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ بِمَا يَعْصِمُكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَيُنْجِيكَ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِقَابِهِ وَأَلِيمِ عَذَابِهِ . فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ أَحْسَنَ
إِلَيْكَ وَأَوْجَبَ عَلَيْكَ الرَّأْفَةَ بِمَنْ أَسْتَرْعَاكَ أَمْرُهُمْ مِنْ عِبَادِهِ .
وَأَلْزَمَكَ الْعَدْلَ عَلَيْهِمْ وَالْقِيَامَ بِحَقِّهِ وَحُدُودِهِ فِيهِمْ . وَالذَّبَّ عَنْهُمْ
وَالدَّفْعَ عَنْ حَرِيمِهِمْ وَبُيُوتِهِمْ . وَالْحَقْنَ لِدِمَائِهِمْ وَالْأَمْنَ لِأَسْبَابِهِمْ .
وَادْخَالَ الرَّاحَةِ عَلَيْهِمْ . وَمُواخِذَكَ بِمَا فَرَضَ عَلَيْكَ وَمَوْقِفَكَ عَلَيْهِ
وَمُسَائِلَكَ عَنْهُ وَمُثِيبَكَ عَلَيْهِ بِمَا قَدَّمْتَ وَآخَرْتَ . فَفَرِّغْ لَذَلِكَ
فَهْمَكَ وَعَقْلَكَ وَنَظْرَكَ وَلَا يَشْغَلْكَ عَنْهُ شَاغِلٌ وَأَنَّهُ رَأْسُ أَمْرِكَ
وَمَلَاكُ شَأْنِكَ وَأَوَّلُ مَا يُؤَفِّقُكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ لِرُشْدِكَ . وَلَكِنْ
أَوَّلُ مَا تُلْزِمُ نَفْسَكَ وَتَنْسِبُ إِلَيْهِ أَفْعَالَكَ الْمُواظَبَةَ عَلَى مَا أَفْتَرَضَ

اللَّهُ عَلَيْكَ مِنَ الصَّلَوَاتِ . وَإِذَا وَرَدَ عَلَيْكَ أَمْرٌ فَأَسْتَعِنْ عَلَيْهِ بِاسْتِخَارَةِ
 اللَّهِ وَتَقْوَاهُ . وَآثِرِ الْفَقْهَ وَأَهْلَهُ وَالِدِينَ وَحَمَلَتَهُ فَإِنْ أَفْضَلَ مَا تَرَى بِهِ
 الْمَرْءُ الْفَقْهَ فِي الدِّينِ وَالطَّلَبُ لَهُ وَالْحُثُّ عَلَيْهِ . وَالْمَعْرِفَةُ بِمَا يَقْتَرِبُ بِهِ
 إِلَى اللَّهِ . فَإِنَّهُ الدَّلِيلُ عَلَى الْخَيْرِ كُلِّهِ وَالْقَائِدُ إِلَيْهِ وَالْأَمْرُ بِهِ وَالنَّاهِي
 عَنِ الْمَعَاصِي الْمُؤَبَّاتِ كُلِّهَا . وَمَعَ تَوْفِيقِ اللَّهِ يَزِدَادُ الْعَبْدُ مَعْرِفَةً لَهُ
 وَدَرَكًا لِلدَّرَجَاتِ الْعُلَى فِي الْمَعَادِ . مَعَ مَا فِي ظُهُورِهِ لِلنَّاسِ مِنَ التَّوْفِيقِ
 لِأَمْرِكَ وَاهْتِبَةِ لِسُلْطَانِكَ وَالْإِثْسَةِ بِكَ وَالْيَقَّةَ بِعَدْلِكَ . وَعَلَيْكَ
 بِالْإِقْتِصَادِ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا . فَلَيْسَ شَيْءٌ أَبْيَنَ نَفْعًا وَلَا أَحْضَرَ أَمْنًا
 وَلَا أَجْمَعَ فَضْلًا مِنْهُ . وَالْقَصْدُ دَاعِيَةٌ إِلَى الرُّشْدِ وَالرُّشْدُ دَلِيلٌ عَلَى
 التَّوْفِيقِ وَالتَّوْفِيقُ قَائِدٌ إِلَى السَّعَادَةِ وَقَوَامِ الدِّينِ وَالسُّنَنِ الْهَادِيَةِ
 بِالْإِقْتِصَادِ . فَأَثَرُهُ فِي دُنْيَاكَ كُلِّهَا وَلَا تُقَصِّرْ فِي طَلَبِ الْآخِرَةِ وَالْآجِرِ
 وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَالسُّنَنِ الْمَعْرُوفَةِ وَمَعَالِمِ الرُّشْدِ . وَلَا غَايَةَ لِلِاسْتِكْثَارِ
 فِي الْبِرِّ وَالسَّعْيِ لَهُ . إِذَا كَانَ يُطْلَبُ بِهِ وَجْهُ اللَّهِ تَعَالَى وَمَرْضَاتُهُ وَمِرَافَقَةُ
 أَوْلِيَائِهِ فِي دَارِ كَرَامَتِهِ . وَاعْلَمْ أَنَّ الْقَصْدَ فِي شَأْنِ الدُّنْيَا يُورِثُ الْعِزَّ
 وَيُخَصِّنُ مِنَ الذُّنُوبِ وَأَنَّهُ لَنْ تَحُوطَ نَفْسُكَ وَمَنْ يَلِيكَ وَلَا تَسْتَطِيعَ
 أُمُورَكَ بِأَفْضَلِ مِنْهُ . فَأَتِيهِ وَاهْتَدِ بِهِ تَتِمَّ أُمُورُكَ وَتَرُدَّ مَقْدَرَتُكَ
 وَتَصْلُحَ خَاصَّتُكَ وَعَامَّتُكَ . وَلَا تَتَّهَمَنَّ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ فِيمَا تُوَلِّيهِ مِنْ
 عَمَلِكَ قَبْلَ أَنْ تَكْشِفَ أَمْرَهُ فَإِنَّ إِيقَاعَ التَّهَمِّ بِالْبِرِّاءِ وَالظُّنُونِ
 السَّيِّئَةِ بِهِمْ بِأَثَمٍ . وَلَا يَجِدَنَّ عَدُوَّ اللَّهِ الشَّيْطَانَ فِي أَمْرِكَ مَغْمَرًا فَإِنَّهُ

إِنَّمَا يَكْتَفِي بِالْقَلِيلِ مِنْ وَهْنِكَ وَيَدْخُلُ عَلَيْكَ مِنَ النِّعَمِ فِي سُوءِ
الظَّنِّ مَا يُنْغِصُكَ لَذَاذَةَ عَيْشِكَ . وَأَعْلَمُ أَنَّكَ تَجِدُ مُحْسِنَ الظَّنِّ قُوَّةَ
وَرَاحَةٍ وَتَكْتَفِي بِهِ مَا أَحْبَبْتَ كِفَايَتَهُ مِنْ أُمُورِكَ وَتَدْعُو بِهِ النَّاسَ إِلَى
مَحَبَّتِكَ وَالْإِسْتِقَامَةِ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا . . . وَتَقَرَّدُ بِتَقْوِيمِ نَفْسِكَ تَقَرَّدُ
مَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ مَسْئُولٌ عَمَّا صَنَعَ وَحُجْزِيٌّ بِمَا أَحْسَنَ وَمَا خُوذَ بِمَا أَسَاءَ . فَإِنَّ
اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ الدِّينَ حِرْزًا وَغِزًّا وَرَفَعَ مَنْ أَتْبَعَهُ وَعَزَّزَهُ . فَاسْلُكْ
بَيْنَ تَسْوِسِهِ وَتَرْعَاهُ نَهْجَ الدِّينِ وَطَرِيقَةَ الْهُدَى . وَاقِمِ حُدُودَ اللَّهِ
فِي أَصْحَابِ الْجَرَائِمِ عَلَى قَدَرِ مَنَازِلِهِمْ وَمَا اسْتَحَقُّوهُ . وَلَا تَعْطِلْ ذَلِكَ
وَلَا تَتَهَاوَنَ بِهِ . وَلَا تُؤَخِّرْ عُقُوبَةَ أَهْلِ الْعُقُوبَةِ فَإِنَّ فِي تَفْرِيطِكَ فِي
ذَلِكَ مَا يُفْسِدُ عَلَيْكَ حُسْنَ ظَنِّكَ . وَاعْتَرِمْ عَلَى أَمْرِكَ فِي ذَلِكَ
بِالْسُّنَنِ الْمَعْرُوفَةِ وَجَانِبِ الْبِدْعِ وَالشُّبُهَاتِ يَسْلَمْ لَكَ دِينُكَ وَتَقُمْ
لَكَ مُرُوءَتُكَ . وَإِذَا عَاهَدْتَ عَهْدًا فَفِ بِهِ وَإِذَا وَعَدْتَ خَيْرًا
فَأَنْجِزْهُ وَأَقْبِلِ الْحَسَنَةَ وَأَدْفَعْ بِهَا وَأَعْمِضْ عَنْ عَيْبِ كُلِّ ذِي عَيْبٍ مِنْ
رَعِيَّتِكَ وَأَسَدِّدْ لِسَانَكَ عَنْ قَوْلِ الْكُذِبِ وَالزُّورِ وَأَبْغِضْ أَهْلَهُ
وَأَقْصِ النَّمِيمَةَ . فَإِنَّ أَوَّلَ فَسَادِ أُمُورِكَ فِي عَاجِلِهَا وَأَجَلِهَا تَقْرِيبُ
الْكُذُوبِ لِأَنَّ الْكُذِبَ رَأْسُ الْمَآثِمِ . وَالزُّورُ وَالنَّمِيمَةُ خَاتِمَتُهَا لِأَنَّ
النَّمِيمَةَ لَا يَسْلَمْ صَاحِبُهَا . وَلَا يَسْتَعِمْ لُطِيعُهَا أَمْرًا . وَأَحِبِّ أَهْلَ
الصَّلَاحِ وَالصِّدْقِ وَأَعِنِ الْأَشْرَافَ بِالْحَقِّ . وَوَاسِ الضُّعَفَاءَ وَصِلِ
الرَّحِمَ وَابْتَغِ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى وَإِعْزَازَ أَمْرِهِ . وَاتِمِسْ فِيهِ

ثَوَابُهُ وَالْدَّارَ الْآخِرَةَ وَاجْتَنِبْ سُوءَ الْأَهْوَاءِ وَالْجُورَ وَأَصْرِفْ عَنْهُمَا
رَأْيَكَ . وَأَمْلِكْ نَفْسَكَ عَنِ الْغَضَبِ وَآثِرِ الْوَقَارَ وَالْحِلْمَ . وَإِيَّاكَ
وَالْحِدَّةَ وَالطَّيْشَ وَالْعُرُورَ فِي مَا أَنْتَ بِسَبِيلِهِ . وَإِيَّاكَ أَنْ تَقُولَ أَنَا
مُسَلِّطٌ أَفْعَلُ مَا أَشَاءُ فَإِنَّ ذَلِكَ سَرِيعٌ إِلَى نَقْصِ الرَّأْيِ وَقَلَّةِ الْيَقِينِ
بِاللَّهِ وَأَخْلَصْ لِلَّهِ وَحْدَهُ النِّيَّةَ فِيهِ وَالْيَقِينَ بِهِ . وَاعْلَمْ أَنَّ الْمُلْكَ لِلَّهِ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَنْزِعُهُ مِمَّنْ يَشَاءُ . وَلَنْ تُجِدَ تَغْيِيرَ النِّعْمَةِ
وَحُلُولَ النِّعْمَةِ عَلَى أَحَدٍ أَسْرَعَ مِنْهُ عَلَى جَهْلَةِ النِّعْمَةِ مِنْ أَصْحَابِ السُّلْطَانِ
وَالْمُبْسُوطِ لَهُمْ فِي الدَّوْلَةِ إِذَا كَفَرُوا بِنِعْمِ اللَّهِ وَإِحْسَانِهِ . وَاسْتَطَالُوا بِمَا
آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ . وَدَعَّ عَنْكَ شَرَّ نَفْسِكَ . وَلَتَكُنْ ذَخَائِرُكَ وَكَذُورُكَ
الَّتِي تَذْخِرُ وَتَكْثُرُ الْبِرَّ وَالتَّقْوَى وَالْمُعْدِلَةَ وَاسْتِصْلَاحَ الرِّعْيَةِ وَعِمَارَةَ
بِلَادِهِمْ وَالتَّقْدِيرَ لَأُمُورِهِمْ وَالْإِعَانَةَ لِمَلْهُوفِهِمْ . وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَمْوَالَ إِذَا
كَانَتْ فِي صَلَاحِ الرِّعْيَةِ وَإِعْطَاءِ حُقُوقِهِمْ وَكَفِّ الْمُوَوَّاتَةِ عَنْهُمْ نَمَتْ
وَزَكَتْ وَنَمَتْ وَصَلَحَتْ بِهَا الْعَامَّةُ وَتَزَيَّنَتْ بِهَا الْوَلَاةُ وَطَابَ بِهَا الزَّمَانُ
وَأَعْتَقَدَ فِيهَا الْعِزَّ وَالْمُنْعَةَ . فَأَوْفِ رِعْيَتِكَ مِنْ ذَلِكَ حِصَصَهُمْ وَتَعَهَّدْ مَا
يُصْلِحُ أُمُورَهُمْ . فَتَقَرَّ النِّعْمَةُ عَلَيْكَ وَتَسْتَوْجِبَ الزَّيْدَ مِنَ اللَّهِ وَكَنْتَ
بِذَلِكَ عَلَى حَيَاةٍ خَرَّاجِكَ وَجَمَعَ أَمْوَالَ رِعْيَتِكَ وَعَمَلِكَ أَقْدَرُ . وَكَانَ
الْجَمِيعُ لِمَا شَاءَ لَهُمْ مِنْ عَدْلِكَ وَإِحْسَانِكَ أَسْكَنَ لِبَطَاعَتِكَ وَأَطْيَبَ أَنْفُسًا
بِكُلِّ مَا أَرَدَتْ . وَاجْهَدْ نَفْسَكَ فِيمَا حَدَّثَتْ لَكَ فِي هَذَا الْبَابِ
وَلَتَعْظُمَ خَشْيَتُكَ فِيهِ وَإِنَّمَا يَبْقَى مِنَ الْمَالِ مَا أَنْفَقَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

وَأَيَّاكَ أَنْ تُنْسِيكَ الدُّنْيَا وَغُرُورَهَا أَهْلَ الْآخِرَةِ فَتَهَاوَنَ بِمَا يَحِقُّ عَلَيْكَ .
فَإِنَّ التَّهَاوُنَ يُورِثُ التَّقْرِيطَ وَالتَّقْرِيطُ يُورِثُ الْبُورَ . وَلَا تُخْقِرَنَّ ذَنْبًا
وَلَا تُمَالِئَنَّ حَاسِدًا وَلَا تَرْحَمَنَّ فَاجِرًا . وَلَا تُدَاهِنَنَّ عَدُوًّا وَلَا تُصَدِّقَنَّ
نَمَامًا وَلَا تُأْمَنَنَّ غَدَارًا . وَلَا تَأْتِيَنَّ مَذْحًا وَلَا تُشَيِّنَنَّ مَرَحًا . وَلَا تُغْمِضَنَّ
عَنْ ظَالِمٍ رَهْبَةً مِنْهُ أَوْ مُحَابَاةً وَلَا تَطْلُبَنَّ ثَوَابَ الْآخِرَةِ فِي الدُّنْيَا
وَأَعْلَمُ أَنَّكَ جُعِلْتَ بِوَلَايَتِكَ خَازِنًا وَحَافِظًا وَرَاعِيًا . وَإِنَّمَا سُمِّيَ
أَهْلُ عَمَلِكَ رَعِيَّتَكَ لِأَنَّكَ رَاعِيهِمْ وَقِيَمُهُمْ . تَأْخُذُ مِنْهُمْ مَا أُعْطَوْكَ مِنْ
عَفْوِهِمْ وَمَقْدَرَتِهِمْ وَتُعْذِدُ فِي قَوَامِ أَمْرِهِمْ وَصَلَاحِهِمْ وَتَقْوِيمِ أَوْدِهِمْ .
فَأَسْتَعْمَلُ عَلَيْهِمْ ذَا الرُّأْيِ وَالتَّدْبِيرِ وَالتَّجَرُّبَةِ وَالْحِكْمَةَ بِالْعَمَلِ وَالْعِلْمِ
بِالسِّيَاسَةِ وَالْعُقَافِ . وَوَسَّعَ عَلَيْهِمْ فِي الرِّزْقِ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ الْخُفُوقِ
الْأَلَرِمَةِ لَكَ فِيمَا تَقَلَّدْتَ وَأَسْنَدَ إِلَيْكَ . وَلَا يَشْغَلُكَ عَنْهُ شَاغِلٌ وَلَا
يَصْرِفُكَ عَنْهُ صَارِفٌ . فَإِنَّكَ مَتَى آثَرْتَهُ وَقَمْتَ فِيهِ بِالْوَاجِبِ
أَسْتَدْعَيْتَ بِهِ زِيَادَةَ النِّعْمَةِ مِنْ رَبِّكَ . وَحُسْنَ الْأَحْدُوثَةِ فِي عَمَلِكَ .
وَأَحْرَزْتَ بِهِ الْحُبَّةَ مِنْ رَعِيَّتِكَ وَأَعْنْتَ عَلَى الصَّلَاحِ . وَفَقَشْتَ الْعِمَارَةَ
بِنَاحِيَّتِكَ وَظَهَرَ الْخُصْبُ فِي كُورِكَ . وَكَثُرَ خَرَاجُكَ وَتَوَقَّرَتْ أَمْوَالُكَ .
وَقَوِيَ بِذَلِكَ عَلَى ارْتِبَاطِ جُنْدِكَ وَإِرْضَاءِ الْعَامَةِ بِإِفَاضَةِ الْمَطَاءِ
فِيهِمْ مِنْ نَفْسِكَ . وَكُنْتَ مُحْمُودَ السِّيَاسَةِ مَرْضِيَّ الْعَدْلِ فِي ذَلِكَ
عِنْدَ عَدُوِّكَ . وَكُنْتَ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا ذَا عَدْلٍ وَآلَةٍ وَقُوَّةٍ وَعُدَّةٍ .
فَنَافَسَ فِي ذَلِكَ وَلَا تُقَدِّمَ عَلَيْهِ شَيْئًا تَحْمَدُ فِيهِ مَغَبَّةَ أَمْرِكَ . وَاجْعَلْ

فِي كُلِّ كُورَةٍ مِنْ عَمَلِكَ أَمِينًا يُخْبِرُكَ أَخْبَارَ عَمَلِكَ وَيَكْتُبُ إِلَيْكَ
 بِسِيرَتِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ حَتَّى كَأَنَّكَ مَعَ كُلِّ عَامِلٍ فِي عَمَلِهِ مُعَايِنٌ لِأُمُورِهِ
 كُلِّهَا. فَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَأْمُرَهُمْ بِأَمْرٍ فَأَنْظُرْ فِي عَوَاقِبِ مَا أَرَدْتَ مِنْ
 ذَلِكَ. فَإِنْ رَأَيْتَ السَّلَامَةَ فِيهِ وَالْعَافِيَةَ وَرَجَوْتَ فِيهِ حُسْنَ الدِّقَاقِ
 وَالصُّنْعِ فَأَمُضِهِ. وَإِلَّا تَقَوَّفْ عَنْهُ وَرَاجِعْ أَهْلَ الْبَصَرِ وَالْعِلْمِ بِهِ.
 ثُمَّ خُذْ فِيهِ عِدَّتَهُ. فَإِنَّهُ رُبَّمَا نَظَرَ الرَّجُلُ فِي أَمْرٍ مِنْ أُمُورِهِ وَقَدْ
 أَتَاهُ عَلَى مَا يَهْوَى فَأَعْوَاهُ ذَلِكَ وَاعْجَبَهُ. فَإِنْ لَمْ يَنْظُرْ فِي عَوَاقِبِهِ
 أَهْلَكَهُ وَنَقِضَ عَلَيْهِ أَمْرَهُ. فَاسْتَعْمِلِ الْحَزْمَ فِي كُلِّ مَا أَرَدْتَ وَبَاشِرْهُ
 بَعْدَ عَوْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالْقُوَّةِ وَكَثِّرْ فِي اسْتِخَارَةِ رَبِّكَ فِي جَمِيعِ
 أُمُورِكَ. وَأَفْرِغْ مِنْ عَمَلِ يَوْمِكَ وَلَا تُؤَخِّرْهُ لِعَدِكَ وَكَثِّرْ مُبَاشَرَتَهُ
 بِنَفْسِكَ. فَإِنَّ لِلْعَدِ أُمُورًا وَحَادِثَ تُلْهِمُكَ عَنْ عَمَلِ يَوْمِكَ الَّذِي
 أَخَّرْتَ. وَاعْلَمْ أَنَّ الْيَوْمَ إِذَا مَضَى ذَهَبَ بِمَا فِيهِ وَإِذَا أَخَّرْتَ عَمَلَهُ
 اجْتَمَعَ عَلَيْكَ أُمُورُ يَوْمَيْنِ فَيُثْقِلُكَ ذَلِكَ حَتَّى تُعْرِضَ عَنْهُ. وَإِذَا
 أَمَضَيْتَ لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلَهُ أَرَحْتَ نَفْسَكَ وَبَدَنَكَ وَأَحْكَمْتَ أُمُورَ
 سُلْطَانِكَ. وَأَنْظُرْ أَحْرَارَ النَّاسِ وَذَوِي السِّنِّ مِنْهُمْ مِمَّنْ تَسْتَقِينُ
 صَفَاءَ طَوِيلَتِهِمْ وَشَهَدَتْ مَوَدَّتِهِمْ لَكَ وَمُظَاهَرَتِهِمْ بِالصُّنْعِ وَالْخَالِطَةِ
 عَلَى أَمْرِكَ. فَاسْتَخْلَصْهُمْ وَأَحْسِنْ إِلَيْهِمْ. وَتَعَاهَدِ أَهْلَ الْبُيُوتَاتِ مِمَّنْ
 قَدْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمُ الْحَاجَةُ فَاحْتَمَلْ مَوَاقِفَهُمْ وَأَصْلَحْ حَالَهُمْ حَتَّى لَا
 يَجِدُوا لِحَالَتِهِمْ مَسَاءً. وَأَفْرِدْ نَفْسَكَ بِالنَّظَرِ فِي أُمُورِ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ

وَمَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَى رَفْعِ مَظْلَمَةٍ إِلَيْكَ وَالْخُتْمُ الَّذِي لَا عِلْمَ لَهُ بِطَلَبِ
حَقِّهِ . فَسَلْ عَنْهُ أَحَقَّ مَسْأَلَةٍ وَوَكِّلْ بِأَمثَالِهِ أَهْلَ الصَّلَاحِ مِنْ رَعِيَّتِكَ .
وَبَرِّهِمْ بِرَفْعِ حَوَائِجِهِمْ وَحَالَاتِهِمْ إِلَيْكَ لِتَنْظُرَ فِيهَا بِمَا يُضِلُّهُ اللَّهُ بِهِ
أَمْرُهُمْ . وَتَعَاهِدَ ذَوِي الْبِئْسَاءِ وَأَيَاتَهُمْ وَأَرْامِلَهُمْ وَاجْعَلْ لَهُمْ أَرْزَاقًا
مِنْ بَيْتِ الْمَالِ أَقْدَاءَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَعَزَّهُ اللَّهُ فِي الْعُطْفِ عَلَيْهِمْ
وَالصَّلَةِ لَهُمْ . يُضِلُّهُ اللَّهُ بِذَلِكَ عَيْشَهُمْ وَيَرْزُقُكَ بِهِ بَرَكَهَ وَزِيَادَةَ
وَأَجْرٍ لِلْأَضْرَاءِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ . وَاعْرِفْ مَا تَجْمَعُ عَمَّا لَكَ مِنَ الْأَمْوَالِ
وَيُفْقُونَ مِنْهَا وَلَا تَجْمَعْ حَرَامًا وَلَا تُفِقْ إِسْرَافًا . وَكَثُرَ مُجَالَسَةُ الْعُلَمَاءِ
وَمُشَاوَرَتُهُمْ وَمُخَالَطَتُهُمْ . وَلَيْكُنْ هَوَاكَ اتِّبَاعُ السُّنَنِ وَإِقَامَتُهَا وَإِيَادَارَ
مَسْكَرِمِ الْأُمُورِ وَمَعَالِيهَا . وَلَيْكُنْ أَكْرَمُ دُخْلَانِكَ وَخَاصَّتِكَ عَلَيْكَ
مَنْ إِذَا رَأَى عَيْبًا فِيكَ لَمْ تَنْعُهُ هَيْئَتِكَ عَنْ إِنْهَاءِ ذَلِكَ إِلَيْكَ فِي سِرِّكَ
وَإِعْلَانِكَ مَا فِيهِ مِنَ النِّقْصِ . فَإِنْ أَوْلَيْكَ أَنْصَحَ أَوْلِيَائِكَ وَمُظَاهِرُونَ
لَكَ . وَانْظُرْ عَمَّا لَكَ الَّذِينَ يَحْضُرُوكَ وَكُتَابَكَ فَوْقَ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ
فِي كُلِّ يَوْمٍ وَقْتًا يَدْخُلُ فِيهِ عَلَيْكَ بِكُتُبِهِ وَمُؤَامَرَاتِهِ وَمَا عِنْدَهُ مِنْ
حَوَائِجِ عَمَّا لَكَ وَأُمُورِ كُورِكَ وَرَعِيَّتِكَ . ثُمَّ فَرِّغْ لِمَا يُورِدُهُ عَلَيْكَ مِنْ
ذَلِكَ سَمْعَكَ وَبَصَرَكَ وَفَهْمَكَ وَعَقْلَكَ . وَكَرِّرِ النَّظَرَ فِيهِ وَالتَّدْبِيرَ لَهُ . فَمَا
كَانَ مُوَافِقًا لِلْحَقِّ وَالْحَزْمِ فَأَمْضِهِ . وَمَا كَانَ مُخَالَفًا لَكَ فَأَصْرِفْهُ إِلَى
الْتِّبَتِ فِيهِ وَالْمَسْأَلَةِ عَنْهُ . وَلَا تَمْتَرْ عَلَى رَعِيَّتِكَ وَلَا غَيْرِهِمْ بِمَعْرِفِ
تَوْثِيهِ إِلَيْهِمْ وَلَا تَقْبَلْ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ إِلَّا الْوَفَاءَ وَالْإِسْتِقَامَةَ وَالْعَوْنَ فِي

أُمُورِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . وَلَا تَضَعَنَّ الْمَعْرُوفَ إِلَّا عَلَى ذَلِكَ . وَتَفْهَمُ كِتَابِي
إِلَيْكَ وَأَكْثَرَ النَّظَرِ فِيهِ وَالْعَمَلِ بِهِ . وَلَكِنْ أَعْظَمُ سِيرَتِكَ وَأَفْضَلُ
رَغْبَتِكَ مَا كَانَ لِلَّهِ رِضَى وَلِدِينِهِ نِظَامًا وَلِأَهْلِهِ عِزًّا وَتَمَكِينًا وَلِلذِمَّةِ
وَالْمِلَّةِ عَدْلًا وَصَلَاحًا . وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُجَسِّنَ عَوْنَكَ وَتَوْفِيقَكَ
وَرُشْدَكَ وَكَلَاءَتَكَ . وَالسَّلَامُ

(لابن الاثير)

وصية محمد الدكدجي لابنه

٩٨

زُرْ وَالِدَيْكَ وَقِفْ عَلَى قَبْرَيْهِمَا فَكَأَنِّي بِكَ قَدْ نَقَلْتُ إِلَيْهِمَا
لَوْ كُنْتُ حَيْثُ هُمَا وَكَأَنَا بِالْبَقَا زَارًا حَبْوًا لَا عَلَى قَدَمَيْهِمَا
مَا كَانَ ذَنْبُهُمَا إِلَيْكَ فَطَالَمَا
كَأَنَا إِذَا مَا أَبْصَرَا بِكَ عِلَّةً
كَأَنَا إِذَا سَمِعَا أَيْنِكَ أَسْبَلًا
وَتَمَنَّا لَوْ صَادَقَا بِكَ رَاحَةً
فَلَسَيْتَ حَقَّهُمَا عَشِيَّةً أَسْكَنَا
فَلَتَلَحَقَهُمَا غَدًا أَوْ بَعْدَهُ
وَلَتَنْدَمَنَّ عَلَى فِعَالِكَ مِثْلَ مَا
بُشْرَاكَ لَوْ قَدِمْتَ فِعَالًا صَالِحًا
فَأَحْفَظْ حِفْظَ وَصِيَّتِي وَأَعْمَلْ بِهَا
مِنْ شَعْرِ الْمُثُوبِ الْعَبْدِيِّ :

٩٩

لَا تَقُولَنَّ إِذَا مَا لَمْ تُرِدْ
أَنْ تُتِمَّ الْوَعْدَ فِي شَيْءٍ نَعَمْ

حَسَنُ قَوْلٍ نَعَمْ مِنْ بَعْدَ لَا
وَقَبِيحُ قَوْلٍ لَا بَعْدَ نَعَمْ
إِنَّ لَا بَعْدَ نَعَمْ فَاحْشَةُ
فِيْلَا فَبَدَأَ إِذَا خِفْتَ الدَّمَ
وَإِذَا قُلْتَ نَعَمْ فَاصْبِرْ لَهَا
بِنَجَازِ الْوَعْدِ إِنَّ الْخُلْفَ دَمٌ
اَكْرَمُ الْجَارِ وَرَاعِي حَقِّهِ
إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْ يَمْدُحُنِي
حِينَ يَلْقَانِي وَإِنْ غَبْتُ شَتَمَ

١٠٠ قَالَ يَزِيدُ بْنُ الْحَكَمِ الثَّقَفِيُّ يَعِظُ ابْنَهُ بَدْرًا:

يَا بَدْرُ وَالْأَمْثَالُ يَضْرِبُهَا الَّذِي أَلَبَّ الْحَكِيمُ
دُمُ اللَّحْلِيلِ بُوْدِهِ مَا خَيْرٌ وَدٍّ لَا يَدُومُ
وَأَعْرِفْ لَجَارِكَ حَقَّهُ وَالْحَقُّ يَعْرِفُهُ الْكَرِيمُ
وَأَعْلَمْ أَنَّ الضَّيْفَ يَوْمٌ مَا سَوْفَ يَحْمَدُ أَوْ يُلُومُ
وَالنَّاسُ مُبْتَلِيَانِ مُحَمَّدُ النَّبَايَةِ أَوْ ذَمِيمُ
وَأَعْلَمْ بَنِي فَإِنَّهُ بِالْعِلْمِ يَنْتَفِعُ الْعَلِيمُ
أَنَّ الْأُمُورَ دَقِيقُهَا مِمَّا يَهِيْجُ لَهُ الْعَظِيمُ
وَالْتَّبَلْ مِثْلَ الدِّينِ تَقْضَاهُ وَقَدْ يُلَوِّى الْغَرِيمُ
وَالْبَغْيُ يَضْرَعُ أَهْلَهُ وَالظُّلْمُ مَرْتَعُهُ وَخِيمُ
وَلَقَدْ يَكُونُ لَكَ الْبَعِيدُ أَخًا وَيَقْطَعُكَ الْحَمِيمُ
وَالْمَرْءُ يُكْرَمُ لِلْغَنَى وَيَهَانُ لِلْعَدَمِ الْعَدِيمُ
قَدْ يُفْتَرُ الْحَوْلُ اتَّقِ وَيَكْثُرُ الْحَقُّ الْأَثِيمُ
يَمْلَأُ لِدَاكَ وَيَبْتَلِي هَذَا فَأَيُّهُمَا الْمُضِيمُ

وَالْمَرْءُ يَبْخُلُ فِي الْحُقُوقِ وَلِلْكَالَةِ مَا يُسِيمُ
 مَا يُبْخُلُ مَنْ هُوَ لِلْمَنُورِ وَرَيْبَهَا غَرَضُ رَجِيمٍ
 وَيَرَى الْقُرُونِ أَمَامَهُ هَمْدُوا كَمَا هَمَدَ الْهَشِيمُ
 وَتَحَرَّبُ الدُّنْيَا فَلَا بُؤْسَ يَدُومُ وَلَا نَعِيمُ

نخبة من حكم أبي عثمان بن ليون التيجي

١٠١

زَاحِمٌ أُولَى الْعِلْمِ حَتَّى تُعَدَّ مِنْهُمْ حَقِيقَةً
 وَلَا يَرُدُّكَ عَجْزٌ عَنْ أَخْذِ أَعْلَى طَرِيقَةٍ
 فَإِنَّ مَنْ جَدَّ يُعْطَى فِيمَا يُحِبُّ لِحُوقَةٍ

الدَّرْسُ رَأْسُ الْعِلْمِ فَأَحْرِصْ عَلَيْهِ فَكُلُّ ذِي عِلْمٍ فَقِيرٌ إِلَيْهِ
 مَنْ صَيَّعَ الدَّرْسَ يَرَى هَازِيًا عِنْدَ أَعْتَبَارِ النَّاسِ مَا فِي يَدَيْهِ
 فَعِزَّةُ الْعَالَمِ مَنْ حَفِظَهُ كَعِزَّةِ الْمُنْفِقِ فِي مَا عَلَيْهِ

ثَلَاثٌ مُهِمَّاتٌ لَا مَحَالَةَ هَوَى نَفْسٍ يَقُودُ إِلَى الْبَطَالَةِ
 وَشُحٌّ لَا يَزَالُ يُطَاعُ دَابًّا وَعُجْبٌ ظَاهِرٌ فِي كُلِّ حَالَةٍ

أَخْوَكُ الَّذِي يَحْمِيكَ فِي الْغَيْبِ جَاهِدًا وَيَسْتُرُ مَا تَأْتِي مِنَ السُّوءِ وَالْقُبْحِ
 وَيَنْشُرُ مَا يَرْضِيكَ فِي النَّاسِ مُعَلَّنًا وَيُعْضِي وَلَا يَأْلُو مِنَ الْبِرِّ وَالنُّصْحِ

حَبِيبُكَ مَنْ يَغَارُ إِذَا زَلَلْتَ وَيُغْلِظُ فِي الْكَلَامِ مَتَى أَسَأْتَ
 يُسِرُّ إِنْ أَتَصَفْتَ بِكُلِّ فَضْلٍ وَيَحْزَنُ إِنْ نَقَصْتَ أَوْ انْتَقَصْتَ
 وَمَنْ لَا يَكْتَرِثُ بِكَ لَا يُبَالِي أَحَدٌ عَنِ الصَّوَابِ أَمْ أَعْتَدَلْتَ

مَنْ تَنَاسَى ذُنُوبَهُ قَتَلَتْهُ وَأَبَاتَ عَنْهُ الْوَلِيُّ الْحَمِيمَا
ذِكْرُكَ الذَّنْبَ نَفَرَةٌ عَنْهُ تُبْقِي لَكَ إِنكَارَ فِعْلِهِ مُسْتَدِيمَا

لَيْسَ النَّفْضُ يَا أَخِي أَنْ تُحْسِنَا لِأَخٍ يُجَازِي بِالْجَمِيلِ مِنَ الشَّنَا
إِنْ التَّفَضُّلُ أَنْ تُجَازِيَ مِنْ أَسَا لَكَ بِالْجَمِيلِ وَأَنْتَ عَنْهُ فِي غَنَى

مِنْ عَيْنِي الْمَرْءُ يَبْدُو مَا يَكْتُمُهُ حَتَّى يَكُونَ الَّذِي يَرَعَاهُ يَفْهَمُهُ
مَا يُضْمِرُ الْمَرْءُ يَبْدُو مِنْ شَمَائِلِهِ لِنَاطِرٍ فِيهِ يَهْدِيهِ تَوْشِيهِ

تَعْظِيمُكَ النَّاسَ تَعْظِيمُ لِنَفْسِكَ فِي قُلُوبِ الْأَعْدَاءِ طُرًّا وَالْأَوْدَاءِ
مَنْ عَظَّمَ النَّاسَ يَعْظُمُ فِي النَّفُوسِ بِلَا مَوْتَةٍ وَيَنْلُ عِزَّ الْأَعْزَاءِ

وَمُسْتَقْبَحٌ مِنْ أَخٍ خُلَّةٌ وَفِيهِ مَعَايِبُ تُسَرِّدُ
كَأَمِّي يُخَافُ عَلَى أَعْوَرٍ عَثَارًا وَعَنْ نَفْسِهِ يَفْعَلُ

خُذِ الْأُمُورَ بِرَفْقٍ وَاتَّسِدْ أَبَدًا إِيَّاكَ مِنْ مَجَلٍّ يَدْعُو إِلَى وَصَبِ
الرِّفْقُ أَحْسَنُ مَا تَوَقَّى الْأُمُورُ بِهِ يُصِيبُ ذُو الرِّفْقِ أَوْ يَنْجُو مِنَ الْعَطَبِ

إِنَّ الْمُسِيءَ إِذَا جَازَيْتَهُ أَبَدًا بِفِعْلِهِ زِدْتَهُ فِي غَيْهِ شَطَطًا
الْعَفْوُ أَحْسَنُ مَا يُجْزَى الْمُسِيءَ بِهِ يَهِنُهُ أَوْ يُرِيهِ أَنَّهُ سَقَطَا

سَرِيرَةُ الْمَرْءِ تُبْدِيهَا شَمَائِلُهُ حَتَّى يَرَى النَّاسُ مَا يُخْفِيهِ إِعْلَانًا
فَاجْعَلْ سَرِيرَتَكَ التَّقْوَى تَرَى أَمَلًا فِي كُلِّ مَا أَنْتَ تَبْغِيهِ وَبُرْهَانًا

تَبَّتْ بِالْأُمُورِ وَلَا تُبَادِرْ لَشَيْءٍ دُونَ مَا نَظَرٍ وَفَكْرٍ
قَبِيحٍ أَنْ تُبَادِرَ ثُمَّ تُحْطِي وَتَرْجِعَ لِتَتَبَّتْ دُونَ عَذْرِ

نخبة من حكم اوردها البستي في ديوانه

١٠٢

يَا مَنْ يُسَامِي أَلْعَلِّي عَفْوًا بِلَا تَعَبٍ هَيَّاتِ نَيْلُ أَلْعَلِّي عَفْوًا بِلَا تَعَبٍ
عَلَيْكَ بِالْجِدِّ إِنِّي لَمْ أَجِدْ أَحَدًا حَوَى نَصِيبَ أَلْعَلِّي مِنْ غَيْرِ مَا نَصَبِ

أَلْحَرْ فِي التَّحْقِيقِ مُعْتَقُ ذَاتِهِ مِنْ رِقِّ شَهْوَتِهِ وَمِنْ غَفَلَاتِهِ
وَمَنْ أَقْنَتِي مَا لَيْسَ يُمَكِّنُ غَضَبُهُ مِنْهُ وَوَقَّرَ جَاهِدًا حَسَنَاتِهِ
فَأَصَحَّ لَوْعَظِي وَأَتَنَفَّعَ بِنَصَائِحِي وَأَبْجَلُ بِلَايِ الْعُمَرِ قَبْلَ فَوَاتِهِ
وَأَمِتْ بِجَهْدِكَ قُوَّةَ الْغَضَبِ الَّذِي تَحْيَا الْبَصِيرَةُ وَالْتَقَى بِمَمَاتِهِ
وَعَلَيْكَ بِالْعَدْلِ الَّذِي هُوَ لَفَقَى إِنْ عُدَّتِ الْأَوْصَافُ خَيْرُ صِفَاتِهِ
وَأَعْلَمُ بَانَ مَرَارَةَ الْعَيْشِ الَّذِي يَأْتِي الْفَقَى فِي الْخَوْفِ مِنْ بَغَاتِهِ
وَالْمَرَّةُ لَيْسَ يَخَافُ مِنْ رَكْضَاتِهِ إِلَّا لَوْهِنَ دَبَّ فِي عَزَمَاتِهِ
أَنِّي يَخَافُ الْمَوْتَ حَيْثُ عَالَمٌ يَعْتَدُهُ فَضْلًا مُقَوِّمَ ذَاتِهِ
لَأَسِيًّا وَوَرَاءَ ذَلِكَ لَفَقَى عَيْشُ رَخَاءِ الْعَيْشِ فِي لَذَاتِهِ
مَنْ ظَنَّ أَنَّ فَنَاءَهُ مِنْ مَوْتِهِ فَأَعْلَمُ بَانَ فَنَاءَهُ بِحَيَاتِهِ

قُلْ لِلْفَقِيهِ مَقَالًا لَيْسَ يَعْدُمُ مِنْ حُلُولِ الْعِتَابِ وَمُرَّ الْعَتَبِ تَمْرِيحًا
إِذَا فَطَمَتْ أَمْرًا عَنْ عَادَةٍ قَدِمَتْ فَأَجْمَلُ لَهُ يَا عَقِيدَ الْفَضْلِ تَذْرِيجًا
وَلَا تُعَنَّفْ إِذَا قَوِّمْتَ ذَا عِوَجٍ قَرِيبًا أَعْقَبَ التَّقْوِيمُ تَعْوِيحًا

تَكَثَّرَتْ بِالْأَمْوَالِ جَهْلًا وَإِنَّمَا
فَأَنْتَ عَلَيْهَا خَافُ غَضَبٍ غَاصِبٍ
إِذَا نَامَتْ الْأَجْفَانُ بِتِّ مُكَابِدًا
فَهَلَّا أَقْتَنَيْتِ الْبَاقِيَاتِ الَّتِي لَهَا
فَضَائِلُ نَفْسَانِيَّةٍ لَيْسَ يَهْتَدِي
هِيَ الْعِلْمُ وَالْتَمَوَى هِيَ الْبَاسُ وَالْحَجَى

وَلِلْمَرْءِ أَضْدَادُ يُرْوَمُونَ قَسْرَهُ
فَإِنْ كَانَ ذَا خَيْرٍ جَفَاهُ شِرَارُهُمْ
وَلَيْسَ لَهُ مِنْهُمْ عَلَى حَالَةٍ بُدٌّ
وَإِنْ كَانَ شَرًّا فَالْخِيَارُ لَهُ ضِدٌّ

مَنْ صَادَمَ الدَّهْرَ مُغْتَرًّا بِقُوَّتِهِ
وَمَنْ يُبِيعُ قُرْنَاءَ السُّوءِ عِشْرَتَهُ
كَمْ مِنْ وَجُودٍ إِذَا اسْتَوْضَحَتْ صُورَتُهُ
وَكُلُّ ذِي شَرَفٍ لَوْلَا خَصَائِصُهُ
فَأَحْكُمْ عَلَيْهِ بِأَنَّ الدَّهْرَ قَدْ صَدَمَهُ
يَكُنْ قِصَارَاهُ مِنْ إِنْيَاسِهِمْ نَدَمَهُ
رَأَيْتَ أَشْرَفَ مِنْ مُحْصُولِهِ عَدَمَهُ
مِنْ الْفَضَائِلِ سَاوَى رَأْسِهِ قَدَمَهُ

نخبة من الرازي الشيخ السابوري

١٠٣

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْقَاهِرِ
مُدِيرِ الْخَلْقِ وَمُنْشِي الرِّزْقِ
هَذَا كِتَابُ جَامِعِ الْأَدَابِ
حَبْرَتُهُ بِمَنْطِقِي تَحْمِيرًا
أَوْدَعَتْهُ مَحَاسِنُ الْمَذَاهِبِ
الْوَاحِدِ الْقَرْدِ الْمَلِكِ الْقَادِرِ
ذِي الْمَنْ وَالطَّلُولِ إِلَهِ الْخَلْقِ
مُقْصَلُ مُنْتَظَمِ الْأَبْوَابِ
لَمْ أَلْ فِيهِ التَّصْحِحَ وَالتَّيْسِيرَ
فِي الرَّأْيِ وَالْعَقْلِ وَفِي التَّجَارِبِ

وَكُلَّ قَوْلٍ حَسَنٍ مُنْتَجِبٍ يُؤْتَرُ عَنْ أَهْلِ الْحُجَى وَالْأَدَبِ
وَمَا أَتَى مِنْ مَثَلٍ مَضْرُوبٍ مُسْتَمْلَحٍ مُسْتَطَرَفٍ غَرِيبٍ
يَزْدَادُ ذُو الْعِلْمِ إِذَا رَوَاهُ عِلْمًا إِلَى مُحَمَّدٍ مَا أَلْشَاهُ
وَيُنْجِيهِمُ الْمَغْلَلُ الْمَعْمُورُ حَتَّى تَرَاهُ أَرَبًا نَحْرِيْدَا
وَالْمَرْءُ لَنْ يَسْتَكْمَلَ الْأَدَابَا وَلَوْ يَعِيشُ سَلَامًا أَحْقَابَا
لِسِنَّهُ يَزْدَادُ فِي الْأَيَّامِ عِلْمًا بِنَقْصِ الْأَمْرِ وَالْإِبْرَامِ
وَأِنَّهُ يَزْدَادُ يَوْمًا يَوْمًا فِي دَهْرِهِ تَجَرِبَةً وَعِلْمًا

التجارب

١٠٤

وَأَفْطَنَ لِصَرْفِ الدَّهْرِ وَالْعَجَابِ فَإِنَّهُ لَا عِلْمَ كَالْتَجَارِبِ
كَفَاكَ مَنْ عَاشَرْتَ مِنْ إِخْوَانٍ مَعْرِفَةً بِصُورَةِ الزَّمَانِ
لَا تَحْمَدَنَّ قَبْلَ اخْتِبَارِ أَحَدَا بِحُلْبٍ مِنْ بَرَقِهِ إِذَا بَدَا
فَرُبَّمَا أَخْلَقَكَ الطَّرِيقُ بِالْأَمْعِ أَنْتَ بِهِ غَرِيبُ
إِنْ خِفْتَ مِنْ عَاقِبَةِ النَّدَامَةِ فَارْضَ مِنَ النَّوَالِ بِالسَّلَامَةِ
نَدَامَةُ الْمَرْءِ عَلَى التَّقْصِيرِ أَيْسَرُ مِنْ نَدَامَةِ التَّعْزِيرِ
وَطَالِبُ الْفَضْلِ مِنَ الْأَعْدَاءِ كَذِي غَلِيلٍ شَرِيقِ بَمَاءِ
وَأَتَهَزِ الْقُرْصَةَ إِمَّا مَرَّتْ فَرُبَّمَا طَلَبَتْهَا فَفَرَّتْ
وَالْأَمْرُ إِنْ أَعْيَا عَلَيْكَ مِنْ عِلٍّ فَاطْنَةُ قَبْلِ قُوَّتِهِ مِنْ أَسْفَلِ
مَنْ لَمْ يَعْظُهُ الدَّهْرُ بِالتَّجَارِبِ لَمْ يَتَّعِظْ يَوْمًا بِقَوْلِ صَاحِبِ
رُبَّ رَحَا دَارَتْ بَيْنَ يَلِيهَا تَطْحَنُ فِي الْحُرُوبِ مُرَكَّبِيهَا

مَنْ جَالَسَ الْأَعْدَاءَ وَالْحَسَادَا لَمْ يَعْدَمْ الْخُبَالَ وَالنَّفْسَادَا
وَوَحْدَةُ الْمَرْءِ بِلَا أَنْيَسٍ خَيْرٌ لَهُ مِنْ سَيِّئِ الْجَلِيسِ
نَاصِحٌ أَخَاكَ فِي الْمُلَمَّاتِ الْخَيْرُ وَكُنْ إِذَا نَاصَحْتَهُ عَلَى حَذَرٍ
إِذَا لَقِيتَ النَّاسَ بِالنَّصِيحَةِ فَوَظِنِ النَّفْسَ عَلَى الْقَضِيحَةِ
مَنْ صَدَقَ الصَّاحِبَ وَالرَّفِيقَا لَمْ يَدَعْ الصِّدْقُ لَهُ صَدِيقَا
مَنْ سَلَكَ الْقَصْدَ إِذَا مَا سَارَا فِي كُلِّ وَجْهِ أَمِنَ الْعِثَارَا

الصمت وحفظ اللسان

١٠٥

أَلَصَّمْتُ لِلْمَرْءِ حَلِيفُ السَّلَامِ وَشَهِدْتُ لَهُ بِفَضْلِ الْحُكْمِ
وَحَارِسُ مَنْ زَلَلَ اللِّسَانَ فِي الْقَوْلِ إِنْ عَيَّ عَنِ الْبَيَانِ
فَعُدَّ بِهِ مُعْتَصِمًا مِنَ الْخَطَا أَوْسَقَطُ يُفْرِطُ فِي مَا فَرَطَا
إِنَّ السُّكُوتَ يُعْقِبُ السَّلَامَةَ قُرْبَ قَوْلٍ يُورِثُ التَّدَامَةَ
إِسْتَبْدَلِ الْخُفْيَةَ مِنْ أَمَانِهِ مَنْ لَمْ يَكُنْ يَحْذَرُ مِنْ لِسَانِهِ
يَظَلُّ مَكْرُوبًا طَوِيلًا سَقَمُهُ مَنْ لَا يَزُمُ قَوْلُهُ وَيَخْطُمُهُ
مَنْ لَمْ يَكُنْ لِسَانُهُ مِنْ هَمِّهِ يَفْرَحُ بِهِ وَيَسْتَرَحُّ مِنْ غَمِّهِ
مِنْ أَحْمَدِ الْأَشْيَاءِ فِي الْإِنْسَانِ زِيَادَةُ الْعَقْلِ عَلَى اللِّسَانِ
إِسْرَافُ ذِي الْإِطْنَابِ فِي الْمَقَالِ أَضُرُّ مِنْ إِسْرَافِهِ فِي الْمَالِ
لَا شَيْءَ مِنْ جَوَارِحِ الْإِنْسَانِ أَحَقُّ بِالسَّجْنِ مِنَ اللِّسَانِ
إِنَّ اللِّسَانَ سَبْعُ عَشْرَ عَقُورُ إِنْ لَمْ يَسْسِهِ الرَّأْيُ وَالتَّدْبِيرُ
لَا تُطْلَقَنَّ الْقَوْلُ فِي غَيْرِ بَصَرٍ إِنَّ اللِّسَانَ غَيْرُ مَأْمُونٍ الضَّرَرُ

فَالْقَوْلُ مَا أَرْسَلْتُهُ عَلَى عَجَلٍ مُّوَكَّلٌ بِهِ الْعَثَارُ وَالزَّلَالُ
يَارُبَّ مُحْضٍ مِنَ الْمَقَالِ يَهِيحُ شَرًّا غَيْرَ مُسْتَقَالٍ
وَلَفْظَةٍ زَائِغَةٍ سَبِيلَهَا قَدْ سَلَبَتْ نِعْمَةً مَنْ يَقُولُهَا
لَا تُطْلَقَنَّ فِي مَجْلِسٍ مَقَالُهُ إِذَا مَضَتْ لَيْسَ لَهَا إِقَالُهُ

الصبر

١٠٦

وَالصَّبْرُ قَاعْلَمٌ مِنْ أَعَدَّ الْعُدَدِ عَلَى صُرُوفِ النَّائِبَاتِ الْعُودِ
فَاجْعَلُهُ إِنْ هُمْ أَلَمَ مَعْقِلًا وَاجْعَلُهُ عِنْدَ النَّائِبَاتِ مَوْتَلًا
فَالْدَّهْرُ لَا يَبْقَى عَلَى مِضْمَارٍ مُخْتَلِفُ الْإِقْبَالِ وَالْإِدْبَارِ
مَنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَ الْبَلَاءِ صَابِرًا سَلَامًا يَسْلُو الْبَهِيمَ صَاغِرًا
فَاصْبِرْ إِذَا مَا عَصَّكَ الزَّمَانُ فَكُلُّ يَوْمٍ لِلْمَلِكِ شَانُ
مَنْ يَعْصِمُ بِالصَّبْرِ عِنْدَ الْحَادِثِ فَالْحَبْلُ فِي يَدَيْهِ غَيْرُ نَاكِثٍ
إِذَا أَتَى مَا لَا تَطِيقُ دَفْعَهُ فَالصَّبْرُ أَوْلَى مَا أَقْتَنَيْتَ نَفْعَهُ
حُلُولُ مَا حَلَّ مِنَ الْبَلَاءِ كَالضَّيْفِ يَوْمًا حَلَّ فِي الْفَنَاءِ
فَاصْبِرْ لِضَيْفِي بَيْتٍ يَوْمًا نَزَلَا لَا يَلْبَثُ النَّازِلُ أَنْ يَرْتَحِلَا

صدق النطق

١٠٧

وَأَكْرَمُ الْأَدَابِ صَدَقُ الْمَنْطِقِ أَكْرَمُ بِهِ أَكْرَمُ بِهِ مِنْ خُلُقٍ
أَعْدَلُ شَاهِدٍ عَلَى الصَّلَاحِ أَقْرَبُ مِنْهَاجٍ إِلَى الْفَلَاحِ
شَرِيفٍ بِهِ أَخْلَاقُكَ الْكَرِيمَةِ أُسْرُ بِهِ حَالَاتِكَ الْذَمِيمَةِ
مَنْ صَدَقَ الْحَدِيثَ فِي الْمَقَالِ شَارَكَهُ الْمُتْرُونَ فِي الْأَمْوَالِ

وَالْكَذِبُ فَأَعْلَمَ أَفْطَحَ الْمَسَاوِي صَاحِبُهُ مُشْفٍ عَلَى الْمَهَاوِي
 مَنْ يَشْتَهَرُ يَوْمًا بِكَذِبِ الْمُنْطِقِ ثُمَّ أَتَى بِالْصِّدْقِ لَمْ يُصَدَّقْ
 مَنْ عَذَّبَ الْكَذِبُ عَلَى لِسَانِهِ فَالْصِّدْقُ لَيْسَ كَانِنًا مِنْ شَانِهِ
 وَلَكِنَّهُ الْمُنْطِقُ بِالْصَّوَابِ خَيْرٌ مِنَ الْإِفْصَاحِ بِالْكَذَابِ
 لَا تَعْصِينَ قَوْلَ ذَوِي التَّجَارِبِ لَا تَسْتَعِنَ فِي عَمَلٍ بِكَاذِبٍ

الكلام

١٠٨

وَأُنْزِعَ إِلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ فَإِنَّهَا مِنْ أَنْفَسِ الْأَعْلَاقِ
 تَحْمِيكَ مِنْ قَوَارِعِ الْمَلَامَةِ تَمْحُكَ الْإِعْزَازَ وَالْأَكْرَامَةَ
 أَزِينُ حِلْيَةٍ عَلَى الْإِنْسَانِ وَأَسْبَحُ الْأَنْصَارِ وَالْأَعْوَانِ
 فَأَرْحَلُ إِلَيْهَا طَالِبًا لِفَضْلِهَا وَأَسْمُ إِلَيْهَا رَاغِبًا فِي نَيْلِهَا
 فَإِنَّهَا تَمْحُكُ الْفَضَائِلَ حَمْدًا مِنَ النَّاسِ وَذُخْرًا أَجَلًا
 عَلَيْكَ مَا يُحْمَدُ مِنْ مَقَالٍ قَرَضَ عَلَيْهِ النَّفْسَ فِي الْأَعْمَالِ
 فِكُلُّ مَا أُسْتَحْيَتْ أَنْ يُقَالَ فِيكَ فَلَا تَجْتَنِبْهُ فِعَالًا
 عَلَيْكَ حُسْنُ الْبَشْرِ فِي الْأَقَاءِ فَإِنَّهُ مِنْ سَبَبِ الْإِخَاءِ
 يُرِي عَلَى صَاحِبِهِ قُبُولًا مِنَ الْوَرَى وَمَنْظَرًا جَمِيلًا
 يَهْدِي لَكَ الْإِجْلَالَ وَالْإِعْظَامَا يَذُودُ عَنْكَ اللَّهُمَّ وَالْمَلَامَا

١٠٩ القصيدة الزينية لصالح بن عبد القدوس وقيل لعلي بن أبي طالب
 صرمت حبالك بعد وصلك ريتب (*) والدَّهْرُ فِيهِ تَصْرُمُ وَتَقْلُبُ

(*) إنما أراد الشاعر بزيب هنا الدنيا وبالغنايات في البيت بعده ملذآنا

وَكَذَلِكَ وَصَلَ الْغَايَاتِ فَإِنَّهُ
فَدَعَ الصَّبَا فَلَقَدْ عَدَاكَ زَمَانُهُ
ذَهَبَ السَّابُّ فَمَا لَهُ مِنْ عَوْدَةٍ
دَعَاكَ مَا قَدَفَاتِ فِي زَمَنِ الصَّبَا
وَأَخْشَ مُنَاقَشَةَ الْحِسَابِ فَإِنَّهُ
وَاللَّيْلِ فَاعْلَمْ وَالنَّهَارِ كِلَاهُمَا
لَمْ يَنْسَهُ الْمَلَكُ أَنْ حِينَ نَسِيَتْهُ
وَالرُّوحُ فِيكَ وَدِيعَةُ أَوْدِعَتْهَا
وَعُرُورُ دُنْيَاكَ أَتَى تَسْمَى لَهَا
وَجَمِيعُ مَا حَصَلَتْهُ وَجَمَعَتْهُ
تَبَا لِدَارٍ لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا
فَأَسْمَعَ هَدِيَّتِ نَصَائِحًا أَوْلَا كَهَا
أَهْدَى النَّصِيحَةِ فَاتَّعَظَ بِعَقَالِهِ
لَا تَأْمَنِ الدَّهْرَ الْحَوُونَ لِأَنَّهُ
وَعَوَاقِبُ الْأَيَّامِ فِي غُصَاتِهَا
وَيَفُوزُ بِالْمَالِ الْحَقِيرُ مَكَانَهُ
وَيُبْشَى بِالترَّجِيبِ عِنْدَ قُدُومِهِ
فَاقْنَعْ فِي بَعْضِ الْقَنَاعَةِ رَاحَةً
لَا تَحْرِصَنَّ فَالْحِرْصُ لَيْسَ بِزَائِدٍ
وَكَذَلِكَ وَصَلَ الْغَايَاتِ فَإِنَّهُ
فَدَعَ الصَّبَا فَلَقَدْ عَدَاكَ زَمَانُهُ
ذَهَبَ السَّابُّ فَمَا لَهُ مِنْ عَوْدَةٍ
دَعَاكَ مَا قَدَفَاتِ فِي زَمَنِ الصَّبَا
وَأَخْشَ مُنَاقَشَةَ الْحِسَابِ فَإِنَّهُ
وَاللَّيْلِ فَاعْلَمْ وَالنَّهَارِ كِلَاهُمَا
لَمْ يَنْسَهُ الْمَلَكُ أَنْ حِينَ نَسِيَتْهُ
وَالرُّوحُ فِيكَ وَدِيعَةُ أَوْدِعَتْهَا
وَعُرُورُ دُنْيَاكَ أَتَى تَسْمَى لَهَا
وَجَمِيعُ مَا حَصَلَتْهُ وَجَمَعَتْهُ
تَبَا لِدَارٍ لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا
فَأَسْمَعَ هَدِيَّتِ نَصَائِحًا أَوْلَا كَهَا
أَهْدَى النَّصِيحَةِ فَاتَّعَظَ بِعَقَالِهِ
لَا تَأْمَنِ الدَّهْرَ الْحَوُونَ لِأَنَّهُ
وَعَوَاقِبُ الْأَيَّامِ فِي غُصَاتِهَا
وَيَفُوزُ بِالْمَالِ الْحَقِيرُ مَكَانَهُ
وَيُبْشَى بِالترَّجِيبِ عِنْدَ قُدُومِهِ
فَاقْنَعْ فِي بَعْضِ الْقَنَاعَةِ رَاحَةً
لَا تَحْرِصَنَّ فَالْحِرْصُ لَيْسَ بِزَائِدٍ

وَكَذَلِكَ وَصَلَ الْغَايَاتِ فَإِنَّهُ
فَدَعَ الصَّبَا فَلَقَدْ عَدَاكَ زَمَانُهُ
ذَهَبَ السَّابُّ فَمَا لَهُ مِنْ عَوْدَةٍ
دَعَاكَ مَا قَدَفَاتِ فِي زَمَنِ الصَّبَا
وَأَخْشَ مُنَاقَشَةَ الْحِسَابِ فَإِنَّهُ
وَاللَّيْلِ فَاعْلَمْ وَالنَّهَارِ كِلَاهُمَا
لَمْ يَنْسَهُ الْمَلَكُ أَنْ حِينَ نَسِيَتْهُ
وَالرُّوحُ فِيكَ وَدِيعَةُ أَوْدِعَتْهَا
وَعُرُورُ دُنْيَاكَ أَتَى تَسْمَى لَهَا
وَجَمِيعُ مَا حَصَلَتْهُ وَجَمَعَتْهُ
تَبَا لِدَارٍ لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا
فَأَسْمَعَ هَدِيَّتِ نَصَائِحًا أَوْلَا كَهَا
أَهْدَى النَّصِيحَةِ فَاتَّعَظَ بِعَقَالِهِ
لَا تَأْمَنِ الدَّهْرَ الْحَوُونَ لِأَنَّهُ
وَعَوَاقِبُ الْأَيَّامِ فِي غُصَاتِهَا
وَيَفُوزُ بِالْمَالِ الْحَقِيرُ مَكَانَهُ
وَيُبْشَى بِالترَّجِيبِ عِنْدَ قُدُومِهِ
فَاقْنَعْ فِي بَعْضِ الْقَنَاعَةِ رَاحَةً
لَا تَحْرِصَنَّ فَالْحِرْصُ لَيْسَ بِزَائِدٍ

كَمْ عَاجِزٍ فِي النَّاسِ يَأْتِي رِزْقُهُ
فَعَلَيْكَ تَقْوَى اللَّهِ فَالْزَمْهَا تَفُزْ
وَأَعْمَلْ بِطَاعَتِهِ تَمَلْ مِنْهُ الرِّضَا
وَأَرَعِ الْأَمَانَةَ وَالْحَيَانَةَ فَاجْتَنِبْ
وَأَحْذَرْ مِنَ الْمَظْلُومِ سَهْمًا صَابِئًا
وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْأَقَارِبِ كُلِّهِمْ
وَإِذَا بُلِيتَ بِنَكْبَةٍ فَاصْبِرْ لَهَا
وَإِذَا أَصَابَكَ فِي رَمَانِكَ شِدَّةٌ
فَادْعُ لِرَبِّكَ إِنَّهُ أَدْنَى لِمَنْ
وَأَحْذَرْ مُوَلَاةَ الدِّينِيِّ لِأَنَّهُ
وَأَخْتَرُ صَدِيقِكَ وَأَصْطَفِيهِ تَقَاخُرًا
وَدَعِ الْكَذُوبَ فَلَا يَكُنْ لَكَ صَاحِبًا
وَذَرِ الْحَقُودَ وَلَوْ صَفَا لَكَ مَرَّةً
إِنَّ الْحَقُودَ وَإِنْ تَقَادَمَ عَهْدُهُ
وَأَحْفَظِ لِسَانَكَ وَأَحْتَرِزْ مِنْ لَفْظِهِ
وَزِنْ الْكَلَامَ إِذَا نَطَقْتَ وَلَا تَكُنْ
وَالسِّرَّ فَالْكُفْمُ وَلَا تَنْطِقْ بِهِ
وَأَحْرِصْ عَلَى حِفْظِ الْقُلُوبِ مِنَ الْأَدَى
إِنَّ الْقُلُوبَ إِذَا تَنَافَرَتْ وَدَّهَا

رَعْدًا وَيُحْرِمُ كَيْسٌ وَيُجِيبُ
إِنَّ التَّقِيَّ هُوَ الْبَهِيُّ الْأَهْيَبُ
إِنَّ الْمُطِيعَ لِرَبِّهِ لِمُقَرَّبُ
وَأَعْدِلْ وَلَا تَظْلِمَ يَطِبُ لَكَ مَكْسَبُ
وَأَعْلَمْ بَأَنَّ دُعَاءَهُ لَا يُجِيبُ
بِتَذَلُّلٍ وَأَسْمَحَ لَهُمْ إِنْ أَذْنَبُوا
مَنْ ذَا رَأَيْتَ مُسْلِمًا لَا يُنْكِبُ
أَوْ نَالَكَ الْخُطْبُ الْكَرِيهَ الْأَصْعَبُ
يَدْعُوهُ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ وَأَقْرَبُ
يُعِدِّي كَمَا يُعِدِّي الْأَصْحِيحُ الْأَجْرَبُ
إِنَّ الْقَرِينَ إِلَى الْمُقَارِنِ يُنْسَبُ
إِنَّ الْكَذُوبَ يَشِينُ حُرًّا يَضْحَبُ
وَأَبْعَدُهُ عَنْ رُؤْيَاكَ لَا يُسْتَجَلَبُ
فَالْحَقْدُ بَاقٍ فِي الصُّدُورِ مُغِيبُ
فَالْمَرْءُ يَسْلَمُ بِاللِّسَانِ وَيَعْطَبُ
ثُرَاةً فِي كُلِّ نَادٍ تَخْطُبُ
فَهُوَ الْأَسِيرُ لَدَيْكَ إِذَا لَا يَنْشَبُ
فَرَجُوعُهَا بَعْدَ التَّنَافُرِ يَضْعَبُ
شِبْهُ الزُّجَاجَةِ كَسَرَهَا لَا يُشْعَبُ

وَأَحْذَرُ عَدُوِّكَ إِذَا تَرَاهُ بِاسْمًا
وَإِذَا الصَّدِيقَ رَأَيْتَهُ مُتَمَلِّقًا
لَا خَيْرَ فِي وَدِّ أَمْرِي مُتَمَلِّقٍ
يُعْطِيكَ مِنْ طَرَفِ اللِّسَانِ حَلَاوَةً
يَلْقَاكَ يَحْلِفُ أَنَّهُ بِكَ وَاثِقٌ
وَإِذَا رَأَيْتَ الرِّزْقَ عَزَّ بِلَدَةٍ
فَارْحَلْ فَارْضُ اللَّهُ وَاسِعَةً الْقَضَا
فَلَقَدْ نَصَحْتُكَ إِنْ قِيلَتْ نَصِيحَتِي
خُذْهَا إِلَيْكَ قَصِيدَةً مَنْظُومَةً
حِكْمٌ وَآدَابٌ وَجُلُّ مَوَاعِظٍ
فَاصْغِرْ لِمَوْعِظِ قَصِيدَةٍ أَوْ لَا كَهَا

لامية ابن الوردي

١١٠

إِعْتَرَلَ ذِكْرَ الْأَغَانِي وَالْفَرَزِ
وَدَعِ الذِّكْرَى لِأَيَّامِ الصَّبَا
وَأَتْرِكِ الْعَادَةَ لَا تَحْفَلِ بِهَا
وَأَفْتِكِرِي فِي مُتَهَيِّ حُسْنِ الَّذِي
وَأَهْجِرِ الْحُمْرَةَ إِنْ كُنْتَ فَتَى
وَأَتَّقِي اللَّهَ فَتَقْوَى اللَّهَ مَا
لَيْسَ مَنْ يَقْطَعُ طُرُقًا بَطَلًا
وَقُلِ الْقُصْلَ وَجَانِبَ مَنْ هَزَلَ
فَلَا يَأْمِ الصَّبَا تَجْمُ أَفْلُ
تُمْسِ فِي عِزِّ رَفِيعٍ وَتُجَلِّ
أَنْتِ تَهْوَاهُ تَجِدُ أَمْرًا جَلَلُ
كَيْفَ يَسْعَى فِي جُنُونٍ مَنْ عَقَلَ
جَاوَرَتْ قَلْبَ أَمْرِي إِلَّا وَصَلُ
إِنَّمَا مَنْ يَتَّبِعِ اللَّهَ الْبَطْلُ

كُتِبَ الْمَوْتُ عَلَى الْخَلْقِ فَكَمْ
أَيُّ نَمْرُودٍ وَكَنْعَانَ وَمَنْ
أَيُّ مَنْ سَادُوا وَشَادُوا وَبَنُوا
أَيُّ أَرْبَابِ الْحِجْيِ أَهْلُ النَّهْيِ
سَعِيدُ اللَّهِ كُلًّا مِنْهُمْ
أَيُّ نَبِيِّ اتَّعَمَ وَصَايَا جَمَعَتْ
أُطْلِبِ الْعِلْمَ وَلَا تَكْسَلْ فَمَا
وَأَحْتَقِلْ بِالْفَقْهِ فِي الدِّينِ وَلَا
وَأَهْجُرِ النَّوْمَ وَحَصَلَهُ فَمَنْ
لَا تَقُلْ قَدْ ذَهَبَتْ أَيَّامُهُ
فِي أُرْدِيَادِ الْعِلْمِ إِرْغَامُ الْعَدَى
جَمَلِ الْمُنْطِقِ بِالْخَوْفِ فَمَنْ
إِنْظِمِ الشَّعْرَ وَلَا زِمِ مَذْهَبِي
فَهُوَ عُنْوَانُ عَلَى الْفَضْلِ وَمَا
مُلْكُ كِسْرَى عَنْهُ تُغْنِي كِسْرَةُ
إِطْرَحِ الدُّنْيَا فَمَنْ عَادَاتِهَا
عِيشَةُ الرَّاغِبِ فِي تَخْضِيلِهَا
كَمْ جَهْلُ بَاتَ فِيهَا مُكْثَرًا
كَمْ شُجَاعٌ لَمْ يَلْ فِيهَا الْمُنَى
قُلْ مِنْ جَيْشٍ وَأَفْنَى مِنْ دَوْلٍ
مَلِكُ الْأَرْضِ وَوَلِيٌّ وَعَزَلٌ
هَلَكَ الْكُلُّ وَلَمْ تُغْنِ الْقُلُلُ
أَيُّ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْقَوْمِ الْأَوَّلِ
وَسَيَّزِي فَأَعْلَا مَا قَدْ فَعَلَ
حَكْمًا خُصَّتْ بِهَا خَيْرُ الْمَلَلِ
أَبْعَدُ الْخَيْرِ عَلَى أَهْلِ الْكَسَلِ
تَشْتَغِلْ عَنْهُ بِمَالٍ وَخَوْلٍ
يَعْرِفُ الْمَطْلُوبَ يَحْتَقِرُ مَا بَدَلُ
كُلُّ مَنْ سَارَ عَلَى الدَّرَبِ وَصَلَ
وَجَمَالَ الْعِلْمُ إِصْلَاحُ الْعَمَلِ
يُحْرَمُ الْإِعْرَابُ بِالنُّطْقِ اخْتَبَلُ
فِي أَطْرَاحِ الرَّفْدِ لَا تَبْغِ النَّحْلُ
أَحْسَنَ الشَّعْرِ إِذَا لَمْ يُبْتَدَلْ
وَعَنِ النَّجْرِ اجْتَرَأْ بِالْوُشَلِ
تُخَفِّضُ الْعَالِي وَتُعْلِي مَنْ سَقَلَ
عِيشَةُ الْجَاهِلِ فِيهَا أَوْ أَقَلُ
وَعَلِمَ مَاتَ مِنْهَا بِعَلَلٍ
وَجَبَانَ نَالَ غَايَاتِ الْأَمَلِ

فَاتْرِكِ الْحِيلَةَ فِيهَا وَاتَّكِلْ إِنَّمَا الْحِيلَةُ فِي تَرْكِ الْحِيلِ
لَا تَقُلْ أَصْلِي وَفَضْلِي أَبَدًا إِنَّمَا أَصْلُ الْفَقْرِ مَا قَدْ حَصَلَ
قَدْ يَسُودُ الْمَرْءُ مِنْ دُونِ أَبِي وَبِحَسَنِ السَّبَبِ قَدْ يُنْفَى الزَّعْلُ
إِنَّمَا الْوَرْدُ مِنَ الشَّوْكِ وَمَا يَنْبُتُ التَّرْجِسُ إِلَّا مِنْ بَصْلِ
قِيَمَةِ الْإِنْسَانِ مَا يُحْسِنُهُ أَكْثَرُ الْإِنْسَانِ مِنْهُ أَمَّ أَقْلُ
بَيْنَ تَبْذِيرٍ وَتُخْلِ رُبَّةٌ وَكَلَّا هَذَيْنِ إِنْ زَادَ قَتْلُ
لَيْسَ يَخْلُو الْمَرْءُ مِنْ ضِدِّ وَلَوْ حَاوَلَ الْعُرْلَةُ فِي رَأْسِ حَبَلٍ
دَارِ جَارِ السُّوءِ بِالصَّبْرِ وَإِنْ لَمْ تَجِدْ صَبْرًا فَمَا أَحْلَى النُّقْلُ
جَانِبِ السُّلْطَانِ وَأَحْذَرُ بَطْشِهِ لَا تُعَانِدْ مَنْ إِذَا قَالَ فَعَلْ
لَا تَلِ الْأَحْكَامَ إِنْ هُمْ سَأَلُوا رَغْبَةً فِيكَ وَخَافَ مِنْ عَدَلٍ
إِنَّ نِصْفَ النَّاسِ أَعْدَاءُ لِمَنْ قَصَرَ الْأَمَالَ فِي الدُّنْيَا تَفَرُّ
غِبْ وَزَرْ غِبًّا تَرُدُّ حُبًّا فَمَنْ قَدِيلُ الْعَقْلِ تَقْصِيرُ الْأَمَلِ
لَا يَضُرُّ الْقَضَلَ إِفْلَالُ كَمَا أَكْثَرَ التَّرْدَادَ أَضْنَاهُ الْمَلَلُ
خُذْ بِصَلِ السَّيْفِ وَاتْرِكْ غِمْدَهُ لَا يَضُرُّ الشَّمْسَ إِطْبَاقُ الطُّفْلِ
حُبُّكَ الْأَوْطَانَ عَجْزُ ظَاهِرُ وَاعْتَبِرْ فَضْلَ الْفَقْرِ دُونَ الْحُلِّ
فِيكَ الْمَاءُ يَبْقَى آسِنًا فَأَعْتَرَبْ تَلَقَّ عَنْ الْأَهْلِ بَدَلُ
وَسَرَى الْبَدْرِ بِهِ الْبَدْرُ اكْتَمَلَ وَسَرَى الْبَدْرِ بِهِ الْبَدْرُ اكْتَمَلَ

نونية ابي الفتح البستي

١١١

زِيَادَةُ الْمَرْءِ فِي دُنْيَاهُ نُقْصَانُ وَرَبُّهُ غَيْرَ مُخْضٍ الْخَيْرِ خُسْرَانُ

وَكُلُّ وَجْدَانٍ حَظٌّ لَا ثَبَاتَ لَهُ
يَا عَامِرًا لِحَرَابِ الدَّهْرِ مُجْتَهِدًا
وَيَا حَرِيصًا عَلَى الْأَمْوَالِ تَجْمَعُهَا
زِعَ الْفَوَادِ عَنِ الدُّنْيَا وَزُخْرُفِهَا
وَأَرَعَ سَمْعَكَ أَمْثَالًا أَفْضَلَهَا
أَحْسِنَ إِلَى النَّاسِ تَسْتَعْبِدُ قُلُوبَهُمْ
يَا خَادِمَ الْجِسْمِ كَمْ تَسْعَى لِحِدْمَتِهِ
أَقْبِلْ عَلَى النَّفْسِ وَاسْتَكْمِلْ قَضَائِلَهَا
وَكُنْ عَلَى الدَّهْرِ مَعُونًا لِذِي أَمَلٍ
وَأَشْدُدْ يَدَيْكَ بِحَبْلِ اللَّهِ مُعْتَصِمًا
مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُحْمَدْ فِي عَوَاقِبِهِ
مَنْ اسْتَعَانَ بِغَيْرِ اللَّهِ فِي طَلَبِ
مَنْ كَانَ لِلْخَيْرِ مَنَاعًا فَلَيْسَ لَهُ
مَنْ جَادَ بِالْمَالِ مَالِ النَّاسِ قَاطِبَةً
مَنْ سَأَلَ النَّاسَ يَسْلَمَ مِنْ غَوَائِلِهِمْ
مَنْ كَانَ لِلْعَقْلِ سُلْطَانٌ عَلَيْهِ غَدَا
مَنْ مَدَّ طَرَفًا بِفَرْطِ الْجَهْلِ مُخَوِّهَى
مَنْ اسْتَشَارَ صُرُوفَ الدَّهْرِ قَامَ لَهُ
مَنْ بَزَرَ الشَّرَّ يَخْصُدُ فِي عَوَاقِبِهِ

فَإِنَّ مَعْنَاهُ فِي التَّحْقِيقِ فَقْدَانُ
بِاللَّهِ هَلْ لِحَرَابِ الْعُذْرِ عُمُرَانُ
أَنْسَيْتَ أَنَّ سُرُورَ أَمْوَالٍ أَخْزَانُ
فَضَفَوْهَا كَدْرٌ وَالْوَصْلُ هَجْرَانُ
كَمَا يُفْصَلُ يَأْقُوتُ وَمَرْجَانُ
فَطَالَمَا اسْتَعْبَدَ الْإِنْسَانُ إِحْسَانُ
أَتَطْلُبُ الرِّيحَ فِي مَا فِيهِ خُسْرَانُ
فَأَنْتَ بِالنَّفْسِ لَا بِالْجِسْمِ إِنْسَانُ
يَرْجُو نَدَاكَ فَإِنَّ الْحَرْمَ مِعْوَانُ
فَإِنَّهُ الرُّكْنُ إِنْ خَاتَمَكَ أَرْكَانُ
وَيَكْفِيهِ شَرٌّ مِنْ عَزَا وَمِنْ هَانُوا
فَإِنَّ نَاصِرَهُ عَجْزٌ وَخِذْلَانُ
عَلَى الْحَقِيقَةِ إِخْوَانُ وَأَخْدَانُ
إِلَيْهِ وَالْأَمْوَالُ لِلْإِنْسَانِ فِتْنَانُ
وَعَاشَ وَهُوَ قَرِيرُ الْعَيْنِ جَذْلَانُ
وَمَا عَلَى نَفْسِهِ لِلْحَرَصِ سُلْطَانُ
أَغْضَى عَلَى الْحَقِّ يَوْمًا وَهُوَ خَيْرَانُ
عَلَى حَقِيقَةِ طَبْعِ الدَّهْرِ بُرْهَانُ
نَدَامَةً وَلِحَصْدِ الزَّرْعِ إِبَّانُ

مَنِ اسْتَنَامَ إِلَى الْأَشْرَارِ نَامَ وَفِي
 كُنْ رَيْقُ الْبَشَرِ إِنَّ الْحَرْهَمَةَ
 وَرَافِقُ الرَّفَقِ فِي كُلِّ الْأُمُورِ فَلَمْ
 وَلَا يَغْرُكَ حَظُّ جَرِّهِ خَرَقُ
 أَحْسَنَ إِذَا كَانَ إِمْكَانٌ وَمَقْدَرَةٌ
 فَأَلَوْ رَوْضُ يَزْدَانُ بِالْأَنْوَارِ وَاعْمَةٌ
 صُنْ حَرْ وَجْهَكَ لَا تَهْتِكْ غِلَالَتَهُ
 دَعِ التَّكَاسُلَ فِي الْخَيْرَاتِ تَطْلُبَهَا
 لَا ظِلَّ لِلْمَرْءِ يَعْرِى مِنْ نَهْيٍ وَتَقَى
 وَالنَّاسَ أَعْوَانَ مِنْ وَالَتِهِ دَوْلَتُهُ
 سَحَابٌ مِنْ غَيْرِ مَالٍ بَاقِلٌ حَصِرُ
 لَا تُودِعِ السِّرَّ وَشَاءَ بِهِ مَذَلًا
 لَا تَحْسِبِ النَّاسَ طَبْعًا وَاحِدًا فَلَهُمْ
 مَا كُلُّ مَاءٍ كَصَدَاءٍ لِوَارِدِهِ
 لَا تَخْدِشَنَّ بِمَطْلٍ وَجْهَ عَارِفَةٍ
 لَا تَسْتَشِرْ غَيْرَ نَذْبٍ حَازِمٍ يَقْظِ
 فَلَتَدَا بِيرُ فُرْسَانٍ إِذَا رَكَّضُوا
 وَلِلْأُمُورِ مَوَاقِيتُ مُقَدَّرَةٌ
 فَلَا تَكُنْ عَجَلًا فِي الْأَمْرِ تَطْلُبُهُ

قَمِيصِهِ مِنْهُمْ صَلِّ وَتَعْبَانُ
 صَحِيفَةٌ وَعَلَيْهَا الْبَشَرُ عُتُونُ
 يَنْدَمُ رَفِيقٌ وَلَمْ يَذْمُهُ إِنْسَانُ
 فَأَلْخَرَقُ هَدْمٌ وَرَفَقُ الْمَرْءِ بُنْيَانُ
 فَلَنْ يَدُومَ عَلَى الْإِحْسَانِ إِمْكَانُ
 وَالْحَرْ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ يَزْدَانُ
 فَكُلُّ حَرٍّ لِحَرِّ أَلْوَجْهِ صَوَانُ
 فَلَيْسَ يَسْعَدُ بِالْخَيْرَاتِ كَسَلَانُ
 وَإِنْ أَظْلَمَتْهُ أَوْرَاقُ وَأَفْنَانُ
 وَهُمْ عَلَيْهِ إِذَا عَادَتْهُ أَعْوَانُ
 وَبَاقِلٌ فِي ثَرَاءِ أَلْمَالِ سَحَابَانُ
 فَأَرَعَى غَنَمًا فِي الدَّوْرِ سِرْحَانُ
 غَرَايِزُ لَسْتَ تُحْصِيهِنَّ أَلْوَانُ
 نَعَمْ وَلَا كُلُّ نَبْتٍ فَهُوَ سَعْدَانُ
 فَالْبِرُّ يَخْدِشُهُ مَطْلٌ وَلَيَانُ
 قَدْ اسْتَوَى مِنْهُ إِسْرَارُ وَإِعْلَانُ
 فِيهَا أَبْرُوا كَمَا لِلْحَرْبِ فُرْسَانُ
 وَكُلُّ أَمْرٍ لَهُ حَدٌّ وَمِيزَانُ
 فَلَيْسَ يُحْمَدُ قَبْلَ التَّضَمُّجِ بُحْرَانُ

كُنْ مِنَ الْعَيْشِ مَا قَدَسَ مِنْ عَوَزٍ قَعِيهِ لِلْحَرِّ قُتَيَانُ وَغُنَيَانُ
وَذُو الْقَنَاعَةِ رَاضٍ مِنْ مَعِيشَتِهِ وَصَاحِبُ الْبُرْصِ إِنْ أَثَرَى فَفَضْبَانُ
إِذَا جَفَاكَ خَلِيلُ كُنْتَ تَأَلَّفُهُ فَاطْبُ سِوَاهُ فَكُلُّ النَّاسِ إِخْوَانُ
حَسْبُ أَهْلِي عَقْلُهُ خِلَا يُعَاشِرُهُ إِذَا تَحَامَاهُ إِخْوَانُ وَخِلَانُ
هَمَّا رَضِيعَا لِبَانِ حِكْمَةٍ وَتَقَى وَسَاكِنَا وَطَنِ مَالٍ وَطُغْيَانُ
إِذَا نَبَا بِكَرِيمٍ مَوْطِنُ فَلَهُ وَرَاءَهُ فِي بَسِيطِ الْأَرْضِ أَوْطَانُ
يَا ظَالِمًا فَرَحًا بِالْعِزِّ سَاعِدُهُ إِنْ كُنْتَ فِي سِنَةِ الْدَّهْرِ يُقْطَانُ
مَا اسْتَمَرَّ الظُّلْمُ لَوْ أَنْصَفْتَ آكِلُهُ وَهَلْ يَلِدُ مَذَاقُ الْمَرْءِ خُطْبَانُ
يَا أَيُّهَا الْعَالِمُ الْمَرْضِيُّ سِيرَتُهُ أَبْشِرْ وَأَنْتَ بَغَيْرِ الْمَاءِ رَيَانُ
وَيَا أَخَا الْجَهْلِ قَدْ أَصْبَحْتَ فِي الْحُجْجِ وَأَنْتَ مَا بَيْنَهَا لَا شَكَّ ظَنَانُ
لَا تَحْسَبَنَّ سُرُورًا دَائِمًا أَبَدًا مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءَتْهُ أَرْمَانُ
يَا رَافِلًا فِي السَّبَابِ الْوَحْفِ مُنْتَشِبًا مِنْ كُلِّهِ هَلْ أَصَابَ الرَّشْدَ نَشْوَانُ
لَا تَغْتَرِ بِسَبَابِ رَائِقِ خَضِلٍ فَكَمْ تَقَدَّمَ قَبْلَ الشَّيْبِ شُبَانُ
وَيَا أَخَا الشَّيْبِ لَوْ نَاصَحْتَ نَفْسَكَ لَمْ يَكُنْ لِنَفْسِكَ فِي الْإِسْرَافِ إِمْعَانُ
هَبِ الشَّيْبَةَ تُبْلِي عُذْرَ صَاحِبِهَا مَا عُذِرَ أَشْيَبُ يَسْتَهْوِيهِ شَيْطَانُ
كُلُّ الذُّنُوبِ فَإِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُهَا إِنْ شِيعَ الْمَرْءُ إِخْلَاصَ وَإِيمَانُ
وَكُلُّ كَسْرٍ فَإِنَّ الدِّينَ يُجْبِرُهُ وَمَا لِكَسْرِ قِتَاةِ الدِّينِ جَبْرَانُ
خُذْهَا سَوَارَ أَمْثَالٍ مُهَذَّبَةٍ فِيهَا لِمَنْ يَبْتَغِي التَّيْبَانَ تَيْمَانُ
مَا ضَرَّ حَسَانَهَا وَالطَّبْعُ صَانِعُهَا أَنْ لَمْ يَصْنَعْهَا قَرِيعُ الدَّهْرِ حَسَانُ

الباب الخامس في الامثال

امثال في معانٍ مختلفة جمعها ابن عبد ربّه في العقد الفريد (*)

١١٢ (فِي الصَّمْتِ) * الصَّمْتُ حُكْمٌ وَقَلِيلٌ فَاعِلُهُ * عِيٌّ صَامِتٌ
خَيْرٌ مِنْ عِيٍّ نَاطِقٍ * الصَّمْتُ يُكْسِبُ أَهْلَهُ الْمَحَبَّةَ * اسْتَكْثَرَ مِنْ
أَلْهِيَةِ الصَّمُوتِ * النَّدَمُ عَلَى السُّكُوتِ خَيْرٌ مِنَ النَّدَمِ عَلَى الْكَلَامِ *
(مَنْ أَصَابَ مَرَّةً وَأَخْطَأَ مَرَّةً) * شُخْبٌ فِي الْإِنَاءِ وَشُخْبٌ فِي
الْأَرْضِ ١ * يُشْبِجُ مَرَّةً وَيَأْسُو أُخْرَى * سَهْمٌ لَكَ وَسَهْمٌ عَلَيْكَ *
أُطْرُقِي وَمِيشِي ٢ * (إِنْ كَشَفُ الْأَمْرِ بَعْدَ اكْتِسَابِهِ) * حَصَصَ الْحَقُّ *
أَبْدَى الصَّرِيحَ عَنِ الرُّغْوَةِ * صَرَحَ الْمُخْضُ عَنْ الزُّبْدَةِ * أَفْرَخَ الْقَوْمُ
بِغِيْصَتِهِمْ ٣ * بَرَحَ الْحَقَاءُ وَكُشِفَ الْغَطَاءُ * (الدُّعَاءُ بِالْخَيْرِ) لِلْقَادِمِ
مِنْ سَفَرِهِ : خَيْرٌ جَاءَ وَرَدَّ فِي أَهْلِ وَمَالٍ ٤ * بَلَغَ اللَّهُ بِكَ أَكْلًا
الْعُمُرِ ٥ * نَعِمَ عَوْفُكَ ٦ * فِي الزَّوْاجِ : عَلَى يَدِ الْخَيْرِ وَآيَمِنَ *
بِالرِّفَاءِ وَالْبَيْنِ ٧ * هُنْتُ وَلَا تَنْكَدُ ٨ * هَوَتْ أُمُّهُ وَهَبَلَتْ

(*) اعلم من ما في الحاشية من الشروح كان متصلاً بالأمثال فقصناه عنها لانتظام السياق

- ١ شُبّه بالخالب الجاهل الذي يحب شخباً في الإناء وشخباً في الأرض
- ٢ أصله أَنْ يُمِطَلَ الوَبْرُ بالصوف . والمِطْرَاقُ العود الذي يُضْرَبُ به بين ما خُلِطَ
- ٣ أي أخرجوا فرختها . يريدون أظهروا سرهم
- ٤ أي أفضاه
- ٥ أي نعم بالك
- ٦ يريد بالرفاء الكثرة (كذا
- ٧ أي أصابك خير ولا أصابك ضرر
- ٨ في الاصل . يقال رفاؤه إذا دعوت له بالكثرة

أُمُّهُ ١ * (الدُّعَاءُ بِالشَّرِّ) * خَوَى نَجْمَهُ وَرَكَدَتْ رِيحُهُ * بَاخَ مَيْسَرَهُ
وَكَبَا جَوَادُهُ * خَمَدَ ضَرَامُهُ وَنَضَبَ مَأْوُهُ * إِنَّثَلَمَ رُكْنَهُ وَأَنَارَ جِرْفُهُ *
نَقَبَ خِفَّهُ وَدَمِنَ ظِلْفُهُ * رَغِمَ أَنْفُهُ وَخَرَّ سَقْمُهُ * غَارَ مَأْوُهُ وَسَقَطَ
بَهَاؤُهُ * قَرَعَ فَنَائُوهُ وَصَفَرَ إِنَائُوهُ * (رَمَى الرَّجُلُ غَيْرَهُ بِالْمُعْضَلَاتِ) *
رَمَاهُ بِأَفْحَافِ رَأْسِهِ * وَرَمَلَهُ بِثَالِثَةِ الْآثَانِي ٢ * أَلْعَصِيَّةُ وَالْأَفِيكَةُ ٣ *
كَأَنَّمَا أَفْرَعُ عَلَيْهِ ذُنُوبًا ٤ * (الْمَكْرُ وَالْحُلَا بَةُ) * قَتَلَ فِي ذُرْوَتِهِ ٥ *
ضَرَبَ أَخْمَاسًا لِأَسَدَاسٍ ٦ * وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ : الذَّبُّ يَأْدُو لِلْفَزَالِ ٧ *
(فِي الرَّجُلِ الْمُبْرِزِ فِي الْفَضْلِ) * مَا يُشَقُّ عُجَارُهُ ٨ * إِذَا جَرَى الْمُدَّكِي
حَسَرَتْ عَنْهُ الْحُمُرُ ٩ * جَرَى الْمُدَّكِيَاتِ غَلَاءً أَوْ غِلَابًا * لَبَسَتْ لَهُ هِمَّةُ
دُونِ الْغَايَةِ الْقُصْوَى * (الرَّجُلُ النَّبِيَهُ الذِّكْرُ) * مَا يُنْجَرُ فَلَانٌ فِي
أَلْعِيكُمُ ١٠ * مَا يَوْمُ حَلِيمَةٍ لَبِيسٍ ١١ * أَشْهَرُ مِنَ الْإِبْلَقِ * وَهَلْ

١ يدعون عليه وهم يريدون الحمد له . ونحوه إذا أحسن . قاتله الله وأخزاه الله . ومنه
قول امرئ القيس : ما له لأعد من نفره ٢ يُر يد قطعة من الخيل يُجعل الى جنبها
الثنان وتكون هي الثالثة ٣ إذا رماه بالبهتان ٤ إذا كلمه كلمة يسكتها بها
٥ أي خادعه حتى أزاله من رأيه . ويُروى عن الزبير حين سأل عائشة عن الخروج الى
البصرة فأبت عليه : فما زال يقتل في الذروة والغارب حتى أجابت
٦ يريدون المناكرة . وقال آخر :

إذا أراد امرؤ مكرًا جنى غِلَاءً وظل يضرب أخماساً لأسداسٍ
٧ أي يختله ليوقعه ٨ أصله السابق من الخيل ٩ أي كما يسبق الفرس
القارح الحمر ١٠ ألعكم الجوالق يريد أنه لا يخفى مكانه
١١ يضرب لكل أمر مشهور وكانت فيه وقعة مشهورة قُتِل فيها المنذر بن ماء السماء
فضربت مثلاً

يَخْفَى عَلَى النَّاسِ الْهَارُ. وَمِثْلُهُ: وَهَلْ يَخْفَى عَلَى النَّاطِرِ الصَّنْعُ *
 وَهَلْ يَجْهَلُ فُلَانًا إِلَّا مَنْ يَجْهَلُ الْقَمَرُ * (الرَّجُلُ الْعَزِيزُ يَغِزُّ بِهِ
 الذَّلِيلُ) * إِنَّ الْبَغَاثَ بِأَرْضِنَا يَسْتَنْسِرُ ١ * لِأَحْرَ بَوَادِي عَوْفٍ ٢ *
 تَمَرَّدَ مَارِدٌ وَعَزَّ الْأَبْلَقُ ٣ * مَنْ عَزَّزَ * مَنْ قَلَّ ذَلَّ * مَنْ أَمِرَ قَلَّ الْأَمْرُ
 أَيُّ كَثُرَ) * (الرَّجُلُ الصَّعْبُ) * فُلَانٌ أَلْوَى بَعِيدُ أَسْتَمَرَّ * مَا
 بَلَّغَتْ مِنْهُ بِأَفْوَقٍ نَاصِلٌ ٤ * مَا يُقَعِّعُ لِي بِالسَّنَانِ * مَا يُصْطَلَى بِنَارِهِ *
 مَا تُقَرَّنُ بِهِ الصَّعْبَةُ * (الرَّجُلُ الْعَالِمُ التَّخْوِيرُ) * إِنَّهُ لِنَقَابٍ وَإِنَّهُ
 لِعَضُّ ٥ * أَنَا جَذِلْتُهَا أُنْحَكُّ وَعَذِيَّتُهَا الْمَرْجَبُ ٦ * وَمِثْلُهُ: إِنَّهُ
 لَجَذَلٌ حِكَاكٍ * عَنِتَّهُ تَشْفِي الْجَرْبَ ٧ * لَظِي الْحِلْمِ قَبْلَ الْيَوْمِ مَا تُفْرَعُ
 الْعَصَا ٨ * إِنَّهُ لَا أَمِي ٩ * مَا حَكَّكَتُ قَرْحَةً إِلَّا أَدْمَيْتُهَا * الْأُمُورُ
 تَشَابَهَ مُقْبِلَةً وَتَظْهَرُ مُدْبِرَةً . وَلَا يَعْرِفُهَا مُقْبِلَةً إِلَّا الْعَالِمُ التَّخْوِيرُ .
 فَإِذَا أَدْبَرَتْ عَرَفَهَا الْجَاهِلُ وَالْعَالِمُ * (الرَّجُلُ الْمَجْرَبُ) * إِنَّهُ لَشَرَابٌ

١ أَلْبَغَاثُ صَفَارُ الطَّيْرِ تَسْتَنْسِرُ تَصِيرُ نَسُورًا ٢ يُرِيدُونَ عَوْفَ بَنِ تَحْلَمَ الشَّيْبَانِي وَكَانَ
 مَنِعًا ٣ مَارِدٌ حَصْنٌ بِدُومَةٍ وَالْأَبْلَقُ حَصْنُ السَّمَوَاتِ ٤ وَأَصْلُهُ السَّهْمُ الْمَكْسُورُ الْفَوْقَ
 السَّاقِطُ النَّصْلُ يَقُولُ: فَهَذَا لَيْسَ كَذَلِكَ ٥ النَّقَابُ الذِّكِيُّ وَالْعَضُّ الْعَالَمُ التَّخْوِيرُ
 ٦ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: الْجَذَلُ تَصْغِيرُ الْجَذَلِ . وَهُوَ عَوْدٌ يُصَبُّ لِلدَّلِيلِ الْجَرْبَاءُ تَحْتَكُ بِهِ مِنْ
 الْجَرْبِ فَأَرَادَ أَنْ رَأَيْهِ يُشْفِي بُوَ . وَالْمُدْبِقُ تَصْغِيرُ عَذْقٍ . وَالْعَذَقُ بِالْفَتْحِ الْخَلَّةُ نَفْسُهَا . فَإِذَا مَالَتْ
 الْخَلَّةُ الْكَرِيمَةَ بَنُوا مِنْ جَانِبِهَا الْمَائِلَ بِنَاءً مُرْتَفِعًا يَدْعُوهُ لَكِي لَا تَسْقُطَ ذَلِكَ التَّرْجِيْبُ . وَصَغَّرَهَا لِلدَّحِ
 ٧ وَالْعَنِتَّةُ شَيْءٌ يُعَالَجُ بِهِ الْإِبِلُ إِذَا جَرِبَتْ ٨ وَأَوَّلُ مَنْ فُرِعَتْ لَهُ الْعَصَا
 سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ الْكِنَانِيُّ . ثُمَّ فُرِعَتْ لِعَامِرِ بْنِ الطَّرِبِ الْعَدَوَانِيِّ . وَكَانَ حَكْمٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَكَبُرَ
 حَتَّى أَتَكَرَّعَتْ . فَقَالَ لَبْنِي: إِذَا أَنَا زَغْتُ فَقَوْمِي . وَكَانَ إِذَا زَاغَ فُرِعَتْ لَهُ الْعَصَا فَيَتْرَعُ
 عَنْ ذَلِكَ ٩ وَهُوَ الَّذِي يُصِيبُ بِالظَّنِّ

يَأْتِقُ ١ * إِنَّهُ لَحَرَّاجٌ وَلَاجٌ * حَلَبَ الدَّهْرَ أَشْطَرُهُ وَشَرِبَ أَفْوَيقَهُ ٢ *
 رَجُلٌ مُنْجَذٌ ٣ * أَوَّلُ لَغْزٍ وَأَخْرَقٌ * لَا تَغْزُ إِلَّا بِغْلَامٍ قَدْ غَزَا *
 زَاجِمٌ يَبُودُ أَوْ دَعٌ * أَلْعَوَانُ لَا تُعَلِّمُ الْحِمْرَةَ . وَقَالَتِ الْعَامَّةُ : الشَّارِبُ
 لَا يُضَهِّرُهُ * (أَلَا يُنْقَالُ مِنْ ذُلٍّ إِلَى عِزٍّ) * كُنْتُ كُرَاعًا فَصُرْتُ
 ذِرَاعًا * كُنْتُ عِزًّا فَاسْتَنْتَيْسَتْ * كُنْتُ بُغَانًا فَاسْتَسَرَّتْ * (إِعْجَابُ
 الرَّجُلِ بِأَهْلِهِ) * كُلُّ قَتَاةٍ بِابْنِهَا مُحِبَّةٌ * أَلْقَرْنِي فِي عَيْنِ أُمِّهَا حَسَنَةً *
 زَيْنٌ فِي عَيْنِ وَالِدٍ وَلَدُهُ * حَسَنٌ فِي كُلِّ عَيْنٍ مَنْ تَوَدُّ * (أَشْبَاهُ الرَّجُلِ
 بِأَبِيهِ) * مَنْ أَشْبَهَ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ * أَلْعَصِيَّةُ مِنَ الْعَصَا * مَا أَشْبَهَ حَجَلُ
 الْجِبَالِ بِالْوَانِ صَخْرَهَا * مَا أَشْبَهَ الْحَوْلُ بِالْقَبْلِ . وَمَا أَشْبَهَ اللَّيْلَةُ
 بِالْبَارِحَةِ * شَيْشَتُهُ أَعْرَفُهَا مِنْ أَخْزَمٍ ٤ * قَالَ زُهَيْرٌ :

وَهَلْ يُنْبِتُ الْحَطِيَّ إِلَّا وَشِيحُهُ وَتُعْرَسُ إِلَّا فِي مَنَابِتِهَا أُنْخَلُ
 وَمِنْهُ قَوْلُ الْعَامَّةِ : لَا تَلِدُ الدَّيْبَةُ إِلَّا ذَيْبًا * حَذُّو النُّعْلَ بِالنُّعْلِ
 وَحَذُّو الْقُدَّةَ بِالْقُدَّةِ ٥ * (الْحَلِيمُ) * إِذَا نَرَا الشَّرَّ فَاقْعُدْ ٦ * وَمِنْهُ .
 الْحَلِيمُ مَطِيَّةُ الْجَهُولِ * لَا يَنْتَصِفُ حَلِيمٌ مِنْ جَاهِلٍ * أَخِرَ الشَّرِّ فَإِنْ
 شِئْتَ تَجَلَّتْهُ . وَقَوْلُهُمْ فِي الْحَلِيمِ : إِنَّهُ كَوَاقِعِ الطَّيْرِ وَكَسَاكِنِ

١ أي معاود الخير والشر . ٢ أي اختبر من الدهر خيره وشره . فالشطر هو شطر الحلبة
 والفيقة اسم اللبن حين يمتنع في الضرع ما بين الحلبتين ٣ وهو الحروب . وأصله من
 التواجد يقال : قد عض على ناجذه إذا استحكم ٤ يقال هذا في الولد إذا كانت
 فيه طبيعة من أبيه ٥ والقُدَّة الريشة من ريش السهم تحدى على صاحبها
 ٦ أي فاحلهم ولا تسارع اليه

الزَّيْحُ * كَأَنَّمَا عَلَى رُؤُوسِهِمُ الطَّيْرُ * رَبَّمَا أَسْمِعْ فَأَذَرُ * حَلَمِي أَصَمُّ وَأَذِنِي
 غَيْرُ صَمَاءَ * (مُدَارَاةُ النَّاسِ) * إِذَا لَمْ تَغْلِبْ فَأَخْلِبْ ١ * وَقَوْلُهُمْ :
 إِلَّا حَظِيَّةٌ فَلَا أَلِيَّةَ ٢ * سُوءُ الْأَسْتِمْسَاكِ خَيْرٌ مِنْ حُسْنِ الصَّرْعَةِ *
 وَمِنْهُ قَوْلُ أَبِي الدَّرْدَاءِ : إِنَّا لَنَبِشُ فِي وُجُوهِ قَوْمٍ وَإِنْ قُلُوبُنَا لَتَنْفَرُ عَنْهُمْ *
 وَمِنْهُ قَوْلُهُ : بَشَرَارُ النَّاسِ مِنْ دَارَاهُ النَّاسُ لَشَرِّهِ * وَمِنْهُ قَوْلُ شَيْبِ بْنِ
 شَيْبَةَ فِي خَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ : لَيْسَ لَهُ صَدِيقٌ فِي السَّرِّ وَلَا عَدُوٌّ فِي
 الْعَلَانِيَةِ . يَرِيدُ أَنَّ النَّاسَ يُدَارُونَ لَشَرِّهِ وَقُلُوبُ النَّاسِ تُبْغِضُهُ *
 (الْإِسْتِعْدَادُ لِلْأَمْرِ قَبْلَ تَزْوُلِهِ) * قَبْلَ الرَّمْيِ يُرَاشُ السَّهْمُ * قَبْلَ
 الرَّمَاةِ تَمْلَأُ الْكُنَائِنُ * خُذِ الْأَمْرَ بِقَوَائِلِهِ ٣ * شَرُّ الرَّأْيِ الدَّيْرِيُّ *
 الْحَاجِزَةُ قَبْلَ الْمُنَاجَزَةِ * التَّقَدُّمُ قَبْلَ النُّزُولِ * يَا عَاقِدُ أَذْكَرُ حَلًّا *
 خَيْرُ الْأُمُورِ أَحْمَدُهَا مَغَبَّةٌ * لَيْسَ الدَّهْرُ بِصَاحِبٍ مَنْ لَمْ يَنْظُرْ فِي
 الْعَوَاقِبِ * (حُسْنُ التَّدْبِيرِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْحَرْقِ) * الرِّفْقُ يَمُنُّ
 وَالْحَرْقُ سُومٌ * رَبُّ أَكَلَةٍ تَحْرِمُ أَكَلَاتِ * قَلْبُ الْأَمْرِ ظَهْرًا
 لِبَطْنِ * وَجْهُ الْحَجَرِ وَجْهَةٌ مَا * وَلِ حَارَّهَا مَنْ تَوَلَّى قَارَهَا * (الْأَمْرُ
 الشَّدِيدُ الْمُعْضِلُ) * أَظْلَمَ عَلَيْهِ يَوْمُهُ * وَأَيْنَ يَضَعُ الْمُخْنُوقُ يَدَهُ * لَوْ
 كَانَ ذَا حِيلَةٍ تَحُولُ * رَأَى الْكُوكَبَ ظَهْرًا . قَالَ طَرَفَةُ : وَتَرِيهِ
 النِّجْمَ يَجْرِي بِالظُّهْرِ * (هَلَاكُ الْقَوْمِ) * طَارَتْ بِهِ الْعُنُقَاءُ . وَطَارَتْ

١ يقول : إذا لم تغلب فدار والطف

تقصير . وألا يالو ويأتلي وهو التقصير

٢ معناه إن لم يكن حظوة فلا

٣ أي بلسنقالبه قبل أن يدير

بِهِمْ عِقَابٌ مَلَاعٍ ١ * وَالْمَنَايَا عَلَى الْحَوَايَا ٢ * أَتَتْهُمْ الدُّهْمُ تَرْمِي
بِالرَّصْفِ ٣ * وَهَذَا أَمْرٌ لَا يُنَادَى وَلَيْدُهُ ٤ * اِلْتَقَتْ حَقَّتَا الْبَطَانِ *
وَبَلَغَ السَّيْلُ الزُّبْيَ وَجَاوَزَ الْحَزَامُ الطَّيْبِينَ * وَتَقُولُ الْعَامَّةُ: بَلَغَ السَّكِينُ
الْعَظْمَ * (أَلَيْسُ وَالْحَيْبَةُ) * مَنْ لِي بِالسَّائِحِ بَعْدَ الْبَارِحِ ٥ * جَاءَ
بُخْفِي حَيْنَ * أَطَالَ الْغَيْبَةَ وَجَاءَ بِالْحَيَّةِ * وَنَظِيرُهُ: سَكَتَ أَلْفًا وَنَطَقَ
خَلْقًا ٧ * (أَلْظَلُمُ تَرْجِعُ عَاقِبَتُهُ عَلَى صَاحِبِهِ) * مَنْ حَفَرَ مَغْوَةً وَقَعَ
فِيهَا ٨ * يَدْعُو عَلَى كُلِّ أَمْرٍ مَا يَأْتِرُ * عَادَ الرُّمِّي عَلَى النَّزْعَةِ ٩ *
وَتَقُولُ الْعَامَّةُ: كَأَلْبَاحِثٍ عَنْ مُدْيَةٍ * رُمِيَ بِمَجْرِهِ وَقَتِلَ بِسِلَاحِهِ *
(نَفَى الْمَالِ عَنِ الرَّجُلِ) * مَا لَهُ سَعْنَةٌ وَلَا مَعْنَةٌ ١٠ * مَا لَهُ هِلَعٌ وَلَا
هَلْمَةٌ ١١ * مَا لَهُ هَارِبٌ وَلَا قَارِبٌ ١٢ * مَا لَهُ عَافِظَةٌ وَلَا نَافِظَةٌ ١٣ *

١ يُقَالُ ذَلِكَ فِي الْوَاحِدِ وَالْجَمْعِ . وَأَحْسِبُهَا مَعْدُولَةً عَنْ مَلِيعٍ ٢ قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : الْحَوَايَا فِي
هَذَا الْمَوْضِعِ مَرْكَبٌ مِنْ مَرَاكِبِ النِّسَاءِ وَاحِدَتُهَا حَوِيَّةٌ . وَأَحْسِبُ أَصْلَهَا أَنْ قَوْمًا قَتَلُوا فَحْمَلُوا
عَلَى الْحَوَايَا فَصَارَتْ مَثَلًا ٣ مَعْنَاهُ الدَّاهِيَةُ الْعَظِيمَةُ ٤ مَعْنَاهُ أَنْ الْأَمْرَ اشْتَدَّ حَتَّى
ذَهَلَتِ الْمَرْأَةُ أَنْ تَدْعُو وَلَيْدَهَا ٥ أَيُّ مَنْ لِي بِالْيَمَنِ بَعْدَ الشُّؤْمِ
٦ قَالَ الشَّاعِرُ :

وَمَا زِلْتُ أَقْطَعُ عَرْضَ الْبِلَادِ مِنْ الْمَشْرِقِينَ إِلَى الْمَغْرِبِينَ
وَأَدْرُعُ الْخَوْفَ تَحْتَ الدُّجَى وَأَسْتَصْحِبُ النِّسْرَ وَالْفَرْقَدِينَ
وَأَطْوِي وَأَشْرُوبُ الْحُمُومَ إِلَى أَنْ رَجَعْتُ بِبُخْفِي حَيْنَ

٧ أَيُّ اطَّالَ السَّكُوتُ وَتَكَلَّمَ بِالْقَبِيحِ . وَهَذَا الْمَثَلُ يَقَعُ فِي بَابِ الْعِيِّ وَلَهُ هُنَا وَجْهٌ أَيْضًا
٨ وَالْمَغَاظَةُ الْبَيْرُ يُخْفَرُ لِلذَّنَابِ وَيُجْعَلُ فِيهَا جَدِي لِيَسْقُطَ الذَّنْبُ فِيهَا لِيَصِيدَهُ فَيُصَادُ
٩ وَهِيَ الرَّمَاةُ يَرْجِعُ عَلَيْهِمْ رَمِيمٌ
١٠ مَعْنَاهُ لَا شَيْءَ لَهُ
١١ وَهِيَ الْجَدْيُ وَالْعَنَاقُ ١٢ مَعْنَاهُ لَيْسَ لَهُ أَحَدٌ يَهْرَبُ مِنْهُ وَلَا أَحَدٌ يَقْرُبُ إِلَيْهِ فَيَلِيسُ لَهُ
شَيْءٌ ١٣ وَهِيَ الضَّائِئَةُ وَالْمَاغِزَةُ

مَا بِهِ نَبَضٌ وَلَا حَبْضٌ ١ * مَا لَهُ سَبْدٌ وَلَا لَبْدٌ ٢ * (إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي
 الدَّارِ أَحَدٌ) * مَا بِالْدارِ دُعْوِيٌّ وَلَا يَهَا دُعِيٌّ ٣ * وَمَا يَهَا مِنْ غَرِيبٍ .
 وَلَا يَهَا دُورِيٌّ وَلَا طُورِيٌّ . وَمَا يَهَا وَاتِرٌ وَمَا يَهَا صَافِرٌ . وَمَا يَهَا دِيَّارٌ وَمَا
 يَهَا نَافِخٌ ضَرْمَةٌ . وَمَا يَهَا إِرْمٌ ٤ * (إِسْتَجْهَالُ الرَّجُلِ وَنَفْيُ الْعِلْمِ) *
 مَا يَعْرِفُ الْحَوْثُ مِنَ اللَّوِ . وَمَا يَعْرِفُ الْحَيُّ مِنَ اللَّيِّ . وَلَا هَرِيرٌ مِنْ غَرِيرٍ .
 وَلَا قَيْلٌ مِنْ دَبِيرٍ * وَمَا يَعْرِفُ أَيُّ طَرَفِهِ أَطْوَلُ وَأَكْبَرُ * وَمَا يَعْرِفُ
 مَنْ يَهْرُهُ مِنْ يَبْرِهِ * وَأَيُّ طَرَفِهِ أَطْوَلُ أَنْسَبُ أَيُّهُ أَمْ نَسَبُ أُمِّهِ

١١٣ هذه أبيات ذهبت مذهب الامثال واكثرها للمتني وللجوري

إِنْعَمَ وَلَدٌ فَلِلْأُمُورِ أَوَّخِرُ أَبَدًا كَمَا كَانَتْ لَهْنٌ أَوَّائِلُ
 إِذَا غَامَرْتَ فِي شَرَفِ مَرُومٍ فَلَا تَقْنَعْ بِمَا دُونَ النُّجُومِ
 إِذَا ائْتَدَا أَلْفَتِي خَوْضَ الْمُنَايَا فَاهْوَنُ مَا يَمُرُّ بِهِ الْوُحُولُ
 إِنَّ السَّلَاحَ جَمِيعُ النَّاسِ تَحْمِلُهُ وَلَيْسَ كُلُّ ذَوَاتِ الْغُلْبِ السَّبْعُ
 الْعَبْدُ لَيْسَ لِحُرٍّ صَالِحٌ بِأَخٍ لَوْ أَنَّهُ فِي ثِيَابِ الْحُرِّ مَوْلُودُ
 إِذَا اسْتَبَبَكَ دُمُوعٌ فِي خُدُودٍ تَبَيَّنَ مِنْ بَكْيٍ مِمَّنْ تَبَاكَى
 إِنَّ الْكِرَامَ إِذَا مَا أَلْسَرُوا ذَكَرُوا مَنْ كَانَ يَأْتُهُمْ فِي الْمَنْزِلِ الْحُسْنِ

١ قال الأصمعي: النبض والحبض في الوتر. والنبض تحرك الوتر والحبض صوته وقال:
 والنبل جوي نبضاً وحبضاً ٢ ٥ الشعر والصوف ٣ معناه ما جاء من يدعو ومن
 يدب ٤ معنى هذا كله ما جاء أحد. ولا يقال منها شيء في الإثبات
 ٥ والقبيل ما أقبلت به من والإيجاب وإنما يقولونها في النبي والحمد
 قبل الجبل والدبير ما أدبرت به منه

إِنَّ الزَّرَازِيرَ لَمَّا قَامَ قَائِمُهَا
 إِنْ كُنْتَ تَطْلُبُ عِزًّا فَادْرِعْ تَعَبًا
 أَيَا حَجَرَ الشُّخْدِ حَتَّى مَتَى
 إِذَا لَمْ يُعِنْ قَوْلُ النَّصِيحِ قَبُولُ
 إِذَا مَا أَجْرَحَ رُمٌّ عَلَى فَسَادِ
 إِذَا اللَّهُ لَمْ يَحْرُسْكَ مِمَّا تَخَافُهُ
 إِذَا نُدِبُوا لِلْقَوْلِ قَالُوا فَأَحْسِنُوا
 إِنْ السَّمَاءُ إِذَا لَمْ تَبْكِ مَقْلَتَهَا
 بَذَا قَضَتْ الْأَيَّامَ مَا بَيْنَ أَهْلِهَا
 تَرِيدِينَ إِدْرَاكَ الْمَعَالِي رَخِيصَةً
 صَدِيقُ عَدُوِّي دَاخِلٌ فِي عَدَاوَتِي
 فَلَا حَدِيقَتَهُمْ يُجْنِي لَهَا ثَمْرُ
 قَدْ تَنَكَّرَ الْعَيْنُ ضَوْءُ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدٍ
 كَرِيشَةٍ بِهَبِّ الرِّيحِ سَاقِطَةٍ
 كَبُرَ بِلَا نَسَبٍ تَيْهٌ بِلَا حَسَبٍ
 لَمْ أَرَدْ الطَّيْرَ عَنْ شَجَرِ
 لَا خَيْرَ فِي حُسْنِ الْجُسُومِ وَطُولِهَا
 لَا تَقْطَعَنَّ ذَنْبَ الْأَفْعَى وَرُسُلَهَا
 لَهُ خَلَائِقُ بِيضٌ لَا يُغَيِّرُهَا

تَوَهَّمَتْ أَنَّهَا صَارَتْ شَوَاهِنَا
 أَوْفَارُضَ بِالذَّلِّ وَأَخْتَرِ رَاحَةَ الْبَدَنِ
 تَسْنُ الْحَدِيدَ وَلَا تَقْطَعُ
 فَكُلْ مَعَارِيضَ الْكَلَامِ فُضُولُ
 تَبَيَّنَ فِيهِ تَفْرِيطُ الطَّيِّبِ
 فَلَا السَّيْفُ قَطَاعٌ وَلَا الدَّرْعُ مَانِعُ
 وَلَكِنَّ حُسْنَ الْقَوْلِ خَالَفَهُ الْفِعْلُ
 لَمْ تَضْحَكِ الْأَرْضُ عَنْ شَيْءٍ مِنَ الزَّهْرِ
 مَصَائِبُ قَوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ فَوَائِدُ
 وَلَا بَدْدُونَ الشَّهَدِ مِنْ إِبْرِ النَّخْلِ
 وَإِنِّي لِمَنْ وَدَّ الصَّدِيقَ وَدَّودُ
 وَلَا سَمَاوَهُمْ تَهَلُّ بِالْدِّيمِ
 وَيُنْكِرُ الْقَمَّ طَعْمُ الْمَاءِ مِنْ سَقَمِ
 لَا تَسْتَقِرُّ عَلَى حَالٍ مِنَ الْقَلَقِ
 فَخَرُّ بِلَا آدَبٍ هَذَا مِنْ الْعَجَبِ
 قَدْ بَلَوْتُ الْمَرْءَ مِنْ ثَمَرِهِ
 إِنْ لَمْ يَزِنْ حُسْنَ الْجُسُومِ عُقُولُ
 إِنْ كُنْتَ شَهْمًا فَاتَّبِعْ رَأْسَهَا الذَّنْبَا
 صَرَفَ الزَّمَانَ كَمَا لَا يَصْدَأُ الذَّهَبُ

مَا كُلُّ مَنْ طَلَبَ الْعَالِي نَافِذًا
 مَا الَّذِي عِنْدَهُ تُدَارُ النَّمَايَا
 مَا أَنْتَ أَوَّلَ سَلَوِ غَرَهُ قَرُّ
 مَا إِنْ يَضُرُّ الْعُضْبَ كَوْنُ قِرَابِهِ
 وَكَيْفَ يَبِيتُ مُضْطَجِعًا جَبَانُ
 وَمَا الْحَسَنُ فِي وَجْهِهِ أَلْفَى شَرَفُهُ
 وَمَا فِي سَطْوَةِ الْأَرْبَابِ عَيْبُ
 وَمَا الْحِدَاثَةُ عَنْ حِلْمٍ بِمَانَعَةٍ
 وَمَا مَنَزَلُ اللَّذَاتِ عِنْدِي بِمَنَزَلٍ
 وَمَا كُلُّ نَاوٍ لِلْجَمِيلِ بِفَاعِلٍ
 وَمَا الْخَلِيلُ إِلَّا كَالصَّدِيقِ قَلِيلُهُ
 وَكُلُّ أَمْرٍ يُؤَلِّي الْجَمِيلَ مُحِبُّ
 وَمَنْ يَجِدُ الطَّرِيقَ إِلَى الْعَالِي
 وَأَسْتَكْبِرُ الْأَخْبَارَ قَبْلَ لِقَائِهِ
 وَمَنْ نَكَدَ الدُّنْيَا عَلَى الْخُرْآنِ يَرَى
 وَمَنْ أَلْبَايَةَ عَذْلٍ مِنْ لَا يَرْغَوِي
 وَمَنْ الْعُدَاوَةَ مَا يَبَالُكَ نَفْعُهُ
 وَكُلُّ يَرَى طَرُقَ الشَّجَاعَةِ وَالنَّدَى
 وَرُبَّ كَيْبٍ لَيْسَ تَنْدَى جُهُونُهُ
 فِيهَا وَلَا كُلُّ الرِّجَالِ فُحُولًا
 كَالَّذِي عِنْدَهُ تُدَارُ النَّمُولُ
 وَرَأَيْدُ أَعْجَبَتْهُ خُضْرَةُ الدِّمَنِ
 خَلَقًا وَلَا الْبَازِي حَقَارَةُ عُشِّهِ
 فَرَشَتْ لَجْنِهِ شَوْكَ الْقَتَادِ
 إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي فِعْلِهِ وَالْخَلَائِقِ
 وَلَا فِي زَلَّةِ الْعُبْدَانِ عَارُ
 قَدْ يُوجَدُ الْحِلْمُ فِي الشُّبَّانِ وَالشَّيْبِ
 إِذَا لَمْ أُنْجَلْ عِنْدَهُ وَأَكْرَمِ
 وَلَا كُلُّ فَعَالٍ لَهُ يُتَمِّمُ
 وَإِنْ كَثُرَتْ فِي عَيْنٍ مَنْ لَا يَجْرِبُ
 وَكُلُّ مَكَانٍ يُنْبِتُ الْعِزَّ طَيْبُ
 فَلَا يَذُرُ الْمُطْيَى بِلَا سَنَامِ
 فَلَمَّا التَّقِينَا صَغَرَ الْخُبْرُ الْخُبْرُ
 عَدُوًّا لَهُ مَا مِنْ صَدَاقَتِهِ بَدُ
 عَنْ جَهْلِهِ وَخَطَابُ مَنْ لَا يَفْهَمُ
 وَمَنْ الصَّدَاقَةُ مَا يَضُرُّ وَيُؤْلَمُ
 وَلَكِنْ طَبَعَ النَّفْسِ لِلنَّفْسِ قَائِدُ
 وَرُبَّ كَثِيرِ الدَّمْعِ غَيْرِ كَيْبِ

وَفِي تَعَبٍ مِّنْ يَّجِدُ الشَّمْسُ ضَوْءَهَا
وَإِنْ كَانَ ذَنْبِي كُلُّ ذَنْبٍ فَإِنَّهُ
وَإِطْرَاقُ طَرْفِ الْعَيْنِ لَيْسَ بِنَافِعٍ
وَكُلُّ أَمْرٍ يَوْمًا سَيَعْرِفُ سَعْيَهُ
وَقَدْ نَجَّ الْكَلْبُ السَّحَابَ وَدُونَهَا
وَمَنْ يَأْمَنِ الدُّنْيَا يَكُنْ مِثْلَ قَابِضٍ
وَوَضَعَ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالْعُلَى
وَمَا أَنْتَفَاعُ أَخِي الدُّنْيَا بِنَظَرِهِ
وَهَلْ يَدْعِي اللَّيْلُ الدَّجُوجِيَّ أَنَّهُ
وَلَا تَشِمُ كُلَّ خَالٍ لَّاحَ بَارِقُهُ
وَالنَّارُ فِي أَحْجَارِهَا مَخْبُوءَةٌ
وَالْهَمُّ يَحْتَرِمُ الْجَسِيمَ خُحَاةً
وَمَنْ يَشُدُّ الرُّكْبَانَ عَنْ كُلِّ غَالِبٍ
وَأَوَّلُ مَا يَكُونُ اللَّيْلُ شِبْلًا
وَالنَّجْمُ تَسْتَضِئُ الْبَصَارُ صُورَتَهُ
وَكَمْ مُضْمِرٌ بُغْضًا يُرِيكَ حَبَّةً
وَمَا كُلُّ أَزْهَارِ الرِّيَاضِ أَرْجِيحَةٌ
وَمَا كُلُّ مَنْ هَزَّ الْحُسَامَ بِضَارِبٍ
وَمَا كُلُّ وَحْشٍ تَرَى ضَيْغَمًا

وَيَجْهَدُ أَنْ يَأْتِيَ لَهَا بِضَرْبٍ
عَمَّا الذَّنْبُ كُلُّ الْخَوْ مِنْ جَاءٍ تَأْتِيَا
إِذَا كَانَ طَرْفُ الْقَلْبِ لَيْسَ بِطَرْقٍ
إِذَا حَصَاتِ عِنْدَ الْإِلَهِ الْحَصَائِلُ
مَهَامُهُ تَغْشَى نَظْرَةَ الْمُتَأَمِّلِ
عَلَى الْمَاءِ خَاتَمُهُ فُرُوجُ الْأَصَابِعِ
مُضِرُّ كَوْضَعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى
إِذَا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ الْأَنْوَارُ وَالظُّلُمُ
تَضِيءُ ضِيَاءُ الشَّمْسِ شُهْبُ ظَلَامِهِ
وَلَوْ تَرَأَى هَيُونَ السَّكْبِ تَحْجَا جَا
لَا تَلْطِئِي إِنْ لَمْ تُثْرِهَا الْأَزْنُدُ
وَيُشِيبُ نَاصِيَةَ الصَّبِيِّ وَهَيْرُمُ
فَلَا بُدَّ أَنْ يُفْقِيَ بَشِيرًا وَنَاعِيًا
وَمَبْدَأُ طَاعَةِ الْقَدَرِ الْهَلَالُ
وَالذَّنْبُ لِلطَّرْفِ لَا لِلنَّجْمِ فِي الصَّغَرِ
وَفِي الرُّنْدِنَارِ وَهُوَ فِي اللَّحْسِ بَارِدُ
وَلَا كُلُّ أَطْيَارِ الْفَلَاحِ تَتَرَنَّمُ
وَلَا كُلُّ مَنْ أَجْرَى الْيَرَاعَ بِكَاتِبٍ
وَلَا كُلُّ عُودٍ يُسَمَّى عَفَارًا

يُخْفِي الْعِدَاةَ وَهِيَ غَيْرُ خَفِيَّةٍ نَظَرُ الْعَدُوِّ بِمَا أَسَرَ يَبُوحُ
يَا جُلَّ مَا بَعْدَتْ عَلَيْكَ بِلَادُنَا وَطَلَابُنَا فَارَعُدْ بِأَرْضِكَ وَأَبْرِقْ
يَمْرُوعِي وَعِيدُ الظَّالِمِينَ بِسَمْعِهِ كَمَا طَنَّ فِي لَوْحِ الْجَيْنِ ذُبَابُ
يَلْقَاكَ وَالْعَسَلُ الْمُصْفَى يُجْتَنَى مِنْ قَوْلِهِ وَمِنْ أَلْفَعَالِ الْعَلَقَمِ

نخبة من تغريد الصالح لابن حجة الحموي

١١٤

مَنْ عَرَفَ اللَّهَ أَزَالَ أُلْثَمَهُ وَقَالَ كُلُّ فِعْلِهِ لِلْحُكْمَةِ
وَمَنْ أَغَاثَ الْبَائِسَ الْمَلْهُوفَا أَغَاثَهُ اللَّهُ إِذَا أَخِيفَا
فَإِنَّ مِنْ خَلَائِقِ الْكِرَامِ رَحْمَةً ذِي الْبَلَاءِ وَالْأَسْقَامِ
وَإِنَّ مِنْ شَرَائِطِ الْعُلُوِّ أَلْعُطْفَ فِي الْبُؤْسِ عَلَى الْعَدُوِّ
لَا تَغْتَرَّ بِالْحِفْظِ وَالسَّلَامَةِ فَإِنَّمَا الْحَيَاةُ كَالْمُدَامَةِ
وَالْعُمْرُ مِثْلُ الْكَاسِ وَالْدَّهْرُ الْقَدَرُ وَالصَّفْوَلَا بَدَلُهُ مِنَ الْكَدَرِ
فَإِنَّمَا الرِّجَالُ بِالْإِخْوَانِ وَالْيَدُ بِالسَّاعِدِ وَالْبَنَانِ
وَمَوْجِبُ الصَّدَاقَةِ الْمُسَاعَدَةُ وَمُقْتَضَى الْمَوَدَّةِ الْمُعَاذَةُ
وَإِنْ رَأَيْتَ النَّصْرَ قَدْ لَاحَ لَكَ فَلَا تُقْصِرْ وَاحْتَرِزْ أَنْ تَهْلِكََا
وَأَضْعَفُ الْمُلُوكِ طَرًّا عَقْدَا مَنْ غَرَّهُ السَّلَامُ فَأَقْصَى الْجُدَا
لَا تَيَاسَّنْ مِنْ فَرْجٍ وَلُطْفٍ وَقُوَّةٍ تَظْهَرُ بَعْدَ ضَعْفِ
تَسَالُ بِالرَّفَقِ وَبِالتَّائِي مَا لَمْ تَسَلْ بِالْحِرْصِ وَالتَّعْنِي
لَا خَيْرَ فِي جَسَامَةِ الْأَجْسَامِ بَلْ هُوَ فِي الْعُقُولِ وَالْأَفْهَامِ
لَا تَحْتَقِرْ شَيْئًا صَغِيرًا مُحْتَقِرٌ فَرُبَّمَا أَسَالَتْ الدَّمَ الْإِيْرَ

كَمْ حَسَنَ ظَاهِرُهُ قَبِيحُ وَسَمِجٍ عَنْوَانُهُ مَلِيحُ
فَالْعَاقِلُ الْكَامِلُ فِي الرِّجَالِ لَا يَنْثَنِي لِرُخْفِ الْمَقَالِ
مَا طَابَ قَرَعُ أَصْلِهِ خَيْثُ وَلَا زَكَا مِنْ مَجْدِهِ حَدِيثُ
وَالْبَغْيُ فَأَحْذَرُهُ وَخِيمُ الْمَرْتَعِ وَالْعَجَبُ فَاتْرُكْهُ شَدِيدُ الْمَصْرَعِ
وَالْعُدْرُ بِالْعَهْدِ قَبِيحٌ جِدًّا شَرُّ الْوَرَى مَنْ لَيْسَ يَرْعَى الْعَهْدَا

من قصيدة الي العتاهية المثلية

١١٥

إِنَّ الشَّبَابَ وَالْفَرَاغَ وَالْجِدَّةَ مَفْسَدَةٌ لِلْمَرْءِ أَيُّ مَفْسَدَةٍ
يُغْنِيكَ عَنْ كُلِّ قَبِيحٍ تَرْكُهُ يَرْتَمِنُ الرَّأْيُ الْأَصِيلَ شَكُّهُ
مَا عَيْشُ مَنْ آفَتْهُ بَقَاؤُهُ نَقَصَ عَيْشًا كُلَّهُ فَنَاوُهُ
يَارَبَّ مَنْ أَسْخَطْنَا بِمُجْهِدِهِ قَدْ سَرَّنَا اللَّهُ بِغَيْرِ حَمْدِهِ
مَا تَطَلَّعَ الشَّمْسُ وَلَا تَغَيَّبَ إِلَّا لِأَمْرِ شَانِهِ عَجِبُ
لِكُلِّ شَيْءٍ مَعْدِنٌ وَجَوْهَرُ وَأَوْسَطُ وَأَصْغَرُ وَأَكْبَرُ
وَكُلُّ شَيْءٍ لِأَحَقِّ بِجَوْهَرِهِ أَصْغَرُهُ مُتَّصِلُ بِأَكْبَرِهِ
مَنْ لَكَ بِالْمُخْضِ وَكُلُّ مُمْتَرِجٍ وَسَاوِسُ فِي الصَّدْرِ مِنْهُ تَحْتَلِجُ
الْخَيْرُ وَالشَّرُّ هُمَا أَزْوَاجُ لَذَا نِتَاجُ وَلَذَا نِتَاجُ
مَنْ لَكَ بِالْمُخْضِ وَلَيْسَ مُخْضُ يَجِبُ بَعْضُ وَيَطِيبُ بَعْضُ
وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ إِذَا مَا عُدَا بَيْنَهُمَا بَوْنٌ بَعِيدٌ جِدًّا
عَجِبْتُ حَتَّى عَمِنِي السُّكُوتُ صَرْتُ كَأَنِّي حَارٍ مَبْهُوتُ
كَذَا قَضَى اللَّهُ فَكَيْفَ أَصْنَعُ أَلْقَمْتُ إِنْ ضَاقَ الْكَلَامُ أَوْسَعُ

الباب السادس في الأمثال والشارات

الملك المتري

١١٦ ذَكَرَ الْحُكَمَاءُ . وَذَوُوا الْفَضْلِ مِنَ الْعُلَمَاءِ . أَنَّهُ كَانَ فِي
بَعْضِ الْأَمْصَارِ . تَاجِرٌ مِنْ أَعْيَانِ التِّجَارِ . وَكَانَ لَهُ غُلَامٌ مَخَايِلُ السَّعَادَةِ
مِنْ جَبِينِهِ لَانْحَةِ . وَرَوَانِحُ النَّجَابَةِ مِنْ أَذْيَالِ شِمَالِهِ فَائِحَةٌ . فَأَوْسَقَ
لَهُ أَبُوهُ مَرْكَبًا مِنَ الْمَتَاجِرِ وَالْمَنَافِعِ . وَأَخَذَ فِي تَعْيِيَةِ الْبَضَائِعِ . وَسَلَّمَهُ
إِلَى الْهَوَاءِ وَالْمَاءِ . بَعْدَ أَنْ تَوَكَّلَ عَلَى رَبِّ السَّمَاءِ . فَسَارَ بَعْضَ أَيَّامٍ .
وَهُوَ فِي أَهْنَاءِ مَرَامٍ . وَأَطْيَبِ عَيْشٍ وَمَقَامٍ . الْمَاءُ رَائِقٌ . وَالْهَوَاءُ
مُوَافِقٌ . وَالنَّكَدُ مُفَارِقٌ . وَالسُّرُورُ مُرَافِقٌ . وَبَيْنَمَا السَّفِينَةُ مِنْ
نَسْفِ الْعَوَاصِفِ أَمِينَةٌ . تُجَارِي السَّهْمَ وَالطَّيْرَ . وَتُبَارِي الدَّهْمَ فِي
السَّيْرِ . وَإِذَا بِالرِّيَّاحِ هَاجَتِ . وَالْأَمْوَاجِ مَاجَتِ . وَأَثْبَاجُ الْبَحْرِ
تَصَادَمَتْ . وَأَطْوَادُ الْأَمْوَاجِ عَلَى الْعُرْفَاءِ تَلَاظَمَتْ . فَجَمَزَ ذَلِكَ الْمَلَّاحُ
وَتَرَكَ شَيْمَةَ الْوَقَارِ وَالسَّكِينَةِ . وَرَقِمَ نَقْشُ الْحُرُوفِ فِي الْوَاحِ
السَّفِينَةَ . فَشَاهَدُوا مِنْ الْهَوَاءِ الْأَهْوَالَ . وَغَدَا قَاعُ الْبَحْرِ كَالْجِبَالِ .
وَصَارَ طَائِرُ ذَلِكَ الْغُرَابِ يَمُنْ فِيهِ مِنَ الْأَعْجَابِ . كَأَحْوَالِ
الدُّنْيَا بَيْنَ صُغُودٍ وَهَبُوطٍ . وَقِيَامٍ وَسُقُوطٍ . طَوْرًا يُسَامُونَ . الْأَفْلَاكَ
وَيَتَاجُونَ الْأَمْلَاقَ . وَطَوْرًا يَهْبُطُونَ الْغُورَ . وَيَنْظُرُونَ قَرْنَ الثَّوْرِ .

وَرُبَّمَا مَرَقُوا مِنْهُ مِنْ تَحْتِ الزُّورِ . فَلَمْ يَزَالُوا عَاجِزِينَ حَيَارَى سَكَارَى
وَمَا هُمْ بِسُكَارَى يَتَنَاشِدُونَ :

وَفَلَكَ رَكْبَاهُ وَالْبَحْرُ ذُو هَوَاءٍ فَشَارَ وَحَارَ وَمَارَا
فَطُورًا عَلَوْنَا السَّمَاءَ وَطُورًا رُمِينَا إِلَى الْأَرْضِ مِنْهَا نُحْدَارَا
وَأَخِرَ الْأَمْرِ نَسَفَتِ السَّفِينَةُ الرِّيحَ وَأَوْعَرَ اللَّهُ سَهْلَهَا . وَخَرَقَهَا
فَأَغْرَقَهَا وَأَهْلَهَا . وَذَهَبَ الْبَحْرُ بِأَمْوَالِهَا وَأَرْوَاحِهَا . وَتَعَلَّقَ الْغُلَامُ
بِلَوْحٍ مِنَ الْوُحَايَا . وَاسْتَمَرَّ تَقْدِيفُهُ الْأَمْوَاجُ . وَتَضَطَّيْمُهُ بِهَ أَشْبَاحُ
الْبَحْرِ الْهَيَّاجِ . إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى سَاحِلٍ . فَخَرَجَ وَهُوَ كَيْبٌ نَاحِلٌ .
وَصَعِدَ إِلَى جَزِيرَةٍ . فَوَاكَيْهَا غَزِيرَةٌ . وَوَضَعَهَا عَجِيبٌ . لَيْسَ بِهَا دَاعٍ
وَلَا مُجِيبٌ . فَجَعَلَ يَمْشِي فِي جَنَاتِهَا إِلَى أَنْ آدَاهُ التَّوْفِيقُ . إِلَى فَمِ
طَرِيقٍ . فَسَارَ فِي تِلْكَ الْجَادَةِ . وَهَدَايَةُ اللَّهِ لَهُ مَادَّةٌ . فَأَنْتَهَى بِهِ
الْمَسِيرُ . إِلَى أَنْ تَرَأَى لَهُ سَوَادٌ كَبِيرٌ . وَبَلَغَ مَمْلَكَةً عَظِيمَةً . وَوِلَايَةً
جَسِيمَةً . وَرَأَى عَلَى بُعْدِ مَدِينَةٍ . مُسَوَّرَةً حَصِينَةً . فَعَمِدَ إِلَى ذَلِكَ
الْبَلَدِ . وَتَوَجَّهَ نَحْوَهُ وَقَصَدَ . فَاسْتَقْبَلَهُ طَائِفَةٌ مِنَ الرِّعَالِ . نِسَاءُ
وَرِجَالٍ . يَتَّبِعُهُمْ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ . وَطَوَائِفُ مُحَشَّدَةٌ . مِنْ طُيُولٍ تُضْرَبُ .
وَفَوَارِسَ تَلْعَبُ . وَزُمُورٌ تَرْعَقُ . وَالسَّنَةُ بِالْإِثْنَاءِ تَنْطِقُ . حَتَّى إِذَا
وَصَلُوا إِلَيْهِ . تَرَامَوْا عَلَيْهِ . وَانْكَبُّوا بَيْنَ يَدَيْهِ . يَقُولُونَ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ .
مُسْتَبْشِرِينَ بِرُؤْيَيْهِ . مُتَبَرِّكِينَ بِطَلْعَتِهِ . ثُمَّ الْبُسُودُ الْخَلْعُ السَّيِّئَةُ .
وَقَدَّمُوا لَهُ فَرَسًا عَلِيَّةً . يَكْنُبُوشَ ذَهَبٍ . وَسَرَجَ مُغْرَقٍ . وَوَضَعُوا

لَهُ التَّاجَ عَلَى الْمَفْرِقِ . وَمَشَوْا فِي الْخِدْمَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ . وَالْجَنَائِبُ فِي
الْمَوَاكِبِ تُجْرُ لَدَيْهِ . يُنَادُونَ : حَاشَاكَ وَإِلَيْكَ . سُلْطَانُ النَّاسِ قَادِمٌ
عَلَيْكَ . حَتَّى وَصَلُوا إِلَى الْمَدِينَةِ . وَدَخَلُوا قَلْعَتَهَا الْحَصِينَةَ . فَفَرَسُوا
شُقُقَ الْحَرِيرِ . وَنَثَرُوا النِّثَارَ الْكَثِيرَ . وَأَجْلَسُوهُ عَلَى السَّرِيرِ . وَأَطْلَقُوا
تَحَامِرَ النَّيْدِ وَالْعَبِيرِ . وَوَقَفَ فِي خِدْمَتِهِ الصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ . وَالْمَأْمُورُ
وَالْأَمِيرُ وَالِدُشْتُورُ وَالْوَزِيرُ . وَأَنشَدُوهُ :

قَدِمْتُ قَدُومَ الْبَدْرِ بَيْتَ سَعُودِهِ . وَأَمْرُكَ فِينَا صَاعِدٌ كَصُعُودِهِ
(قَالُوا) : إِعْلَمْ يَا مَوْلَانَا أَنَّكَ صِرْتَ لَنَا سُلْطَانًا وَتَحْنُ كُلُّنَا
عَبِيدُكَ . وَتَابِعُ مُرَادِكَ وَمُرِيدِكَ . فَافْعَلْ مَا تَحْتَارُ . وَتَحْكَمْ فِي الْكِبَارِ
مِنَّا وَالصِّغَارِ . وَأْمُرْ فَاثْمَالَ أَمْرِكَ عَلَيْنَا مَحْتَمُومٌ . وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ فِي خِدْمَتِكَ
مَقَامٌ مَعْلُومٌ . فَجَعَلَ يَتَفَكَّرُ فِي أَمْرِهِ وَمَبْدَأِهِ . وَيَتَأَمَّلُ مَا صَارَ إِلَيْهِ
وَيَتَدَبَّرُ فِي مُنْتَهَاهُ . فَقَالَ : إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَا بَدْلَ لَهُ مِنْ سَبَبٍ . وَلَا بُدَّ
لَهُ مِنْ آخِرٍ وَمُنْقَلَبٍ . فَإِنَّهُ لَمْ يَصْدُرْ فِي عَالَمِ الْكَوْنِ سُدى . وَإِنَّ
لِهَذَا الْيَوْمَ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ غَدًا . وَإِنَّ الصَّانِعَ الْقَدِيمَ الْقَادِرَ الْحَكِيمَ .
السَّمِيعَ الْعَلِيمَ الْبَصِيرَ الْحَيَّ الْمُدِيرَ الْكَرِيمَ . لَمْ يَقْدَرْ هَذِهِ الْأَفْعَالُ . عَلَى
سَبِيلِ الْإِهْمَالِ . وَلَمْ يُجِدْ حَدَثًا لَعِبًا وَلَا عَمَلًا . وَجَعَلَ يَلَازِمُ هَذِهِ
الْأَفْكَارَ . آتَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ . وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ قَائِمٌ بِشُكْرِ
النِّعْمَةِ . مُلَازِمٌ بَابَ مَوْلَاهُ بِالطَّاعَةِ وَالْخِدْمَةِ . وَاضِعٌ الْإِشْيَاءَ فِي مَحَلِّهَا .
وَالْمَنَاصِبَ فِي يَدِ أَهْلِهَا . مُلْتَفِتٌ إِلَى أَحْوَالِ الرِّعْيَةِ عَامِلٌ بَيْنَهُمْ بِالْعَدْلِ

وَالسَّوِيَّةُ . مُتَعَدِّدُ أُمُورِ الْكِبَارِ وَالصِّغَارِ . بِأَنْوَاعِ الْإِحْسَانِ وَأَصْنَافِ الْمُبَارَّ . مُؤَسِّسُ قَوَاعِدِ الْمُلْكَةِ وَالسَّلْطَنَةِ عَلَى أَرْكَانِ الْعَقْلِ وَالْعَدْلِ مَهْمَا أَمَكْنَهُ . مُتَخَصِّصُ عَنْ مَصَالِحِ الْمُلْكَةِ . سَالِكٌ مَعَ كُلِّ مَنْ أَرَبَابِ الْأَوْطَانِ مَا يَنْتَظِي مَسْلَكَهُ . ثُمَّ وَقَعَ اخْتِيَارُهُ مِنْ بَيْنِ أَوْلَئِكَ الْجَمَاعَةِ عَلَى شَابِّ جَلِيلِ الْبَرَاةِ . لَهُ فِي سُوقِ الْقُضْلِ وَالْوَفَاءِ أَوْفَرُ بَضَاعَةٍ . مُتَّصِفٌ بِأَنْوَاعِ الْكَمَالِ مُتَحَلٍّ بِزِينَةِ الْأَدَبِ وَالْجَمَالِ . فَأَتَّخَذَهُ وَزِيرًا . وَفِي أُمُورِهِ نَاصِحًا وَمُشِيرًا . فَجَعَلَ يَلْطِفُهُ وَيُرْضِيهِ . وَيُكْرِمُهُ وَيُدْنِيهِ . وَيُفِيضُ عَلَيْهِ مِنْ مَلَائِسِ الْإِنْعَامِ . وَخَلَعَ الْإِفْضَالَ وَالْإِكْرَامَ . مَا مَلَكَ بِهِ حَبَّةٌ قَلْبِهِ . وَاسْتَصَفَى خَالِصَ وَدِّهِ وَلَبَّيْهِ . وَسَكَنَ فِي سُودِيَّاتِهِ . وَمَسَكَنَ بِهِ مِنْ ضَمِيرِ أَحْشَائِهِ . إِلَى أَنْ اخْتَلَى بِهِ وَتَلَطَّفَ فِي خِطَابِهِ . وَاسْتَنْصَحَهُ فِي جَوَابِهِ . وَسَأَلَهُ عَنْ أَمْرِ امْرَأَتِهِ وَمُوجِبِ رِفْعَتِهِ وَسَلْطَنَتِهِ مِنْ غَيْرِ مَعْرِفَةِ الرِّفَاقِ . وَلَا أَهْلِيَّةٍ وَلَا اسْتِحْقَاقٍ . وَلَا هُوَ مِنْ بَيْتِ الْمُلْكِ . وَلَا فِي بَحْرِ السَّلْطَنَةِ لَهُ فُلُكٌ . وَلَا مَعَهُ مَالٌ وَلَا خَيْلٌ يَهْدِيهَا . وَلَا رِجَالٌ وَلَا مَعْرِفَةٌ يُدْلِي بِهَا . وَلَا شَجَاعَةٌ وَفَضِيلَةٌ يَهْتَدِي بِتَهْذِيبِهَا . فَقَالَ ذَلِكَ الشَّابُّ فِي الْجَوَابِ : أَعْلَمُ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْأَعْظَمُ أَنَّ هَذِهِ الْبَلَدَ وَعَسَاكِرَ إِقْلِيمِهَا وَجُنْدَهُ قَدْ اخْتَرَعُوا أَمْرًا . وَأَصْطَلَحُوا عَلَى عَادَةٍ تُجْرَى . سَأَلُوا الرَّحْمَانَ أَنْ يُقَيِّضَ لَهُمْ فِي أَوَانٍ . شَخْصًا مِنْ جِنْسِ الْإِنْسَانِ . يَكُونُ عَلَيْهِمْ ذَا سُلْطَانٍ . فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ . فَسَلَكُوا فِي أَمْرِ هَذِهِ الْمَسَالِكِ . وَذَلِكَ أَنَّهُمْ فِي الْيَوْمِ الَّذِي قَدِمَتْ عَلَيْهِمْ . يُرْسِلُ اللَّهُ تَعَالَى

رَجُلًا مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ إِلَيْهِمْ. فَيَسْتَقْبِلُونَهُ كَمَا اسْتَقْبَلُوا. وَيَسْلُكُونَ مَعَهُ
طَرِيقَةَ الْمُلُوكِ. مِنْ غَيْرِ نَقْصٍ وَلَا زِيَادَةٍ. وَقَدْ صَارَتْ هَذِهِ لَهُمْ عَادَةً.
فَيَسْتَمِرُّ عَلَيْهِمْ سَنَةٌ. فِي هَذِهِ الْمُرْتَبَةِ الْحَسَنَةِ. فَإِذَا انْقَضَى الْأَجَلُ
الْمَعْدُودُ. وَجَاءَ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْمَوْعُودُ. عَمَدُوا إِلَى ذَلِكَ السُّلْطَانِ وَقَدْ
صَارَ فِيهِمْ ذَا إِمْكَانٍ وَمَكَانٍ وَعُلُقَةٍ وَنَسَبٍ. وَإِحَاءٍ وَنَسَبٍ. وَثَبَّتَ
لَهُ أَوْتَادٌ. وَصَارَ لَهُ أَهْلٌ وَأَوْلَادٌ. جَرُّهُ بِرَجُلِهِ مِنَ التَّخْتِ. وَسَلَبُوهُ
ثَوْبَ الْعِزَّةِ وَالرَّخْتِ. وَأَلْبَسُوهُ ثَوْبَ الدَّلِّ وَالنَّكَالِ. وَأَوْتَقَوْهُ
بِالسَّلَاسِلِ وَالْأَغْلَالِ. وَحَمَلَهُ الْأَهْلُ وَالْأَقَارِبُ. وَأَتَوْا بِهِ إِلَى بَحْرِ
قَرِيبٍ فَوَضَعُوهُ فِي قَارِبٍ. وَسَلَّمُوهُ إِلَى مُوَكَّلِينَ لِيُوصِلُوهُ إِلَى ذَلِكَ
الْجَانِبِ. فَيُوصِلُوهُ إِلَى ذَلِكَ الْبَرِّ. وَهُوَ قَفْرٌ أَغْبَرُ. لَيْسَ بِهِ أُنَيْسٌ وَلَا
رَفِيقٌ. وَلَا جَلِيسٌ وَلَا صَدِيقٌ. وَلَا زَادٌ وَلَا مَاءٌ. وَلَا نَشْوٌ وَلَا نَمَاءٌ.
وَلَا مُغِيثٌ وَلَا مُعِينٌ. وَلَا قَرِيبٌ وَلَا قَرِينٌ. وَلَا قُدْرَةٌ وَلَا إِمْكَانٌ.
عَلَى الْوُصُولِ إِلَى الْعُمَرَانِ. وَلَا ظِلٌّ وَلَا ظَلِيلٌ. وَلَا إِلَى الْخَلَاصِ
سَبِيلٌ. وَلَا إِلَى طَرِيقِ النِّجَاةِ دَلِيلٌ. فَيَسْتَمِرُّ هُنَاكَ فَرِيدًا طَرِيدًا إِلَى
أَنْ يَهْلِكَ عَطَشًا وَجُوعًا. لَا يَمْلِكُ إِقَامَةً وَلَا يَسْتَطِيعُ رُجُوعًا. ثُمَّ
يَسْتَأْنِفُ أَهْلُ هَذِهِ الْبِلَادِ. مَا لَهُمْ مِنْ فِعْلٍ مُعْتَادٍ. فَيُخْرِجُونَ بِالْأُهْبَةِ
الْكَامِلَةِ. إِلَى تِلْكَ الطَّرِيقِ السَّالِيَةِ. فَيَقْبِضُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ رَجُلًا.
فَيَفْعَلُونَ مَعَهُ مِثْلَ مَا فَعَلُوا مَعَ غَيْرِهِ قَوْلًا وَعَمَلًا. وَهَذَا دَأْبُهُمْ وَدِينُهُمْ.
وَقَدْ ظَهَرَ لَكَ ظَاهِرُهُمْ وَبَاطِنُهُمْ. فَقَالَ ذَلِكَ الْعَلَامُ الْمُفْلِحُ. لِذَلِكَ

الْوَزِيرُ الْمُصْلِحُ : فَهَلْ أَطْلَعَ أَحَدٌ مِّنْ تَقَدَّمَ عَلَى عَاقِبَةِ هَذَا الْمَأْتَمِ .
 قَالَ كُلُّ عَرَفَ ذَلِكَ . وَتَحَقَّقَ أَنَّهُ عَنْ قَرِيبٍ هَالِكٌ . وَلَكِنْ غُرُورُ
 السَّلْطَنَةِ يُلْهِمُهُ . وَسُرُورُ التَّحَكُّمِ وَالْتَسَلُّطِ يُطْغِيهِ . وَحُضُورُ اللَّذَّةِ الْخَاصِلَةِ
 لِسُوءِ الْعَاقِبَةِ يُنْسِيهِ . وَلَا يُفِيقُ مِنْ غَفْلَتِهِ . وَيَسْتَقِظُ مِنْ رَقَدَتِهِ . إِلَّا
 وَعَامُهُ قَدْ مَضَى . وَالْأَجَلُ الْمَضْرُوبُ قَدْ انْقَضَى . وَقَدْ احْطَأَتْ بِهِ
 نَوَازِلُ الْبَلَاءِ . وَهَجَمَ عَلَيْهِ بَوَازِلُ الْقَضَاءِ . فَيَسْتَفِثُ . وَلَا مُغِيثُ .
 وَيُنَادِي الْخُلَاصَ وَلَاتِ حِينَ مَنَاصَ . فَلَمَّا سَمِعَ الْعَلَامُ . هَذَا الْكَلَامَ .
 أَطْرَقَ مُفَكِّرًا . وَبَقِيَ مُتَحَيِّرًا . وَعَلِمَ أَنَّهُ إِنْ لَمْ يَتَدَارَكَ أَمْرَهُ وَيَتَلَفَ
 خَيْرَهُ وَشَرَّهُ . وَيَتَدَبَّرَ حَالَهُ . وَمَصِيرَهُ وَمَالَهُ . هَلَاكَ هَلَاكَ الْأَبَدِ . وَلَمْ يَشْعُرْ
 بِهِ أَحَدٌ . فَأَخَذَ يُفَكِّرُ فِي وَجْهِ الْخُلَاصِ . وَالتَّقْصِي مِنْ شَرِّكَ الْأَقْنَاصِ .
 ثُمَّ قَالَ لِلْوَزِيرِ النَّاصِحِ الْحَبِيرِ : أَيُّهَا الرَّفِيقُ الشَّفِيقُ . وَالنَّصُوحُ الصَّدِيقُ .
 جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا . وَكَفَاكَ ضَيْمًا وَضِيرًا . إِنِّي قَدْ فَكَّرْتُ فِي شَيْءٍ يَنْفَعُ
 نَفْسِي وَيُخَيِّبُهَا . وَيَدْفَعُ شَرَّ هَذِهِ الْبَلِيَّةِ الَّتِي وَقَعَتْ فِيهَا . وَلَمْ يَبْقَ جِهَةٌ
 مُخْلَصٌ . مِنْ هَذَا الْمُقْنَصِ . إِلَّا طَرِيقُ وَاحِدٌ . وَسَبِيلُ غَيْرِ مُتَعَاهِدٍ . وَهُوَ
 أَنْ تَأْخُذَ طَائِفَةٌ مِنَ الْبَنَائِينَ . وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْمُهَنْدِسِينَ وَالتَّجَارِينَ .
 فَتَأْمُرُهُمْ أَنْ يَبْنُوا لَنَا هُنَاكَ مَدِينَةً . وَيُسَيِّدُوا لَنَا فِيهَا أَمَا كُنْ مَكِينَةً .
 وَتَحَازِنَ وَحَوَاصِلَ . وَمَتَلَّاهَا مِنْ الزَّادِ الْمُتَوَاصِلِ . مِنَ الْمَأْكَلِ الطَّيِّبَةِ .
 وَالْأَطْعَمَةِ وَالْأَشْرَبَةِ اللَّذِيذَةِ الْمُسْتَعْدَبَةِ . وَلَا تَغْفَلَ عَنِ الْإِرْسَالِ . وَلَا
 تُجْزِئَ الْإِهْمَالُ وَالْإِهْمَالُ . فِي الظَّهِيرَةِ وَالْأَشْحَارِ وَالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ . إِذْ

أَوْقَاتُنَا مَحْدُودَةٌ. وَأَنْفُسُنَا مَعْدُودَةٌ. وَسَاعَةٌ تُتَمِّضِي مِنْهَا غَيْرُ مَرْدُودَةٍ.
بِمَحْتِ إِذَا نُقِلْنَا مِنْ هَذِهِ الدِّيَارِ. وَطَرَحْنَا فِي تِلْكَ الْمَهَامِهِ وَالْفَقَارِ. وَجَفَانَا
الْأَصْحَابِ. وَتَخَلَّى الْأَخْلَاءُ عَنَّا وَالْأَحْبَابُ. وَأَنْكَرْنَا الْمَعَارِفُ وَالْأَوْدَاءُ.
وَأَحْتَوَشْتْنَا فِي تِلْكَ الْبَيْدَاءِ. فُنُونُ الدَّاءِ. نَحْجِدُ مَا نَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى إِقَامَةِ
الْأَوْدِ. مُدَّةَ إِقَامَتِنَا فِي ذَلِكَ الْبَلَدِ. فَأَجَابَ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ. وَاخْتَارَ
مِنَ الْبَنَانِينَ جَمَاعَةً. وَأَحْضَرَ الْمَرَآكِبَ. وَقَطَعَ الْبَحْرَ إِلَى ذَلِكَ الْجَانِبِ.
وَجَعَلَ الْمَلِكُ يَمْدُهُمْ بِالْآلَاتِ وَالْأَدَوَاتِ. عَلَى عَدَدِ الْأَنْفَاسِ وَمَدَى
السَّاعَاتِ. إِلَى أَنْ أَنْهَى الْبَنَاءُ وَالْعِمَارَةَ. وَاكْتَمَلُوا حَوَاصِلَ الْمَلِكِ
وَدَارَهُ. وَأَجْرُوا فِيهَا الْأَنْهَارَ. وَغَرَسُوا فِيهَا الْأَشْجَارَ. فَصَارَتْ تَأْوِي
إِلَيْهَا الْأَطْيَارُ. وَيَتَرْتَمُ فِيهَا الْبُلْبُلُ وَالْهَزَارُ. وَغَدَتْ مِنْ أَحْسَنِ
الْأَمْصَارِ. وَبَنَوْا حَوَالَيْهَا الضِّيَاعَ وَالْقُرَى. وَزَرَعُوا مِنْهَا الْوَهَادَ
وَالثَّرَى. ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهَا مَا كَانَ عِنْدَهُ مِنَ الْحَزَائِنِ. وَنَفَاسِ الْجَوَاهِرِ
وَالْمَعَادِنِ. وَجَهَّزَ الْخُدَمَ وَالْحَشَمَ. وَصُوفَ الْأَسْتِعْدَادَاتِ مِنَ النِّعَمِ.
فَمَا انْقَضَتْ مُدَّةُ مُلْكِهِ. وَدَنَتْ أَوْقَاتُ هُلُوكِهِ. إِلَّا وَتَفَسَّهُ إِلَى مَدِينَتِهِ
تَأَقَّتْ. وَرُوحُهُ إِلَى مُشَاهِدَتِهَا أَشْتَاقَتْ. وَهُوَ مُسْتَوْفِزُ الرَّحِيلِ. وَرَايَضُ
النُّهُوضِ وَالْتَحْوِيلِ. فَلَمَّا تَكَمَّلَ لَهُ فِي الْمَلِكِ الْعَامُ. لَمْ يَشْعُرْ إِلَّا وَقَدْ
أَحَاطَ بِهِ الْخَاصُّ وَالْعَامُّ. مِمَّنْ كَانَ يَفْقِدُهُ بِرُوحِهِ. مِنْ خَادِمِهِ وَنُصُوحِهِ.
وَمِمَّنْ كَانَ سَامِعًا لِكَلِمَتِهِ. مِنْ أَعْيَانِ خَدَمِهِ وَحَشَمِهِ. وَقَدْ تَجَرَّدُوا لِحُذْيِهِ
مِنَ السَّرِيرِ. وَزَرَعَ مَا عَلَيْهِ مِنْ لِبَاسِ الْحَرِيرِ. وَمَشَوْا عَلَى عَادَتِهِمُ الْقَدِيمَةِ.

وَسَلَبُوهُ مَمْلَكَتَهُ الْعَظِيمَةَ. وَزَالَتِ الْحِشْمَةُ. وَالْكَلِمَةُ وَالْحُرْمَةُ. وَشَدُّوا
وَنَاقَهُ وَذَهَبُوا بِهِ إِلَى الْحَرَّاقَةِ وَوَضَعُوهُ. وَقَدْ رَبَطُوهُ فِي الْمَرْكَبِ
الَّذِي هَيَّأُوهُ. وَأَوَّصَلُوهُ إِلَى ذَلِكَ الْبَرِّ مِنَ الْبَحْرِ. فَمَا وَصَلَ إِلَيْهِ إِلَّا
وَقَدْ أَقْبَلَتْ خَدْمُهُ عَلَيْهِ. وَتَمَثَّلَتْ طَوَائِفُ الْحَشَمِ وَالنَّاسِ لَدَيْهِ. وَدُقَّتِ
الْبَشَائِرُ لِمَقْدَمِهِ. وَحُلَّ فِي سُورِهِ الْمُقِيمِ وَنِعْمِهِ. وَاسْتَمَرَّ فِي أَمْرِ سُورِهِ.
وَاسْتَقَرَّ فِي أَوْفَرِ حُبُورٍ (ملخص عن فاكهة الخلفاء لابن عرشاه)

نخبة

من كشف الامرار عن حكم الطيور والازهار لابن غانم المقدسي

المقدمة

١١٧ لَقَدْ أَخْرَجَنِي الْهَكْرُ يَوْمًا لَا أَنْظُرَ مَا أَحَدَتْهُ أَيْدِي الْقَدَمِ فِي
الْحَدَثِ. وَأَوْجَدْتُهُ الْحِكْمَةَ الْبَالِغَةَ لَا لِلْعَبَثِ. فَأَتَيْتُ إِلَى رَوْضَةٍ قَدْ
رَقَّ أَدِيمُهَا. وَرَاقَ لَسِيْمُهَا. وَنَمَّ طَيْبُهَا. وَغَنَّى عَنْدَلِيْمُهَا. وَتَحَرَّكَتْ عِيدَانُهَا.
وَتَمَايَلَتْ أَغْصَانُهَا. وَتَبَلَّغَتْ بِلَابِلُهَا. وَتَسَلَّسَلَتْ جَدَاوِلُهَا. وَتَسَرَّحَتْ
أَنْهَارُهَا. وَتَضَوَّعَتْ أَفْطَارُهَا. وَتَمَثَّلَتْ أَزْهَارُهَا. وَصَوَّتَ هَزَارُهَا.
قُلْتُ: يَا لَهَا مِنْ رَوْضَةٍ مَا أَهْنَاهَا. وَخَلْوَةٍ مَا أَصْفَاهَا. فَيَا لَيْتَنِي
اسْتَضَيْتُ صَدِيقًا حَمِيمًا. يَكُونُ لَطِيبَ حَضْرَتِي نَدِيمًا. فَنَادَانِي لِسَانُ
الْحَالِ. فِي الْحَالِ. أَرِيدُ نَدِيمًا أَحْسَنَ مِنِّي. أَوْ مُجِيبًا أَفْصَحَ مِنِّي.
وَلَيْسَ فِي حَضْرَتِكَ شَيْءٌ إِلَّا وَهُوَ نَاطِقٌ بِلِسَانِ حَالِهِ. مُنَادٍ عَلَى نَفْسِهِ
بِدُنُو أَرْحَالِهِ. فَأَسْمَعُ لَهُ إِنْ كُنْتَ مِنْ رِجَالِهِ

أَلَمْ تَرَ أَنَّ نَسِيمَ الصَّبَا لَهُ نَفْسٌ تَشْرُهُ صَاعِدُ
 فَطُورًا يَنُوحُ وَطُورًا يَفُوحُ كَمَا يَفْعَلُ الْفَاعِدُ الْوَاجِدُ
 وَسَكَبُ الْغَمَامِ وَنَدْبُ الْحَمَامِ إِذَا مَا شَكَا غَضْنَهُ الْمَائِدُ
 وَنُورُ الصَّاحِ وَنُورُ الْأَقَاحِ وَقَدْ هَزَّهُ الْبَارِقُ الرَّائِدُ
 وَوَأَى الرَّبِيعِ بِمَعْنَى بَدِيعِ يَتَرَجَّمُهُ وَرَدُّهُ الْوَارِدُ
 وَكُلُّ لَاحِلِكَ مُسْتَنْبِطُ لِمَا فِيهِ نَفْعُكَ يَا جَاوِدُ
 وَكُلُّ لَاحِلَةٍ ذَاكِرٌ مُقَرُّ لَهُ شَاكِرٌ حَامِدُ
 وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ

إشارة النسيم

١١٨ فَأُولَ مَا سَمِعْتَ هَمَمَةَ النِّسِيمِ . يَتَرَجَّمُ بِصَوْتِهِ الرَّخِيمِ . يَقُولُ
 بِلِسَانِ حَالِهِ . مُفَصِّحًا عَنْ سَقَمِهِ وَاتِّحَالِهِ : أَنَا لَيْزُ الْأَعْطَافِ . هَيِّنُ
 الْأَنْعِطَافِ . سَرِيعُ الْأَثْلَافِ . يَعْتَرِفُ بِطُغْيَانِ ذُووِ الْأَلْطَافِ . وَلَوْ لَا
 وَجُودِي فِي الْجَوِّ جَافَ . وَلَا تَظُنَّ أَنَّ اخْتِلَافَ أَهْوَاءِي . سَبَبُ
 إِنْغَوَاءِي . بَلْ اخْتِلَافُ فِي الْأَصُولِ الْأَرْبَعِ . لِمَا هُوَ أَصْلَحُ لَكَ وَانْفَعُ .
 فَاهْبُ فِي الرَّبِيعِ شِمَالًا فَاتَّقِ الْأَشْجَارَ . وَأَعِدْ فَصْلَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ .
 وَاهْبُ فِي الصَّيْفِ صَبَا فَاثْنِي الثَّمَارَ . وَأَصْفِي الْأَشْجَارَ . وَاهْبُ فِي
 الْحَرِيفِ جَنُوبًا فَتَأْخُذْ كُلَّ ثَمَرَةٍ حَدَّ طَبِيعِهَا . وَتَسْتَوِي حَقَّ تَرْكِيبِهَا .
 وَاهْبُ فِي الشِّتَاءِ دُبُورًا لِيَخْفَ عَنْ كُلِّ شَجَرَةٍ حَمْلُهَا . وَيجفَّ رَقَبُهَا
 وَيَبْقَ أَصْلُهَا . فَأَنَا الَّذِي تَنْمُوِي الثَّمَارُ . وَتَرْهَوِي الْأَزْهَارُ .

وَسَلْسَلُ يِ الْأَنْهَارِ . وَتَلْقُ الْأَشْجَارُ

اشارة الورد

١١٩ ثُمَّ سَمِعْتُ إِشَارَةَ الشَّحَارِ بِأَفْنَانِهَا . وَالْأَزَاهِيرِ فِي تَلَوْنِ أَلْوَانِهَا .
إِذَا قَامَ الْوَرْدُ يُخْبِرُ عَنْ طِيبِ وَرُودِهِ . وَيَعْرِفُ بِعَرَفِهِ عَنْ شُهُودِهِ .
وَيَقُولُ أَنَا الصَّيْفُ الْوَارِدُ بَيْنَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ . أَزُورُ زِيَارَةَ الطَّيْفِ .
فَاغْتَمُوا وَقْتِي فَالْوَقْتُ سَيْفٌ . . . فَأَنَا الزَّائِرُ وَأَنْتَ الْمَزُورُ . وَالطَّمَعُ
فِي بَقَاءِ زُورٍ . ثُمَّ مِنْ عَلَامَةِ الدَّهْرِ الْمَكْدُورِ . وَالْعَيْشِ الْمَمْرُورِ .
أَنْتَنِي حَيْثُ مَا نَبَتْ دَائِرُ الْأَشْوَالِ تَرَاخِي . وَتَجَاوِرُنِي . فَأَنَا بَيْنَ
الْأَدْعَالِ مَطْرُوحٌ . وَبَيْنَالِ شَوْكِ تَجْرُوحٌ . وَهَذَا دَمِي عَلَى مَا عِنْدِي
يُلُوحٌ . فَهَذَا حَالِي وَأَنَا أَشْرَفُ الْوَرَادِ . وَالطَّفُ الْأَوْرَادِ . فَمَنْ ذَا الَّذِي
سَلِمَ مِنَ الْأَنْبَادِ . وَمَنْ صَبَرَ عَلَى مَرَارَةِ الدُّنْيَا هَدَّ بَلَّغُ الْمُرَادِ . فَيُنَمَّا
أَنَا أَرْفُلُ فِي حُلَلِ النَّصَارَةِ . إِذَا أَقْطَقْتَنِي أَيْدِي النَّظَارَةِ . فَأَسَلَمْتَنِي
مَنْ بَيْنَ الْأَزَاهِيرِ . إِلَى ضَيْقِ الْقَوَارِيرِ . فَيَذَابُ جَسَدِي . وَتُحْرَقُ
كَبْدِي . وَيَمِزُّ جُلْدِي . وَيَقْطُرُ دَمْعِي النَّدِي . فَلَا يُقَامُ بِأَوْدِي :
فَإِنْ غَبْتُ جِسْمًا كُنْتُ بِالزُّوجِ حَاضِرًا . فَخَرِي سَوَاءٌ إِنْ تَأَمَّلْتَ وَالْبَعْدُ
وَبِاللَّهِ مَنْ أَصْحَى مِنَ النَّاسِ قَائِلًا . كَأَنَّكَ مَاءُ الْوَرْدِ إِذَا ذَهَبَ الْوَرْدُ

اشارة المرسين

١٢٠ فَلَمَّا سَمِعَ الْمَرْسِينَ كَلَامَ الْوَرْدِ . قَالَ قَدْ بَاحَ السَّيْمُ بِسِرِّهِ .
وَلَشَرَّ السَّحَابِ عَقُودَ دَرِّهِ . وَتَضَوَّعَ الْبَهَارُ بِذَخْرِهِ . وَتَبَهَّرَجَ الرِّيعُ

بَقْلًا يَنْدَفَعُ بِهِ . وَخَلَعَ الْوَرْدُ عِذَارَهُ . وَتَحَبَّ عَنْ الرُّوضِ الْأَنْبَقِ
 أَزْهَارَهُ . فَهَمَّ بِنَا تَنْفَرَجُ . وَنَتِيهُ بِحُسْنِنَا وَنَتَبَهَّرُ . فَأَيَّامُ السُّرُورِ تَحْتَلِسُ .
 وَأَوْقَاتُهُ بِأَسْرِهِا تَحْتَسِسُ . فَلَمَّا سَمِعَ الْوَرْدُ كَلَامَ الْمُرْسِيِّنَ . قَالَ لَهُ :
 يَا أَمِيرَ الرِّيَاحِينَ . بئسَ مَا قُلْتَ . وَلَوْ جُمِعَ بِكَ الْغَضَبُ مَا صُلْتَ . فَقَدْ
 نَزَلَتْ عَنْ شَيْمٍ الْأُمَرَاءُ . بَعْدَ مَا مَلَكَ الصَّوَابَ مِنَ الْأَرَاءِ . فَمَنْ
 الْمُصِيبُ إِذَا زَلَّتْ . وَمَنْ الْهَادِي إِذَا ضَلَّتْ . تَأْمُرُ بِاللَّهِ عِنْدَكَ .
 وَتُحَرِّضُ عَلَى النَّزْهِ جُنْدَكَ . وَأَمِيرُ الرِّعْيَةِ . صَاحِبُ الْفِكْرَةِ الرَّدِيَّةِ .
 فَلَا يُعْجِبُكَ حُسْنُكَ . إِذَا تَمَّ أَيْلُ غَضَبِكَ . وَاخْضَرَّ أَوْراقُكَ . وَأَكْرَمَ
 أَعْرَاقُكَ . فَأَيَّامُ السَّبَابِ سَرِيعَةُ الزَّوَالِ . دَارِسَةُ الطَّلَالِ . كَالطَّيْفِ
 الطَّارِقِ . وَالْخَيَالِ الْمَارِقِ . وَكَذَلِكَ السَّبَابُ . اخْضَرَّ الْجِلْبَابُ وَالثِّيَابُ .
 مُخْتَلَفُ الْأَجْنَاسِ . كَاخْتِلَافِ الْحَيَوَانِ بَيْنَ النَّاسِ . فَمِنْهَا مَا يُشْمُ
 وَيَذْبُلُ . وَيُحَوَّلُ خِطَابُهُ وَيَثْقُلُ . وَتَطْرُقُهُ حَوَادِثُ الْأَيَّامِ . وَيَعُودُ
 مَطْرُوحًا عَلَى الْأَكْوَامِ . وَمِنْهَا مَا يُؤْكَلُ ثِمَارُهُ . وَتُجَدُّ فِي النَّاسِ
 آثَارُهُ . وَالسَّلَامُ مِنَ النَّارِ أَقْلُهُ . وَإِيَّاكَ وَالْإِغْتِرَارَ . فِي هَذِهِ الدَّارِ .
 فَإِنَّمَا أَنْتَ فَرِيسَةٌ لِأَسَدِ الْحِمَامِ . وَبَعْدُ فَقَدْ نَصَحْتُكَ وَالسَّلَامُ

إشارة النرجس

١٢١ فَاجَابَهُ النَّرْجِسُ مِنْ خَاطِرِهِ . وَهُوَ نَاطِرٌ لِنَاطِرِهِ فَقَالَ : أَنَا
 رَقِيبُ الْقَوْمِ وَشَاهِدُهُمْ . وَسَمِيرُهُمْ وَمُنَادِيهِمْ . وَسَيِّدُ الْقَوْمِ خَادِمُهُمْ .
 أَعْلِمُ مِنْ لَهُ هِمَّةٌ . كَيْفَ تَكُونُ شُرُوطُ الْخِدْمَةِ . أَشَدُّ لِلْخِدْمَةِ وَسَطِي .

وَأَوْتِقْ بِالْعَزِيمَةِ شُرْطِي . وَلَا أَزَالُ وَاقِفًا عَلَى قَدَمٍ . وَكَذَلِكَ وَظِيفَةٌ
 مِنْ حَدَمٍ . لَا أَجْلِسُ بَيْنَ جُلَاسِي . وَلَا أَرْفَعُ إِلَى النَّدِيمِ رَأْسِي . وَلَا
 أَمْنَعُ الطَّالِبَ طَيْبَ أَنْفَاسِي . وَلَسْتُ لِعَهْدٍ مِنْ وَصَائِي بِنَاسِي . وَلَا
 عَلَى مَنْ قَطَعَنِي قَائِي . وَكَأْسِي بِصَفْوِهِ لِي كَأْسِي . بُنِيَ عَلَى قَضْبِ
 الزُّرْدِ أَسَاسِي . وَجُعِلَ مِنَ الْخَيْنِ وَالْعُسْجِدِ لِمَاسِي . أَتَمَحُّ تَقْصِيرِي
 فَأُطْرَقُ إِطْرَاقُ الْحَجَلِ . وَأَفَكِّرُ فِي مَصِيرِي فَأُحْدِقُ لِهَجُومِ الْأَجَلِ .
 فَأُطْرَقُ أَيْ اعْتَرَفْتُ بِتَقْصِيرِي . وَإِطْلَاقِي نَظْرًا إِلَى مَا فِيهِ مَصِيرِي :

قُتُّ مِنْ ذَلٍّ عَلَى قَدَمِي مُطْرَقًا بِالرَّاسِ مِنْ زَلَالِي
 لَمْ يَكُنْ فِي الْقَادِمِينَ غَدًا نَافِعِي عِلْمِي وَلَا عَمَلِي
 مُقْلِي إِنْسَانَهَا أَبَدًا قَطُّ لَا يَرْتَدُّ مِنْ وَجَلِي
 عَجَلًا فِي خِيفَةٍ وَكَذَا خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ

اشارة البان

١٢٢ فَلَمَّا نَظَرَ الْأَشْجَارُ إِلَى طَرْبِ الْبَانِ بَيْنَهُمْ . وَتَمَّائِلِهِ دُونَهُمْ . لَا مُوهٍ
 عَلَى كَثْرَةِ تَمَّائِلِهِ . وَعَنْفُوهُ عَلَى إِعْجَابِهِ بِشَمَائِلِهِ . فَتَمَّائِلُ هُنَالِكَ الْبَانُ .
 وَقَالَ : قَدْ ظَهَرَ عُدْرِي وَبَانُ . فَمَنْ ذَا يُلُومُنِي عَلَى تَمَّائِلِ أَغْصَانِي .
 وَاهْتِرَازِ أَرْكَانِي . وَأَنَا الَّذِي بَسَطْتُ لِي الْأَرْضَ مَطَارِفَهَا . وَأَخْطَرْتُ
 لِي الرِّيَاضَ زُخَارِفَهَا . وَأَهْدَيْتُ لِي سَمَاتِ الْأَشْجَارِ لَطَائِفَهَا وَظَرَائِفَهَا .
 فَإِذَا رَأَيْتُ سَاعَةَ نُشُورِ أَمْوَاتِ النَّبَاتِ قَدْ اقْتَرَبَتْ . وَرَأَيْتُ الْأَرْضَ
 قَدْ اهْتَرَتْ وَرَبَّتْ . وَحَانَ وَرُودُ وَرْدِي . فَأَنْظُرُ إِلَى الْوَرْدِ وَقَدْ وَرَدَ .

وَالْإِلَى الْبَرْدِ وَقَدْ شَرِدَ . وَإِلَى الزَّهْرِ وَقَدْ اتَّقَدَ . وَإِلَى الْحَبِّ وَقَدْ انْعَقَدَ .
 وَإِلَى الْفُضْنِ الْيَاسِ وَقَدْ كُسِيَ بَعْدَ مَا أُتْجِرَدَ . وَإِلَى اخْتِلَافِ
 الْمَطَاعِمِ وَالْمَشَارِبِ وَقَدْ اتَّحَدَ . فَأَعْلَمُ أَنَّ صَانِعَهَا وَاحِدٌ أَحَدٌ .
 وَصَاحِبُهَا صَمَدٌ . وَمَوْجِدُهَا بِالْقُدْرَةِ قَدْ أَنْفَرَدَ . فَلَا يَفْتَقِرُ إِلَى أَحَدٍ . وَلَا
 يَسْتَغْنِي عَنْهُ أَحَدٌ . وَلَا يُشَارِكُهُ فِي مُلْكِهِ أَحَدٌ . فَهَذَا لِكَ تَمَّ إِلَتِ قُدُودِي .
 طَرَبًا بِطِيبِ شُهُودِي . وَتَبَلَّلْتُ بِلَابِلِ سَعُودِي . عَلَى تَحْرِيكِ عُودِي .
 ثُمَّ تَدْرِ كُنِّي عِنَايَةً مَعْبُودِي . فَافْكُرْ فِي عَدَمِ وُجُودِي . وَفَوَاتِ
 مَقْصُودِي . فَأَنْعَظْ عَلَى الْوَرْدِ فَأَخْبِرْهُ بِوُرُودِي . وَأَخْلَعْ عَلَيْهِ مِنْ
 بُرُودِي . وَأَسْتَخْبِرْهُ أَيْنَ مَقْصَدِي وَوُرُودِي . فَقَالَ لِي : وَجُودُكَ
 كَوُجُودِي . وَرُكُوعُكَ كَسُجُودِي . أَنْتَ بِخُضْرَةِ قُدُودِكَ . وَأَنَا بِجُمْرَةِ
 خُدُودِي . فَهَلُمَّ نَجْعَلْ فِي النَّارِ وَقُودَكَ وَوَقُودِي . قَبْلَ نَارِ خُلُودِكَ
 وَخُلُودِي . فَقُلْتُ لَهُ : إِذَا صَحَّ الْإِتِّلَافُ . وَرَضِيتَ لِنَفْسِكَ بِالتَّلَافِ .
 فَلَيْسَ لِلْخِلَافِ خِلَافٌ . فَتَنْقُطْ عَلَى حُكْمِ الْوِفَاقِ . وَتُخْتَطَفُ مِنْ بَيْنِ
 الرِّفَاقِ . فَتُصْعَدُ أَنْفَاسُنَا بِالْإِخْتِرَاقِ . وَتُقَطَّرُ دُمُوعُنَا بِالْإِشْفَاقِ . فَإِذَا
 فِينَا عَلَى صُورِ أَشْبَاحِنَا . بَقِينَا بِمَعَانِي أَرْوَاحِنَا . فَشَتَّانَ بَيْنَ غُدُونَا وَوَرَوَانَا

إشارة البنفسج

١٢٣ فَتَنْفَسَ الْبَنْفَسَجُ تَنْفُسَ الصَّعْدَاءِ . وَتَأَوَّهُ تَأَوَّهُ الْبُعْدَاءِ .
 وَقَالَ : طُوبَى لِمَنْ عَاشَ عَيْشَ السَّعْدَاءِ . وَمَاتَ مَوْتَ الشُّهْدَاءِ . إِلَى
 كَمْ أَذُوبُ بِالذُّبُولِ كَمَدًا . وَأَكْتَسِي بِالْخَوْلِ أَثَوَابًا جَدًّا . أَفَنَتِي

الْأَيَّامُ فَمَا أَطَالَتْ لِي أَمَدًا . وَغَيَّرْتَنِي الْأَحْكَامُ فَمَا أَبَقْتُ لِي جَلَدًا
وَلَا جَلَدًا . فَمَا أَقْصَرَ مَا قَضَيْتُ عَيْشًا رَغَدًا . وَمَا أَطْوَلَ مَا بَقِيتُ يَابِسًا
مُجَرَّدًا . وَجَمَلَةُ خُصُولِي . أَتَنِي أَوْخِذُ أَيَّامُ خُصُولِي . فَأَقْطَعُ مِنْ أُصُولِي .
وَأَمْنَعُ مِنْ وَصُولِي . وَكَمْ مِمَّنْ يَتَّقَوْنَ عَلَى ضُعْفِي . وَيَعْسِفُ بِي مَعَ تَرْفِي
وَلُطْفِي وَظَرْفِي . فَيَتَنَمَّ بِي مَنْ حَضَرَنِي . وَيَسْتَحْلِسُنِي مَنْ نَظَرَنِي .
ثُمَّ لَا أَلْبَثُ إِلَّا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ . حَتَّى أَسَامَ بِالْجَنَسِ سَوْمٍ . وَيَعَادُ
عَلَيَّ بَعْدَ الْإِثْنَاءِ بِاللَّوْمِ . فَأُمْسِي مِمَّا لَقِيتُ مَمْعُوكًا . وَبِأَيْدِي الْحَوَادِثِ
مَعْرُوكًا . فَإِذَا أَصْبَحْتُ يَابِسًا . وَمِنْ النَّصَارَةِ أَسَا . أَخَذَنِي أَهْلُ الْمَعَانِي .
مَنْ هُوَ لِلْحَكَمِ يُعَانِي . فَتَقَشَّشُ بِي الْأَوْرَامُ الْقَاشِيَةَ . وَتُلَيِّنُ الْأَلَامُ
الْقَاشِيَةَ . وَتُلْطَفُ بِي الطَّبَائِعُ الْعَاتِيَةَ . وَتُدْفَعُ بِدَوَائِي الْأَدْوَاءُ
الْعَادِيَةَ . فَالنَّاسُ مُتَمَعُونَ بِيَا لِسِي وَرَطِّي . جَاهِلُونَ بِعِظَمِ خَطْبِي .
عَافِلُونَ عَمَّا أُوْدِعَ بِي مِنْ حِكْمِ رَبِّي . وَإِنِّي لِمَنْ يَتَذَكَّرُنِي عِبْرَةٌ لِمَنْ
أَعْتَبَرَ . وَتَذَكُّرَةٌ لِمَنْ أَذْكَرَ . وَفِي مُزْدَجَرٍ لِمَنْ أُرْدَجَرَ :

وَلَقَدْ عَجِبْتُ مِنْ الْبَسْفِجِ إِذْ عَدَا يَحْكِي بِأَوْرَاقٍ عَلَى أَغْصَانِهِ
جَيْشًا طَوَارِفُهُ الزَّبْرَجْدُ رُصِعَتْ أَحْجَارُ يَاقُوتٍ عَلَى خُرْصَانِهِ
فَكَأَنَّمَا أَعْدَاؤُهُ بِجَلَادَةٍ شَلَّتْ رُؤُوسَهُمْ عَلَى عِيدَانِهِ

اشارة الحزام

١٢٤ فَلَمَّا رَأَى الْحِزَامُ . مَا يَكَايِدُهُ الزَّهْرُ مِنَ الْقَيْدِ وَالْإِلْتِرَامِ .
فِيهَا مَا يُضَامُ . وَيُنْثَرُ بَعْدَ النِّظَامِ . وَبِالْثَمَنِ الْجَنَسِ يُسَامُ . قَالَ : مَا

لِي وَالزَّحَامَ . لَا أَعَاشِرُ اللَّسَامَ . وَلَا أَسْمَعُ قَوْلَ اللُّوَامِ . وَأَلْزَمْتُ مِنْ
 بَيْنِ الْأَزْهَارِ . أَنْ لَا أَجَاوِرَ الْأَنْهَارَ . وَلَا أَقِفَ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ .
 أُرَافِقُ الْوَحْشَ فِي الْتِفَارِ . وَأَسْكُنُ الْبَرَارِيَّ وَالْقِفَارَ . أُحِبُّ الْحُلُوتَ .
 وَأَسْتَوْطِنُ الْفُلُوتَ . فَلَا أَزَاحِمُ فِي الْحَافِلِ . وَلَا تَقْطِفُنِي أَيْدِي
 الْأَسَافِلِ . وَلَا أُحْمِلُ إِلَى اللَّاعِبِ وَالْهَازِلِ . لَكِنِّي بَعِيدٌ عَنِ الْمَنَازِلِ .
 تَجِدُنِي فِي أَرْضٍ نَجْدٍ نَازِلٍ . رَضِيتُ بِالْبَرِّ الْقَسِيبِ . وَقَعِمْتُ بِمَجَاوِرَةِ
 النَّارِ وَالسَّيْحِ . تَعْبَقُ بَشْرِي الرِّيحُ . فَتَحْمِلُنِي إِلَى ذَوِي الْقُدْسِ
 وَالسَّيْحِ . لَا يَشْفِينِي إِلَّا مَنْ لَهُ ذَوْقُ صَحْبِ . وَشَوْقُ صَرِيحٍ . وَهُوَ
 عَلَى زَهْدِ الْمَسِيحِ . وَصَبْرِ الذَّبِيحِ . فَأَنَا رَفِيقُ السَّيَاحِ فِي الْغُدُوِّ
 وَالرَّوَاحِ . فَلَا أَحْضَرُ عَلَى مُنْكَرٍ . وَلَا أَجْلِسُ عِنْدَ مَنْ يَشْرَبُ وَيَسْكُرُ .
 فَأَنَا الْخُرُّ الَّذِي لَا يُبَاعُ فِي الْأَسْوَاقِ . وَلَا يُتَادَى عَلَيَّ بِالنِّفَاقِ فِي
 سُوقِ النِّفَاقِ . وَلَا يَنْظُرُنِي إِلَّا مَنْ شَمَّرَ عَنْ سَاقٍ . وَرَكِبَ جَوَادَ
 الْعَزِيمَةِ وَسَاقٍ . فَلَوْ رَأَيْتَنِي فِي الْبَوَادِي . وَالنَّسِيمِ يَهيمُ بِي فِي كُلِّ
 وَادِي . أُعْطِرُ الْبَادِي . بِعَطْرِ الْبَادِي . وَأَرْوِّحُ النَّادِي . بِبَشْرِي
 النَّادِي . إِنْ عَرَّضَ بِذِكْرِي الْحَادِي . حَنَّ إِلَيَّ كُلُّ رَاحٍ وَغَادِي

إشارة الشقيق

١٢٥ فَتَنَفَسَ الشَّقِيقُ بَيْنَ نَدْمَانِهِ . وَهُوَ مُضَرَّجٌ بِدِمَائِهِ . وَأَسْتَوَى
 عَلَى سَاقِهِ وَوَثَبَ . وَقَالَ : يَا لِلَّهِ الْهَجَبُ . مَا بَالُ لَوْنِي بَاهِي . وَحُسْنِي
 زَاهِي . وَقَدْرِي بَيْنَ الرِّيَاحِينَ وَاهِي . فَلَا أَحَدٌ بِي بَاهِي . وَلَا نَاطِرٌ

إِلَى شَاهِي . فَلَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي أَسْقَطَ جَاهِي . أَرْفُلُ فِي تَوْبِي
أَلْقَانِي . وَأَنَا مَدْحُوضٌ عِنْدَ مَنْ يَلْقَانِي . فَلَا أَنَا فِي الْحَضْرَةِ حَاضِرٌ .
وَلَا يُشَارُ إِلَيَّ بِالنَّوَاطِرِ . وَلَا أَصَاحُ بِالْمُنَاحِرِ . وَمَا بَرِحْتُ فِي عَدَدِ
الرَّيَاحِينِ آخِرَ . فَأَنَا طَرِيدٌ عَنْ صَحْبِي . بَعِيدٌ عَنْ قُرْبِي . وَمَا أَظُنُّ
ذَلِكَ إِلَّا مِنْ سَوَادِ قَلْبِي . فَلَمَّا رَأَيْتُ بَاطِنِي مُحْشَوْاً بِالذُّنُوبِ . وَقَلْبِي
مُسْوِداً بِالْعُيُوبِ . عَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَنْظُرُ إِلَى الصُّورِ وَلَكِنْ
يَنْظُرُ إِلَى الْقُلُوبِ . فَكَانَ إِعْجَابِي بِأَثْوَابِي سَبَباً لِحِجَابِي عَنْ ثَوَابِي .
فَكُنْتُ كَالرَّجُلِ الْمُنَافِقِ الَّذِي حَسَنَتْ سِيرَتُهُ . وَقُبِحَتْ سِرِّيَّتُهُ .
وَرَأَقَ فِي الْمُنْظَرِ سَمِيَّتُهُ . وَقَلَّ فِي الْخَبَرِ قِيمَتُهُ . وَلَوْ صَلَحَ قَلْبِي لَصَلَحَ
أَمْرِي . وَلَوْ شَاءَ رَبِّي لَطَابَ بَيْنَ الْخَلَائِقِ ذِكْرِي . وَفَاحَ بَيْنَ
الْأَزَاهِيرِ نَشْرِي . لَكِنَّ الطَّيْبُ لَا يَفُوحُ إِلَّا بِمَنْ يَطِيبُ . وَعَلَامَاتُ
الْقَبُولِ لَا تَلُوحُ إِلَّا عَلَى مَنْ رَضِيَ عَنْهُ الْحَبِيبُ :

أَنَا قَلْبِي قَدْ سَوَّدَتْهُ ذُنُوبِي وَقَضَى لِي مُعَذِّبِي إِشْقَائِي
مَنْ رَأَانِي يَظُنُّ خَيْرًا وَلَكِنْ خَالِقِي عَالِمٌ بِأَنِّي مُرَائِي
قَدْ تَحَسَّنَتْ مَنَظَرًا وَلِبَاسًا وَرَزَايَا مُحْشَوَةٌ بِحُشَائِي
وَاحْيَائِي إِذَا سُئِلْتُ وَمَا لِي مِنْ جَوَابٍ وَاخْتِلَئِي وَاحْيَائِي
لَوْ كَشَفْتَ السُّتُورَ عَنْ سُوءِ حَالِي لَرَأَيْتَ السُّرُورَ لِلْأَعْدَاءِ

اشارة السحاب

١٢٦ فَلَمَّا حَسُنَ الْعِتَابُ . وَطَابَ فَصْلُ الْخُطَابِ . دَمَعَ السَّحَابُ .

فَأَنْسَطَ وَسَاحَ فِي فَسِيجِ الرَّحَابِ . وَقَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ أَ يُنْكِرُ فَضْلِي
عَلَيْكُمْ . وَأَنَا أَلْبَاعِثُ طَلِيٍّ وَوَبِلِيٍّ إِلَيْكُمْ . وَهَلْ أَنْتُمْ إِلَّا أَطْفَالُ
جُودِي . وَتَسْلُ وَجُودِي . كَمْ مَلَأْتُ الْبَرَّ بَرًّا بِبِرِّي . وَالْبَحْرَ ذُرًّا
بِدَرِّي . فَلَمْ يَزَلْ تُدْنِي دَرِّي عَلَيْهِ دَرَارًا . وَمَزِيدُ بِرِّي إِلَيْهِ مِدْرَارًا .
فَإِذَا أَنْقَضَتْ أَيَّامُ الرِّضَاعِ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْفُطَامُ . أَقْطَعُ تُدْنِي عَنْهُ
فَيُصْبِحُ لِأَهْلِ الدُّنْيَا حُطَامًا . فَكَأَنَّ بَعْثَهُ فِي السِّكَابِ عِبْرَاتِي .
وَأَشُورَهُ فِي بَعْثِ قَطْرَاتِي . فَالْكُلُّ فِي الْحَقِيقَةِ أَطْفَالِي . وَلَوْ اعْتَرَفُوا
بِحَقِّي لَكَانُوا مِنْ الْجَوِّ أَطْفَالِي

إشارة الهزار

١٢٧ (قَالَ) : فَيَنِمُّ أَنَا مُضْغٌ لِنَادِمَةٍ أَزْهَارِهَا . عَلَى حَفَاتٍ أَنْهَارِهَا .
إِذْ صَاحَتْ فَصَاحَةُ أَطْيَارِهَا مِنْ أَوْكَارِهَا . فَأَوَّلَ مَا صَوَّتَ الْهَزَارُ .
وَنَادَى عَلَى نَفْسِهِ بِخَلْعِ الْعِذَارِ . وَبَاحَ بِمَا يُكَامِلُهُ مِنَ الْأَسْرَارِ . وَقَالَ
بِلِسَانِ حَالِهِ : أَنَا الْهَائِمُ الْهَفَانُ . الصَّادِي الظَّمَانُ . إِذَا رَأَيْتُ فَضْلَ
الرَّبِّيعِ قَدْ حَانَ . وَمَنْظَرَهُ الْبَدِيعِ قَدْ آنَ . تَجِدُنِي فِي الرِّيَاضِ قَرْحَانَ .
وَفِي الْغِيَاضِ أَرْدَدُ الْأَلْحَانَ . أَغْنِي وَأَطْرِبُ فَإِنَّا بِنَعْمَتِي طَرْبَانُ .
وَمَنْ لَشَوْتِي سَكْرَانُ . فَإِذَا زَمَزَمَ التَّسِيمُ وَصَفَّتْ أَوْدَاقُ الْأَغْصَانِ .
أَرْقِصُ عَلَى الْعِيدَانِ . فَكَأَنَّمَا الزَّهْرُ وَالنَّهْرُ لِي عِيدَانُ . وَأَنْتَ
تَحْسِبُنِي فِي ذَلِكَ عَابِثًا . لَا وَاللَّهِ وَلَسْتُ بِالْيَمِينِ حَاشِثًا . وَإِنَّمَا
أُنُوحُ حَرْبًا لَا طَرْبًا . وَأَبُوحُ تَرْحًا لَا فَرْحًا . لِأَنِّي مَا وَجَدْتُ رَوْضَةً

إِلَّا تَبَلَّيْتُ عَلَى بَلْبَالِهَا . وَلَا زُهَّةً إِلَّا نُحْتُ عَلَى أَضْحَىٰ لَهَا . وَلَا
خُضْرَةً إِلَّا بَكَيْتُ عَلَى زَوَالِهَا . لِأَنِّي مَا رَأَيْتُ صَفْوَةً إِلَّا تَكَدَّرَتْ .
وَلَا عَيْشَةً حُلُوءَةً إِلَّا تَمَرَّرَتْ . فَقَرَأْتُ فِي مِثَالِ الْعِرْفَانِ . كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا
قَانَ . فَكَيْفَ لَا أَنْوَحُ . عَلَى حَالٍ يُحَوِّلُ . وَوَقْتُ يَدُولُ . وَعَيْشٍ
يَزُولُ . وَوَصَلَ عَنْ قَرِيبٍ مَفْصُولٍ . وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ مِنْ شَرْحِ حَالِي
تُغْنِي عَنِ الْقُصُولِ :

حَدِيثُ ذَلِكَ الْحَمِيِّ رَوْحِي وَرَيْحَانِي فَلَا تَلْمَنِي إِذَا كَرَّرْتُ الْحَانِي
رَوْضَ بِهِ الرِّاحُ وَالرَّيْحَانُ قَدْ جُمِعَا وَخُضْرَةٌ مَا لَهَا فِي حُسْنِهَا ثَانِي
مِنْ أَيْضٍ يَتَّقِي أَوْ أَصْفَرٍ فَتَقِعُ أَوْ أَخْضَرَ رَقَقِ أَوْ أَحْمَرَ قَانِي
وَالْأَنْسُ دَانٍ وَتَمَلُّ الْوَصْلُ مُجْتَمِعٌ هَذَا هُوَ الْعَيْشُ إِلَّا أَنَّهُ فَانِي

اشارة البار

١٢٨ فَنَادَى الْبَارُ . وَهُوَ فِي مَيْدَانِ الْبَرَارِ . وَيَحْكُ لَقَدْ صَغُرَ جُرْمُكَ .
وَكَبُرَ جُرْمُكَ . وَقَدْ أَقْلَقْتَ بِتَغْرِيدِكَ الطَّيْرَ . وَإِطْلَاقَ لِسَانِكَ
يُجْلِبُ إِلَيْكَ الضَّيْرَ . وَمَا يُفْضِي بِكَ إِلَى خَيْرٍ . أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنَّ مَا
يُهْلِكُ الْإِنْسَانَ إِلَّا عَثَرَاتُ اللِّسَانِ . فَلَوْلَا لَقَلَقَةُ لِسَانِكَ . مَا أَخَذْتَ
مِنْ بَيْنِ أَقْرَانِكَ . وَحُبِسْتَ فِي ضَيْقِ الْأَقْفَاصِ . وَسَدَّ عَلَيْكَ بَابُ
الْحُلَاصِ . وَهَلْ ذَلِكَ إِلَّا مَا جَنَاهُ عَلَيْكَ لِسَانُكَ . فَاقْتَضَحَ بِهِ بَيَانُكَ .
فَلَوْ أَهْتَدَيْتَ بِسِتْمِي . وَافْتَدَيْتَ بِصِمْتِي . لَبَرِثْتَ مِنَ الْمَلَامَةِ . وَعَلِمْتَ
أَنَّ الصَّمْتَ رَفِيقُ السَّلَامَةِ . أَلَمْ تَرِنِي لَزِمْتُ الصُّمُوتَ . وَأَلْفَتْ

السُّكُوتَ . فَكَانَ الْعَمْتُ جَمَالِي . وَلَزُومُ الْأَدَبِ كَمَالِي . أَفْتَضُّصْتُ
 مِنَ الْبَرِّيَّةِ جَبْرًا . وَجَلَيْتُ إِلَى بِلَادِ الْغُرْبَةِ قَهْرًا . فَلَا بِالسَّرِيرَةِ بَحْتُ .
 وَلَا عَلَى الْأَظْلَالِ نُحْتُ . بَلْ أَدَبْتُ حِينَ غُرَبْتُ . وَفَرَبْتُ حِينَ
 جُرَبْتُ . وَامْتَحَنْتُ حِينَ امْتَحَنْتُ . وَعِنْدَ الْإِمْتِحَانِ . يُكْرَمُ الْمَرْءُ أَوْ
 يِهَانُ . فَلَمَّا رَأَى مُوَدِّي تَخْلِيَطَ الْوَقْتِ . خَافَ عَلَيَّ مِنَ الْمَقْتِ . فَكَمَّ
 بِصَرِي بِكُمَّةٍ : لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ . وَعَقَدَ لِسَانِي بِعُقْدَةٍ : لَا تُحَرِّكْ بِهِ
 لِسَانَكَ . وَقَيَّدَنِي بِقَيْدٍ : لَا تَمْسُ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا . فَأَنَانِي وَثَاقِي
 لَا أَتَأَلَّمُ . وَمِمَّا الْآقِي لَا أَتَكَلَّمُ . فَلَمَّا كُفِّمْتُ وَأَدَبْتُ . وَجُرَبْتُ
 وَهَدَبْتُ . اسْتَصَلَّحَنِي مُوَدِّي لِإِرْسَالِي إِلَى الصَّيْدِ . وَزَالَ عَنِّي ذَلِكَ
 الْقَيْدُ . فَأُطَقْتُ وَأُرْسِلْتُ . فَأَرَفَعْتَ الْكُمَّةَ عَنْ عَيْنِي . حَتَّى أَصْلَحْتُ
 مَا بَيْنَهُ وَبَيْنِي . فَوَجَدْتُ الْمُلُوكَ خُدَّامِي . وَكَفَّهْمُ تَحْتَ أَقْدَامِي :

أَمْسَكْتُ عَنْ فَضْلِ الْكَلَامِ لِسَانِي وَكَفَفْتُ عَنْ نَظَرِ الدُّنَا إِنْسَانِي
 مَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّ قُرْبَ مَنِّي لِيُخَارِفَ اللَّذَاتِ قَدْ أَنْسَانِي
 أَدَبْتُ آدَابَ الْمُلُوكِ وَعَلِمْتُ رُوحِي هُنَاكَ صَنَائِعَ الْإِحْسَانِ
 أُرْسِلْتُ مِنْ كَفِّ الْمُلُوكِ مُجَرَّدًا وَجَعَلْتُ مَا أَبْغِيهِ نَصَبَ عِيَانِي
 حَتَّى ظَفَرْتُ وَنَلْتُ مَا أَمْلَتْهُ ثُمَّ اسْتَجِيتُ إِلَيْهِ حِينَ دَعَانِي
 هَذَا لَعْمَرِي رَسْمُ كُلِّ مُكَلَّفٍ بِوُظَائِفِ التَّسْلِيمِ لِلْإِيمَانِ

إشارة للحمام

١٢٩ (قَالَ): فَيَنِمَّا أَنَا مُسْتَعْرِقٌ فِي لَذَّةِ كَلَامِهِ . مُعْتَبِرٌ بِحِكْمِهِ

وَأَحْكَامِهِ . إِذْ رَأَيْتُ أَمَامَهُ حَمَامَةً . قَدْ جَعَلَتْ طَوْقَ الْعُودِيَّةِ فِي عُنُقِهَا
 عَلَامَةً . فَقُلْتُ لَهَا : حَدِّثِي عَن ذَوْقِكَ وَشَوْقِكَ . وَأَوْضِحِي لِي مَا
 الْحِكْمَةُ فِي تَطْوِيسِ طَوْقِكَ . فَقَالَتْ : أَنَا الْمَطْوِقَةُ بِطَوْقِ الْأَمَانَةِ .
 الْمُقَلَّدَةُ بِتَقْلِيدِ الصَّيَانَةِ . نُبِذْتُ لِحِمْلِ الرِّسَائِلِ . وَتَبْلِيغِ الرِّسَائِلِ
 لِلرِّسَائِلِ . وَلِكِنِّي أَخْبِرُكَ عَنِ الْقِصَّةِ الصَّحِيحَةِ . فَإِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةَ .
 مَا كُلُّ طَائِرٍ أَمِينٌ . وَلَا كُلُّ حَالِفٍ يَصْدُقُ فِي الِيمِينِ . وَلَا كُلُّ
 سَالِكٍ مِنَ أَصْحَابِ الِيمِينِ . وَإِنَّمَا الْخُصُوصُ بِحِمْلِ الْأَمَانَةِ جُنْسِي .
 فَيُشْتَرَى بِالْخَرْجِ . وَيَعْرِفُ الطَّرِيقَ بِالتَّدْرِيجِ . فَأَقُولُ : حِمْلُونِي
 فَأَحْمِلْ كُتُبَ الْأَسْرَارِ . وَلَطَائِفَ الرِّسَائِلِ وَالْأَخْبَارِ . فَأُطِيرُ وَعَقْلِي
 مُسْتَطِيرٌ . خَائِفًا مِنْ جَارِحٍ جَارِحٍ . حَادِرًا مِنْ سَائِحٍ سَائِحٍ . جَارِعًا
 مِنْ صَائِدٍ ذَائِحٍ . فَأُهَاجِرُ . وَأُكَابِدُ الظَّمَاءَ فِي الْهَوَاجِرِ . وَأَطْوِي
 عَلَى الطَّوَى فِي الْحَاجِرِ . فَلَوْ رَأَيْتُ حَبَّةَ قَمْحٍ مَعَ شِدَّةِ جُوعِي رَجَعْتُ
 عَنْهَا . فَأَرْتَمِعُ خَشْيَةً مِنْ كَيْفِ مَدْفُونٍ . أَوْ شَرَكٍ يُعِيقُنِي عَنْ
 تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ . فَأَنْقَلِبُ بِصَفْقَةِ الْمُغْبُونِ . فَإِذَا وَصَلْتُ . وَفِي مَأْمَنِي
 حَصَلْتُ . أَذِيتُ مَا حَمَلْتُ . وَعَمِلْتُ مَا عَلِمْتُ . فَهَذَا لَكَ طَوْقُ .
 وَبِالْبَشَارَةِ خُلِقْتُ . وَأَنْقَلِبُ إِلَى شُكْرِ اللَّهِ عَلَى مَا وَفَّقْتُ .

أَيَا رَبِّي وَصَلْتُمْ أَوْ هَجَرْتُمْ قَعَبْدُكُمْ عَلَى حِفْظِ الْأَمَانَةِ
 مُقِيمٌ لَا يُزْحِرُهُ عَذُولٌ وَلَا يَنْبِي مُعْنَاهُ عِنَانَهُ
 حَمَلْتُ لِأَجْلِكُمْ مَا لَيْسَ تَقْوَى إِلَّا جِبَالُ الشَّمِّ تَحْمِلُهُ رِزَانَهُ

وَحِفْظُ الْعَهْدِ مَا وَفَاهُ حُرٌّ وَطَوْقُهُ فَتَى إِلَّا وَزَانَهُ

إشارة الخُطاف

١٣٠ (قَالَ): فَيَدْنِي مَا نَحْنُ نَتَذَاكِرُ أَوْصَافَ الْأَشْرَافِ. وَأَشْرَافَ
 الْأَوْصَافِ. إِذْ نَظَرْتُ إِلَى خُطَافٍ. وَهُوَ بِاللَّيْلِ قَدْ طَافَ. فَقُلْتُ:
 مَا لِي أَرَاكَ لَلَّيْلِ لَازِمًا. وَعَلَى مُوَالَسَةِ الْإِنْسِ عَازِمًا. فَلَوْ كُنْتُ فِي
 أَمْرِكَ حَازِمًا. لَمَا فَارَقْتُ أَبْنَاءَ جُنُسِكَ. وَرَضَيْتُ فِي الْبُيُوتِ بِجُنُسِكَ.
 ثُمَّ إِنَّكَ لَا تَنْزِلُ إِلَّا فِي الْمَنَازِلِ الْعَامِرَةِ. وَالْمَسَاكِينِ الَّتِي هِيَ بِأَهْلِهَا
 عَامِرَةٌ. فَقَالَ: يَا كَشِيفَ الطَّعْمِ. يَا ثَقِيلَ السَّمْعِ. اسْمَعْ تَرْجَمَةً حَالِي.
 وَكَيْفَ عَنِ الطَّيْرِ أَرْتَحَالِي. إِنَّمَا فَارَقْتُ أَمْثَالِي. وَعَاشَرْتُ غَيْرَ أَشْكَالِي.
 وَأَسْتَوَطَنْتُ السَّقُوفَ. دُونَ الشَّعَابِ وَالْكُحُوفِ. لِقَضِيَّةِ الْغُرَبَةِ.
 وَلَزُومًا لِأَدَابِ الصُّحْبَةِ. صَحِبْتُ مَنْ لَيْسَ مِنِّي لِأَكُونَ غَرِيبًا.
 وَجَاوَزْتُ خَيْرًا مِنِّي لِأَحْرَزَ بَيْنَهُمْ نَصِيبًا. فَأَعِيشْ عِيشَ الْغُرَبَاءِ. وَأَفُوزَ
 بِصُحْبَةِ الْأُدْبَاءِ. وَالْغَرِيبُ مَرْحُومٌ فِي غُرَبَتِهِ. مَلْطُوفٌ بِهِ فِي صُحْبَتِهِ.
 فَقَصِدْتُ الْمَنَازِلَ. غَيْرَ مُضِرٍّ بِالنَّازِلِ. أَبْتَنِي بَيْتِي مِنْ حَافَاتِ الْأَنْهَارِ.
 وَانْكَتَسَبْتُ قُوَّتِي مِنْ سَاحَاتِ الْقِفَارِ. فَلَسْتُ لِلْجَارِ كَمَنْ جَارَ. وَلَا لِأَهْلِ
 الدَّارِ كَالْغَدَّارِ. بَلْ أَحْسَنُ جَوَارِي مَعَ جَارِي. وَلَيْسَ مِنْهُمْ رَسْمُ
 جَارِي. أَكْثَرُ سَوَادِهِمْ. وَلَا أَسْتَطِيعُ زَادَهُمْ. فَرْهَدِي فِيمَا فِي أَيْدِيهِمْ.
 هُوَ الَّذِي حَبَبَنِي إِلَيْهِمْ. فَلَوْ شَارَكْتُهُمْ فِي قُوَّتِهِمْ. لَمَا بَقِيتُ مَعَهُمْ فِي
 بُيُوتِهِمْ. فَأَنَا شَرِيكُهُمْ فِي أُنْدِيَتِهِمْ. لَا فِي أَغْدِيَتِهِمْ. مُزَاجُهُمْ فِي

أَوْقَاتِهِمْ . لَا فِي أَقْوَاتِهِمْ . مُكْتَسَبٌ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ . لَا مِنْ أَرْزَاقِهِمْ .
 مُنْتَهَبٌ مِنْ حَالِهِمْ . لَا مِنْ مَالِهِمْ . مُقْتَسَبٌ مِنْ يَرِهِمْ . لَا مِنْ يُرِهِمْ .
 رَاغِبٌ فِي حَيِّهِمْ . لَا فِي حَيِّهِمْ . مُقْتَدِيًا بِقَوْلِهِ : إِرْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ
 اللَّهُ . وَارْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ . قَالَ فَقُلْتُ : لِلَّهِ دَرَكٌ
 لَقَدْ عِشْتَ سَعِيدًا . وَسِرْتَ سَيْرًا حَمِيدًا . وَوَفَّقْتَ أَمْرًا رَشِيدًا .
 وَقُلْتَ قَوْلًا سَدِيدًا . فَلَا أَطْلُبُ عَلَى مَوْعِظَتِكَ زَيْدًا

اشارة اليوم

١٣١ (قَالَ) : فَنَادَانِي الْيَوْمُ . وَهُوَ مُنْفَرِدٌ فِي الْخُرَابِ مَهْمُومٌ . أَيُّهَا
 الصَّدِيقُ الصَّادِقُ . وَالْحُلُّ الْمُرَافِقُ . لَا تَكُنْ بِمَقَالَةِ الْخُطَّافِ وَاثِقًا . وَلَا
 لِفَعْلِهِ مُوَافِقًا . فَإِنَّهُ إِنْ سَلِمَ مِنْ شِبِّهِ زَادَهُمْ . فَمَا سَلِمَ مِنْ زَوْجِهِمْ
 وَأَعْيَادِهِمْ . وَتَكْثِيرِ سَوَادِهِمْ . وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ مِنْ كَثَرِ سَوَادِ قَوْمٍ فَهُوَ
 مِنْهُمْ . وَلَوْ صَحِبَهُمْ سَاعَةً كَانَ مَسْئُولًا عَنْهُمْ . وَقَدْ فَهِمْتَ أَنَّ مُبْتَدَأَ
 التَّقْرِيطِ مِنْ آفَاتِ التَّخْلِيطِ . وَالْخُلْطَةُ غَلْطَةٌ . وَأَوَّلُ السَّيْلِ نَقْطَةٌ .
 وَاعْلَمْ أَنَّ السَّلَامَةَ فِي الْعَزَلَةِ . فَمَنْ وَلِيَهَا فَلَا يَخَافُ عَزْلَةً . فَهَلَّا اسْتَسَنَّ
 بِسُنَّتِي . وَتَأَسَّى بِوَحْدَتِي . وَاعْتَرَلَ الْمَنَارِلَ وَالنَّازِلَ . وَرَهَدَ فِي الْمَاكِلِ
 وَالْأَكِلِ . أَلَا تَرَانِي لَا أَشَارِكُهُمْ فِي مَنَازِلِهِمْ . وَلَا أَجَالِسُهُمْ فِي
 مَجَالِسِهِمْ . وَلَا أَسَاكِنُهُمْ فِي مَسَاكِنِهِمْ . وَلَا أَزَاجُهُمْ فِي أَمَاكِنِهِمْ . بَلِ
 اخْتَرْتُ الدَّائِرَ مِنَ الْجُدْرَانِ . وَرَضِيتُ بِالْخُرَابِ عَنِ الْعُمَرَانِ . فَسَلِمْتُ
 مِنَ الْأَنْكَادِ . وَأَمِنْتُ شَرَّ الْحُسَادِ . وَلَمْ أَرْزَلْ عَنِ الْأَحْبَابِ وَحِيدًا .

وَمَنْ أَلْقَرْنَا قَرِيْدًا . وَعَنْ الْأَثْرَابِ بَعِيْدًا شَرِيْدًا . فَمَنْ كَانَ مَسْكِنُهُ
 الْأَثْرَابَ . كَيْفَ يَسَاكِنُ الْأَثْرَابَ . مَنْ عَلِمَ أَنَّ الْعُمْرَ وَإِنْ طَالَ قَصِيْرُ .
 وَأَنَّ كُلًّا إِلَى الْفَنَاءِ يَصِيْرُ . بَاتَ عَلَى خَشْنِ الْحَصِيْرِ . وَأَفْطَرَ عَلَى قُرْصِ
 السَّعِيْرِ . وَرَضِيَ مِنَ الدُّنْيَا بِالْيَسِيْرِ . وَعَلِمَ أَنَّ قَرِيْبًا فِي الْجَنَّةِ وَقَرِيْبًا فِي
 السَّعِيْرِ . أَنَا نَظَرْتُ إِلَى الدُّنْيَا وَخَرَابِهَا . وَإِلَى الْآخِرَةِ وَأَقْتَرَابِهَا .
 وَإِلَى الْقِيَامَةِ وَحِسَابِهَا . وَإِلَى النَّفْسِ وَكُتْسَابِهَا . فَشَغَانِي التَّفَكُّرُ فِي
 حَالِي . عَنْ مَنْزِلِي الْحَالِي . وَأَذْهَلَنِي مَا عَلَيَّ وَمَالِي . وَأَذْهَبَنِي عَنْ أَهْلِي
 وَمَالِي . وَأَهْمَنِي صِحَّتِي وَاعْتِلَالِي . عَنْ الْقُصُورِ الْعَوَالِي . فَجَلَا الْيَقِيْنَ
 عَنْ بَصَرِ بَصِيْرَتِي كُلِّ شُبْهَةٍ . فَعَلِمْتُ أَنَّ لَا فُرْصَةَ تَدْوُمٍ وَلَا زُهْدَةٍ .
 وَأَنَّهُ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ . فَعَرَفْتُ مَنْ هُوَ . وَمَا عَرَفْتُ مَا هُوَ .
 وَحَيْثُ كُنْتُ فَلَا أَرَى إِلَّا هُوَ . فَإِذَا نَطَقْتُ فَلَا أَقُولُ إِلَّا هُوَ . (قَالَ) :
 فَأَخَذَتْ مَوْعِظَتَهُ بِجَامِعِ قَلْبِي . وَخَلَعْتُ عَنِّي مَلَابِسَ عَجْجِي

إشارة الدرة

١٣٣ (قَالَ) وَبَيْنَمَا أَنَا فِي هَذِهِ الْحَالِ إِذْ صَاَحَتِ الدَّرَّةُ مِنْ عَمَلِ عَمَلِي
 فَهُوَ مَسْعُودٌ . وَمَنْ حَذَا حَذْوِي فَهُوَ مَوْعُودٌ بِدَارِ الْخُلُودِ . أَلَا تَرَانِي لَمَّا عَلَتْ
 هِمَّتِي وَسَمَتْ عَزِيْمَتِي . كَيْفَ غَلَتْ قِيَمَتِي . فَلَمْ أَرْضَ لِنَفْسِي . مَا يَرْضِيهِ
 أَبْنَاءُ جَنَسِي . لَكِنِّي نَظَرْتُ إِلَى الْوُجُودِ . وَمَا فِيهِ مَوْجُودٌ قَرَأْتُ آدَمَ
 وَبَنِيهِ مِنْ دُونِ الْكُلِّ هُوَ الْمَصُودُ . خَلَقَ اللَّهُ الْكَائِنَاتِ مِنْ أَجْلِهِمْ
 وَخَلَقَهُمْ مِنْ أَجْلِهِ . فَوَصَلَ حَبْلُهُمْ بِحَبْلِهِ . وَفَعَلَ مَعَهُمْ مَا هُوَ مِنْ أَهْلِهِ .

فَإِذْ لِكَ زَامَتُهُمْ فِي كَلَامِهِمْ . وَشَارَكْتُهُمْ فِي طَعَامِهِمْ . فَأَتَشَبَّهُ بِهِمْ .
وَإِنْ لَمْ أَكُنْ مِنْهُمْ . وَأَتَخَلَّقُ بِهِمْ وَأَخَاطِبُهُمْ وَلَا أَرْغَبُ عَنْهُمْ . فَعَلْتَ
قِيَمَتِي . إِذْ عَلَتْ هِمَّتِي . فَأَحْلَوْنِي مَحَلَّ النَّدِيمِ . وَالْفَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . فَأَذْكُرُ كَمَا يَذْكُرُونَ . وَأَشْكُرُ كَمَا يَشْكُرُونَ :

إِخْتِيرَ حَالِي تَجِدُنِي مِنْ أَصْعِ النَّاسِ مُحَبَّرُ
أَنَا قَدْ أَحْيَيْتُ قَوْمًا شَرَفُوا مَعْنَى وَمَنْظَرَ
كَبَرُوا قَدْرًا وَذِكْرًا فَهُمْ أَزْكَى وَأَظْهَرُ

(قَالَ) فَلَمَّا سَامَ نَفْسَهُ بِهَذَا السَّوْمِ . وَجَاسَ فِي صَدْرِ مَجَالِسِ الْقَوْمِ .
فَقُلْتُ مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ . أَلْبَهَائِمُ فِي الْيُقْظَةِ وَأَنَا فِي النَّوْمِ . فَمَا لِي لَا
أُزَاحِمُ عَلَى أَبْوَابِ ذِي الْمُرَاحِمِ . لَعَلَّهُ يُؤْهَبُ مَرْحُومٌ لِرَاحِمِهِ . وَيُقَالُ :
مَرْحَبًا بِالْقَادِمِ . هَا قَدْ وَهَبْنَا الْجَنَابَةَ لِلنَّادِمِ .

اشارة الديك

١٣٣ (قَالَ) فَقُلْتُ : تَأَلَّهَ لَقَدْ قَارَ أَهْلُ الْخُلُوتِ . وَأَمْتَارَ أَهْلُ
الْصَّلَوَاتِ . وَمُنْعَ مِنَ الْجَوَارِ أَهْلُ الْغَفَلَاتِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ نَادَى الدِّيكُ .
كَمْ أَنَادَيْكَ . وَأَنْتَ فِي تَعَامِيكَ وَتَعَاشِيكَ . جَعَلْتَ الْأَذَانَ لِي
وَضَافَةً . أَوْ قَطَّ بِهِ مَنْ كَانَ نَائِمًا كَالْحَيْفَةِ . وَأَبَشَّرَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ
تَضَرُّعًا وَخِيفَةً . وَفِي إِشَارَةٍ لَطِيفَةٍ . أَصَفَّقُ بِجَنَاحِي بَشَرًا لِلْقِيَامِ .
وَأُعْلِنُ بِالصَّيْحَانِ تَنْبِيهًا لِلنِّيَامِ . فَتَضَفِّقُ الْجَنَاحَ . بُشْرَى بِالنَّجَاحِ . وَتَرْدِيدُ
الصَّيْحَانِ . دُعَاءٌ لِلْفَلَاحِ . لَا أُخِلُّ بِوَضِيقِي لَيْلًا وَلَا نَهَارًا . وَلَا أَغْفُلُ عَنْ

وَرَدِي سِرًّا وَلَا إِجْهَارًا . قَسَمْتُ وَظَائِفَ الطَّاعَاتِ . عَلَى جَمِيعِ السَّاعَاتِ .
فَمَا تَرُ سَاعَةً . إِلَّا وَلِي فِيهَا وَظِيفَةٌ طَاعَةٍ . فِي تَعْرِفِ الْمَوَاقِيتِ . وَلَا
تَغْلُو قِيَمَتِي وَلَوْ أُشْتَرِيتُ بِالْيَوَاقِيتِ . فَمَهْذَا حَالِي . مَعَ قِيَامِي عَلَى عِيَالِي .
وَإِشْفَاقِي عَلَى أَطْفَالِي . فَأَنَا بَيْنَ الدَّجَاجِ . أَقْفَعُ بِالْأَجَاجِ . وَلَا أَخْتَصُّ
دُونَهُمْ بِحَبَّةٍ . وَلَا أَتَجَرَّعُ دُونَهُمْ بِشَرْبَةٍ . وَهَذِهِ حَقِيقَةُ الْحَبَّةِ . إِنْ
رَأَيْتَ حَبَّةً دَعَوْتُهُمْ إِلَيْهَا . وَدَلَلْتَهُمْ عَلَيْهَا . فَمِنْ شَأْنِي الْإِيثَارُ . إِذَا
حَصَلَ الْقِتَارُ . ثُمَّ إِنِّي طَوَّعُ لَأَهْلِ الدَّارِ . أَصْبِرُ لَهُمْ عَلَى سُوءِ الْجَوَارِ .
يَذْجُبُونَ أَفْرَاحِي . وَأَنَا لَهُمْ كَالْخِلِّ الْمَوَاحِي . وَيَتَّبِعُونَ أَتَابِعِي . وَأَنَا فِي
نَفْعِهِمْ سَاعِي . فَمِنْ هَذِهِ شَيْءٌ أَوْصَافِي . وَسَجِيَّةٌ إِنْصَافِي . وَاللَّهُ لِي كَافِي .
يَذْكُرُ اللَّهُ يَدْفَعُ كُلَّ خَوْفٍ وَيَدْنُو الْخَيْرُ مِمَّنْ يَرْتَجِيهِ
وَلَكِنْ أَتَيْنَ مَنْ يُصْنِي وَيَدْرِي مَعَانِي مَا أَقُولُ وَمَنْ يَعِيهِ

إشارة البط

١٣٤ (قَالَ) فَنَادَى الْبَطُّ . وَهُوَ فِي الْمَاءِ يَنْغَطُّ . وَقَالَ : يَا مَنْ بَدَنِي
هَمَّتْهُ أَنْحَطَّ . لَا أَنْتَ مَعَ الطَّيْرِ فَتَرَقَى . وَلَا تَسْلَمُ مِنَ الصَّيْرِ فَتَبْقَى .
فَأَنْتَ كَأَمَلْتِ لَا أَرْضًا تَقْطَعُ . وَلَا لُزُومًا فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ يَتَّقُ .
سُقُوطِ نَفْسِكَ أَهْلًا عَلَى الْمَزَابِلِ . وَوُقُوفِكَ عِنْدَ الطَّلِّ حَجَبِكَ عَنِ
الْوَابِلِ . وَمَارِجٍ فِي الْمَتَاجِرِ مَنْ لَمْ يَقْطَعْ الْمَرَاحِلَ . وَلَا يَنْظُرُ بِالْجَوَاهِرِ
مَنْ هُوَ وَاقِفٌ بِالسَّاحِلِ . فَلَوْ بَدَتْ تَمْكِينُكَ . وَقَوِي يَقِينُكَ . لَطَرْتُ فِي
الْهَوَاءِ . وَمَشَيْتُ عَلَى الْمَاءِ . أَلَمْ تَرَنِ كَيْفَ مَلَكَتُ هَوَايَ . فَمَلَكَتُ

عَالِي الْمَاءِ وَالْهَوَاءِ . فَأَنَا فِي الْبَرِّ سَاحِجٌ . وَفِي الْبَحْرِ سَاحِجٌ . وَفِي الْهَوَاءِ
 سَارِحٌ . وَقَدْ جَعَلْتُ الْبَحْرَ مَرْكَزَ عِزِّي . وَمَعْدِنَ كَثْرِي . فَأَغْوَصُ فِي
 صَفَاءِ تَلَالِيهِ . فَأَجْتَلِي جَوَاهِرَ لَا لِيهِ . وَأَطْلُعُ فِيهِ عَلَى حِكْمِهِ
 وَمَعَانِيهِ . وَلَا يَعْرِفُ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ يُعَانِيهِ . فَمَنْ وَقَفَ عَلَى سَاحِلِهِ . لَمْ
 يَظْفَرْ إِلَّا بِزَبَدِهِ وَأَجَاغِهِ . وَمَنْ لَمْ يَخْذَرْ مِنْ دَوَاحِلِهِ وَلَجَاجِهِ . غَرِقَ
 فِي مُتَلَاظِمِ لَحْجِهِ وَأَمْوَاجِهِ . فَالْسَّعِيدُ مَنْ رَكِبَ قَارِبَ قُرْبَاتِهِ . وَرَفَعَ
 قُلُوعَ تَضَرُّعَاتِهِ . مُتَعَرِّضًا لِنَسَمَاتِ نَفْحَاتِهِ . مَاذَا لَبَانَ رَجَائِهِ بِجَذْبَاتِهِ .
 ثُمَّ قَطَعَ كَثَافَ ظُلُمَاتِهِ . فَوَصَلَ إِلَى مَجْمَعِ بَحْرِي ذَاتِهِ وَصَفَاتِهِ .
 فَهَذَا لَكَ يَقَعُ عَلَى عَيْنِ حَيَاتِهِ . فَيَرِدُ مِنْ عَذْبِهِ وَفُرَاتِهِ :

يَا طَالِبًا لِلْمَعَالِي مَهْرُ الْمَعَالِي غَالِي
 قَدِمَ فَأَوَّلُ نَقْدٍ مُعْجَلُ الْآجَالِ
 مَا اسْتَعَذَّبَ الْمَوْتَ إِلَّا مَنْ ذَاقَ ذَوْقَ الرَّجَالِ
 حِمَاهُ دُونَ الْوَصَالِ حِمَاهُ حَدُّ النِّصَالِ
 كَذَا الْقُصُورُ الْعَوَالِي حُفَّتْ بِسُمرِ الْعَوَالِي
 وَالشَّهْدُ دُونَ جَنَاهُ لَدَغُ كَحْدِ النَّبَالِ
 قَدْ طَافَ حَوْلَ حِمَاهُ ذُو الْجُدُودِ الْعَوَالِي
 وَصَابَرُوا فِي هَوَاهُ عَلَيْهِ مَرُّ النَّكَالِ
 صَامُوا وَبِالذِّكْرِ قَامُوا فِي مُظْلِمَاتِ اللَّيَالِي
 إِنْ كُنْتَ بَطَالًا فَاتْرُكْ مَنَازِلَ الْأَبْطَالِ

إشارة النحل

١٣٥ (قَالَ): فَتَادَتِ النُّحْلَةُ: يَالَهَا مِنْ نُحْلَةٍ. مَا صَحَّ فِي رَوَايَتِهَا رَحْلَةٌ.
فَالْعَارِفُ مَنْ ظَهَرَ مَعْنَاهُ. وَقِيلَ دَعَاؤُهُ. وَعِلْمٌ صَفَاءُ سِرِّهِ مِنْ نَجْوَاهُ.
وَمَنْ مَحَاقِقَةُ دَعَاؤُهُ. ثَبَّتَ حَقِيقَةَ مَعْنَاهُ. فَلَا تَقُلْ قَوْلًا يُبْطِلُهُ فِعْلُكَ.
وَلَا تُرَبِّ قَرَعًا يُفْضُهُ أَصْلُكَ. أَلَا تَرَانِي لِمَا طَابَ مَطْعَمِي وَصَفَا مَشْرَبِي.
كَيْفَ رُفِعَتْ رُتَبَتِي. وَعَلَا مَنْصِبِي. وَكَمَلْ أَدْبِي. لَوْلَا أَنِّي أَكَلْتُ
الْحُلَالَ. وَلَزِمْتُ أَشْرَفَ الْحُلَالِ. حَتَّى صِرْتُ كَالْحُلَالِ. أَسْلُكُ سُبُلَ
رَبِّي ذُلًّا. وَأَشْكُرُ مِنْ نِعَمِهِ فُضُولًا وَجُمْلًا. أَبْتَغِي الْمُبَاحَ. الَّذِي لَيْسَ
عَلَى أَكْلِهِ مِنْ جُنَاحٍ. فَأَجْعَلُ فِي الْجِبَالِ بُيُوتِي. وَمِنْ مَبَاحِ الْأَشْجَارِ
قُوتِي. أَبْتَغِي بُيُوتًا يَمْجِزُ كُلَّ صَانِعٍ عَنْ تَأْسِيسِهَا. وَيُخَيِّرُ أَقْلِيدُسُ فِي
حَلِّ شَكْلِ تَسْدِيسِهَا. ثُمَّ أَسْقِطُ عَلَى الزَّهْرِ وَالْثَمَرِ. فَلَا أَكُلُ ثَمَرَةً.
وَلَا أَهْشُمُ زَهْرَةً. بَلْ أَتَنَاولُ مِنْهَا شَيْئًا عَلَى هَيْئَةِ الطَّلِّ. فَأَتَغَدَّى بِهِ
قَانِعَةً وَإِنْ قَلَّ. ثُمَّ أَعُودُ إِلَى عَشْيِي. وَقَدْ صَفَا كَدْرُ عَيْشِي. فَأَسْتَغِلُّ
فِي وَكْرِي بِفِكْرِي وَذِكْرِي. وَأُخْلِصُ لِمَوْلَايَ شُكْرِي. وَلَا أَفْتَرِعَنَّ
الذِّكْرَ. وَلَا أَغْفُلُ عَنِ الشُّكْرِ. قَدْ أَتَيْتُ عِلْمِي وَعَمَلِي. شَمْعِي وَعَسَلِي.
فَالْتَمَعْتُ ثَمَرَةَ الْعِلْمِ الْمُنْقُولِ. وَالْعَسَلُ ثَمَرَةُ الْعَمَلِ الْمَقْبُولِ. فَالْتَمَعْتُ لِلضِّيَاءِ.
وَالْعَسَلُ لِلشِّفَاءِ. فَإِذَا أَتَانِي قَاصِدُ يَسْتَضِي بِضِيَاءِي. وَإِنْ أَتَانِي
عَلِيلٌ يَسْتَشْفِي بِشِفَائِي. فَلَا أَذِيقُهُ حَلَاوَةَ نَفْعِي. حَتَّى أَجْرِعَهُ مَرَارَةً
لَسْعِي. وَلَا أَهْلِيهِ شَهْدِي. إِلَّا بَعْدَ مُكَابَدَةِ جَهْدِي. فَإِنْ أَقْتَصَصَهُ

مِنِّي قَهْرًا . أُحَامِي عَنْهُ جَهْرًا . وَأَدَافِعُ عَنْهُ بِرُوحِي . وَأَقُولُ يَا رُوحُ رُوحِي .
ثُمَّ أَقُولُ لِمَنْ جَنَانِي . وَأَسْتَخْرِجُنِي مِنْ جِنَانِي . أَنْتَ يَا جَانِي . عَلَيَّ
جَانِي . فَإِنْ كُنْتُ لِلرُّمُوزِ تُعَانِي . فَقَدْ رُمِزْتُ لَكَ فِي مَعَانِي . إِنَّكَ لَا
تَصِلُ إِلَى وَصَالِي . حَتَّى تَصْبِرَ عَلَى حَدِّ نَصَالِي :

إِصْبِرْ عَلَى مُرِّ هَجْرِي إِنْ رُمْتُ مِنِّي وَصَالَا
وَأَتْرُكْ لِأَجْلِ هَوَايَ مَنْ صَدَّ جَهْلًا وَصَالَا
وَمُتْ إِذَا شِئْتَ تَحْيَا وَأَسْتَحْجِلُ الْآجَالَا
إِنْ كُنْتُ مَعْنَى تَمَعْنَى فَقَدْ ضَرَبْتُ مِثَالَا
فَإِنْ فَهِمْتَ رُمُوزِي إِقْدَمْ وَإِلَّا فَلَا لَا

اشارة الشمع

١٣٦ (قَالَ) : فَسَمِعَ النَّحْلُ اسْتِغَاثَةَ شَمْعِهِ . فَأَصْنَعَ إِلَيْهِ بِسْمِعِهِ . فَإِذَا هُوَ
يَحْتَرِقُ بِالنَّارِ . وَيَبْكِي بِأَذْمُعِ غَزَارِ . وَيَقُولُ : أَيُّهَا النَّحْلُ أَمَا يَكْفِينِي . أَنْ
رُمِيتُ مِنْكَ بِبَيْنِي . وَفَرَّقَ النَّهْرُ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنِي . فَأَنْتَ فِي الْوُجُودِ
أَيِّي . وَفِي الْإِيجَادِ سَبَبِي . فَأَفْرَدْتُ عَنْكَ بَحْرِي قِي . أَنَا وَالْعَسَلُ
شَقِيْقِي . وَهُوَ أَخِي وَرَفِيْقِي . فَيَدْنِي نَحْنُ مُجْتَمِعَانِ . وَفِي قَرَارِنَا مُلْتَمِسَانِ .
إِذَا فَرَّقَتْ بَيْنَنَا يَدُ النَّارِ وَرَمَتْهَا بَعْدَ الدَّارِ . وَشَطَّ مَا بَيْنَنَا الْمَزَارُ .
فَأَفْرَدَتْ عَنْهُ وَأَفْرَدَتْ عَنِّي . وَبَدَتْ مِنْهُ وَبَانَ مِنِّي . ثُمَّ سَلَطَتْ عَلَى النَّارِ
وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَهْلِ الْأَوْزَارِ . فَكَيْدِي تَحْتَرِقُ . وَجَسَدِي تَحْتَ رِقِّ
وَأَهْلُ الْمَعْرِفَةِ يَسْتَضِيُّونَ بِنُورِ إِشْرَاقِي . فَأَنَا فِي إِشْرَاقٍ وَإِحْرَاقٍ :

وَدَمَعُ مَهْرَاقٍ . قَائِمٌ فِي الْحِدْمَةِ عَلَى سَاقٍ . أَجْمَلُ ضَرَرِي وَضَرِي .
وَأَحْرَقَ نَفْسِي لِأُشْرِقَ عَلَى غَيْرِي . فَأَنَا مُعَذَّبٌ بِشَرِّي . وَغَيْرِي مُسْتَمِعٌ
بِحَيْرِي . فَكَيْفَ أَلَامٌ عَلَى أَصْفَرَارِي . وَدُمُوعِي الْجَوَارِي . ثُمَّ تَقْصِدَنِي
الْأَوْبَاشُ . مِنْ الْقَرَّاشِ . يُرِيدُونَ إِطْفَاءِي . وَإِذْ هَابَ أَضْوَاءِي . فَأَحْرَقَهُ
مُكَافَأَةً لِفِعْلِهِ . وَلَا يَحْيِقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ . فَلَوْ مَلَأْتُ الْأَرْضُ
فِرَاشًا لَكُنْتُ مِنْهُمْ بِأَمَانٍ . وَلَوْ مَلَأْتُ أَوْبَاشًا لَمَا أَطْفَؤُوا نُورَ الْإِيمَانِ .
يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ . وَيَأْتِي الرَّحْمَنُ . وَهَذَا رَمَزٌ لِمَنْ
تَمَعْنَاهُ بَيَانٌ :

قَدْ أَتَى يَا نُورَ عَيْنِي مِنْكَ نُورٌ أَيْ نُورِ
فَهْدَايَ وَضَلَّالِي بِكَ يَا كُلَّ سُرُورِي
لَمْ يُطِقْ كُلُّ عَذُولٍ فِيكَ يَرْمِينِي بِزُورِي
وَكَذَا كُلُّ هَوَاءٍ لَمْ يُطِقْ إِطْفَاءَ نُورِي

إشارة الغراب

١٣٧ (قَالَ) : فَيَنِينَا أَنَا فِي نَشْوَةِ هَذَا الْعِتَابِ . وَلَذَّةِ هَذَا الشَّرَابِ .
إِذْ سَمِعْتُ صَوْتَ غُرَابٍ . يَتَعَقُّ بِتَفْرِيقِ الْأَتْرَابِ . وَيُؤْوِجُ نَوْحَ الْمُصَابِ .
وَيُؤْوِجُ مَا يَجِدُهُ مِنَ الْإِلِيمِ الْعَذَابِ . وَقَدْ لَيْسَ مِنَ الْحِدَادِ جَلْبَابُ .
وَرَضِي مِنْ بَيْنِ الْعِبَادِ بِتَسْوِيدِ الثِّيَابِ . فَقُلْتُ : أَيُّهَا النَّادِبُ لَقَدْ
كَدَّرْتَ مَا كَانَ صَافِيًا . وَمَرَّرْتَ مَا كَانَ حُلُوشًا صَافِيًا . فَمَا لَكَ لَمْ تَرَلْ فِي
الْبُكُورِ سَاعِيًا . وَعَلَى الرُّبُوعِ نَاعِيًا . وَإِلَى الْبَيْنِ دَاعِيًا . إِنْ رَأَيْتَ سَمَلًا

مُجْتَمِعًا أَنْذَرْتَ بِشَتَاتِهِ . وَإِنْ شَاهَدْتَ قَصْرًا عَالِيًا بَشَّرْتَ بِدُرُوسٍ
عَرَصَاتِهِ . فَأَنْتَ لَدَى الْخَلِيطِ الْمَعَاشِرِ أَشَامٌ مِنْ قَاشِرٍ . وَعِنْدَ اللَّيْلِ
الْحَازِرِ . الْأَمُّ مِنْ جَادِرٍ . فَنَادَانِي بِلِسَانِ رَجُلٍ الْقَصِيحِ . وَأَشَارَ بِعُنْوَانِ
حَالِهِ الصَّرِيحِ . وَيَحْكُ أَنْتَ لَا تَفَرِّقُ بَيْنَ الْحَسَنِ وَالْقَبِيحِ . وَقَدْ
تَسَاوَى لَدَيْكَ الْعَدُوُّ وَالصَّيْحُ . لَا مَالِكِيَّةَ تَفْهَمُ وَلَا بِالتَّصْرِيحِ .
كَأَنَّ الْمَوَاعِظَ فِي أذُنِكَ رِيحٌ . وَكَلَامَ الْمَوَاعِظِ فِي سَمْعِ هَوَاكَ كَالنَّسِيمِ .
أَمَا تَذْكُرُ رَحِيلَكَ مِنْ هَذَا الْفَيْحِ الْقَفِيحِ . إِلَى ظَلَمَةِ الْقَبْرِ وَضِيقِ
الصَّرِيحِ . أَمَا بَلَغَكَ مَا جَرَى عَلَى أَبِيكَ آدَمَ وَهُوَ يُنَادِي عَلَى نَفْسِهِ
وَيَصِيحُ . أَمَا تَعْتَبِرُ بَنُوْحُ نُوحَ . وَهُوَ يَبْكِي وَيَنُوحُ . عَلَى دَارٍ لَيْسَ بِهَا
أَحَدٌ مُسْتَرِيحٌ . أَمَا تَقْتَدِي بِصَبْرِ الذَّبِيحِ . أَمَا يَكْفِيكَ مَا تَمَّ عَلَى دَاوُدَ حَتَّى
بَكَى بِقَلْبِهِ الْقَرِيحِ . أَمَا تَهْتَدِي بِزُهْدِ الْمُسِيحِ . أَيُّ جَمْعٍ لَمْ يَفَرِّقْ . أَيُّ
شَمَلٍ لَمْ يَتَمَزَّقْ . أَيُّ صَفْوٍ لَمْ يَتَكَدَّرْ . أَيُّ حُلُوٍّ لَمْ يَتَمَرَّرْ . أَيُّ أَمَلٍ لَمْ
يَقْطَعْهُ الْأَجَلُ . أَيُّ تَذَبُّرٍ لَمْ يُبْطِلْهُ التَّقْدِيرُ . أَيُّ بَشِيرٍ لَمْ يُعَقِّبْهُ
نَذِيرٌ . أَيُّ يَسِيرٍ . مَا عَادَ عَسِيرٌ . أَيُّ حَالٍ . مَا حَالَ . أَيُّ مُقِيمٍ مَا
زَالَ . أَيُّ مَالٍ . عَنْ صَاحِبِهِ مَا مَالَ . أَيْنَ ذَوُّ الْعُمُرِ الطَّوِيلِ . أَيْنَ
ذَوُّ الْمَالِ الْخَزِيلِ . أَيْنَ ذَوُّ الْوَجْهِ الْجَمِيلِ . أَمَا قَرَضَهُمُ الْمَوْتُ حِيلًا
بَعْدَ جِيلٍ . أَمَا سَوَى فِي الْآثَرِ بَيْنَ الْعَبْدِ الدَّلِيلِ . وَالْمَوْلَى الْجَلِيلِ .
أَمَا هَتَفَ بِالْمُتَمَتِّعِ بِدُنْيَاهُ قُلُ : مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ . فَكَيْفَ تُلَوِّمُنِي عَلَى
نَوَاحِي . وَتَسْتَشْنِمُ بِصِيَاحِي . فِي مَسَائِي وَصَبَاحِي . وَلَوْ عَلِمْتَ أَنَّهَا

أَلَا حِي . بِمَا فِيهِ صَلَاحُكَ وَصَلَاحِي لَا تَشْتَبِهُ بِي شَاحِي . وَوَأَفْقَتِي فِي
 سَوَادِ جَنَاحِي . وَأَجَبْتَنِي بِالنُّوَاحِ . مِنْ سَائِرِ النُّوَاحِي . لَكِنْ أَلْهَاكَ لَهْوُكَ .
 وَحَجَبَكَ عَجَبُكَ وَزَهْوُكَ . وَهَذَا أَنَا أَعْرِفُ النَّازِلَ . بِخَرَابِ الْمُنَازِلِ .
 وَأَحْذَرُ الْأَكِلَ . غُصَّةَ الْمَاكِلِ . وَأُبَشِّرُ الرَّاحِلَ . بِقُرْبِ الرَّاحِلِ .
 وَصَدِيقُكَ مِنْ صَدَقِكَ . لَا مَنْ صَدَقَكَ . وَمَنْ عَذَلَكَ . لَا مَنْ
 عَذَرَكَ . وَمَنْ بَصَرَكَ . لَا مَنْ نَصَرَكَ . وَمَنْ وَعَظَكَ . فَقَدْ أَتَقَظَكَ .
 وَمَنْ أَنْذَرَكَ . فَقَدْ حَذَرَكَ . وَلَقَدْ أَنْذَرْتُكَ بِسَوَادِي . وَحَذَرْتُكَ
 بِتَرْدَادِي . وَأَسْتَعْنُكَ نِدَائِي فِي النَّادِي . وَلَكِنْ لَا حَيَاةَ لِمَنْ تُنَادِي :
 أَنْوَحُ عَلَى ذَهَابِ الْعُمُرِ مِنِّي وَحَقِّي أَنْ أَنْوَحَ وَأَنْ أَنْادِي
 وَأَنْدُبُ كُلَّمَا عَايَنْتُ رَكْبًا حَذَا بِهِمْ لَوْشَكَ الْبَيْنِ حَادِي
 يُعْتَفِي الْجَهْلُولُ إِذَا رَأَى وَقَدْ أَلَسْتُ أَثْوَابَ الْجَدَادِ
 قُلْتُ لَهُ أَتَعْطُ بِلِسَانِ حَالِي فَإِنِّي قَدْ نَصَحْتُكَ بِاجْتِهَادِي
 وَهَذَا أَنَا كَالْخَطِيبِ وَلَيْسَ بِدَعَا عَلَى الْخُطْبَاءِ أَثْوَابُ السَّوَادِ
 أَلَمْ تَرَنِي إِذَا عَايَنْتُ رَبْعًا أَنْادِي بِالنُّوَى فِي كُلِّ وَادِي
 أَنْوَحُ عَلَى الطُّلُولِ فَلَمْ يُجِبْنِي بِسَاحَتِهَا سِوَى خُرْسِ الْجَمَادِ
 وَأَكْثَرُ فِي تَوَاجِيهِهَا نَوَاحِي مِنَ الْبَيْنِ الْمُقْتَبِ لِلْفَوَادِ
 تَقِظُ يَأْتَقِيلُ السَّمْعُ وَأَفْهَمُ إِشَارَةً مَا تَشِيرُ بِهِ الْفَوَادِي
 فَمَا مِنْ شَهِيدٍ فِي الْكَوْنِ إِلَّا عَلَيْهِ مِنْ شُهُودِ الْغَيْبِ بَادِي
 فَكَمْ مِنْ رَاحٍ فِيهَا وَعَادِ يُنَادِي مِنْ دُنُوٍّ أَوْ بَعَادِ

لَقَدْ أَسْمَعْتُ لَوْ نَادَيْتُ حَيًّا وَلَكِنْ لَا حَيَاةَ لِمَنْ أُنَادِي

اشارة المدهد

١٣٨ - (قَالَ) فَلَمَّا كَدَّرَ عَلَى الْغُرَابِ وَقْتِي . وَحَذَّرَنِي مَقْتِي .
 انْصَرَفْتُ مِنْ حَضْرَتِي . إِلَى خَلْوَةٍ فِكْرَتِي . فَهَتَفَ بِي هَاتِفٌ مِنْ
 سَمَاءِ فِطْرَتِي . أَيُّهَا السَّامِعُ مَنْطِقِ الطَّيْرِ . الْمَتَأَسِّفُ عَلَى فَوَاتِ الْخَيْرِ .
 تَاللَّهِ لَوْ صَغَتِ الضَّمَارُ . لَنَفَذَتِ الْبَصَارُ . وَاهْتَدَى السَّارُ . وَمَا ضَلَّ
 الْحَارُ . وَلَوْ طَابَتِ الْخَوَاطِرُ . لَبَانَتْ الْأَمَارُ . وَلَوْ شَرَحَتِ السَّرَائِرُ
 لَظَهَرَتِ الْبَشَائِرُ . وَلَوْ انْشَرَحَتِ الصُّدُورُ . لَظَهَرَ لَكَ النُّسُورُ . وَلَوْ
 ارْتَفَعَتِ السُّتُورُ . لَانْكَشَفَ الْمُسْتُورُ . وَلَوْ طُهِّرَتِ الْقُلُوبُ . لَظَهَرَتِ
 سَرَائِرُ الْغُيُوبِ . وَلَوْ خَلَعَتِ ثِيَابُ الْإِعْجَابِ . لَرَفَعَ لَكَ الْحِجَابُ . وَلَوْ
 غُبِتَ عَنْ عَالَمِ الْغَيْبِ . لَشَاهَدْتَ عَالَمَ الْغَيْبِ . وَلَوْ قَطَعْتَ الْعَلَائِقَ .
 لَانْكَشَفْتَ لَكَ الْحَقَائِقَ . وَلَوْ خَالَفْتَ الْعَادَةَ . لَمَا انْقَطَعَتْ عَنْكَ الْمَادَّةُ .
 وَلَوْ تَجَرَّدْتَ عَنْ الْإِرَادَةِ . لَوَصَلْتَ إِلَى رُتَبَةِ السِّيَادَةِ . وَلَوْ مِلْتَ عَنْ
 هَوَاكَ لَمَالَ بِكَ إِلَيْهِ . وَلَوْ فَارَقْتَ أَبَاكَ لَجَمَعَكَ عَلَيْهِ . وَلَوْ بَعُدَ عَنْكَ
 لَوَجَدْتَ الزُّلْفَى لَدَيْهِ . وَلَكِنَّكَ مَسْجُونٌ فِي سِجْنِ طَبْعِكَ . مُقِيدٌ بِقَيْدِ
 مَالُوفِكَ . مُتَشَاغِلٌ بِشَوَاعِلِ نَفْسِكَ . مُتَعَلِّقٌ بِجِبَالِ خَيَالِ حِسِّكَ . قَدْ
 أَرْمَمْتَكَ بِرُودَةِ عَزَمِكَ وَأَحْرَقَتْكَ حَرَارَةُ حِرْصِكَ . وَأَثْقَلَتْكَ نَحْمَةُ
 بَطْرِكَ . وَأَسْتَعْمَمْتَكَ عُفُونُهُ رُغُونَتِكَ . وَبَرَّسَمْتَكَ وَسَاوِسُ شَهْوَتِكَ .
 فَأَنْتَ بَارِدُ الْهِمَّةِ . مُقْعَدُ الْعَزْمَةِ . جَامِدُ الْفِكْرَةِ . فَاسِدُ الْقِلْطَرَةِ . كَثِيرُ

الْحَيَرَةُ. قَدْ اُنْعَكَسَ ذَوْقُ فَهْمِكَ . قَرَأْتَ الْحَسَنَ فَيَجًا . وَاقْتَبَحَ حَسَنًا .
 أَلَا تَرَى إِلَى اَلْهُدُودِ حِينَ حَسَنْتَ سِيرَتَهُ . وَصَفْتَ سِرِّيَّتَهُ . كَيْفَ
 نَفَذْتَ بَصِيرَتَهُ . فَتَرَاهُ يُشَاهِدُ بِالنَّظَرِ . مَا تَحْجِبُهُ الْأَرْضُ عَنْ سَائِرِ
 الْبَشَرِ . فَيَرَى فِي بَطْنِهَا الْمَاءَ الْجَنَاحَ . كَمَا تَرَاهُ أَنْتَ فِي الزُّجَاجِ . وَيَقُولُ
 بِصِحَّةِ ذَوْقِهِ وَصِدْقِهِ : هَذَا عَذْبُ فَرَاتٍ وَهَذَا مَلْحٌ أَجَاجٍ . وَيَقُولُ : أَنَا
 الَّذِي أُوتِيتُ مَعَ صَغِيرِ الْجُثْمَانِ . مَا لَمْ يُؤْتَهُ سُلَيْمَانُ . فَإِنْ كُنْتَ تَمَنَّ
 يَقْبَلُ نُصْحِي . فَحَسِّنْ سِيرَتَكَ . وَاصْفِ سِرِّيَّتَكَ . وَطَيِّبْ أَخْلَاقَكَ .
 وَرَاقِبْ خَلَاقَكَ . وَتَادَّبْ بِأَحْسَنِ الْأَدَابِ . وَلَوْ أَنَّهَا مِنَ الدُّوَابِّ .
 فَإِنَّهُ مَنْ لَمْ يَأْخُذْ إِشَارَتَهُ مِنْ صَرِيرِ الْبَابِ وَطَنِينَ الذُّبَابِ . وَتَبَيَّحَ
 الْكِلَابِ . وَحَشَرَاتِ التُّرَابِ . وَيَفْهَمَ مَا يُشِيرُ بِهِ مَسِيرُ السَّحَابِ .
 وَلَمْعُ السَّرَابِ . وَضِيَاءُ الضَّبَابِ . فَلَيْسَ مِنْ ذَوِي الْأَلْبَابِ

اشارة الكلاب

١٣٩ (قَالَ) فَيَدْنَا أَنَا مُسْتَرْقُ فِي لَذَّةِ الْخِطَابِ . مُنْصِتٌ لِلْجَوَابِ .
 إِذْ نَادَانِي كَلْبٌ عَلَى الْبَابِ . يَقْطُطُ مِنَ الْمَزَابِلِ مَا يَسْقُطُ مِنَ الْبَابِ .
 فَقَالَ : يَا مَنْ هُوَ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ . يَا مُعْجُوبًا عَنِ الْمُسَبِّبِ بِالْأَسْبَابِ .
 يَا مُسَبِّلًا ثِيَابَ الْإِعْجَابِ . تَادَّبْ بِأَدَائِي . فَإِنَّ فِعْلَ الْجَمِيلِ دَائِي .
 وَسُسْ نَفْسَكَ بِسِيَاسَتِي . وَاسْمَعْ مَا أَقُولُ لَكَ مِنْ فِرَاسَتِي . وَمَا عَلَيْكَ
 مِنْ خَسَاسَتِي . فَإِنِّي إِنْ كُنْتُ فِي الصُّورَةِ حَقِيرًا . تَجِدُنِي فِي الْمَعْنَى
 قَعِيرًا . لَا أَرَاكَ وَاقِعًا عَلَى أَبْوَابِ سَادَتِي . غَيْرَ رَاجِبٍ فِي سِيَادَتِي . فَلَا

أَتَقِيرُ عَنْ عَادَتِي . وَلَا أَقْطَعُ عَنْهُمْ مَادَّتِي . أَطْرَدُ فَأَعُودُ . وَأَضْرِبُ
وَلَسْتُ بِالْحَتُودِ . وَأَنَا حَافِظٌ لِلْوَدِّ بَاقٍ عَلَى الْعُهُودِ . أَقُومُ إِذَا كَانَ
الْأَنَامُ رَقُودًا . وَأَصُومُ وَالْحَيَوَانَ مَمْدُودًا . وَلَيْسَ لِي مَالٌ مَعْدُودٌ . وَلَا
سِمَاطٌ مَمْدُودٌ . وَلَا رِبَاطٌ مَعْهُودٌ . وَلَا مَقَامٌ مَحْمُودٌ . إِنْ أُعْطِيتُ شَكَرْتُ .
وَإِنْ مُنِعْتُ صَبِرْتُ . لَا أَرَى فِي الْآفَاقِ شَاكِيًا . وَلَا عَلَى مَافَاتٍ
بَاكِيًا . إِنْ مَرَضْتُ فَلَا أَعَادُ . وَإِنْ مِتُّ فَلَا أَهْمُ عَلَى أَعْوَادٍ . وَإِنْ غِبْتُ
فَلَا يُقَالُ لِيْتَهُ عَادَ . وَإِنْ فُقِدْتُ فَلَا تَبْكِيَنِي الْأَوْلَادُ . وَإِنْ سَافَرْتُ
فَلَا أَسْتَصْحِبُ الزَّادَ . لَا مَالٌ لِي يُورَثُ . وَلَا عَقَارٌ فَيُخْرَثُ . إِنْ فُقِدْتُ
فَلَا يُبْكِي عَلَيَّ . وَإِنْ وَجِدْتُ فَلَا يُنْظَرُ إِلَيَّ . وَأَنَا مَعَ ذَلِكَ أَحُومُ حَوْلَ
حِمَاهِمُ . وَأَدُومُ عَلَى وِفَاقِهِمْ . عَاكِفٌ عَلَى مَزَابِلِهِمْ . قَانِعٌ بِطَلْهِمْ دُونَ وَابِلِهِمْ .
فَإِنْ أَعْجَبَكَ خِلَالِي فَمَتَسَّكْ بِأَذْيَالِي . وَتَعَلَّقْ بِحَبَالِي . وَإِنْ أَرَدْتَ
وَفَاقِي . فَتَخَلَّقْ بِأَخْلَاقِي :

وَتَعَلَّمَ حِفْظَ الْمَوَدَّةِ مِنِّي وَتَمَسَّكَ إِلَى الْعُلَى بِحَبَالِي
أَنَا كَلْبٌ حَقِيرٌ قَدَّرَ وَلَكِنْ لِي قَلْبٌ خَالٍ مِنَ الْإِدْغَالِ
أَحْفَظُ الْجَارَ فِي الْجَوَارِدِ أَبِي أَنْ أَحَامِيَ عَلَيْهِمْ فِي اللَّيَالِي
وَتَرَانِي فِي كُلِّ عُسْرٍ وَيُسْرٍ صَابِرًا شَاكِرًا عَلَى كُلِّ حَالٍ
لَا يُبَالَى عَلَيَّ إِنْ مِتُّ جُوعًا أَوْ سَقَمْتُ فِي الْأَيَّامِ مَرَّ النِّكَالِ
لَا يَرَانِي إِلَّا إِلَهُ أَشْكُو لِحَلْقِي إِذْ عَلَى اللَّهِ فِي الْأُمُورِ اتِّكَالِي
أَهْمِلُ الضِّمِيمَ فِيهِ صَوْنًا لِعِرْضِي وَفِرَارًا مِنْ مَرِّ ذَلِّ السُّوَالِ

فِيخْلِيلِي عَلَى خَسَاسَةِ قَدْرِي فِي الْمَعَالِي يَفْقُنْ كُلَّ خِلَالِ

إشارة للجمل

١٤٠ فَقَالَ الْجَمَلُ: أَيُّهَا الرَّائِبُ فِي السُّلُوكِ. إِلَى مَنَازِلِ الْمُلُوكِ. إِنْ
 كُنْتَ تَعَلَّمْتَ مِنَ الْكَلْبِ زُهْدًا وَفَقْرًا. فَتَعَلَّمَ مِنِّي جَلَدًا وَصَبْرًا.
 فَإِنَّ مَنْ تَوَسَّدَ الْفَقْرَ. وَجَبَ عَلَيْهِ مُعَانَقَةُ الصَّبْرِ. فَإِنَّ الْفَقِيرَ الصَّابِرَ.
 مَعْدُودٌ مِنَ الْأَكْبَارِ. هَا أَنَا أَحْمِلُ الْأَحْمَالَ الثَّقَالَ. وَأَقْطَعُ الْمَرَاحِلَ
 الطُّوَالَ. وَأُكَايِدُ الْأَهْوَالَ. وَأَصْبِرُ عَلَى مُرِّ النِّكَالِ. وَلَا يَعْتَرِينِي
 فِي ذَلِكَ مَلَالٌ. وَلَا أَصُولُ صَوْلَةَ الْأَرْدَالِ. بَلْ أُنْقَادُ لِلطُّفْلِ الصَّغِيرِ.
 وَلَوْ شِئْتُ لَأَسْتَضَعْتُ عَلَى الْأَمِيرِ الْكَبِيرِ. فَأَنَا الذَّلُولُ. الَّذِي
 لِلْأَثْقَالِ حُمُولٌ. وَفِي الْأَحْمَالِ ذُمُولٌ. وَلَسْتُ بِالْحَائِنِ وَلَا بِالْمُولِ. وَلَا
 بِالصَّائِلِ عَنِ الْمُصُولِ. وَلَا بِالْمَائِلِ عَنِ الْقُفُولِ. أَقْطَعُ فِي الْوُحُولِ.
 مَا تَعَجَّزُ عَنْهُ الصَّنَادِيدُ الْفُحُولِ. وَأَصَابِرُ فِي ظِلِّهِ الْهَوَاجِرُ وَفِي الْحَاجِرِ لَا
 أَحُولُ. فَإِذَا قَضَيْتُ حَقَّ صَاحِبِي. وَبَلَغْتُ مَآرِي. أَلْقَيْتُ حَبْلِي عَلَى
 غَارِبِي. وَذَهَبْتُ فِي الْبَوَادِي. أَكْتَسَبُ مِنَ الْمُبَاحِ زَادِي. وَإِنْ
 سَمِعْتُ صَوْتَ الْحَادِي. سَلَّمْتُ إِلَيْهِ قِيَادِي. وَأَوْصَلْتُ فِيهِ سَهَادِي.
 وَمَدَدْتُ عَنْقِي لِلْبُؤُغِ مُرَادِي. فَإِنْ ضَلَّتُ قَالِدَ لَيْلِ هَادِي. وَإِنْ
 زَلَلْتُ أَخَذْتُ بِيَدِي مِنَ إِلَيْهِ أُنْقِيَادِي. فَأَنَا الْمُسْتَحَرُّ لَكُمْ بِإِشَارَةِ
 وَتَحْمِيلِ أُنْقَالِكُمْ. فَلَا أَزَالُ بَيْنَ رِجْلَةٍ وَمَقَامٍ. حَتَّى أَصِلَ إِلَى
 ذَلِكَ الْمَقَامِ

اشارة الفرس

١٤١ فَقَالَ الْفَرَسُ أَيُّهَا الْفَقِيرُ الصَّابِرُ . الطَّالِبُ سُئِلَ الْمَآثِرَ . تَعْلَمُ
 مِنِّي حُسْنَ الْأَدَبِ . وَصَدَقَ الطَّلَبُ . لِبُلُوغِ الْأَرَبِ . هَا أَنَا أَهْمِلُ
 مُبَاهِلِي . عَلَى كَاهِلِي . فَاجْتَهِدْ فِي السَّيْرِ . وَأَنْطَلِقْ بِهِ كَالطَّيْرِ . أَهْجُمُ
 هُجُومَ اللَّيْلِ . وَأَقْتَحِمُ اقْتِحَامَ السَّيْلِ . فَإِنْ كَانَ طَالِبًا أَدْرَكَ بِي طَلَبَهُ .
 وَبَلَغَ بِي أَرَبَهُ . وَإِنْ كَانَ مَطْلُوبًا قَطَعْتُ عَنْ طَالِيهِ سَبَبَهُ . وَجَعَلْتُ
 أَسْبَابَ الرَّدَى عَنْهُ مُحْجَبَةً . فَلَا يُدْرِكُنِي إِلَّا الْغَبَارُ . وَلَا يَسْمَعُنِي
 إِلَّا الْأَخْبَارُ . فَإِنْ كَانَ الْجَمَلُ هُوَ الصَّابِرُ الْعَجْرَبُ . فَأَنَا الشَّاكِرُ
 الْمُقَرَّبُ . وَإِنْ كَانَ هُوَ الْمُقْتَصِدُ اللَّاحِقُ . فَأَنَا الْعَجْتِدُ السَّابِقُ .
 فَإِذَا كَانَ يَوْمُ اللَّقَا . وَأَوَّانُ الْمُلتَقَى . أَقْدَمْتُ إِفْدَامَ الْوَالِهِ . وَسَبَقْتُ
 ضَرْبَ نِبَالِهِ . وَذَلِكَ مُتَخَلِّفُ لِنَقْلِ أَحْمَالِهِ . مُعَاقُ تَفْتِيشِ مَا فِي رِحَالِهِ .
 وَرَأَيْتُ شَمَّ حَقُوقًا لَا يَسْتَوْفِيهَا إِلَّا كُلُّ مُوَفٍّ . وَطَرِيقًا لَا يَقْطَعُهَا إِلَّا
 كُلُّ مُخَفٍّ . فَلِذَلِكَ سَمَرْتُ عَنْ سَاقٍ . وَتَضَمَّرْتُ لِيَوْمِ السَّبَاقِ .
 وَقُلْتُ لِمَنْ أَسْكَرَهُ الطَّيْشُ فَمَا أَفَاقَ . وَغَرَّهُ الْعَيْشُ الَّذِي قَدْ رَاقَ : مَا
 عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ . فَيَا مَنْ هُوَ عَنِ الْمُرَادِ مُرْدُودٌ . وَفِي الطَّرَادِ
 مَطْرُودٌ . هَا لَا نَظَرْتَ إِلَى الْوُجُودِ . وَفَهِمْتَ الْمَقْصُودَ . وَأَقَمْتَ عَلَى
 نَفْسِكَ الْخُدُودَ . وَأَوَثَقْتَ جَوَارِحَكَ بِالْفُيُودِ . وَذَكَرْتَ الْأَجَلَ
 الْمُخْدُودَ . وَالنَّفْسَ الْمُعْدُودَ . وَخَشِيتَ الْيَوْمَ الْمَوْعُودَ . هَا أَنَا لَمَّا أَوْتَقَ
 سَائِسِي قَيْدِي . أَمِنْ قَائِدِي كَيْدِي . فَكَمْ أَكَلُ سَائِقِي مِنْ صَيْدِي .

وَكَمْ لِي عَلَى مُسَابِقِي مِنْ أَيْدِي . أُوثِقْتُ بِشَكَا لِي . كَيْلًا أَصُولَ عَلَى
 أَشْكَالِي . وَأَخَذْتُ بِعَنَانِي . كَيْلًا أَذْهَبَ إِلَى غَيْرِ مَا عَنَانِي . وَأَجْنْتُ
 بِلِجَامِي . لَيْلًا يَفْسُدُ عَلَيَّ نِظَامِي . وَأَلْزَمْتُ بِحِزَامِي . خَشِيَّةً مِنْ
 غَفْلَتِي عَنْ قِيَامِي . وَنُعَلْتُ بِالْحَدِيدِ أَقْدَامِي . كَيْلًا أَكِلَ عِنْدَ أَقْدَامِي .
 فَأَنَا الْمَوْعُودُ بِالنَّجَاةِ . الْمَعْدُودُ لِلْجَاهِ . الْمَشْدُودُ لِلْسَّلَامَةِ . الْمَقْصُودُ
 بِالْكَرَامَةِ . وَالْخَيْرُ مَعْقُودُ بِنَوَاصِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . خُلِقْتُ مِنْ
 الرِّيحِ . وَلَهْمْتُ التَّقْدِيسَ وَالتَّسْبِيحَ . وَمَا بَرِحَ ظَهْرِي عِزًّا . وَبَطْنِي
 كِزًّا . وَصُحْبَتِي حِزًّا . فَكَمْ رَكُضْتُ فِي مِيدَانٍ وَمَا أَبْدَيْتُ عِجْزًا .
 فَكَمْ كُسَيْتُ فِي السَّبَاقِ خِزًّا . وَكَمْ حَزَرْتُ أَهْلَ التَّنَاقُ حِزًّا . فَكَمْ
 أَخْلَيْتُ مِنْهُمْ إِلَّا فَاقَ فَهَلْ تُحْسِ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا .
 (فَجَاوَبَتْهُ) تَاللَّهِ لَقَدْ حَوَيْتَ مِنَ الْخِلَالِ أَجْمَلَهَا . وَمِنَ الْفِعَالِ أَكْمَلَهَا

إشارة دود القز

١٤٢ فَقَالَتْ دُودَةُ الْقَزِّ : تَاللَّهِ لَيْسَتْ الْفُحُولِيَّةُ بِالصُّورِ وَالْهَيَاكِلِ .
 وَلَا الرُّجُولِيَّةُ بِتَرْكِ الْمَشَارِبِ وَالْمَأْكِلِ . وَلَا الْإِيثَارُ . بِبَذْلِ
 النِّثَارِ . إِنَّمَا الْجُودُ لِمَنْ جَادَ بِمَوْجُودِهِ . وَآثَرَ بِحِمَايَةِ وَوُجُودِهِ . فَإِنْ
 كَانَتْ خِصَالُ الْخَيْرِ مَعْدُودَةً . فَأَجْلَهَا مَعَ دُودَةٍ . أَنَا فِي الدُّودِ
 كَدُودَةٌ . وَلَا أَهْلُ الْوَدِّ وَدُودَةٌ . أَنَا الْمُتَوَالِدَةُ مِنْ غَيْرِ وَالِدٍ وَلَا
 مَوْلُودَةٌ . أُؤْخَذُ فِي الْبِدَايَةِ بِزْرًا . كَمَا يَأْخُذُ الزَّارِعُ بِذَرًا . فَإِذَا تَمَّتْ
 أَيَّامُ حَمْلِي . وَأَذْنَتِ الْقُدْرَةُ بِمَجْمَعِ سَمْلِي . إِنْ فَصَلَ عَنْ ذَلِكَ الْحَمْلِ

نَسِي . وَحَصَلَ مِنْ ذَلِكَ الْفَضْلَ وَصَلِي . فَأَنْظُرْ فِي يَوْمِ مِيلَادِي .
 فَلَا أَرَى لِي أَبَا وَلَا أُمَّ . وَلَا خَالًا وَلَا عَمًّا . فَتَكْتَفِنِي أَيْدِي الرِّجَالِ
 وَالنِّسَاءِ . بِالتَّرْبِيَةِ فِي الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ . وَأُحْمَى عَنْ تَخَالِيطِ الْأَغْذِيَةِ
 حَائِدًا . وَلَا أَطْعَمُ إِلَّا غَدَاءً وَاحِدًا . فَإِذَا تَمَّ حَوْلِي . وَبَدَتْ قُوَّتِي
 وَحَوْلِي . بَادَرْتُ إِلَى شُكْرِ مَنْ أَنْعَمَ عَلَيَّ . وَمُكَافَأَةِ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيَّ .
 فَأَشْرَعُ فِي عَمَلٍ مَا يَصْلُحُ لِلْإِنْسَانِ . قِيَامًا بِمَأْمُورٍ : هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ
 إِلَّا الْإِحْسَانُ . فَأَبْتَدِرُ مِنْ غَيْرِ دَعْوَى . وَلَا إِظْهَارِ شَكْوَى . فَأَلْسُجُ
 بِالْهَامِ التَّدْبِيرِ . مَا يَعْجِزُ عَنْهُ أَهْلُ التَّدْبِيرِ . فَأَسِيلُ مِنْ لُعَايِ . مَا
 أَشْكُرُ عَلَيْهِ بَعْدَ ذَهَابِي . وَأَسْتَخْرِجُ مِنْ صَنْعَةِ صَانِعِي مَلَائِسَ . تُرِينُ
 الْأَلْبَاسَ . فَأُلْمُوكُ تَفْتَحِرُ بِخَزْيِ . وَالسَّلَاطِينُ تَتَنَافَسُ فِي أَرْدِيَةِ
 قَرْيِ . فَأَنَا أَجْمَلُ الْمَطَارِفِ . وَأَرْهَجُ الزَّخَارِفِ . فَإِذَا كَافَيْتُ مَنْ
 أَحْسَنَ إِلَيَّ . وَأَدَيْتُ شُكْرَ مَا وَجَبَ لَهُ عَلَيَّ . جَعَلْتُ بَيْتِي الْمُنْسُوجَ
 قَبْرِي . وَفِي طَيْهِ نَشْرِي . فَأَضِيقُ عَلَيَّ حَبْسِي . وَأَهْلِكُ نَفْسِي بِنَفْسِي .
 وَأَمْضِي إِلَى رَمْسِي . كَمْضِيَّ أَمْسِي . فَأَنَا الَّذِي أَجُودُ بِخَيْرِي . وَأَبَالِغُ
 فِي نَفْعِ غَيْرِي . وَأَنَا الْمُعَذِّبُ بِضَيْرِي . ثُمَّ مِنْ نَكْدِ هَذِهِ الدَّارِ .
 الْمَجْبُولَةِ عَلَى الْأَكْدَارِ . أَنِّي أَتَلَيْتُ بِحَرِيقِ النَّارِ . وَحَسَدِ الْجَارِ .
 وَقَدْ أَعْتَدَى عَلَيَّ ظُلْمًا وَجَارَ . وَهُوَ هَذِهِ الْعَنْكَبُوتُ . الْخُصُوصَةُ بِأَوْهِنِ
 الْبُيُوتِ . تُجَاوِرُنِي وَتُجَاوِرُنِي . وَتَقُولُ : لِي نَسِجٌ وَلَكَ نَسِجٌ . وَأَمْرِي
 وَأَمْرُكَ مَرِيجٌ . فَقُلْتُ لَهَا : وَيْحَكَ أَنْتِ نَسِجُكَ شَبَكَةُ الذُّبَابِ . وَتَجْمَعُ

لِلتُّرَابِ . وَأَنَا نَسِجِي زِينَةَ الْكَوَاعِبِ الْأَتْرَابِ . أَمَا قَدْ ضُرِبَ بَضْعُفِكَ
الْمَثَلُ . وَأَيْنَ الْكُحْلُ مِنَ الْكُحْلِ . وَأَيْنَ الْبَدْرُ مِنَ النُّجُومِ إِذَا أَفَلَ

إشارة العنكبوت

١٤٣ فَقَالَتِ الْعَنْكَبُوتُ . إِنْ كَانَ بَيْتِي أَوْهَنَ الْبُيُوتِ . وَحَبْلِي
مَبْنُوتٌ . فَإِنَّ فَضْلِي عَلَيْكَ فِي سَجَلِ الذِّكْرِ مَشْبُوتٌ . أَمَا أَنَا فَمَا لِأَحَدٍ عَلَيَّ
مِنَّةٌ . وَلَا لِأَمٍّ عَلَيَّ حَنَّةٌ . مِنْ حِينَ أَوْلَدْتُ أَنْسُجُ لِنَفْسِي أَبْيَاتٌ . فِي
جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ . فَأَوَّلُ مَا أَقْصَدُ زَاوِيَةَ الْبَيْتِ . وَإِنْ كَانَ خَرَابًا فَهُوَ
أَحْسَنُ مَا أَوَيْتُ . فَأَقْصَدُ الزَّوَايَا . لِمَا فِيهَا مِنَ الْحَيَاةِ . وَلِمَا فِي سِرِّهَا مِنْ
النُّكْتِ الْخَفَايَا . فَأَلْقَى لِعَامِي عَلَى حَافَتِهَا . حَذَرًا مِنَ الْخُلْطَةِ وَأَفَاتِهَا . ثُمَّ
أَفْرَدُ مِنْ طَافَاتِ غَزَلِي خَيْطًا دَقِيقًا . مُنْكَسًا فِي الْهُوَاءِ رَقِيقًا . فَاتَعَلَّقَ
بِهِ مُسْبَلَةً يَدَيَّ . مُنْسَكَةً بِرِجْلِي . فَيُظَنُّ الْغُرُّ بِتِلْكَ الْحَالَةِ . أَنَّنِي
مَيِّتٌ لَا مُحَالَةَ . فَتَمَرُّ الذُّبَابَةُ فَأَخْتَطِفُهَا بِجَبَائِلِ كَيْدِي . وَأَوْدِعُهَا فِي
شَبَكَةِ صَيْدِي . وَأَنْتِ أَيُّهَا الْغِدَارَةُ . الَّتِي بَرُخْرِفُهَا غَرَارَةٌ . إِنَّمَا جُعِلَتْ
زِينَةُ لِنَاقِصَاتِ الْعُقُولِ . وَهَوَاً لِلصَّبِيَّانِ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ مَعْقُولٌ . وَقَدْ
حُرِّمَتْ عَلَى الرِّجَالِ الْفُحُولِ . لِأَنَّ حُسْنَكَ عَنْ قَرِيبٍ يَحُولُ . وَمَا لَكَ
فِي الْحَقِيقَةِ مُحْضُولٌ . وَلَا إِلَى الطَّرِيقَةِ وَضُولٌ . فَيَا وَجْ مَحْرُومٍ حَرَمِ السُّوْلِ :

أَيُّهَا الْمُعْجَبُ فَخْرًا بِمَقَاصِيرِ الْبُيُوتِ
قَارِضَ فِي الدُّنْيَا ثُوبٍ وَمِنْ الْعَيْشِ بَقُوتِ
وَاتَّخِذْ بَيْتًا ضَعِيفًا مِثْلَ بَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ

ثُمَّ قُلْ يَا نَفْسِ هَذَا بَيْنُ مَثَوَاكِ فَمَوْقِي

اشارة النملة

١٤٤ فَقَالَتِ النَّمْلَةُ: إِذَا مَا رَمَاكَ الدَّهْرُ بِمَرْمَى فَنَمْ لَهُ . وَتَعَلَّمْ مِنِّي قُوَّةَ الْأَسْتِعْدَادِ . وَتَحْصِيلِ الزَّادِ . لِيَوْمِ الْمَعَادِ . وَانْظُرْ إِلَى غُرَّةِ عَزْمِي . وَصِحَّةِ خَزْمِي . وَتَأَمَّلْ كَيْفَ شَدَّتْ يَدُ الْقُدْرَةِ لِلْخِدْمَةِ وَسَطِي . فَأَوَّلَ مَا فَتَحْتُ عَيْنِي مِنَ الْعَدَمِ . رَأَيْتُنِي وَاقِفَةً عَلَى الْقَدَمِ . لِأَكُونَ مِنْ جَلَّةِ الْخَدَمِ . ثُمَّ كَلَّفْتُ بِجَمْعِ الْمُؤُونَةِ . بِتَيْسِيرِ الْمُعُونَةِ . ثُمَّ أُعْطِيتُ قُوَّةَ الشَّمِّ مِنْ بَعْدِ الْفَرَاخِ . مَا لَا يَدْرِكُهُ الْعَالَمُ الرَّاسِخُ . فَأَذْبَرُ مَا أَذْخَرَهُ مِنَ الْحَبِّ لِقَوِّي . فِي بُيُوتِي . فَيُلْهِمُنِي فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى . أَنْ أَقْسِمَ الْحَبَّةَ نِصْفَيْنِ بِالسَّوَى . فَإِنْ كَانَتِ الْحَبَّةُ كَرْبُرَةً . فَلَهَا حِكْمَةٌ مُدْبِرَةٌ . وَهُوَ أَنْ أَفْلَقَهَا أَرْبَعَ فَلَقٍ فَلَهَا إِذَا انْفَلَقَتْ نِصْفَيْنِ نَبَتَتْ . وَإِنْ قُطِعَتْ أَرْبَعًا انْقَطَعَتْ . وَإِنْ خِفْتُ عَلَيْهَا فِي الشِّتَاءِ عَفْوَنَةُ الْأَرْضِ أَنْ تَضُرَّهَا . أَخْرَجْتُهَا فِي يَوْمِ شَامِسٍ فَخَفَّفَهُ الشَّمْسُ بِحَرِّهَا . فَلَا يَزَالُ ذَلِكَ دَائِي . وَأَنْتَ تَظُنُّ أَنَّهُ أَرْدَى بِي . وَتَعْتَقِدُهُ فِي نَفْصًا . وَأَنْهَمَا كَا عَلَى الدُّنْيَا وَحَرَصًا . كَلَّا كَلَّا لَوْ عَلِمْتَ حَقِيقَةَ أَمْرِي . لَأَقَمْتُ فِي ذَلِكَ عُذْرِي . وَلَا رَتَفَعْتُ عِنْدَكَ قَدْرِي . فَكُلْ نَمْلَةً تَجْتَهِدُ فِي سَيْرِهَا . وَتَحْصِيلِ خَيْرِهَا . لِنَفْعٍ غَيْرِهَا . مُتَعَرِّضَةً لِلْهَلَاكِ . وَمَصَايِدِ الْأَشْرَاكِ . فَإِمَّا أَنْ تَهْلِكَ عَطَشًا أَوْ جُوعًا . أَوْ تَقَعَ فِي مَفَازَةٍ فَلَا تَجِدُ رُجُوعًا . تَحْتَطِفُهَا ذَبَابَةٌ . أَوْ تَطَاهَا دَابَّةٌ . فَتَلْقِي مَا فِي أَيْدِيهَا بَيْنَ

أَيْدِيهِمْ . فَتَقْسِمُهُ بِالسُّوِيَّةِ عَلَيْهِمْ مِنْ غَيْرِ خُصُوصٍ . وَلَا حَظٍّ مَنْقُوصٍ

إشارة العنقاء

١٤٥ (قَالَ الشَّيْخُ) : لَكُمْ الْبَشَارَةُ . يَا أَهْلَ الْإِشَارَةِ . إِنْ فَهِمْتُمْ رَمَزَ
هَذِهِ الْعِبَارَةِ . فَأَنْصِتُوا بِضَرْبِ هَذِهِ الْأَمْثَالِ الْمُسْتَعَارَةِ . (قِيلَ) اجْتَمَعَ
الطُّيُورُ وَقَالُوا : لَا بَدَلَنَا مِنْ مَلِكٍ نَعْتَرِفُ لَهُ وَنَعْرِفُ بِهِ . فَهَلُمُّوا نَنْطَلِقْ فِي
طَلَبِهِ . وَنَسْتَمْسِكْ بِسَبَبِهِ . وَنَعِشَ فِي ظِلِّهِ . وَنَقْتَصِمَ بِحَبْلِهِ . وَقَدْ بَاغَنَا
أَنْ يَجْزِئَنَا الْبَحْرُ مِلْكَائِقَالَ لَهُ عُنْقَاءُ مُغْرِبٍ . قَدْ نَفَذَ حُكْمَهُ فِي الْمَشْرِقِ
وَالْمَغْرِبِ . فَهَلُمُّوا بِنَا إِلَيْهِ . مُتَوَكِّلِينَ عَلَيْهِ . فَقِيلَ لَهُمْ إِنَّ الْبَحْرَ عَمِيقٌ
وَالطَّرِيقَ مَضِيقٌ . وَالسَّبِيلَ سَحِيقٌ . وَبَيْنَ أَيْدِيكُمْ جِبَالٌ شَاهِقَةٌ .
وَبَحَارٌ مُغْرَقَةٌ . وَنِيرَانٌ مُخْرِقَةٌ . وَلَا سَبِيلَ لَكُمْ إِلَى الْإِتِّصَالِ . وَلَوْ
تَقَطَّعَتِ الْأَوْصَالُ . فَدُونَ وَصَالِهِ حَدُّ النَّصَالِ . فَأَقْنِ فِي أَوْكَارِكُنَّ .
فَإِنَّ الْعَجْزَ مِنْ شَأْنِكُنَّ . وَالْمَلِكُ غَنِيٌّ عَنْكُنَّ . وَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ
الْعَالَمِينَ . قَالُوا : صَدَقْتَ وَلَكِنْ مُنَادِي الطَّلَبِ يُنَادِي : فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ .
فَطَارُوا بِأَجْنِحَةٍ وَتَفَكَّرُوا فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ . صَابِرِينَ عَلَى
ظُلْمِ الْهَوَاجِرِ . بِإِشَارَةٍ : وَمَنْ يُخْرِجُ مِنْ بَيْتِهِ مَهَاجِرًا . فَسَلَكَنَ سَبِيلًا عَدَلًا .
إِنْ أَخَذَنَ ذَاتَ الْيَمِينِ أَرْمَتَهُنَّ بُرُودَةُ الرَّجَاءِ . وَإِنْ عَدَلَنَ ذَاتَ
الشِّمَالِ أَحْرَقَتْهُنَّ حَرَارَةُ الْخَوْفِ . فَهُمْ بَيْنَ سَبَاقٍ . وَلَحَاقٍ وَخُحَاقٍ .
وَتَلَاشٍ وَاحْتِرَاقٍ . وَتَعَاشٍ وَاسْتِعْزَاقٍ . وَبُعْدٍ وَافْتِرَاقٍ . حَتَّى وَصَلَ
كُلُّ مِنْهُمْ إِلَى حَزِيرَةِ الْمَلِكِ وَقَدْ سَقَطَ رِيشُهُ . وَتَكَدَّرَ عَيْشُهُ .

وَتَضَاعَفَ نُحُولُهُ. وَتَرَايَدَ ذُبُولُهُ. فَوَصَلُوا إِلَيْهِ خِمَاصًا. بَعْدَ مَا كُنَّ بَطَانًا.
وَجِئَتْهُ فُرَادَى بَعْدَ أَنْ قَارَفْنَ أَوْطَانًا. فَلَمَّا أَنْ وَصَلُوا إِلَى جَزِيرَةِ الْمَلِكِ
وَجَدُوا فِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ. ثُمَّ قَالُوا: نَحْنُ لَا نُرِيدُ إِلَّا
الْمَلِكَ الَّذِي خَرَجْنَا مِنْ أَجْلِهِ عَلَى الْحَاجِرِ. وَقَطَعْنَا إِلَيْهِ كُلَّ حَاجِرٍ.
وَصَبَرْنَا عَلَى ظَمَا أَلْهَوَاجِرِ. ثُمَّ لَا نَشْتَغِلُ بِالْمَلَأِيسِ وَالْمَلَاخِرِ. قُوا الَّذِي لَا
إِلَهَ إِلَّا هُوَ. لَا نُرِيدُ إِلَّا هُوَ. ثُمَّ قَالَ لَهُمُ الْمَلِكُ: وَيَكْفِيكُمْ لَأَيِّ شَيْءٍ
جِسْمُكُمْ. وَبِأَيِّ شَيْءٍ أَتَيْتُمْ. قَالُوا: أَتَيْنَاكَ بِبَدَلَةِ الْعَبِيدِ. وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ
مَا نُرِيدُ. فَقَالَ لَهُمُ: أَرْجِعُوا مِنْ حَيْثُ جِئْتُمْ. فَإِنَّا الْمَلِكُ شِدْتُمْ أَوْ أَبَيْتُمْ.
وَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنْكُمْ. قَالُوا: سَيِّدِي أَنْتَ الْغَنِيُّ وَنَحْنُ الْفُقَرَاءُ.
وَأَنْتَ الْغَزِيرُ وَنَحْنُ الْأَذَلَاءُ. وَأَنْتَ الْقَوِيُّ وَنَحْنُ الضُّعَفَاءُ. فَأَيُّ قُوَّةٍ
تَرْجِعُ وَقَدْ ذَهَبَ قُوَانَا. وَنَحِلَ عَرَانَا. وَأَضْمَحَلَّ وَجُودُنَا مِمَّا اعْتَرَانَا.
فَقَالَ لَهُمُ الْمَلِكُ: وَعِزِّي وَجَلَالِي إِذَا صَحَّ اقْتِفَادُكُمْ. وَبَيَّتَ انْكِسَادُكُمْ.
فَعَلِيَ انْجِبَادُكُمْ. انْطَاقُوا قَدَاوَا الْعَلِيلِ. فِي ظِلِّي الظِّلِيلِ. وَقِيلُوا فِي خَيْرِ
مَقِيلٍ. فَحَصَلُوا حَيْثُ وَصَلُوا. فَلَمَّا حَضَرُوا نَظَرُوا. فَإِذَا الْحُجُبُ قَدْ رُفِعَتْ.
وَالْأَحْبَابُ قَدْ جُمِعَتْ. وَشَاهَدُوا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ:

يَا قَلْبُ بُشْرَاكَ أَيَّامُ الرِّضَا رَجَعَتْ وَهَذِهِ الدَّارُ لِلْأَحْبَابِ قَدْ جُمِعَتْ
أَمَا تَرَى نَفَحَاتِ الْحَيِّ قَدْ عَبَّتْ أَنْفَاسُهَا وَبُرُوقُ الْقُرْبِ قَدْ لَمَعَتْ
فَعَشَ هَنِيئًا بَوَصْلٍ غَيْرِ مُنْفَصِلٍ مَعَ مَنْ يُحِبُّ وَحُجُبُ الْهَجْرِ قَدْ رُفِعَتْ
وَأَنْظُرْ جَمَالَ الَّذِي مِنْ أَجْلِ رُؤْيَتِهِ قُلُوبُ عِبَادِهِ فِي حُبِّهِ أَنْصَدَعَتْ

الباب السابع في الزكوة والادب

مدح مختلف العلوم

١٤٦ قَدْ مَدَحَ أَبُو عُمَانَ الْجَاهِظُ أَنْوَاعَ الْعُلُومِ وَدَمَّهَا بِأَعْيَانِهَا مُعَرِّبًا
عَنْ قُدْرَتِهِ عَلَى الْكَلَامِ وَبُعْدِ شَأْوِهِ فِي الْبَلَاغَةِ وَحِينَ سُئِلَ عَنِ الْأَثَرِ
فَقَالَ: هُوَ أَخْبَارُ الْمَاضِينَ وَأَنْبَاءُ الْغَائِبِينَ وَقِصَصُ الْمُرْسَلِينَ وَأَدَابُ
الدُّنْيَا وَالْدِّينِ وَمَعْرِفَةُ الْقَرُصِ وَالنَّافِلَةِ وَالشَّرِيعَةِ وَالسُّنَّةِ وَالْمُصَلِّحَةِ
وَالْمُفْسِدَةِ وَالنَّارِ وَالْجَنَّةِ إِلَى صَاحِبِهِ تُشَدُّ الرَّحَالُ وَحَوْلُهُ يَعْكَفُ
الرِّجَالُ وَيَسِيرُ بِهِ ذِكْرُهُ فِي الْبُلْدَانِ وَيَتَّبِقُ أَتَمَّهُ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ
قِيلَ: فَأَلْفَقَهُ قَالَ: فِيهِ عِلْمُ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَبِهِ تُعْرَفُ الشَّرَائِعُ
وَتُقَامُ الْحُدُودُ وَالْأَحْكَامُ وَهُوَ عِصْمَةٌ فِي الدُّنْيَا وَزِينَةٌ فِي الْآخِرَةِ
يَخْطُبُ لِصَاحِبِهِ فَضْلَ الْأَعْمَالِ وَيَجْلُعُ عَلَيْهِ ثَوْبَ الْجَمَالِ وَيَلْبِسُهُ
الْغَنَى وَيُبْلِغُهُ مَرْتَبَةَ الْقَضَا قِيلَ: فَأَلْكَأَمُ قَالَ: عِيَارُ كُلِّ صِنَاعَةٍ
وَزِمَامُ كُلِّ عِبَارَةٍ وَقِسْطُاسُ يُعْرَفُ بِهِ الْفَضْلُ وَالرَّجْحَانُ وَمِيزَانُ
يُعْلَمُ بِهِ الزِّيَادَةُ وَالنَّقْصَانُ وَكَبِيرُ مِيزَانِهِ الْخَاصُّ وَالْعَامُّ وَالْخَالِصُّ
وَالْمَشُوبُ وَيُعْرَفُ بِهِ الْإِبْرِيزُ وَالسَّتُّوقُ وَيُنْظَرُ بِهِ الصَّفْوُ وَالْكَدَرُ
وَسَلَامٌ يَرْتَقِي بِهِ إِلَى مَعْرِفَةِ الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ وَيُوصَلُ بِهِ إِلَى الْحَقِيرِ
وَالْخَطِيرِ وَأَدِلَّةٌ لِلتَّفْصِيلِ وَالْتَّخْصِيلِ وَإِدْرَاكُ الدَّقِيقِ وَالْجَلِيلِ وَآلَةٌ

لِإِظْهَارِ الْغَامِضِ الْمُشْتَبِهَةِ . وَآدَاءُ لِكَشْفِ الْخَفِيِّ الْمُتَبَسِّسِ . وَبِهِ تُعْرَفُ
رُبُوبِيَّةُ الرَّبِّ وَحُجَّةُ الرُّسُلِ . وَيُخْتَرَزُ بِهِ مِنْ شُبُهَاتِ الْمَقَالَاتِ . وَفَسَادِ
التَّأْوِيلَاتِ . وَبِهِ تُدْفَعُ مُضِلَّاتُ الْأَهْوَاءِ وَالتَّحِلُّ وَتُبْطَلُ تَأْوِيلَاتُ
الْأَدْيَانِ وَالْمَلَلِ . وَيُنَزَّهُ عَنْ غِبَاوَةِ التَّقْلِيدِ وَغَمَةِ التَّرْدِيدِ . قِيلَ :
فَالْفَلَسَفَةُ . قَالَ : آدَاءُ الضَّمَائِرِ وَآلَةُ الْخَوَاطِرِ . وَنَتَائِجُ الْعُقُلِ وَآدِلَةُ
لِمَعْرِفَةِ الْأَجْنَاسِ وَالْعُنَاصِرِ . وَعِلْمُ الْأَعْرَاضِ وَالْجَوَاهِرِ . وَعِلَلُ
الْأَشْخَاصِ وَالصُّوَرِ . وَاخْتِلَافُ الْأَخْلَاقِ وَالطَّبَائِعِ وَالسَّجَايَا وَالْغَرَائِزِ .
قِيلَ : فَالْجُحُومُ . قَالَ : مَعْرِفَةُ الْأَهْلَةِ وَمَقَادِيرِ الْأَطْلَافِ . وَسُمُوتِ الْبُلْدَانِ .
وَإِقْدَامِ الزَّوَالِ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَزَمَانٍ . وَعِلْمُ سَاعَاتِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ فِي
الزِّيَادَةِ وَالنَّقْصَانِ . وَأَمَارَاتِ الْغُيُوثِ وَالْأَمْطَارِ . وَأَوْقَاتِ سَلَامَةِ
الزَّرْعِ وَالْتِمَارِ . قِيلَ : فَالطِّبُّ . قَالَ : سَائِسُ الْأَبْدَانِ . وَالْمُنَبِّهُ عَلَى
طَبَائِعِ الْحَيَوَانِ . وَبِهِ يَكُونُ حِفْظُ الصِّحَّةِ . وَمَرَمَةُ الْعِلَّةِ . وَالْوُقُوفُ عَلَى
الْمُنَافِعِ وَالْمَضَارِّ . وَالْإِبَانَةُ عَنْ خَبَايَا الْأَسْرَارِ . وَعِلْمُ يُضْطَرُّ إِلَيْهِ الْخَاصُّ
وَالْعَامُّ . وَيَفْتَقِرُ إِلَيْهِ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ . وَلَا يَسْتَعْنِي عَنْهُ الصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ .
وَيَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْحَقِيرُ وَالْخَطِيرُ . قِيلَ : فَالْخَوْ . قَالَ : يَبْسُطُ مِنَ الْعِيِّ
اللسانَ . وَيُجْرِي مِنَ الْحَصْرِ الْبَيَانَ . وَبِهِ يُسَامُ مِنْ هُجْنَةِ اللَّحْنِ وَتَحْرِيفِ
الْقَوْلِ . وَهُوَ آلَةُ إِصْوَابِ الْمُنْطَقِ وَتَسْدِيدِ كَلَامِ الْعَرَبِ . قِيلَ :
فَالْحِسَابُ . قَالَ : عِلْمُ طَبِيعِيٍّ لَا خِلَافَ عَلَيْهِ . وَأَضْطَرَّارِي لَا مَطْعَنَ
فِيهِ . ثَابِتُ الدَّلَالَةِ صَائِبُ الْمَقَالَةِ . وَاضِحُ الْبَرْهَانِ شَدِيدُ الْبَيِّنَانِ .

سَالِمٌ مِنَ الْمُنَاقِضَةِ خَالٍ مِنَ الْمَعَارِضَةِ • حَاكِمٌ يَقْطَعُ الْخِلَافَ • مُوَدٍّ إِلَى
الْإِنْصَافِ وَالْإِتِّصَافِ • وَبِهِ حِفْظُ الْأَعْمَالِ • وَنِظَامُ الْأَمْوَالِ • وَقِيَامُ
أُمُورِ الْمُلُوكِ وَالْأَتِجَارِ • وَثَبَاتُ قَوَانِينِ الْبِلَادِ وَالْأَمْصَارِ • قِيلَ :
فَالْعَرُوضُ • قَالَ : مِيزَانُ الشَّعْرِ وَعِيَارُ النَّظْمِ • وَرَائِضُ الطَّبَعِ وَسَائِسُ
الْفَهْمِ • وَبِهِ يُعْرَفُ الصَّحِيحُ مِنَ الْمَرِضِ • وَفَلَكَ عَلَيْهِ مَدَارُ الْقَرِيبِ •
قِيلَ : فَالْحُطُّ • قَالَ : لِسَانُ الْيَدِ وَلَهْجَةُ الصَّغِيرِ • وَوَحْيُ الْفِكْرِ وَنَاقِلُ
الْخَبَرِ • وَحَافِظُ الْأَثَرِ • وَعَمْدَةُ الدِّينِ وَالْذَنْبَا • وَقَاحُ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى • فَهَذَا
آخِرُ مَا حَكِيَ عَنِ الْجَلَّاحِ فِي مَدَحِ الْعُلُومِ (طرائف اللطائف)

ابو تمام والمتنبي وابو عبادة البحتري

١٤٧ قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ : لَقَدْ وَقَفْتُ مِنَ الشَّعْرِ عَلَى كُلِّ دِيْوَانٍ وَجَمْعٍ •
وَأَنْفَدْتُ شَطْرًا مِنَ الْعُمَرِ فِي الْخَفُوضِ مِنْهُ وَالسَّمْعِ • فَأَلْفَيْتُهُ بَحْرًا لَا يُوقَفُ
عَلَى سَاحِلِهِ • وَكَيْفَ يَنْتَهِي إِحْصَاءُ قَوْلٍ لَمْ تُحْصَ أَسْمَاءُ قَائِلِهِ • فَعِنْدَ
ذَلِكَ أَقْصَرْتُ مِنْهُ عَلَى مَا تَكْثُرُ قَوَائِدُهُ • وَتَنْشَعِبُ مَقَاصِدُهُ • وَلَمْ أَكُنْ بِمَنْ
أَخَذَ بِالتَّقْلِيدِ وَالتَّسْلِيمِ • فِي أَتْبَاعٍ مِنْ قَصَرَ نَظَرُهُ عَلَى الشَّعْرِ الْقَدِيمِ • إِذِ
الرَّادُّ مِنَ الشَّعْرِ إِنَّمَا هُوَ إِيدَاعُ الْمَعْنَى الشَّرِيفِ • فِي اللَّفْظِ الْجَزَلِ
اللطيفِ • فَتَمَّتْ وَجَدْتُ ذَلِكَ فَكُلُّ مَكَانٍ خِيَّتُ فَهُوَ بَابِلُ • وَقَدْ
اكتفيتُ مِنْ هَذَا شِعْرِ أَبِي تَمَّامٍ حَبِيبِ بْنِ أَوْسٍ وَأَبِي عِبَادَةَ الْوَلِيدِ
وَأَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّيِّ • وَهُؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ هُمْ لَاتُ الشَّعْرِ وَعِزَّاهُ وَمَنَاةُ •
الَّذِينَ ظَهَرَتْ عَلَى أَيْدِيهِمْ حَسَنَاتُهُ وَمُسْتَحْسَنَاتُهُ • وَقَدْ حَوَتْ أَشْعَارُهُمْ

غَرَابَةُ الْمُجَدِّثِينَ وَفَصَاحَةُ الْقُدَمَاءِ • وَجَعَتْ بَيْنَ الْأَمْثَالِ السَّائِرَةِ
وَحِكْمَةِ الْحُكَمَاءِ • أَمَّا أَبُو تَمَّامٍ فَإِنَّهُ رَبُّ مَعَانٍ • وَصِقِلَ أَلْبَابُ وَأَذْهَانُ •
قَدْ شُهِدَ لَهُ بِكُلِّ مَعْنَى مُبْتَكِرٍ • لَمْ يَمِشْ فِيهِ عَلَى آثَرٍ • فَهُوَ غَيْرُ مُدَافِعٍ
عَنْ مَقَامِ الْإِعْرَابِ • الَّذِي بَرَزَ فِيهِ عَلَى الْأَضْرَابِ • وَلَقَدْ مَارَسَتْ مِنْ
الشَّعْرِ كُلِّ أَوَّلٍ وَآخِرٍ • وَلَمْ أَقُلْ مَا أَقُولُهُ إِلَّا بِتَقْيِيرٍ • فَمَنْ حَفِظَ شَعْرَ
الرَّجُلِ وَكَشَفَ عَنْ غَامِضِهِ • وَرَاضَ فِي كُرْهِ بَرَايِضِهِ • أَطَاعَتْهُ أَعْيُنُهُ
الْكَلَامِ • وَكَانَ قَوْلُهُ فِي الْبَلَاغَةِ مَا قَالَتْهُ حَذَامٌ • فَخُذْ مِنِّي فِي ذَلِكَ
قَوْلَ حَكِيمٍ • وَتَعَلَّمَ فَقُوقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٍ • وَأَمَّا أَبُو عِبَادَةَ الْبُخَيْرِيُّ
فَإِنَّهُ أَحْسَنَ فِي سَبْكِ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى • وَارَادَ أَنْ يَشْعُرَ فَعَنَى • وَلَقَدْ
حَازَ طَرَفِي الرُّقَّةَ وَالْجُرَّةَ عَلَى الْإِطْلَاقِ • فَيَنِينًا يَكُونُ فِي شَطَفٍ نَجْدٍ
حَتَّى يَتَشَبَّثَ بِرَيْفِ الْعِرَاقِ • وَسُئِلَ أَبُو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّيُّ عَنْهُ وَعَنْ أَبِي تَمَّامٍ
وَعَنْ نَفْسِهِ فَقَالَ: أَنَا وَأَبُو تَمَّامٍ حَكِيمَانِ • وَالشَّاعِرُ الْبُخَيْرِيُّ • وَلَعَمْرِي إِنَّهُ
أَنْصَفَ فِي حُكْمِهِ • وَأَعْرَبَ فِي قَوْلِهِ هَذَا عَنْ مَتَانَةٍ عَامِهِ • فَإِنَّ أَبَا
عِبَادَةَ أَتَى فِي شِعْرِهِ بِالْمَعْنَى الْمُقْدُودِ مِنَ الصَّخْرَةِ الصَّمَاءِ • فِي اللَّفْظِ
الْمُصَوِّغِ مِنْ سَلَاسَةِ الْمَاءِ • فَادْرَكَ بِذَلِكَ بَعْدَ الْمَرَامِ • مَعَ قُرْبِهِ إِلَى
الْأَفْهَامِ • وَمَا أَقُولُ إِلَّا أَنَّهُ أَتَى فِي مَعَانِيهِ بِاخْلَاطِ الْعَالِيَةِ • وَرَقِيَ فِي
دِيبَاجَةِ لَفْظِهِ إِلَى الدَّرَجَةِ الْعَالِيَةِ • وَأَمَّا أَبُو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّيُّ فَإِنَّهُ أَرَادَ
أَنْ يَسْلُكَ مَسْلَكَ أَبِي تَمَّامٍ فَقَصُرَتْ عَنْهُ خُطَاهُ • وَلَمْ يُعْطِهِ الشَّعْرُ مِنْ
قِيَادِهِ مَا أَعْطَاهُ • وَلَكِنَّهُ حَظِيَ فِي شِعْرِهِ بِالْحُكْمِ وَالْأَمْثَالِ • وَاخْتَصَّ

بِالْبَدَاعِ فِي وَصْفِ مَوَاقِفِ الْقِتَالِ • وَأَنَا أَقُولُ قَوْلًا لَسْتُ فِيهِ
مُتَأَنِّمًا • وَلَا مِنْهُ مُتَثَمِّرًا • وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا خَاضَ فِي وَصْفِ مَعْرَكَةٍ كَانَ
لِسَانُهُ أَمْضَى مِنْ نَصَالِهَا • وَأَسْمَعُ مِنْ أَبْطَالِهَا • وَقَامَتْ أَقْوَالُهُ لِلْسَّامِعِ
مَقَامَ أَفْعَالِهَا • حَتَّى نَظُنَّ الْفَرِيقَيْنِ قَدْ تَقَابَلَا • وَالسَّلَاحَيْنِ قَدْ تَوَاصَلَا •
وَطَرِيقُهُ فِي ذَلِكَ تَضَلُّ بِسَالِكِهِ • وَتَقُومُ بِعُذْرٍ تَارِكِهِ • وَلَا شَكَّ أَنَّهُ
كَانَ يَشْهَدُ الْحُرُوبَ مَعَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ فَيَصِفُ لِسَانُهُ مَا آدَاهُ إِلَيْهِ
عِيَانُهُ • وَمَعَ هَذَا فَإِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ عَادِلِينَ فِيهِ عَنِ السَّنَنِ الْمُتَوَسِّطِ •
فَإِمَّا مُفْرَطٌ فِي وَصْفِهِ وَإِمَّا مُفْرِطٌ • وَهُوَ وَإِنْ أَنْفَرَدَ بِطَرِيقٍ صَادَرًا أَبَا
عُذْرِهِ • فَإِنَّ سَعَادَةَ الرَّجُلِ كَانَتْ أَكْثَرَ مِنْ شِعْرِهِ • وَعَلَى الْحَقِيقَةِ فَإِنَّهُ
خَاتِمُ الشُّعْرَاءِ • وَمَهْمَا وَصَفَ بِهِ فَهُوَ فَوْقَ الْوَصْفِ وَفَوْقَ الْإِطْرَاءِ • وَلَقَدْ
صَدَّقَ فِي قَوْلِهِ مِنْ أَبْيَاتٍ يمدحُ بِهَا سَيْفَ الدَّوْلَةِ :

لَا تَطْلُبَنَّ كَرِيمًا بَعْدَ رُؤْيَيْهِ • إِنَّ الْكَرَامَ بِأَسْحَاهُمْ يَدَا حُتْمُوا
وَلَا تُبَالِ بِشِعْرِ بَعْدَ شَاعِرِهِ • قَدْ أَفْسَدَ الْقَوْلُ حَتَّى أَجْمَدَ الصَّمْمُ
وَلَمَّا تَأَمَّلْتُ شِعْرَهُ بَعَيْنِ الْمُعْدَلَةِ الْبَعِيدَةِ عَنِ الْهَوَى • وَعَيْنِ
الْمُعْرِفَةِ الَّتِي مَا ضَلَّ صَاحِبُهَا وَمَا غَوَى • وَجَدْتُهُ أَقْسَمًا خَمْسَةً • خَمْسُ
مِنْهَا فِي الْغَايَةِ الَّتِي أَنْفَرَدَ بِهَا • وَخَمْسُ مِنْ جَيْدِ الشَّعْرِ الَّذِي يُشَارِكُهُ
فِيهِ غَيْرُهُ • وَخَمْسُ مِنْهُ مِنْ مُتَوَسِّطِ الشَّعْرِ • وَخَمْسُ دُونَ ذَلِكَ •
وَخَمْسُ فِي الْغَايَةِ الْمُتَهَيِّقَةِ الَّتِي لَا يُعْبَأُ بِهَا • وَعَدَمُهَا خَيْرٌ مِنْ وُجُودِهَا •
وَلَوْ لَمْ يَقُلْهَا أَبُو الطَّيِّبِ لَوْ قَادَهُ اللَّهُ شَرَّهَا • فَإِنَّهَا هِيَ الَّتِي أَلْبَسَتْهُ لِبَاسَ

الْمَلَامَ . وَجَعَلَتْ عِرْضَهُ شَارَةً لِإِسْهَامِ الْأَقْوَامِ . وَلِسَائِلِ هُنَا أَنْ يَسْأَلَ
وَيَقُولَ : لَمْ عَدَلْتُ إِلَى شَعْرٍ هُوَ لَا الثَّلَاثَةِ دُونَ غَيْرِهِمْ . فَأَقُولُ : إِنِّي
لَمْ أَعْدِلْ إِلَيْهِمْ اتِّفَاقًا وَإِنَّمَا عَدَلْتُ نَظْرًا وَاجْتِهَادًا . وَذَلِكَ أَنِّي وَقَفْتُ
عَلَى أَشْعَارِ الشُّعْرَاءِ قَدِيمِهَا وَحَدِيثِهَا حَتَّى لَمْ يَبْقَ دِيْوَانُ شَاعِرٍ مُفْلِقٍ يَثْبُتُ
شَعْرُهُ عَلَى الْمَحْكِّ إِلَّا وَاعْرَضْتُهِ عَلَى نَظْرِي . فَلَمْ أَجِدْ أَجْمَعَ مِنْ دِيْوَانِ
أَبِي تَمَّامٍ وَأَبِي الطَّيِّبِ لِمَعَانِي الدَّقِيقَةِ وَلَا أَكْثَرَ اسْتِخْرَاجًا مِنْهَا لِلطَّيِّفِ
الْأَغْرَاضِ وَالْمُقَاصِدِ . وَلَمْ أَجِدْ أَحْسَنَ تَهْذِيبًا لِلْأَلْفَاظِ مِنْ أَبِي عِبَادَةَ
وَلَا أَنْفَسَ دِيْبَاجَةً وَلَا أَبْهَجَ سَبْكًا . فَأَخْتَرْتُ دَوَائِبَهُمْ لِاسْتِمَالِهَا
عَلَى مَحَاسِنِ الطَّرَفَيْنِ مِنَ الْمَعَانِي وَالْأَلْفَاظِ . وَلَمَّا حَفِظْتُهَا أَلْقَيْتُ مَا
سِوَاهَا مَعَ مَا بَقِيَ عَلَى خَاطِرِي مِنْ غَيْرِهَا (المثل السائر لابن الاثير)

وصف القلم

١٤٨ قَالُوا : الْقَلَمُ أَحَدُ اللِّسَانِينَ وَهُوَ الْمُخَاطِبُ لِلْغُيُوبِ . بِسَرَائِرِ
الْقُلُوبِ . عَلَى لُغَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنْ مَعَانٍ مَعْقُولَةٍ . بِحُرُوفٍ مَعْلُولَةٍ . مُتَبَايِنَاتٍ
الْصُّوَرِ مُخْتَلِفَاتِ الْجِهَاتِ . لِقَاحِهَا التَّفَكُّيرُ وَنَتَاجُهَا التَّدْبِيرُ . تَحْرُسُ
مُنْفَرِدَاتٍ . وَتَنْطِقُ مُزْدَوِجَاتٍ . بِأَلْأَصْوَاتِ مَسْمُوعَةٍ وَلَا أَلْسُنِ مُحَدِّودَةٍ
وَلَا حَرَكَاتٍ ظَاهِرَةٍ . خَلَقَ قَلَمٌ حَرْفَ بَارِيهِ . قَطَطَهُ لِيَتَعَلَّقَ الْمَدَادُ فِيهِ
وَأَرْهَفَ جَانِبِيهِ لِيَرُدَّ مَا انْتَشَرَ عَنْهُ إِلَيْهِ وَشَقَّ رَأْسَهُ لِيَتَحَسَّسَ الْمَدَادُ
عَلَيْهِ . فَهَذَا لَكَ اسْتِدْقَامُ الْقَلَمِ بِشِقِّهِ وَنَثَرٌ فِي الْقُرْطَاسِ بِحِطِّهِ حُرُوفًا
أَحْكَمَهَا التَّفَكُّرُ وَأَوَّلَى الْأَسْمَاعِ بِهَا الْكَلَامُ الَّذِي سَدَّاهُ الْعَقْلُ وَالْحَمَةُ

اللِّسَانُ • وَنَهَسَتْهُ اللَّهُوَاتُ وَقَطَعَتْهُ الْأَسْنَانُ وَلَفَظَتْهُ الشَّفَاهُ وَوَعَتْهُ
 الْأَسْمَاعُ عَنْ أَنْحَاءِ شَيْءٍ مِنْ صِفَاتٍ وَأَسْمَاءٍ • قَالَ الْبُخْتَرِيُّ:
 طِعَانُ بِأَطْرَافِ الْقَوَائِي كَأَنَّهُ طِعَانُ بِأَطْرَافِ الْقَنَا الْمُتَكَسِّرِ
 ١٤٩ قَالَ بَعْضُ الْكُتَّابِ يَصِفُ مُحَبَّرَةً:

وَلَقَدْ مَضَيْتُ إِلَى الْخُذِّثِ أَنْفًا وَإِذَا بِحَضْرَتِهِ ظِلَابٌ رُتِعُ
 وَإِذَا ظِلَابُ الْإِنْسِ تَكُنُّ كُلَّ مَا يُمْلِي وَتَحْفَظُ مَا يَقُولُ وَتَسْمَعُ
 يَتَجَادِبُونَ الْحَبْرَ مِنْ مَلُومَةٍ بَيَضَاءٍ تَحْمِلُهَا عَلَائِقُ أَرْبَعٍ
 مِنْ خَالِصِ الْبَلَوْرِ غَيْرَ لَوْنِهَا فَكَأَنَّمَا سَجَّ يُلُوحُ وَيَلْمَعُ
 إِنْ نَكَّسُوهَا لَمْ تَسِلْ وَمَلِيكُهَا فِيمَا حَوَتْهُ عَاجِلًا لَا يَطْمَعُ
 وَمَتَى أَمَلُوهَا لِرَشْفِ رُضَائِهَا آدَاهُ فُوهَا وَهِيَ لَا تَتَمَنَعُ
 وَكَأَنَّمَا قَلْبِي يَضُنُّ بَسْرَهُ أَبَدًا وَيَكْتُمُ كُلَّ مَا يُسْتَوَدَعُ

وصف الخط

١٥٠ سُلِّ بَعْضُ الْكُتَّابِ عَنِ الْخَطِّ مَتَى يَسْتَحِقُّ أَنْ يُوصَفَ بِالْجُودَةِ •
 قَالَ: إِذَا اعْتَدَلَتْ أَقْسَامُهُ • وَطَالَتْ أَلْفُهُ وَلَامُهُ • وَأَسْتَقَامَتْ سَطُورُهُ •
 وَضَاهَى صَعُودُهُ حَدُورُهُ • وَتَفَتَّحَتْ عِيُونُهُ • وَلَمْ تَشْتَبِهْ رَاوُهُ وَنُونُهُ •
 وَأَشْرَقَ قِرْطَاسُهُ • وَأَظْلَمَتْ أَنْقَاسُهُ • وَلَمْ تَخْتَفِ أَجْنَاسُهُ • وَأَسْرَعَ إِلَى
 الْعُيُونِ تَصَوُّرُهُ • وَإِلَى الْعُقُولِ تَشْرُهُ • وَقَدَّرَتْ فُصُولُهُ • وَأَنْدَجَّتْ
 أَصُولُهُ • وَتَنَاسَبَ دَقِيقُهُ وَجَلِيلُهُ • وَخَرَجَ مِنْ نَمَطِ الْوَرَّاقِينَ • وَبَعْدَ عَنْ
 تَصْنَعِ الْمُحَبَّرِينَ • وَقَامَ لِصَاحِبِهِ مَقَامُ النَّسَبَةِ وَالْحِلْمَةِ (للقيرواني)

قصيدة ابن البواب في وصف صناعة الخط

١٥١

يَا مَنْ يُرِيدُ إِجَادَةَ التَّخْرِيرِ وَيَرُومُ حُسْنَ الْخُطِّ وَالنَّصُورِ
إِنْ كَانَ عَزَمَكَ فِي الْكِتَابَةِ صَادِقًا فَأَرْغَبْ إِلَى مَوْلَاكَ فِي التَّسْيِيرِ
أَعْدِدْ مِنَ الْأَقْلَامِ كُلِّ مُثَقِّفٍ صُلبٍ يَصُوغُ صَيَاغَةَ التَّخْيِيرِ
وَإِذَا عَمِدْتَ لِبَرِيهِ فَتَوَخَّهْ عِنْدَ الْقِيَاسِ بِأَوْسَطِ التَّقْدِيرِ
أَنْظِرْ إِلَى طَرَفِيهِ فَأَجْعَلْ بَرِيَهُ مِنْ جَانِبِ التَّدْقِيقِ وَالتَّخْصِيرِ
وَأَجْعَلْ لِحِفَّتِهِ قَوَامًا عَادِلًا يَخْلُو عَنْ التَّطْوِيلِ وَالتَّقْصِيرِ
وَالشَّقَّ وَسَطَهُ لِيَبْقَى بَرِيَهُ مِنْ جَانِبِهِ مُشَاكِلَ التَّقْدِيرِ
حَتَّى إِذَا أَتَقَنْتَ ذَلِكَ كُلَّهُ إِتْقَانَ طَبِّ بِالْمُرَادِ خَيْرِ
فَأَصْرِفْ لِرَأْيِ الْقَطِّ عَزَمَكَ كُلَّهُ فَالْقَطُّ فِيهِ جُمْلَةُ التَّدْبِيرِ
لَا تَطْمَعَنَّ فِي أَنْ أَبُوحَ بِسِرِّهِ إِنِّي أَضِنُّ بِسِرِّهِ الْمُسْتَوْرِ
لَكِنَّ جُمْلَةً مَا أَقُولُ بِأَنَّهُ مَا يَبِينُ تَحْرِيفٍ إِلَى تَدْوِيرِ
وَأَلْقِ دَوَاتَكَ بِالْذَّخَانِ مُدَبِّرًا بِالْحُلِّ أَوْ بِالْحِصْرِ الْمَعْصُورِ
وَأَضِفْ إِلَيْهِ مَغْرَةً قَدْ صَوَّلْتَ مَعَ أَصْفَرِ الزَّرْنِجِ وَالْكَافُورِ
حَتَّى إِذَا مَا خَمَرْتَ فَأَعْمِدْ إِلَى الْوَرَقِ النَّقِيِّ النَّاعِمِ الْخُبُورِ
فَاكْمِسْهُ بَعْدَ الْقَطْعِ بِالْمِعْصَارِ كِي يَنَازِلَ عَنْ التَّشْعِثِ وَالتَّعْبِيرِ
ثُمَّ أَجْعَلِ التَّمْثِيلَ دَائِبَكَ صَابِرًا مَا أَدْرَكَ الْمَأْمُولَ مِثْلُ صُبُورِ
إِبْدَأْ بِهِ فِي اللَّوْحِ مُنْتَضِيًا لَهُ عَزَمًا تُجَرِّدُهُ عَنْ التَّشْمِيرِ
لَا تُخْجَلَنَّ مِنَ الرَّدِيِّ نَحْطُهُ فِي أَوَّلِ التَّمْثِيلِ وَالتَّسْطِيرِ

فَالْأَمْرُ يَصْعَبُ ثُمَّ يَرْجِعُ هِينًا
وَلَرُبَّ سَهْلٍ جَاءَ بَعْدَ عَسِيرٍ
حَتَّى إِذَا أَذْرَكْتَ مَا أَفْلَتَهُ
أَضْحَيْتَ رَبَّ مَسْرَةٍ وَجُودٍ
فَأَشْكُرْ إِلَهَكَ وَاتَّبِعْ رِضْوَانَهُ
إِنَّ إِلَهَهُ يُحِبُّ كُلَّ شَكُورٍ
وَأَرْغَبُ لِكَفِّكَ أَنْ تُحْطَ بِبَنَانِهَا
خَيْرًا تُخْلِفُهُ بِدَارِ غُرُورٍ
فَجَمِيعُ فِعْلٍ الْمَرْءُ يَلْقَاهُ غَدًا
عِنْدَ التَّلَقَّاءِ كِتَابُهُ الْمُنْشُورُ

في الادب وتربية الصغار

١٥٢ كَتَبَ أَبُو الْفَضْلِ هَبَّةُ اللَّهِ إِلَى أَبِي عَلِيٍّ مُدْرِّسٍ أَنَّهُ :
أَبَا عَلِيٍّ هُوَ الدَّهْرُ الْحَوُونُ وَمَا
يُحْطَى بِجَدْوَاهُ إِلَّا الْجَاهِلُ الْعَمُرُ
حَتَّى أَرَى وَبِهِ أَسْمُو وَأَفْتَحُرُ
أَسَدَيْتَهَا لَتَقْضَى دُونَهَا الْعَمُرُ
وَلَوْ أَرَدْتُ مُكَفَاةً عَلَى مَنِّ
عَهْدَتُ فَضْلَكَ لَا يَحْتَاجُ تَذْكَرَةً
رَاجِعٌ سَدَادَكَ فِيهِ فَهُوَ إِنْ سَمَحَتْ
وَأَحْفَظُ لَهُ حَقَّ آبَاءٍ وَمَعْرِفَةٍ
وَأَوَّلِهِ مِنْكَ قَسْطًا مِنْ مِلَاحَظَةٍ
فَإِنَّهُ نَبْعَةٌ طَابَتْ مَنَابِتُهُ
مُغْرَى بِمَا زَادَ فِي قَدَرٍ وَمَنْزِلَةٍ
دَلَائِلُ نُجُورَاتٍ عَنْ تَجَابِتِهِ
مِنْ مَعَشَرٍ حَلَّتِ الْعُلْيَا بَيْنَهُمْ
١٥٣ قَالَ لِسَانَ الدِّينِ فِي تَرْبِيَةِ الْوَلَدِ : أَحْسِنِ آدَابَهُمْ . وَاجْعَلِ

الْخَيْرَ دَابَّهِمْ . وَخَفَ عَلَيْهِمْ مِنْ إِشْفَاقِكَ وَحَنَانِكَ . أَكْثَرَ مِنْ غِلَظَةِ
 جَنَانِكَ . وَانْتَمَ عَنْهُمْ مَيْلِكَ . وَأَفْضَلَ فِيهِمْ جُودَكَ وَنَيْلَكَ . وَأَثْبَنَهُمْ عَلَى
 حُسْنِ الْجَوَابِ . وَسَبَقَ لَهُمْ خَوْفَ الْجَزَاءِ عَلَى رَجَاءِ الثَّوَابِ . وَعَلِمَهُمْ
 الصَّبْرَ عَلَى الصَّرَايِرِ . وَالْمُهَلَّةَ عِنْدَ اسْتِخْفَافِ الْجَرَائِرِ . وَخَذَهُمْ بِحُسْنِ
 السَّرَائِرِ . وَحَبَّبَ إِلَيْهِمْ مَرَّاسَ الْأُمُورِ الصَّعْبَةِ الْمَرَّاسِ . وَحُسْنَ
 الْأَصْطِنَاعِ وَالْإِحْتِرَاسِ . وَالْإِسْتِكْثَارَ مِنْ أُولَى الْمَرَاتِبِ وَالْمَعْلُومِ .
 وَالسِّيَاسَاتِ وَالْحُلُومِ . وَالْمَقَامِ الْمَعْلُومِ . وَكَرَّهَ إِلَيْهِمْ مَجَاسَةَ الْمُلْهَيْنِ .
 وَمُصَاحَبَةَ السَّاهِينِ . جَاهِدَ أَهْوَاءَهُمْ عَنْ عُقُولِهِمْ . وَحَذَرَ الْكُذِبِ
 عَلَى مَقُولِهِمْ . وَرَشَّحَهُمْ إِذَا آتَيْتَ مِنْهُمْ رُشْدًا أَوْ هُدًيًا . وَأَرْضَعَهُمْ
 مِنَ الْمَوَازِرَةِ وَالْمُشَاوَرَةِ نَدًيًا . لِيَتَرَنَّاهُمْ عَلَى الْإِعْتِيَادِ وَتَحْمِلَهُمْ عَلَى
 الْأَزْدِيَادِ . وَرَضَّعَهُمْ رِيَاضَةَ الْجَيَادِ . وَاحْذَرَ عَلَيْهِمُ الشَّهَوَاتِ فَهِيَ
 دَاوُهُمْ . وَأَعْدَاؤُكَ فِي الْحَقِيقَةِ وَأَعْدَاؤُهُمْ . وَتَدَارَكُ الْخُلُقِ الذَّمِيمَةِ كُلِّ
 مَا نَجَمَتْ . وَأَقْدَعُهَا إِذَا هَجَمَتْ . قَبْلَ أَنْ يَظْهَرَ تَضَعِيفُهَا . وَيَتَوَيَّ ضَعِيفُهَا :
 إِنْ الْغُصُونُ إِذَا قَوْمَتَهَا أَعْتَدَتْ . وَلَنْ تَلِينَ إِذَا قَوْمَتَهَا الْحَشَبُ
 وَإِذَا قَدَرُوا عَلَى التَّدْبِيرِ . وَتَشَوَّفُوا لِلْحَمْلِ الْكَبِيرِ . فَإِيَّاكَ أَنْ
 تُؤْطِئَهُمْ فِي مَكَانِكَ جُهْدَ امْكَانِكَ . وَفَرَفَهُمْ فِي بِلَادِكَ تَفْرِيقَ
 عَبْدَانِكَ . وَاسْتَعْمَلَهُمْ فِي بُعُوثِ جِهَادِكَ . وَالنِّيَابَةِ عَنْكَ فِي سَبِيلِ
 اجْتِهَادِكَ . وَانْظُرْ إِلَيْهِمْ بِأَعْيُنِ الثَّقَاتِ . فَإِنَّ عَيْنَ الثَّقَةِ . تُبْصِرُ مَا لَا
 تُبْصِرُ عَيْنُ الْحُبَّةِ وَالْمَقَّةِ

(للقري)

الباب الثامن في السيف والقلم

١٥٤ فَأَخْرَجَ صَاحِبُ سَيْفٍ صَاحِبَ قَلَمٍ فَقَالَ صَاحِبُ الْقَلَمِ : أَنَا أَقْتُلُ بِالْأَعْرَارِ وَأَنْتَ تَقْتُلُ عَلَى خَطَرٍ وَصَرِيرِ الْأَقْلَامِ أَشَدُّ مِنْ صَلِيلِ الْحُسَامِ . فَقَالَ صَاحِبُ السَّيْفِ : الْقَلَمُ خَادِمُ السَّيْفِ إِنْ تَمَّ مُرَادُهُ وَإِلَّا فَالِي السَّيْفِ مَعَادُهُ . أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ أَبِي تَمَامٍ :

السَّيْفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْحَدِّ وَاللَّعِبِ
بِضْ الصَّفَاحِ لِأَسْوَدُ الصَّخَافِ فِي مُتُونِهِنَّ جَلَاءُ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ
قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي :

حَتَّى رَجَعْتُ وَأَقْلَامِي قَوَائِلُ لِي أَلْحَدُ لِلْسَّيْفِ لَيْسَ أَلْحَدُ لِلْقَلَمِ
أَكْتُبُ نَا أَبَدًا بَعْدَ الْكِتَابِ بِهِ فَإِنَّا نَحْنُ لِلْأَسْيَافِ كَالْخَدَمِ
وَقَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ فِي تَفْضِيلِ الْقَلَمِ عَلَى السَّيْفِ :

لَعَمْرُكَ مَا السَّيْفُ سَيْفُ الْكَمِيِّ بِأَخْوَفَ مِنْ قَلَمِ الْكَاتِبِ
لَهُ شَاهِدٌ إِنْ تَأَمَّلْتَهُ ظَهَرَتْ عَلَى سِرِّهِ الْغَائِبِ
أَدَاةُ النِّيَّةِ فِي جَانِبِيهِ فَمِنْ مِثْلِهِ رَهْبَةُ الرَّاهِبِ
سِنَانُ النِّيَّةِ فِي جَانِبِ وَحْدُ النِّيَّةِ فِي جَانِبِ
أَلَمْ تَرَى فِي صَدْرِهِ كَالسِّنَانِ وَفِي الرِّدْفِ كَالْمُرْهَفِ الْقَاضِ
١٥٥ قَالَ الصَّوَلِيُّ أَشَدَّنِي طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدٍ اللَّهِ فِي الْقَلَمِ :

وَإِذَا أَمَرَ عَلَى الْمَهَارِقِ كَفَّهُ بِأَنَّا مِلَّيْهِ يَحْمِلُنَ شَحْنًا مُرْهَفًا
مُتَقَاصِرًا مُتَطَاوِلًا وَمُفَصِّلًا وَمُوصَّلًا وَمُشْتَتًا وَمُؤَلَّفًا
تَرَكَ الْعُدَّةَ رَوَاجِفًا أَحْشَاوُهَا وَقَالَعَهَا قُلْعًا هُنَالِكَ رُجْفًا
كَالْحَيَّةِ الرُّقْشَاءِ إِلَّا أَنَّهُ يَسْتَنْزِلُ الْأَرْوَى إِلَيْهِ تَلَطُّفًا
يُرِي بِهِ قَلَمًا يُجِئُ لِعَابَهُ فَيَعُودُ سَيْفًا صَارِمًا وَمُشَقًّا
وَقَالَ فِيهِ أَيْضًا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْأَصْبَهَانِي :

أَخْرَسُ يُنْيِكَ بِإِطْرَاقِهِ عَنْ كُلِّ مَا شَتَّ مِنَ الْأَمْرِ
يَذَرِي عَلَى قِرْطَاسِهِ دَمْعَةً يُبْدِي بِهَا السِّرَّ وَمَا يَذَرِي
يُرَى أَسِيرًا فِي دَوَاةٍ وَقَدْ أَطْلَقَ أَقْوَامًا مِنَ الْأَسْرِ
أَخْرَقُ لَوْ لَمْ تَبْرِهْ لَمْ يَكُنْ يَرْشُقُ أَقْوَامًا وَلَمْ يُبْرِ
كَالْبَجْرِ إِذَا يُجْرِي وَكَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَكَالْصَّارِمِ إِذَا يَفْرِي
وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ جَرَّار :

أَهْيَفُ مَشْهُوقٌ بِتَحْرِيكِهِ يَحُلُّ عَقْدَ السِّرِّ إِعْلَانُ
لَهُ لِسَانٌ مُرْهَفٌ حَذُّهُ مِنْ رِيْقَةِ الْكُرْسُفِ رِيَّانُ
تَرَى بَسِطَ الْفِكْرِ فِي نَظْمِهِ شَخْصًا لَهُ حَدٌّ وَجْهَانُ
كَأَنَّمَا يَسْحَبُ فِي إِثْرِهِ ذِيْلًا مِنْ الْحِكْمَةِ سَحْبَانُ
لَوْلَاهُ مَا قَامَ مَنَارُ الْهُدَى وَلَا سَمَا لِلْمَلِكِ دِيْوَانُ

فصل في التفاوت بين مراتب السيف والقلم في الدول

١٥٦ إَعْلَمُ أَنَّ السَّيْفَ وَالْقَلَمَ كِلَاهُمَا آلَةٌ لِصَاحِبِ الدَّوْلَةِ لِيَسْتَعِينُ

بِهَا عَلَى أَمْرِهِ . إِلَّا أَنَّ الْحَاجَةَ إِلَى السِّيفِ فِي أَوَّلِ الدَّوْلَةِ مَا دَامَ أَهْلُهَا
فِي تَهْيِيدِ أَمْرِهِمْ أَشَدُّ مِنْ الْحَاجَةِ إِلَى الْقَلَمِ إِذِ الْقَلَمُ فِي تِلْكَ الْحَالِ خَادِمٌ
فَقَطٌ مُنْفَذٌ لِلْحُكْمِ السُّلْطَانِيِّ . وَالسِّيفُ شَرِيكٌ فِي الْمُعَاوَةِ . وَكَذَلِكَ
فِي آخِرِ الدَّوْلَةِ حَيْثُ تَضَعُ عَصِيَّتُهَا وَيَقِلُّ أَهْلُهَا بِمَا يَنَالُهُمْ مِنَ الْهَرَمِ .
فَتَحْتَاجُ الدَّوْلَةُ إِلَى الْإِسْتِظْهَارِ بِأَرْبَابِ السُّيُوفِ وَتَقْوَى الْحَاجَةُ إِلَيْهِمْ
فِي حِمَايَةِ الدَّوْلَةِ وَالْمُدَافَعَةِ عَنْهَا . كَمَا كَانَ الشَّانُ أَوَّلَ الْأَمْرِ فِي تَهْيِيدِهَا .
فَتَكُونُ لِلسِّيفِ مَرْيَّةٌ فِي الْحَالَتَيْنِ عَلَى الْقَلَمِ . وَيَكُونُ أَرْبَابُ السِّيفِ
حِينَئِذٍ أَوْسَعَ جَاهًا وَكَثْرَ نِعْمَةً وَأَسْنَى إِقْطَاعًا . وَأَمَّا فِي وَسْطِ الدَّوْلَةِ
فَيَسْتَعْنِي صَاحِبُهَا بَعْضُ الشَّيْءِ عَنِ السِّيفِ . لِأَنَّهُ قَدْ تَهَيَّأَ أَمْرُهُ وَلَمْ
يَبْقَ هَمُّهُ إِلَّا فِي تَحْصِيلِ ثَمَرَاتِ الْمُلْكِ مِنَ الْجَبَايَةِ وَالضَّبْطِ وَمُبَاهَاةِ
الدُّوَلِ وَتَنْفِيذِ الْأَحْكَامِ . وَالْقَلَمُ هُوَ الْمُعِينُ لَهُ فِي ذَلِكَ فَتَعْظُمُ الْحَاجَةُ
إِلَى تَصْرِيفِهِ وَتَكُونُ السُّيُوفُ مَهْمَلَةً فِي مَضَاجِعِ عُيُودِهَا . إِلَّا إِذَا نَابَتْ
نَائِبَةٌ أَوْ دَعَتْ إِلَى سَدِّ فُرْجَةٍ وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَلَا حَاجَةَ إِلَيْهَا .
فَيَكُونُ أَرْبَابُ الْأَقْلَامِ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ أَوْسَعَ جَاهًا وَأَعْلَى رُتْبَةً وَأَعْظَمَ
نِعْمَةً وَثَرْوَةً . وَأَقْرَبَ مِنَ السُّلْطَانِ مَجْلِسًا وَكَثْرَ إِلَيْهِ تَرَدُّدًا . وَفِي
حُلُوتِهِ نَجِيًّا . لِأَنَّهُ حِينَئِذٍ آتَاهُ الَّتِي بِهَا يَسْتَظْهِرُ عَلَى تَحْصِيلِ ثَمَرَاتِ مُلْكِهِ
وَالنَّظَرِ فِي أَعْطَافِهِ وَتَنْقِيفِ أَطْرَافِهِ وَمُبَاهَاةِ بِأَحْوَالِهِ . وَيَكُونُ الْوُزَرَاءُ
حِينَئِذٍ وَأَهْلُ السُّيُوفِ مُسْتَعْنَى عَنْهُمْ مُبْعَدِينَ عَنْ نَاطِقِ السُّلْطَانِ حَذَرِينَ
عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَوَادِرِهِ . وَفِي مَعْنَى ذَلِكَ مَا كَتَبَ بِهِ أَبُو مُسْلِمٍ

لِلْمَنْصُورِ حِينَ أَمَرَهُ بِالْقُدُومِ : أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ مِمَّا حَفِظْنَاهُ مِنْ وَصَايَا
الْفَرَسِ : أَخَوْفُ مَا يَكُونُ الْوَرَزَاءُ إِذَا سَكَنَتِ الدَّهْمَاءُ . سُنَّةُ اللَّهِ فِي
عِبَادِهِ وَالسَّلَامُ

(مقدمة ابن خلدون)

١٥٧ قَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ :

إِنْ يَخْدُمُ الْقَلَمُ السَّيْفَ الَّذِي خَضَعَتْ لَهُ الرِّقَابُ وَدَانَتْ خَوْفُهُ الْأُمَمُ
فَالْمَوْتُ وَالْمَوْتُ لَا شَيْءَ يُقَالُ لَهُ مَا زَالَ يَتَّبِعُ مَا يَجْرِي بِهِ الْقَلَمُ
يَذَا قَضَى اللَّهُ لِلْأَقْلَامِ مَذْبُوتَ أَنْ السُّيُوفَ لَهَا مَذْ أَرْهَفَتْ خَدَمَ

١٥٨ قَالَ حَبِيبُ فِي قَلَمِ ابْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَّاتِ وَأَحْسَنَ :

لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي بَسَنَانِهِ تُصَابُ مِنَ الْمَرْءِ السُّكْلَى وَالْمَفَاصِلُ
لَهُ الْجُلُوتُ الْأَلَاءُ لَوْلَا نَجِيهَا لَمَّا أُحْضِلْتَ لِلْمَلِكِ تِلْكَ الْمُخَافِلُ
لُعَابُ الْأَفَاعِي الْقَاتِلَاتِ لُعَابُهُ وَآرِي الْجَنَى أَشْتَارَتُهُ أَيْدٍ عَوَاسِلُ
لَهُ دِيْمَةٌ طُلٌّ وَلَكِنَّ وَقَعَهَا بَا ثَارِهِ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ وَابِلُ
فَصِيحٌ إِنْ اسْتَنْطَقْتَهُ وَهُوَ رَاكِبُ وَأَعْجَمُ إِنْ خَاطَبْتَهُ وَهُوَ رَاجِلُ
إِذَا مَا امْتَطَى الْخُمْسَ اللَّطَافُ وَأَفِغَتْ عَلَيْهِ شِعَابُ الْفِكْرِ وَهِيَ حَوَافِلُ
أَطَاعَتُهُ أَطْرَافُ الْقَلْنَا وَتَقَوَّضَتْ لِنَجْوَاهُ تَقْوِيضَ الْحِيَامِ الْجُحَافِلُ
إِذَا اسْتَعْذَرَ الدِّهْنَ الذِّكْيُ وَأَقْبَلَتْ أَعَالِيهِ فِي الْقِرْطَاسِ وَهِيَ أَسَافِلُ
وَقَدْ رَفَدَتْهُ الْخِنْصِرَانِ وَسَدَدَتْ ثَلَاثَ نَوَاحِيهِ الثَّلَاثُ إِلَّا نَامِلُ
رَأَيْتَ جَلِيلًا شَأْنَهُ وَهُوَ مُرْهَفُ ضَنَى وَسَمِينًا خَطْبُهُ وَهُوَ نَاجِلُ

١٥٩ قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ الْبُسْتِيُّ :

إِذَا أَفْخَرَ الْأَبْطَالُ يَوْمًا يَسِفُهُمْ وَعَدُوهُ مِمَّا يَكْسِبُ الْحَمْدَ وَالْكَرَمَ
كَفَى قَلَمُ الْكُتَّابِ فَخْرًا وَرَفْعَةً مَدَى الدَّهْرِ أَنَّ اللَّهَ أَقْسَمَ بِالْقَلَمِ
لِأَبِي الْفَرْجِ بْنِ الدَّهَّانِ

قَوْمُ إِذَا أَخَذُوا الْأَقْلَامَ مِنْ قَصَبٍ ثُمَّ اسْتَمَدُوا بِهَا مَاءَ الْمُنَيَّاتِ
تَالُوا بِهَا مِنْ أَعَادِيهِمْ وَإِنْ بَعْدُوا مَا لَا يُنَالُ بِحَدِّ الْمُسْرِفَاتِ
فِي شَرَفِ الْكُتَّابِ

١٦٠ الْكُتَّابُ عِمَادُ الْمَلِكِ وَأَرْكَانُهُ. وَعِيُونُهُ الْمُبْصِرَةُ وَأَعْوَانُهُ. وَبَهَاءُ
الدُّوَلِ وَنِظَامُهَا. وَرُؤُوسُ الرِّئَاسَةِ وَقَوَائِمُهَا. مَلَائِسُهُمْ فَخْرَةٌ. وَمَحَاسِنُهُمْ
بَاهِرَةٌ. وَشَمَائِلُهُمْ لَطِيفَةٌ. وَنُفُوسُهُمْ شَرِيفَةٌ. مَدَارُ الْحُلِّ وَالْعَقْدِ
عَلَيْهِمْ. وَمَرْجِعُ التَّصَرُّفِ وَالتَّدْبِيرِ إِلَيْهِمْ. بِهِمْ تُحَلَّى الْعَوَاطِلُ. وَتَبْسِمُ
تُغُورُ الْمَعَالِقُ. بِمَحَاسِنِهِمْ بِالْقَضَائِلِ مَعْمُورَةٌ. وَبِنِدَاهِهِمْ أُنْدِيَةُ الْقَضَادِ
مَعْمُورَةٌ. يَهْدُونَ إِلَى الْأَسْمَاعِ أَنْوَاعَ الْبَدِيعِ. وَيَزْهَوْنَ الْأَحْدَاقَ فِي
حَدَائِقِ التَّوَشِيحِ وَالتَّوَشِيْعِ. هُمْ أَهْلُ الْبَرَاةِ وَاللَّسَنِ. وَشِيَمَتُهُمْ لَفٌ
الْقَبِيحِ وَكُشْرُ الْحَسَنِ. يَمِيلُونَ إِلَى الْقَوْلِ بِمُوجِبِ الْمَدْحِ. وَلَا يَمِيلُونَ
مِنْ مُرَاجَعَةِ الرَّاعِبِينَ فِي الْمُنْحِ. دَائِبُهُمْ اسْتِخْدَامُ النَّاسِ بِالْمَعْرُوفِ.
وَعَدَمُ التَّوَرِيَةِ عَنِ الْعَالِي وَالْمُهَوِّفِ. يُجِلُّونَ الْكَبِيرَ. وَيُجِلُّونَ الصَّغِيرَ.
وَلَا يُجِلُّونَ بِمُرَاعَاةِ النَّظِيرِ. لَهُمْ إِلَى الْخَيْرِ رُجُوعٌ وَالتَّيْفَاتُ. وَبِالْجُمْلَةِ
فَقَدْ حَازُوا جَمِيعَ جَمِيلِ الصِّفَاتِ:

كَتَبْتَ فَلَوْلَا أَنَّ هَذَا مُحَلَّلٌ وَذَلِكَ حَرَامٌ قِسْتُ خَطِّكَ بِالْمِخْرِ

فَإِنْ كَانَ زَهْرًا فَهُوَ صُنْعُ سَحَابَةٍ وَإِنْ كَانَ دُرًّا فَهُوَ مِنْ جِلَّةِ الْبَحْرِ
 بِأَيْدِيهِمْ أَقْلَامٌ . تَحْتَاسُ بِلُطْفِهَا الْأَحْلَامَ . صَافِيَةُ الْجَوَاهِرِ . زَاهِيَةُ
 الْأَزَاهِرِ . لَيْثَةُ الْأَعْطَافِ . نَاعِمَةُ الْأَطْرَافِ . تَبْكِي وَهِيَ مُبْتَسِيَةٌ .
 وَتَسْكُتُ وَهِيَ بِمَا يُطْرِبُ السَّمْعَ مُتَكَلِّمَةٌ . قَدِ اعْتَدَلَتْ قُدُودُهَا .
 وَأَشْرَقَتْ فِي سَمَاءِ الْبَرَاعَةِ سُعُودُهَا . أَسَيَّتْهَا مُرْهَقَةٌ . وَمَطَّارُهَا مُقَوِّفَةٌ .
 تَجْتَهِدُ فِي خِدْمَةِ الْبَارِي . وَتُبْدِي مِنْ دُرَرِهَا مَا يَفْضَحُ الدَّرَارِي .
 تَمِيسُ فِي وَشْيِ أَرْوَاحِهَا . وَتَشْرَحُ الصُّدُورَ بِعُدُوبَةٍ إِرَادِهَا . كَشَّاتُ
 عَلَى شَطُوطِ الْأَنْهَارِ . وَتَعَلَّمَتْ الْخُنَّ مِنْ إِعْرَابِ الْأَطْيَارِ . طَوِيلَةُ
 الْأَنْيَابِ . تَسْلُبُ الْقُلُوبَ بِحُسْنِ الْأَسَالِيبِ . تُدْهِشُ النَّاطِرَ وَتُخْجِلُ
 الْعَامِلَ . وَلَا تَرْضَى بِأَمْتَاءٍ غَيْرِ الْأَنْمَالِ . أَسْجَعَةٌ كَامِنَةٌ فِي مُهْجَتِهَا .
 وَالْفَصَاحَةُ جَارِيَةٌ عَلَى لَهْجَتِهَا . تَبْهَرُ بِالنَّصَارَةِ نَوَاطِرَ الْبَهَارِ . وَتُطَرِّزُ
 بِاللَّيْلِ أَرْدِيَةَ النَّهَارِ . إِنْ قَالَتْ لَمْ تَتْرُكْ مَقَالًا لِقَائِلِ . وَإِنْ صَالَتْ
 رَجَعَتِ السُّيُوفُ مُسْتَتِرَةً بِأَذْيَالِ الْحَمَائِلِ . سَجَدَتْ لِلطَّرْسِ فَرَفَعَتْ إِلَى
 أَعْلَى الرُّتَبِ . وَحَلَّتْ وَسَبَقَتْ فَسُمِّيَتْ بِالْقَصَبِ (لكمال الدين الحلي)

١٦١ اعْتَمَدْنَا وَهَبَ بِقَلَمٍ صُلْبٍ فَصَرَ الْقَلَمُ فِي يَدِهِ فَأَنْشَدَ :

إِذَا مَا التَّقِينَا وَاتَّضَيْنَا صَوَارِمًا يَكَادُ يُصِمُّ السَّامِعِينَ صَرِيرُهَا
 تَسَاقَطَ فِي الْقِرْطَاسِ مِنْهَا بَدَائِعُ كَمَلِ اللَّالِي نَظْمُهَا وَتَشِيرُهَا
 تُقَوِّدُ آيَاتِ الْبَيَانِ بِفِطْنَةٍ وَيَكْشِفُ عَنْ وَجْهِ الْبَلَاغَةِ نُورُهَا
 تَنْظُلُ الْمُنَايَا وَالْعَطَايَا شَوَارِعًا تَدُورُ بِمَا شَنْنَا وَتَمْضِي أُمُورُهَا

الباب التاسع في اللطائف

وزير المأمون والشاعر

١٦٢ كَانَ أَبُو عَبَّادٍ الرَّازِيُّ وَزِيرُ الْمَأْمُونِ شَدِيدَ الْحِدَّةِ سَرِيعَ
الغَضَبِ . رُبَّمَا اغْتَاظَ مِنْ بَعْضِ مَنْ يَكُونُ بَيْنَ يَدَيْهِ قَرْمَاهُ بِدَوَاتِهِ
أَوْ شَتْمَهُ فَأَنْفَحَسَ . فَدَخَلَ إِلَيْهِ الْغَالِي الشَّاعِرُ وَأَنْشَدَهُ :

لَمَّا أَتَيْنَا بِالْوَزِيرِ رِكَابَنَا مُسْتَعْصِينَ بِجُودِهِ أَعْطَانَا
ثَبَتَ رَحًا مُلْكُ الْإِمَامِ ثَابِتٍ وَأَفَاضَ فِينَا الْعَدْلَ وَالْإِحْسَانَا
يَفْرِي أَلُوفُودَ طَلَاقَةٍ وَسَاحَةٍ وَالنَّاسِ كَثِيرٍ مُنْهَدًا وَسِنَانَا
مَنْ لَمْ يَزَلْ لِلنَّاسِ غِيثًا مُنْزَعًا مُتَحَرِّقًا فِي جُودِهِ مِعْوَانَا
فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى قَوْلِهِ فِي جُودِهِ وَقَفَ وَأُزِجَ عَلَيْهِ . وَصَارَ يُكْرَرُ
فِي جُودِهِ مِرَارًا . حَتَّى صَجَرَ أَبُو عَبَّادٍ وَغَلَبَتْ عَلَيْهِ السُّودَاءُ فَقَالَ :
يَا شَيْخُ فَقُلْ : قَرْنَا نَا أَوْ صَفَعْنَا وَخَلَصْنَا . فَصَحَّكَ جَمِيعٌ مِنْ كَانَ بِالْمَجْلِسِ
وَذَهَبَ غَيْظُهُ هُوَ أَيْضًا فَصَحَّكَ مَعَ النَّاسِ . وَأَتَمَّ الْغَالِي قَافِيَتَهُ
بِقَوْلِهِ مِعْوَانَا . ثُمَّ وَصَلَهُ الْوَزِيرُ (الابن الطِّقْطَقِيُّ)

١٦٣ قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ فِي ظُلْمِ الدُّنْيَا :
عَبْتُ عَلَى الدُّنْيَا بِتَقْدِيمِ جَاهِلٍ وَتَأْخِيرِ ذِي لُبٍّ فَأَبْدَتْ لِي الْعُذْرَا
بُنُو الْجَهْلِ أَبْنَاءِي وَأَمَّا أَلْوَا النَّهْيِ فَإِنَّهُمْ أَبْنَاءُ ضَرَّتِي الْأُخْرَى

قَالَ آخِرُ فِي الشُّكْرِ :

لَقَدْ أَصَحَّتْ خِلَالُ أَبِي حُصَيْنٍ
كَسَانِي طَلَّ وَابِلُهُ وَآوَى
وَكُنْتُ كَرَوْضَةٍ سَقِيَتْ سَحَابًا
قَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

إِذَا كُنْتَ مِنْ كُلِّ الطَّبَاعِ مُرَكَّبًا
قَالَ آخِرُ فِي قِلَّةِ الرُّوَّةِ :

مَرَرْتُ عَلَى الرُّوَّةِ وَهِيَ تَبْكِي
فَقَالَتْ كَيْفَ لَا أَبْكِي وَأَهْلِي
قَالَ الْبَهَاءُ زُهَيْرٌ فِي الْمَوَدَّةِ :

حَفِظْتُ لَكُمْ ذَاكَ الْوَدَادَ وَصْنَتَهُ
فَلَا تُنْكِرُوا طِيبَ النَّسِيمِ إِذَا سَرَى إِلَيْكُمْ فَذَلِكَ الطِّيبُ فِيهِ سَلَامِي

مروان بن أبي حفصة وجعفر البرمكي

١٦٤ دَخَلَ مَرْوَانُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ عَلَى جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى فَأَنشَدَهُ :

أَبْرَ فَمَا تَرْجُو الْحِيَادَ لِحَاقَهُ أَبُو الْفَضْلِ سَبَّاقُ الْأَضَامِيمِ جَعْفَرُ
وَزِيرٌ إِذَا نَابَ الْحِلَافَةَ حَادِثٌ أَشَارَ بِمَا عَنْهُ الْحِلَافَةُ تَصْدُرُ
فَقَالَ جَعْفَرُ : أَنَشِدْنِي مَرِثَتَكَ فِي مَعْنَى بَنِ زَائِدَةَ فَأَنشَدَهُ :
أَقْنَا بِالْجَمَامَةِ أَوْ نَسِينَا مُقَامًا لَا يُزِيدُ بِهِ زَوَالَا
وَقُلْنَا أَيْنَ نَذْهَبُ بَعْدَ مَعْنَى وَقَدْ ذَهَبَ النَّوَالُ فَلَا نَوَالَا

وَكَانَ النَّاسُ كُلُّهُمْ لِمَعْنٍ إِلَى أَنْ زَارَ حُفْرَتَهُ عِيَالًا
 حَتَّى فَرَّغَ مِنَ الْقَصِيدَةِ وَجَعَلَ يُرْسِلُ دُمُوعَهُ عَلَى خَدَّيْهِ . فَقَالَ :
 هَلْ أَتَاكَ عَلَى هَذِهِ الْمُرْتَبَةِ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَوَلَدِهِ . قَالَ : لَا .
 قَالَ : فَلَوْ كَانَ مَعْنٍ حَيًّا ثُمَّ سَمِعَهَا مِنْكَ كَمْ كَانَ يُثَبِّكُ عَلَيْهَا . قَالَ :
 أَرْبَعَمِائَةِ دِينَارٍ . قَالَ : فَإِنَّا كُنَّا نَظُنُّ أَنَّهُ لَا يَرْضَى لَكَ بِذَلِكَ وَقَدْ
 أَمَرْنَا لَكَ عَنْ مَعْنٍ رَحِمَهُ اللَّهُ بِالضَّعْفِ مِمَّا ظَنَنْتَهُ وَزِدْنَاكَ مِثْلَ
 ذَلِكَ . فَأَقْبِضْ مِنَ الْخَازِنِ أَلْفًا وَسِتْمِائَةَ دِينَارٍ قَبْلَ أَنْ تُخْرَجَ . فَقَالَ
 مَرْوَانُ يُذَكِّرُ جَعْفَرًا وَمَا سَمِعَ بِهِ عَنْ مَعْنٍ :

نَفَحْتُ مُكَافِئًا عَنْ جُودِ مَعْنٍ لَنَا فِيمَا تَجَوَّدُ بِهِ سِجَالًا
 فَجَعَلَتِ الْعَطِيَّةُ يَا ابْنَ يَحْيَى لِنَادِيهِ وَلَمْ تُرِدِ الْمِطَالَا
 فَكَافَأَ عَنْ صَدَى مَعْنٍ جَوَادُ بِأَجُودِ رَاحَةٍ بَذَلْتَ نَوَالًا
 بَنَى لَكَ خَالِدٌ وَأَبُوكَ يَحْيَى بِنَاءً فِي الْمَكَارِمِ لَنْ يُنَالَا
 كَانَ الْبَرْمَكِيُّ إِكْلَالُ مَالٍ تَجَوَّدُ بِهِ يَدَاهُ يُفَادُ مَالًا

الصلوات والصلاة

١٦٥ وَمَا يُسْتَحْسَنُ مِنْ تَجْنِيسِ الصَّلَاتِ وَالصَّلَاةِ حِكَايَةُ أَحْمَدَ بْنِ
 الْمَدِيرِ . وَكَانَ إِذَا مَدَحَهُ شَاعِرٌ وَلَمْ يَرْضَ شِعْرَهُ قَالَ لِغُلَامِهِ : اْمْضِ
 بِهِ إِلَى الْمَسْجِدِ فَلَا تُقَارِفُهُ حَتَّى يُصَلِّيَ مِائَةَ رَكْعَةٍ ثُمَّ حَلِّهِ . فَتَحَامَاهُ
 الشُّعْرَاءُ إِلَّا الْأَفْرَادَ الْمُجِيدُونَ . فَجَاءَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْبَصْرِيُّ
 فَاسْتَأْذَنَهُ فِي النَّسِيدِ . فَقَالَ : أَعَرَفْتَ الشَّرْطَ . قَالَ : نَعَمْ وَأَنْشُدْ :

أَرَدْنَا فِي أَبِي حَسَنٍ مَدِيحًا كَمَا بِالْمَدْحِ تُنَجِّعُ الْوَلَاةُ
فَقُلْنَا أَكْرَمُ الثَّقَلَيْنِ طَرًّا وَمَنْ كَفَّاهُ دَجَلَةً وَالْفَرَاتُ
فَقَالُوا يَقْبَلُ الْمَدَحَاتِ لَكِنْ جَوَّازُهُ عَلَى الْمَدْحِ الصَّلَاةُ
فَقُلْتُ لَهُمْ وَمَا تُغْنِي صَلَاتِي عِيَالِي إِنَّمَا تُغْنِي الزَّكَاةُ
فَأَمَّا إِذَا أَبِي إِلَّا صَلَاتِي وَعَاقَتِي الصُّومُ الشَّغَالَةُ
فَيَأْمُرُنِي بِكَسْرِ الصَّادِ مِنْهَا لَعَلِّي أَنْ تُشِطَّطِي الصَّلَاتُ
فَتَضَعُ لِي عَلَى هَذَا حَيَاتِي وَيَضِلُّ لِي عَلَى هَذَا الْمَمَاتُ

فَصَحَّحَ وَأَسْتَظَرَّهُ وَأَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ دِينَارٍ (للشريشي)

١٦٦ حَدَّثَ الصَّوَلِيُّ قَالَ: وَلِدَ لِلْهَادِي وَلَدٌ فِي أَوَّلِ يَوْمٍ وَلِيَ الْخِلَافَةَ
فَدَخَلَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ فَأَنشَدَهُ:

أَكْثَرَ مُوسَى غَيْظَ حُسَادِهِ وَزَيْنَ الْأَرْضِ بَأُولَادِهِ
وَجَاءَنَا مِنْ صُلَيْهِ سَيِّدٌ أَصِيدُ فِي تَقْطِيعِ أَجْدَادِهِ
فَاكْتَسَتِ الْأَرْضُ بِهِ بَهْجَةً وَاسْتَبَشَرَ الْمَلِكُ بِمِيلَادِهِ
وَابْتَسَمَ الْمُنْبَرُ عَنْ فَرَحَةٍ عَلَتْ بِهَا ذِرْوَةُ أَعْوَادِهِ
كَأَنِّي بَعْدَ قَلِيلٍ بِهِ بَيْنَ مَوَالِيهِ وَقَوَادِهِ
فِي مَحْفِلٍ تَحْقُقُ رَايَاتُهُ قَدْ طَبَّقَ الْأَرْضَ بِأَجْنَادِهِ

فَأَمَرَ لَهُ مُوسَى بِأَلْفِ دِينَارٍ وَكَانَ سَاخِطًا عَلَيْهِ فَرَضِي عَنْهُ (الاعاني)

معن بن زائدة والثلاث جوار

١٦٧ كَانَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ فِي بَعْضِ صُيُودِهِ فَعَطِشَ فَلَمْ يَجِدْ مَعَ

غُلَامَانِهِ مَاءً • فَيَدْنَاهُ • كَذَلِكَ وَإِذَا بِثَلَاثِ جَوَارٍ قَدْ أَقْبَلْنَ حَامِلَاتٍ
ثَلَاثَ قُرْبٍ فَسَقَيْنَهُ • فَطَلَبَ شَيْئًا مِنَ الْمَالِ مَعَ غُلَامَانِهِ فَلَمْ يَجِدْهُ • فَدَفَعَ
لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ عَشْرَةَ أَسْهُمٍ مِنْ كِنَانَتِهِ نُصُولًا مِنْ ذَهَبٍ •
فَقَالَتْ إِحْدَاهُنَّ : وَيَلَكُنْ لَمْ تَكُنْ هَذِهِ الشَّمَائِلُ إِلَّا لِمَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ •
فَلْتَقُلْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْكُنَّ شَيْئًا مِنَ الْأَيَّاتِ • فَقَالَتِ الْأُولَى :

يُرَكِّبُ فِي السَّهَامِ نُصُولَ تَبْرِ وَيَرْمِي لِلْعَدَى كَرَمًا وَجُودًا
فَلَمْ يَرْضَ عِلَاجٌ مِنْ جِرَاحٍ وَأَكْفَانٌ لِمَنْ سَكَنَ الْخُودَا
وَقَالَتِ الثَّانِيَةُ :

وَمُحَارِبٍ مِنْ فَرَطٍ جُودَ بَنَانِهِ عَمَّتْ مَكَارِمُهُ الْأَقَارِبَ وَالْعَدَى
صَيَغَتْ نُصُولُ سَهَامِهِ مِنْ عَسْجِدٍ كَيْ لَا يُفَوِّتَهُ التَّقَارُبُ وَالنَّدَى
وَقَالَتِ الثَّالِثَةُ :

وَمِنْ جُودِهِ يَرْمِي الْعُدَاةَ بِأَسْهُمٍ مِنْ الذَّهَبِ إِلَّا بِزِيْرِ صَيَغَتْ نُصُولُهَا
لِيُنْفِقَهَا الْمَجْرُوحُ عِنْدَ دَوَائِهِ وَيَشْتَرِيَ الْأَكْفَانَ مِنْهَا قَتِيلُهَا

الحسين بن الضحَّاك عند المتوكل

١٦٨ حَدَّثَ الصَّوْبِيُّ قَالَ : كَانَ لِلْحُسَيْنِ بْنِ الصَّحَّاحِ ابْنٌ يُسَمَّى مُحَمَّدًا
لَهُ أَرْزَاقُ فَمَاتَ فَقَطَعَتْ أَرْزَاقُهُ • فَقَالَ يُخَاطَبُ الْمُتَوَكِّلُ وَيَسْأَلُهُ أَنْ
يَجْعَلَ أَرْزَاقَ ابْنِهِ الْمُتَوَكِّي لِزَوْجَتِهِ وَأَوْلَادِهِ :

إِنِّي أَتَيْتُكَ شَافِعًا بَوَائِي عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ
وَشَبَّيْكَ الْمُعْتَرِّ أَوْ جَهْ شَافِعٍ فِي الْعَالَمِينَ

يَا أَبْنَ الْخَلَّافِ الْأَوَّلِينَ وَيَا أَبَا الْمُتَأَخَّرِينَ
 إِنَّ ابْنَ عَبْدِكَ مَاتَ وَأُأَيَّامُ تَحْتَرِمُ الْهَرِيمَا
 وَمَضَى وَخَلَفَ صَبِيَّةً بِعَرَاصِهِ مُتَلَدِّدِينَ
 وَهَيَّرَ عَبْرَى خِلَا فِ أَقَارِبِ مُسْتَعْبِرِينَ
 أَصْبَحْنَ فِي رَيْبِ الْحَوَا دِثْ يُحْسِنُونَ بِكَ الظُّنُونَا
 قَطَعَ الْوَلَاةَ جِرَايَةَ كَانُوا بِهَا مُسْتَسْكِنَا
 فَأَمَّنْ يَرِدْ جَمِيعَ مَا قَطَعُوهُ غَيْرَ مُرَاقِبِينَ
 أَعْطَاكَ أَفْضَلَ مَا تُؤْمَلُ أَفْضَلُ الْمُتَفَضِّلِينَ
 (قَالَ): فَأَمَرَ الْمُتَوَكِّلُ لَهُ بِمَا سَأَلَ فَقَالَ يَشْكُرُهُ:

يَا خَيْرَ مُسْتَخْلَفٍ مِنْ آلِ عَبَّاسٍ إِسَامٌ وَلَيْسَ عَلَى الْأَيَّامِ مِنْ بَاسٍ
 أَحْيَيْتَ مِنْ أَمَلِي نِضْوًا تَعَاوَرَهُ تَعَاقَبُ الْيَأْسِ حَتَّى مَاتَ بِالْيَأْسِ

الباهلي والرشيدي

١٦٩ قَدِمَ عَلَى الرَّشِيدِ أَعْرَابِيٌّ مِنْ بَاهِلَةَ وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ حَبْرَةٌ وَرِدَاءٌ
 يَمَانٍ قَدْ شَدَّهُ عَلَى وَسْطِهِ ثُمَّ ثَنَاهُ عَلَى عَاتِقِهِ . وَعِمَامَةٌ قَدْ عَصَبَهَا عَلَى
 فُودِيهِ . وَأَرْحَى لَهَا عَذَبَةً مِنْ خَلْفِهِ مِثْلَ بَيْنِ يَدَيِ الرَّشِيدِ . فَقَالَ :
 سَعِيدُ يَا أَعْرَابِي خُذْ فِي شَرَفِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَأَنْدَفَعَ فِي شِعْرِهِ .
 فَقَالَ الرَّشِيدُ : يَا أَعْرَابِي اسْمُكَ مُسْتَحْسِنًا وَأَنْكَرُكَ مِثْمَا . فَقُلْنَا
 بَيْتَيْنِ فِي هَذَيْنِ يَعْني مُحَمَّدًا الْأَمِينَ وَعَبْدَ اللَّهِ الْمَأْمُونِ ابْنَيْهِ وَهَمَا
 حِفَافَاهُ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَمَلْتَنِي عَلَى الْوَعْرِ الْقَرْدَدِ . وَأَرْجَمْتَنِي

عَلَى السَّهْلِ الْحَدَرِ رَوْعَهُ الْخِلَافَةِ وَبَهْرُ الدَّرَجَةِ وَنُفُورُ الْقَوَائِي عَلَى
الْبُدَيْيَةِ . فَأَرَوْدُنِي تَتَأَلَّفُ لِي نَوَافِرُهَا وَيَسْكُنُ رَوْعِي . قَالَ : قَدْ
فَعَلْتُ وَجَعَلْتُ أَعْتَزَّكَ بَدَلًا مِنْ أَمْتَحَانِكَ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
نَفْسُ الْخِنَاقِ . وَسَهَّلْتَ مَيْدَانَ السَّبَاقِ . فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

بَنَيْتَ لِعَبْدِ اللَّهِ ثُمَّ مُحَمَّدٍ ذُرِّيَّةَ الْإِسْلَامِ فَأَخْضَرَ عَوْدَهَا
بِهَا طُنْبَاهَا بَارَكَ اللَّهُ فِيهِمَا وَأَنْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُمُودَهَا
فَقَالَ الرَّشِيدُ : بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ فَسَلْ وَلَا تَكُنْ مَسْئَلَتِكَ دُونَ إِحْسَانِكَ .
قَالَ : الْهَيْدَةَ . فَأَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ نَاقَةٍ وَسَبْعِ خَلْعٍ (لابن عبد ربه)
١٧٠ قَالَ الْبُسْتِيُّ يَعْذِرُ :

أَسَأْتُ إِلَى نَفْسِي وَطَأَمْتُ مِنْ قَدْرِي فَحَكَّمْ غَنَى أَخْلَاقِكَ الْغُرَى فِي قَفْرِي
فَمَا الْعَقْلُ إِلَّا خَاتَمٌ أَنْتَ فَصُّهُ وَعَفْوُكَ نَفْسُ الْقَفْصِ فَأَخْتِمْ بِهِ عُذْرِي
١٧١ وَقَالَ أَيْضًا فِي رِسَالَةٍ أَنَّهُ مِنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ :

مَا إِنْ سَمِعْتُ بُؤَارَ لَهُ ثَمَرٌ فِي الْوَقْتِ يَمْتَعُ سَمْعُ الْمَرْءِ وَالْبَصَرَا
حَتَّى أَتَانِي كِتَابٌ مِنْكَ مُبْتَسِمًا عَنْ كُلِّ لَفْظٍ وَمَعْنَى أَشْبَهَ الدَّرَرَا
وَكَانَ مَعْنَاكَ فِي أَثْنَائِهِ ثَمَرًا تَسَابَقًا فَاصًّا بِالْقَصْدِ فِي طَلْقِ اللَّهِ مِنْ ثَمَرٍ قَدْ سَابَقَ الزَّهْرَا
١٧٢ وَقَالَ وَهُوَ مِنْ أَجْمَلِ مَا قِيلَ فِي بَابِ الشُّكْرِ :

أَقُولُ وَخَيْرُ الْقَوْلِ مَا لَا يَشُوبُهُ رِيَاءٌ وَخَيْرُ النَّاسِ مَنْ هُوَ صَادِقُ
تُرْكَبُ مِنْ شُكْرِي وَبِرِّكَ صُورَةٌ فِيرُكَّ بِي حَيٍّ وَشُكْرِي نَاطِقُ

١٧٣ وَقَالَ يَتَذَرُ إِلَى ابْنِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْمُوصِلِيَّ وَقَدْ حُجِبَ عَنْ بَابِهِ :
قَدْ جِئْتُ مُعْتَذِرًا وَالْعَفْوُ مِنْ شَيْمِكَ فَأَمِّدْ لِعُذْرِي مَقِيلًا فِي ذُرَى كَرَمِكَ
وَإِنْ أَرَدْتَ جَعَلْتُ الْحُدَّ وَاسِطَةً حَتَّى يَكُونَ شَفِيعًا لِي إِلَى قَدَمِكَ

علي بن الخليل وميزيد بن المزيدي

١٧٤ وَلِدَ لِمَزِيدَ بْنِ مَزِيدٍ ابْنٌ فَأَتَاهُ عَلِيُّ بْنُ الْحَلِيلِ فَقَالَ : أَسْمَعْ أَيُّهَا
الْأَمِيرُ تَهْنِئَةً بِالْفَارِسِ الْوَارِدِ . فَتَبَسَّمَ وَقَالَ : هَاتِ . فَأَنْشَدَهُ :

يَزِيدُ يَا ابْنَ الصَّيْدِ مِنْ وَائِلٍ أَهْلُ الرِّئَاسَاتِ وَأَهْلُ الْمَعَالِ
يَا خَيْرَ مَنْ أَنْجَبَهُ وَالِدٌ لِيَهْنِكَ الْفَارِسُ لَيْثُ النَّزَالِ
جَاءَتْ بِهِ غَرَاءُ مَيُّونَةٍ وَالسَّعْدُ يَبْدُو فِي طُلُوعِ الْهَلَالِ
عَلَيْهِ مِنْ مَعْنٍ وَمِنْ وَائِلٍ سِيمَا تَبَاشِيرٍ وَسِيمَا جَلَالِ
وَاللَّهُ يُبْقِيهِ لَنَا سَيِّدًا مُدَافِعًا عَنَّا صُرُوفَ الْكِلَالِ
حَتَّى تَرَاهُ قَدْ عَلَا مِنْبَرًا وَقَاضٍ فِي سُؤَالِهِ بِالْأَسْوَالِ
وَسَدَّ ثَغْرًا فَكَفَى شَرَّهُ وَقَارِعَ الْأَبْطَالِ تَحْتَ الْعَوَالِ
كَمَا كَفَانَا ذَلِكَ آبَاؤُهُ فَيَحْتَذِي أَفْعَالَهُمْ عَنْ مِثَالِ

فَأَمَرَ لَهُ عَنْ كُلِّ بَيْتٍ بِأَلْفِ دِينَارٍ (الآغاخي)

١٧٥ قَالَ عَلِيُّ بْنُ ظَافِرٍ : خَرَجَ الْمُعْتَصِمُ بْنُ صَادِحٍ صَاحِبُ الْمَرْيَةِ
يَوْمًا عَلَى بَعْضِ مَنَازِلِهِ . فَحَلَّ بِرَوْضَةٍ قَدْ سَفَرَتْ عَنْ وَجْهِهَا الْبُهِيجُ .
وَتَنَفَّسَتْ عَنْ مَسْكِيهَا الْأَرِيحُ . وَمَاسَتْ مَعَاطِفُ أَعْصَانِهَا . وَتَكَكَّلَتْ
بِلَالِي الطَّلِّ أَجْيَادُ قُضْبَانِهَا . فَتَشَوَّقَ إِلَى الْوَزِيرِ أَبِي طَالِبِ بْنِ غَانِمٍ

أَحَدُ وُزَرَاءِ دَوْلَتِهِ . وَسُيُوفِ صَوْلَتِهِ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ بَدِيهًا فِي وَرِيقَةٍ
كَرُتِبَ بِعُودٍ مِنْ شَجَرَةٍ :

أَقْبِلْ أَبَا طَالِبٍ إِلَيْنَا وَاسْقُطْ سُفُوطَ النَّدَى عَلَيْنَا
فَتَحْنُ عَهْدُ بَغَيْرِ وَسْطِي مَا لَمْ تَكُنْ حَاضِرًا لَدَيْنَا
١٧٦ أَخْبَرَانِيَّةُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ : كُنْتُ مَعَ الْحَسَنِ بْنِ

بَادِيسَ بِالْمَهْدِيَّةِ فِي الْمِيدَانِ وَقَدَرَمِي بِالنَّشَابِ فَصَنَعْتُ فِيهِ بَدِيهًا :
يَا مَلِكًا قَدْ خُلِقْتَ كَمَنْهُ لَمْ تَذَرِ إِلَّا الْجُودَ وَالْبَاسَا
إِنَّ النَّجُومَ الزُّهْرَ مَعَ بُعْدِهَا قَدْ حَسَدَتْ فِي قُرْبِكَ النَّاسَا
كَمَا تَمَنَّى الْبَدْرُ لَوْ أَنَّهُ أَصْحَى لِنَشَابِكَ بَرْجَاسَا
١٧٧ سَخَطَ الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ عَلَى ابْنِ سَيَّابَةَ فَأَسْتَرْضَاهُ فَأَمْتَعَ .

فَكَتَبَ إِلَيْهِ ابْنُ سَيَّابَةَ بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ :

إِنْ كَانَ جُرْمِي قَدْ أَحَاطَ بِجُرْمَتِي فَأَحِطْ بِجُرْمِي عَفْوَكَ الْمَأْمُولَا
فَكَمْ أَرْجَيْتُكَ فِي أَلَّتِي لَا يُرْجَى فِي مِثْلِهَا أَحَدٌ فَنَاتُ السُّوَلَا
وَضَلَلْتُ عَنْكَ فَلَمْ أَجِدْ لِي مَذْهَبًا وَوَجَدْتُ حِلْمَكَ لِي عَلَيْكَ دَلِيلَا
هَبْنِي أَسَاتُ وَمَا أَسَاتُ أَقْرُبُكِ يَزْدَادُ عَفْوَكَ بَعْدَ طَوْلِكَ طُولَا
فَالْعَفْوُ أَجْمَلُ وَالْفَضْلُ بِأَمْرِي لَمْ يَعْدَمِ الرَّاجُونَ مِنْهُ حِمِيلَا
فَلَمَّا قَرَأَهَا الْفَضْلُ دَمَعَتْ عَيْنَاهُ وَرَضِيَ عَنْهُ (بدائع البداهة للارزدي)

١٧٨ وَشِيَّ ابْنُ سَيِّدٍ عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ فُجَّاهُ فَكَتَبَ إِلَيْهِ :
وَلَا غُرْوَانُ تَعْفُوا أَنْتَ ابْنُ مَنْ عَدَا يُعَوِّدُ عَفْوًا عَنْ كِبَارِ الْجَرَائِمِ

لَكُمْ آلَ عَمَّارٍ بَيُوتُ رَفِيعَةٍ تُشِيدُ مِنْ كَسْبِ الثَّنَا بِدَعَانِهِمْ
إِذَا نَحْنُ أَذْنَبْنَا رَجَوْنَا ثَوَابَكُمْ وَلَمْ نَقْتَنِعْ بِالْعَفْوِ دُونَ الْمَكَارِمِ
وَإِنَّكَ فَرَعٌ مِنْ أَصُولِ كَرِيمَةٍ وَلَا تَلِدُ الْأَزْهَارَ غَيْرُ الْكَفَايِمِ
وَإِنِّي مَظْلُومٌ لَزُورِ سَمِيعَتِهِ وَقَدْ جِئْتُ أَرْجُو الْعَفْوَ فِي زِيِّ ظَالِمٍ
فَعَفَا عَنْهُ وَقَرَّبَهُ إِلَيْهِ وَوَصَّلَهُ (الذخيرة لابن بسام)

كَتَبَ ابْنُ خُرُوفٍ لِبَعْضِ الرُّسَاءِ :
يَا مَنْ حَوَى كُلَّ مُجْدٍ بِمَجْدِهِ وَبَجِدِهِ
أَتَاكَ تَجَلُّ خُرُوفٍ فَأَمْنٌ عَلَيْهِ بِمَجْدِهِ

١٧٩ كَتَبَ آخَرُ إِلَى بَعْضِ الْوُجُوهِ :

تَبَسَّمَ الثُّغْرُ عَنْ أَوْصَافِكُمْ فَسَرَى مِنْ طِيبِ عَرَفِكُمْ رِيحٌ فَأَحْيَانَا
فَمِنْ هُنَاكَ عَشِقْنَاكُمْ وَلَمْ نَزْكَمْ وَالْأَذُنُ تَعْشِقُ قَبْلَ الْعَيْنِ أَحْيَانَا
لِأَيِّ الْوَلِيدِ مِمَّا يُكْتَبُ عَلَى قَوْسٍ :

إِنِّي إِذَا رُفِعَتْ سَمَاةٌ عَجَاجِي وَالْحَرْبُ تَقْعُدُ بِالرَّدَى وَتَقُومُ
وَتَمُرُّ وَالْأَبْطَالُ فِي جَنَابَتِهَا وَالْمَوْتُ مِنْ فَوْقِ النَّفْسِ يَحُومُ
مَرَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْخُتُوفُ كَأَنَّمَا نَحْنُ الْأَهْلَةُ وَالسِّهَامُ نُجُومُ
١٨١ . قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ زُرْقُون :

يَا مَعْدِنَ الْفَضْلِ وَطُودَ الْحَجَى لَا زِلْتَ مِنْ بَحْرِ الْعَلَى تَعْتَرِفُ
عَبْدُكَ بِالْبَابِ قُضِلَ مُنْعَمًا يَدْخُلُ أَوْ يَصِيرُ أَوْ يَنْصَرِفُ
١٨٢ كَتَبَ ابْنُ هُذَيْلٍ الْفَزَارِيُّ لِلْغَنِيِّ بِاللَّهِ سُلْطَانِ ابْنِ الْحَطِيبِ :

لَيْسَ يَا مَوْلَايَ لِي مِنْ جَابِرٍ إِذْ غَدَا قَلْبِي مِنَ الْبَلَوِ جُذَاذَا
غَيْرُ صَاحِبٍ أَحْمَرُ تَكْتُبُ لِي فِيهِ يَمْنَاكَ أَعْتَبَاءَ صَحَّ هَذَا
١٨٣ سَلَّمَ عَلَى الْمُتَكَبِّبِ بَعْضُ أَصْحَابِهِ قَلَمٌ يَرُدُّ . فَقَالَ مُعْتَذِرًا :

إِذْ كُنْتُ حِينَ لَقَيْتَنِي مُتَوَجِّعًا لِتَغْيَبِكَ
فَشَغَلْتُ عَنْ رَدِّ السَّلَامِ وَكَانَ شُغْلِي عَنْكَ يَا
١٨٤ سَأَلَ الْحُجَّاجُ ابْنَ الْقُرَيْبَةِ قَالَ : أَخْبِرْنِي عَنْ أَوَّلِ مَنْ نَطَقَ
بِالشَّعْرِ . فَقَالَ : آدَمُ وَهُوَ حِينَ قَتَلَ قَايِنَ أَخَاهُ هَابِيلَ فَأَنشَدَ :

تَغَيَّرَتِ الْأَلْبَادُ وَمَنْ عَلَيْهَا
تَغَيَّرَ كُلُّ ذِي طَعْمٍ وَلَوْنٍ
وَلَمْ يَزَلْ فِي الدُّنْيَا شَيْءٌ مُلِجٌ
وَجَفَنِي بَعْدَ أَحْبَابِي قَرِيجٌ
فَأَجَابَهُ إِبْلِيسُ عَلَى قَوْلِهِ :

تَوُحُّ عَلَى الْأَلْبَادِ وَمَنْ عَلَيْهَا
وَكُنْتَ بِهِ وَعِرْسَكَ فِي نَعِيمٍ
فَمَا زَالَتْ مُكَائِدَتِي وَمَكْرِي
١٨٥ لِلْأَمِيرِ أَبِي الْقَتْحِ بْنِ أَبِي الْقَتْحِ الْمَعَرِيِّ فِي الْمَرْقِصِ :

أَبَا صَالِحٍ أَشْكُو إِلَيْكَ نَوَائِبًا
إِلَى الصَّخْرِ فَجَرَّتِ الْعُيُونُ مِنَ الصَّخْرِ
يُطْلُونَ أَطْلَالَ الْفِرَاحِ إِلَى الْوَكْرِ
فَأَثَقْتُ ظَهْرِي بِالَّذِي خَفَّ مِنْ ظَهْرِي
وَفِي الدَّارِ خَلْفِي صَبِيَّةٌ قَدْ تَرَكَهُمْ
جَنَيْتُ عَلَى رُوحِي بِرُوحِي جَنَايَةً

- ١٨٦ لَتَاجُ الدِّينِ بْنِ أَبِي الْخَوَارِيِّ فِي الْمُرْقُصِ :
وَوَاللَّهِ مَا أَخْرَبْتُ عَنْكَ مَدَائِحِي لِأَمْرِ سِوَى أَنِّي عَجَزْتُ عَنِ الشُّكْرِ
وَقَدْ رَضْتُ فِكْرِي مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ فَمَا سَأَغُ أَنْ أَهْدِي إِلَيْكُمْ شِعْرِي
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ دُرًّا فَتِلْكَ نَقِصَةٌ وَإِنْ كَانَ دُرًّا كَيْفَ يَهْدِي إِلَى الْبَحْرِ
- ١٨٧ كَتَبَ ابْنُ وَضَّاحٍ الْمُرْسِيُّ لِلرَّيْسِ قَطَعَ عَنْهُ إِحْسَانُهُ فَقَطَعَ مَدَحَهُ :
هَلْ كُنْتُ إِلَّا طَائِرًا بَشَانِكُمْ فِي دَوْحِ مُجْدِكُمْ أَقَوْمُ وَأَقْعُدُ
إِنْ تَسْلُبُونِي رِيَشَكُمْ وَتَقْلَصُوا عَنِّي ظِلَالَكُمْ فَكَيْفَ أُعَرِّدُ
- ١٨٨ كَتَبَ الْحَمْدَانِيُّ إِلَى الْقَاضِي أَبِي حَصِينٍ عِنْدَ مَسِيرِهِ إِلَى الرَّقَّةِ :
يَا طُولَ شَوْقِي إِنْ كَانَ الرَّحِيلُ عَدَا لَا فَرَّقَ اللَّهُ فِيمَا بَيْنَنَا أَبَدًا
يَا مَنْ أَصَافِيهِ فِي قُرْبٍ وَفِي بُعْدٍ وَمَنْ أَخَالَصُهُ إِنْ غَابَ أَوْ شَهِدَا
رَاعَ الْهَرَاقُ فَوَادًا كُنْتُ تَوْنُسُهُ وَزَادَ بَيْنَ الْجَفُونِ الدَّمْعُ وَالسَّهْدَا
لَا يُبْعِدُ اللَّهُ شَخْصًا لَا أَرَى أُنْسًا وَلَا تَطِيبُ لِي الدُّنْيَا إِذَا بَعْدَا
أَضْحَى وَأَضْحَيْتُ فِي سِرِّي وَعَلَنِي أَعْدَهُ وَالِدَا إِذْ عَدَّنِي وَلَدَا
مَا زَالَ يَنْظُمُ فِي الشَّعْرِ مُجْتَهِدًا فَضْلًا وَأَنْظُمُ فِيهِ الشَّعْرَ مُجْتَهِدًا
حَتَّى اعْتَرَفْتُ وَعَزَّتْنِي فَضَائِلُهُ وَفَاتَ سَبَقًا وَحَارَ الْفَضْلُ مُنْقَرِدًا
إِنْ قَصَرَ الْجُهْدُ عَنْ إِدْرَاكِ غَايَتِهِ فَأَعْذَرُ النَّاسَ مَنْ أَعْطَاكَ مَا وَجَدَا
لَا يَطْرُقُ النَّازِلُ الْمُخْذُورُ سَاحَتَهُ وَلَا تَمُدُّ إِلَيْهِ الْحَادِثَاتُ يَدَا
أَبْقَى لَنَا اللَّهُ مَوْلَانَا وَلَا بَرَحَتْ أَيَّامُنَا أَبَدًا فِي ظِلِّهِ جُدَا

البابُ العاشرُ في المريج

بلعاء بن قيس وبنو هاشم

١٨٩ قَالَ بَلْعَاءُ بْنُ قَيْسٍ: أَلْعَرَبُ كَالْبَدَنِ وَقُرَيْشٌ رُوحُهَا. وَقُرَيْشٌ رُوحٌ وَبَنُو هَاشِمٍ سِرُّهَا وَلِبْهَا. وَمَوْضِعُ غَايَةِ الدِّينِ وَالْدُنْيَا مِنْهَا. وَهَاشِمٌ مَلِجُ الْأَرْضِ وَزِينَةُ الدُّنْيَا. وَحَيُّ الْعَالَمِ وَالسَّامِ الْأَصْنَمِ. وَالْكَاهِلُ الْأَعْظَمُ. وَلِبَابُ كُلِّ جَوْهَرٍ كَرِيمٍ وَسِرُّ كُلِّ غَضَرٍ شَرِيفٍ. وَالطَّيْنَةُ الْيَبِضَاءُ وَالْمَغْرَسُ الْمُبَارَكُ وَالنِّصَابُ الْوَلِثِيُّ وَمَعْدِنُ الْقَهْمِ وَيَذْبُوعُ الْعِلْمِ. وَتَهْلَانُ ذُو الْهَضَابِ فِي الْحِلْمِ وَالسَّيْفِ. الْحَسَامُ فِي الْعَزْمِ مَعَ الْأَنَاءَةِ وَالْحَزْمِ وَالصَّفْعِ عَنِ الْجُرْمِ وَالْقَصْدُ بَعْدَ الْمَعْرِفَةِ وَالصَّفْحُ بَعْدَ الْمَقْدَرَةِ. وَهُمْ الْأَنْفُ الْمُقَدَّمُ. وَالسَّامُ الْأَكْرَمُ. وَكَأَلْمَاءِ الَّذِي لَا يُتَجَسَّهُ شَيْءٌ. وَكَأَلشَّمْسِ الَّتِي لَا تَخْفَى بِكُلِّ مَكَانٍ. وَكَأَلذَّهَبٍ لَا يُعْرِفُ بِالنَّقْصَانِ. وَكَأَلنَّجْمٍ لِلْحَيْرَانِ وَالْبَارِدِ لِلظَّمْآنِ (للقيرواني)

مديح المأمون

١٩٠ قَالَ ابْنُ أَبِي طَاهِرٍ: دَخَلَ الْمَأْمُونُ بَعْدَادَ فَتَلَقَّاهُ وَجُوهُ أَهْلِهَا. فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي مَقْدَمِكَ. وَزَادَ فِي نِعْمَتِكَ وَشُكْرِكَ عَنْ رِعْيَتِكَ. تَقَدَّمْتَ مِنْ قَبْلِكَ. وَأَنْعَبْتَ مَنْ بَعْدَكَ. وَآيَسْتَ أَنْ يُعَايِنَ مِثْلَكَ. أَمَّا فِيمَا مَضَى فَلَا نَعْرِفُهُ. وَأَمَّا

فِيمَا بَقِيَ فَلَا زُجُوهُ . فَتَحْنُ جَمِيعًا نَدْعُوكَ وَنُثْنِي عَلَيْكَ . خَصْبَ لَنَا
 جَنَابِكَ وَعَذَابَ ثَوَابِكَ . وَحَسَنَتَ نَظَرُتِكَ . وَكَرَمَتَ مَقْدَرُتِكَ .
 جَبَرْتَ الْفَقِيرَ . وَفَكَكْتَ الْأَسِيرَ . وَالْخَيْرُ بِفِنَائِكَ . وَالشَّرُّ بِسَاحَةِ
 أَعْدَائِكَ . وَالنَّصْرُ مُنَوِّطٌ بِلَوَائِكَ . وَالْخِذْلَانُ مَعَ أَلْوِيَةِ حُسَادِكَ .
 وَالْبِرُّ فِعْلُكَ . قَدْ طَحَّطَ عِدْوُكَ غَضَبُكَ . وَهَزَمَ مَقَابِلَهُمْ مَشْهَدُكَ .
 وَسَارَ فِي النَّاسِ عَدْلُكَ . وَشَسَعَ بِالنَّصْرِ ذِكْرُكَ . وَسَكَنَ قَوَارِعَ
 الْأَعْدَاءِ ظَفْرُكَ . أَلْذَهَبُ عَطَاؤُكَ . وَالِدَوَاءُ رَمْلُكَ . وَالْأَوْرَاقُ لِحْظُكَ
 وَأَطْرَافُكَ (الابن عبد ربّه)

مدح مقامات الحريري

١٩١ إِنِّي لَمْ أَرِ فِي كُتُبِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْأَدَبِ . وَلَا فِي تَصَانِيفِ
 الْعَجَمِ وَالْعَرَبِ . كِتَابًا أَحْسَنَ تَأْلِيفًا . وَأَعْجَبَ تَصْنِيفًا . وَأَعْرَبَ تَرْصِيفًا .
 وَأَشْمَلَ لِلْعَجَائِبِ الْعَرَبِيَّةِ . وَأَجْمَعَ لِلْغَرَائِبِ الْأَدَبِيَّةِ . وَكَثَّرَ تَضَمُّنًا
 لِأَمْثَالِ الْعَرَبِ . وَنَكَّتِ الْأَدَبِ . مِنْ الْمَقَامَاتِ الَّتِي أَنْشَأَهَا الْإِمَامُ
 جَمَالُ الْعَصْرِ . وَكَمَالُ الدَّهْرِ . أَبُو مُحَمَّدٍ الْقَاسِمُ بْنُ عَلِيٍّ الْحَرِيرِيُّ
 الْبَصْرِيُّ بِرَدِّ اللَّهِ مُضْجَعَهُ . وَطَيْبَ مَهْجَعَهُ . إِنْشَاءً فَاخِرًا . وَكِتَابًا
 بَاهِرًا . وَتَصْنِيفًا عَجِيبًا مُعْجَزًا . وَتَأْلِيفًا عَزِيزًا مُعْوزًا . نَعَمْ كِتَابٌ بِدِيعُ
 لَهُ قَدْرٌ رَفِيعٌ . قَدْ نَمَتْ حَسَنَاتُهُ . وَدَلَّتْ عَلَى الْإِعْجَازِ آيَاتُهُ . هَذَا
 وَلَمَّا خَرَجَ مَقْبُولَ النِّظَامِ . مُتَدَاوِلًا فِيمَا بَيْنَ الْأَنَامِ . أَكْبَأُ أَبْنَاءَ زَمَانِنَا
 عَلَى تَحْصِيلِهِ . وَوَاظِبُوا عَلَى تَفْهَمِ جَمَلِهِ وَتَفْصِيلِهِ . غَيْرَ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ زَبَا

خَبَطُوا فِيهِ خَبَطَ عَشَوَاءَ . إِذَا وَقَعُوا مِنْهُ فِي مُعْضَلَةٍ عَمِيَاءَ . وَلَا يَهْتَدُونَ
إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ . بَلْ يَتَرَدَّدُونَ فِي تِيهِ بِلَا دَلِيلٍ ... (الطُرْزِي)
١٩٢ قَالَ الْبُرْعِيُّ فِي إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْحَكَمِيِّ :

إِلَى صَارِمِ الدِّينِ الْفَتَى ابْنِ مُحَمَّدٍ رَمَتْ بِي مَقَادِيرُ جَرَتْ وَخُطُوبُ
وَحَطَّتْ بِي الْأَمَالُ فِي خَيْرِ مَنْزِلٍ لَدَى خَيْرِ مَنْ يَلُوي إِلَيْهِ أَدِيبُ
فَوَافَيْتُ أَعْلَى النَّاسِ نَفْسًا وَمَنْصَبًا وَأَخْصَبَ رُبْعًا وَالزَّمَانَ جَدِيبُ
هُوَ الْكَوْثَرُ الْفَيَاضُ فِي آلِ فَارِحٍ بِهِ الْعَيْشُ يَحُلُو وَالزَّمَانُ يَطِيبُ
عَمَامٌ يِعْمُ الْخَلْقُ ظِلًّا فَضَائِلًا لِكُلِّ مِنَ الرَّاجِينَ فِيهِ نَصِيبُ
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ جِئْتُكَ زَائِرًا وَشَأْنِي وَقِيتَ الشَّائِنِ عَجِيبُ
أُوَمِّلُ مِنْكَ الْبِرَّ وَالْبِرُّ وَاسِعٌ وَأَرْجُو نَدَاكَ الْجَمَّ وَهُوَ قَرِيبُ
فَقُصِّمَ بِي وَعَاوَمَنِي بِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ فَإِنَّ رَجَائِي فِيكَ لَيْسَ يَخِيبُ
وَصُنْ مَاءَ وَجْهِي عَنْ زَمَانٍ مُعَانِدٍ وَصِلْ حَبْلَ أَنْسِي فَأَلْغَرِيبُ غَرِيبُ
وَدُمْتَ مَنَارَ الدِّينِ مَا لَاحَ بَارِقُ وَمَا أَهْتَرَّ غَضَنُ فِي الْأَرَالِ رَطِيبُ
وَلَا زِلْتَ مَأْمُولِي وَعَوْنِي وَنَصْرَتِي عَلَى نَائِبَاتِ الدَّهْرِ حِينَ تَنْوِبُ
١٩٣ حَدَّثَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَدِيرِ قَالَ : مَرِضَ الْمُتَوَكِّلُ مَرَضَةً خَيفَ
عَلَيْهِ مِنْهَا . ثُمَّ عُوْنِي وَأُذِنَ لِلنَّاسِ فِي الْوُصُولِ إِلَيْهِ فَدَخَلُوا عَلَى
طَبَقَاتِهِمْ كَأَقَّةٍ . وَدَخَلْتُ مَعَهُمْ فَلَمَّا رَأَوْنِي اسْتَدْنَانِي حَتَّى قُمْتُ وَرَاءَ
الْفَتْحِ وَنَظَرَ إِلَيَّ مُسْتَنْطَقًا فَأَنَشَدَنِي :

يَوْمَ أَتَانَا بِالْأَسْرُورِ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَبِيرِ

أَخْلَصْتُ فِيهِ شُكْرَهُ وَوَفَّيْتُ فِيهِ بِالْأُذُورِ
لَمَّا أَعْتَلَّتْ تَصَدَّعَتْ شُعَبُ الْقُلُوبِ مِنَ الْأُذُورِ
مِنْ بَيْنِ مُلْتَهَبِ الْفُؤَا دِ وَبَيْنِ مُكْتَتِبِ الضَّمِيرِ
يَا عُدَّتِي لِلدِّينِ وَالْدُّنْيَا وَلِلْخَطْبِ الْخَطِيرِ
كَانَتْ جُفُونِي ثَرَّةً أَوْ أَمَاقٍ بِالْأَمْعِ الْغَزِيرِ
لَوْ لَمْ أُمْتَ جَزَعًا لَعَمَ رُكَّ إِنِّي عَيْنُ الصُّبُورِ
يَوْمِي هُنَا لَكَ كَالسَّيِّدِ نَ وَسَاعَتِي مِثْلُ الشُّهُورِ
يَا جَعْفَرُ الْمُتَوَكَّلُ أَوْ عَلِيٍّ عَلَى الْبَدْرِ الْمُنِيرِ
الْيَوْمَ عَادَ الدِّينُ غَضَمَ الْعُودِ ذَا وَرَقٍ نَضِيرِ
وَالْيَوْمَ أَصْبَحْتَ الْخِلَافَةَ وَهِيَ أَرْضِي مِنْ ثَبِيرِ
قَدْ حَاقَتْكَ وَعَاقَدَتْكَ عَلَى مُطَاوَلَةِ الدُّهُورِ

فَقَالَ الْمُتَوَكَّلُ لِلْفَتْحِ: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ يَنْطِقُ عَنْ نَبِيَّةٍ خَالِصَةٍ وَوَدَّ مَحْضٍ
وَمَا قَضَيْنَا حَقَّهُ. فَقَدَّمَ بِأَن يُحْمَلَ إِلَيْهِ السَّاعَةُ خَمْسُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ.

١٩٤ مَدَحُ مُطِيعِ بْنِ إِيَّاسٍ مَعْنَى بْنِ زَائِدَةَ بِقَصِيدَتِهِ الَّتِي أَوَّلُهَا:

أَهْلًا وَسَهْلًا بِسَيِّدِ الْعَرَبِ ذِي الْغُرَرِ الْوَاضِحَاتِ وَالنُّجُبِ
فَتَى تَزَارُ وَكَمَلَهَا وَأَخِي أَوْ جُودِ حَوَى عَانِيَةً مِنْ كَثَبِ
جَاءَ الَّذِي تُفَرِّجُ الْهَمُومَ بِهِ حِينَ يُلْزَمُ الْوُضِينَ بِالْحَقَبِ
شَهْمٌ إِذَا الْحَرْبُ شَبَّ دَارِهَا أَعَادَهُ عَوْدَةً عَلَى الْقُطْبِ
يُظْفِي نِيرَانَهَا وَيُوقِدُهَا إِذَا خَبَتْ نَارُهَا بِلا حَطَبِ

لَيْتُ بِمُحَمَّدٍ قَدْ حَمَى أَجْمًا فَصَارَ مِنْهَا فِي مَنْزِلِ أَشْبِ
 شِبْلَاهُ قَدْ أَزَيَا بِهِ فَهَمَا شِبْهَاهُ فِي جَدِّهِ وَفِي لَبِ
 قَدْ وَمَقًا شَكَلَهُ وَسِيرَتَهُ وَأَحْكَمًا مِنْهُ أَكْرَمَ الْأَدَبِ
 نِعَمَ الْفَتَى تُقَرَّنُ الصَّعَابُ بِهِ عِنْدَ تَجَاثِي الْخُصُومِ لِلرُّكَبِ
 تَرَى لَهُ الْحِلْمَ وَالنَّهْيَ خُلُقًا فِي صَوْلَةٍ مِثْلَ جَاحِمِ اللَّهَبِ
 سَيْفُ الْإِمَامِينَ ذَاكَ وَذَا إِذَا قُلَّ بُنَاةُ الْوَفَاءِ وَالْحَسَبِ
 ذَا هَوَادَةٍ لَا يُخَافُ نَبَوْتَهَا وَدِينُهُ لَا يُشَابُ بِالرَّيْبِ
 فَلَمَّا سَمِعَهَا مَعْنُ قَالَ لَهُ : إِنْ شِئْتَ مَدَحْنَاكَ كَمَا مَدَحْنَا . وَإِنْ
 شِئْتَ أَثْبَتْنَاكَ . فَاسْتَحْيَا مُطِيعٌ مِنْ اخْتِيَارِ الثَّوَابِ عَلَى الْمَدِيحِ وَهُوَ مُحْتَاجٌ
 إِلَى الثَّوَابِ فَأَنْشَأَ :

ثَنَاءٌ مِنْ أَمِيرٍ خَيْرُ كَسْبٍ لِصَاحِبِ نِعْمَةٍ وَأَخِي ثَرَاءِ
 وَلَكِنْ الزَّمَانُ بَرَى عِظَامِي وَمَا مِثْلُ الدَّرَاهِمِ مِنْ دَوَاءِ
 فَضْحِكَ مَعْنُ حَتَّى اسْتَلْقَى . وَقَالَ : لَقَدْ لَطُفْتَ حَتَّى تَخَلَّصْتَ مِنْهَا .
 صَدَقْتَ لَعَمْرِي مَا مِثْلُ الدَّرَاهِمِ مِنْ دَوَاءِ . وَأَمَرَ لَهُ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ
 دِرْهَمٍ وَخَلَعَ عَلَيْهِ وَحَمَلَهُ .
 (الآغا نِي)

١٩٥ قَالَ الْبُسْتِيُّ يُمْدَحُ آلُ فُرَيْعُونَ :

بَنُو فُرَيْعُونَ قَوْمٌ فِي وُجُوهِهِمْ نُورُ الْهُدَى وَضِيَاءُ السُّودِّ الْعَالِي
 كَأَنَّمَا خُلِقُوا مِنْ سُودِّ وَعُلَا وَسَارُّ النَّاسِ مِنْ طِينٍ وَصَلَّالٍ
 مَنْ تَلَقَّ مِنْهُمْ ثَقُلَ هَذَا أَجْلُهُمْ شَأْنًا وَأَسْفَحَهُمْ بِالنَّفْسِ وَالْمَالِ

يَا سَائِلِي مَا الَّذِي حَصَلَتْ عَنْدهُمْ دَعِ السُّؤَالَ وَقُمْ فَأَنْظُرِي إِلَى حَالِي
 أَفَادَنِي الْمَلِكُ الْمُيْمُونُ طَائِرُهُ عِزًّا وَأَبْسَنِي سِرْبَالُ إِقْبَالِ
 وَأَشْتَقُّ مِنْ حَقِّهِ بَحْرًا طَغَى وَطَمًا حَبَابُهُ فَوْقَ أَفْكَارِي وَأَمَالِي
 فَإِنْ أَكُنْ سَاكِتًا عَنْ شُكْرِ أَنْعَمِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ لَيَجْزِي لَا لِإِعْطَالِي
 ١٩٦ وَقَالَ فِي أَبِي نَصْرِ :

أَبَا نَصْرِ نَصْرْتِ عَلَى الْأَعَادِي وَصَرْتَ لِكُلِّ ذِي فَضْلٍ إِمَامًا
 بِرَأْيٍ يَهْزُمُ الْجَيْشَ اللَّهُمَامَا وَعَظْمُ نُجْلِ السَّيْفِ الْحَسَامَا
 ١٩٧ قَالَ أَبُو تَمَامٍ يَمْدَحُ أَبَا الْحَسَنِ مُوسَى بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ :

إِنْ يَكُنْ فِي الْأَرْضِ شَيْءٌ حَسَنٌ فَهُوَ فِي دُورِ بَنِي عَبْدِ الْمَلِكِ
 مَا يُبَالُونَ إِذَا مَا أَفْضَلُوا مَا بَقِيَ مِنْ مَالِهِمْ أَوْ مَا هَلَكَ
 عَقَلَتِ السُّنَنُ عَنْ قَوْلٍ لَا فَهِيَ لَا تَعْرِفُ إِلَّا هُوَ لَكَ
 مِنْهُمْ مُوسَى جَوَادٌ مَاجِدٌ لَا يَرَى مَا لَمْ يَهَبْ مِمَّا مَلَكَ
 زَيْنُوا الْأَرْضَ كَمَا قَدْ زَيْنَتْ بِنُجُومِ اللَّيْلِ آفَاقُ الْفَلَكَ
 ١٩٨ قَالَ خَالِدُ بْنُ جَعْفَرٍ يَمْدَحُ أَبَا عَمْرٍو أُحِيْمَةَ بْنَ الْجَلَّاحِ :

إِذَا مَا أَرَدْتَ الْعِزَّ مِنْ آلٍ يَثْرِبِ فَتَادِ أَبَا عَمْرٍو أُحِيْمَةَ يَسْمَعُ
 بَنَى فِي الْعُلَى وَالْفَخْرِ وَالْمَجْدِ مَنْزِلًا لَهُ فَوْقَ أَكْنَافِ السَّمَاءِ كَيْنِ مَوْضِعِ
 وَإِنْ هَزَّ فِي يَوْمِ الْكُرْهِيةِ سَيْفُهُ رَأَيْتَ شُعَاعَ الْمَوْتِ فِي السَّيْفِ يَمْعُ
 وَإِنْ وَهَبَتْ كَفَاهُ وَالْمَيْثُ هَاطِلٌ يَدُومُ عَطَاهُ وَالسَّحَابُ يُقْلَعُ
 وَيَأْمَنُ فِي أَيْبَاتِهِ كُلُّ خَائِفٍ وَيَشْبَعُ مِنْ نِعْمَاهُ مَنْ لَيْسَ يَشْبَعُ

مَنَاقِبُ فِي الْجُلَّاحِ كَانَتْ قَدِيمَةً فَسَارَ عَلَيْهَا وَابْنُهُ يَتَّبِعُ
 ١٩٩ قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ يَمْدَحُ ابْنَ أَبِي دُوَادٍ:

تَرَكَ الْمَنَابِرَ وَالسَّرِيرَ تَوَاضَعًا وَلَهُ مَنَابِرُ لَوْ يَشَاءُ وَسَرِيرُ
 وَلِغَيْرِهِ يُجِبِي الْخُرَاجُ وَإِنَّمَا يُجِبِي إِلَيْهِ حَمْدٌ وَأَجُورُ
 ٢٠٠ قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْكُورَانِيُّ يَمْدَحُ الْأَمِيرَ يُوسُفَ بْنَ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ:

إِنَّ الْإِمَامَ هُوَ الطَّيِّبُ وَقَدْ شَفَى عِلَلَ الْبَرَايَا ظَاهِرًا وَدَخِيلًا
 حَمَلَ الْبَسِيطَةَ وَهِيَ تَحْمِلُ شَخْصَهُ كَالرُّوحِ يُوجَدُ حَامِلًا مَحْمُولًا
 ٢٠١ قَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فِي الْمَدْحِ:

قَدْ هَزَزْنَاكَ فِي الْمَكَارِمِ غَضًا وَأَسْتَلَمْنَاكَ فِي النَّوَائِبِ رُكْنًا
 وَوَجَدْنَا الزَّمَانَ قَدْ لَانَ عِطْفًا وَتَأْتَى فِعْلًا وَأَشْرَقَ حُسْنًا
 فَإِذَا مَا سَأَلْتَهُ كَانَ سَمَحًا وَإِذَا مَا هَزَزْتَهُ كَانَ لَدْنَا
 أَنْتَ مَاءُ السَّمَاءِ أَخْصَبَ وَادِيهِ وَرَقَّتْ رِيَاضُهُ فَأَنْتَجَمْنَا
 تَرَعْتُ بِي إِلَى وَدَادِكَ نَفْسُ قَلَمًا اسْتَصْحَبَتْ سِوَى الْفَضْلِ خَدْنَا
 ٢٠٢ قَالَ ابْنُ النَّبِيِّ يَمْدَحُ صَاحِبَ الدِّينِ يُوسُفَ بْنَ أَيُّوبَ:

هُوَ الْعَادِلُ الظَّلَامُ لِلْمَالِ وَالْعَدَى خَزَائِنُهُ قَدْ أَقْفَرَتْ وَدِيَارُهَا
 كَرِيمٌ لَهُ نَفْسٌ تَجُودُ بِمَا حَوَتْ وَأَعْجَبُ شَيْءٍ بَعْدَ ذَلِكَ أَعْتَذَرُهَا
 حُسَامٌ لَهُ حَدٌّ يَرُوعُ مِثْلُ مِثْلِهِ وَصَفْحَةٌ صَفْحٌ لِلذُّنُوبِ أَعْتَفَرُهَا
 لَهُ رَاحَةٌ فِي السَّلَامِ تَجْنِي جَنَانَهَا وَيَوْمَ هِيَاجِ الْحَرْبِ تَوْقُدُ نَارَهَا
 أَنَامِلُهُ طَوْرًا غُصُونُ نَوَاصِرُ وَطَوْرًا سِوْفُ دَامِيَاتُ شِفَارُهَا

٢٠٣ قَالَ النَّبِغَةُ يَمْدَحُ غَسَّانَ حِينَ ارْتَحَلَ مِنْ عِنْدِهِمْ رَاجِعًا :
 لَا يُبْعِدُ اللَّهُ حِيرَانَا تَرَكْتُهُمْ مِثْلَ الْمَصَابِيحِ تَجَلَوْا لَيْلَةَ الظُّلُمِ
 هُمْ الْمُلُوكُ وَأَبْنَاءُ الْمُلُوكِ لَهُمْ فَضْلٌ عَلَى النَّاسِ فِي اللَّأْوَاءِ وَالنَّعَمِ
 أَحْلَامُ عَادٍ وَأَجْسَادُ مُطَهَّرَةٍ مِنَ الْمُعَقَّةِ وَالْأَقَاتِ وَالْأَثَمِ
 ٢٠٤ دَخَلَ شَاعِرٌ عَلَى الْمَلِكِ الْوَاتِقِ وَقَالَ لَهُ :

إِنِّي رَأَيْتُكَ سَيِّدِي فِي مَجْلِسٍ قَعَدَ الْمُلُوكُ بِحَافَتَيْهِ وَقَامُوا
 فَكَانَتْكَ الدَّهْرُ الصُّوْلُ عَلَيْهِمْ وَكَانَهُمْ مِنْ حَوْلِكَ الْأَيَّامُ
 فَقَالَ : أَحْسَنْتَ كَمْ أَمَلْتُ أَطْلُبُ مَا تَشَاءُ . قَالَ : يَا مَوْلَايَ
 يَدُكَ بِالْعَطِيَّةِ أَوْسَعُ مِنْ لِسَانِي بِالْمَسْئَلَةِ . فَوَهَبَهُ أَلْفَ دِينَارٍ وَخَلَعَ عَلَيْهِ
 ٢٠٥ قَالَ ابْنُ بُبَاةٍ فِي الْمَلِكِ الْمُؤَيَّدِ صَاحِبِ حِمَاةٍ :

لَنَا مَلِكٌ قَدْ قَاسَمْتَنَا هِبَاتَهُ فَتَرُّ الْعَطَا مِنْهُ وَنَظْمُ الشَّامِ مَنَا
 يُذَكِّرُنَا أَخْبَارَ مَعْنٍ بِجُودِهِ وَنُثْشِي لَهُ لَفْظًا فَيُنْثِي لَنَا مَعْنَى
 ٢٠٦ وَأَحْسَنُ مَا سَمِعَ فِي الْقِسْمِ عَلَى الْمَدْحِ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

خَلَقْتَ بَيْنَ سَوَى السَّمَاءِ وَشَادَهَا وَمِنْ مَرَجِ الْبَحْرَيْنِ يَتَمَيَّانِ
 وَمَنْ قَامَ فِي الْمُعْقُولِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ بَأْتَتْ مِنْ إِدْرَاكِ كُلِّ عِيَانِ
 لَمَّا خُلِقْتَ كَفَّاكَ إِلَّا لِارْبَعٍ عَقَائِلَ لَمْ تُعْقِلْ لَهُنَّ ثَوَانِي
 لِتَقْيِيلِ أَفْوَاهٍ وَإِعْطَاءِ نَائِلِ وَتَقْيِيلِ هِنْدِي وَحَبْسِ عَنَانِ
 ٢٠٧ قَالَ شَرَفُ الدِّينِ الْفَيَّرَوَانِي :

جَاوِرٌ عَلِيًّا وَلَا تَحْفَلُ بِجَادَتِهِ إِذَا أَدْرَعْتَ فَلَا تَسْأَلُ عَنِ الْأَسْلِ

سَلَّ عَنْهُ وَأَنْطَقَ بِهِ وَأَنْظَرَ إِلَيْهِ تَجِدُ مِلَّ السَّمِيعِ وَلَا فَوَاهِ وَالْمُقَلِّ
 ٢٠٨ قَالَتِ الْخُنْسَاءُ فِي أَخِيهَا وَقَدْ أَرَادَتْ مُسَاوَاتَهُ بِأَبِيهِ مَعَ مُرَاعَاةِ
 حَقِّ الْوَالِدِ بِيَزَادَةِ مَدْحٍ لَا يَتِمُّصُ بِهِ حَقُّ الْوَلَدِ :

جَارَى أَبَاهُ فَأَقْبَلَ وَهَمَا يَتَعَاوَرَانِ مِلَاءَةً أَنْفَخِرِ
 وَهَمَا وَقَدْ بَرَزَا كَأَنَّهُمَا صَفْرَانٌ قَدْ حَطَّأَ عَلَى وَكْرِ
 بَرَقَتْ صَفِيحَةُ وَجْهِهِ وَالِدِهِ وَمَضَى عَلَى غُلَوَانِهِ يَجْرِي
 أَوْلَى فَأَوْلَى أَنْ يُسَاوِيَهُ لَوْلَا جَلَالُ السِّنِّ وَالْكِبَرِ

٢٠٩ قَالَ زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سَلَمَى فِي بَنِي سِنَانٍ :
 قَوْمٌ أَبُوهُمْ سِنَانٌ حِينَ تَسْبِيهِمْ طَابُوا وَطَابَ مِنَ الْأَوْلَادِ مَا وَلَدُوا
 لَوْ كَانَ يَقَعْدُ فَوْقَ السَّمَاسِ مِنْ كَرَمٍ قَوْمٌ يَا بَلِيْهِمْ أَوْ مُجْدِيْهِمْ قَعَدُوا
 وَقَالَ يَمْدَحُ هَرَمُ بْنُ سِنَانٍ :

وَأَبْيَضَ قِيَاضٍ يَدَاهُ غَمَامَةٌ عَلَى مُعْتَقِيهِ مَا تُقْبُ فَوَاضِلُهُ
 تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتُهُ مُتَهَلِّلًا كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ
 أَخُو ثِقَةٍ لَا تُتْلَفُ الْحُمْرُ مَالُهُ وَلَكِنَّهُ قَدْ يُتْلَفُ الْمَالُ نَائِلُهُ
 ٢١٠ قَالَ أَعَشَى قَيْسٍ يَمْدَحُ الْأَسْوَدَ بْنَ الْمُنْذِرِ أَخَا الثُّعْمَانَ :

أَنْتَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ أَلْفٍ مِنَ النَّاسِ إِذَا مَا كَبَتْ وَجُوهُ الرِّجَالِ
 فَرَعُ نَبْعٍ يَهْتَرُ فِي غُصْنِ الْمُجْدِ غَزِيرُ اللَّهِ عِظِيمُ الْجَمَالِ
 فَإِذَا مِنْ عَصَاكَ أَصْبَحَ مَخْزُؤٌ نَاوَكَبُ الَّذِي يُطِيعُكَ عَالِ
 ٢١١ قَالَ عُرْوَةُ بْنُ الْوَرْدِ :

لَوْ كَانَتْ الرِّيحُ حَقًّا تَحْمِلُ الْخَبْرَا
حَمَلْتُ رِيحَ الصَّبَا أَنْفَاسَنَا سَحْرَا
إِلَى الشُّجَاعِ الَّذِي مَا سَلَّ صَارِمَهُ
إِلَّا وَدَمُ الْعِدَى فَوْقَ الصَّعِيدِ جَوَى
لَيْثُ يِلَاقِي رِجَالَ الْحَرْبِ مُقْتَدِرَا
وَطَعْنُهُ فِي حَشَاهَا وَافَقَ الْقَدْرَا
يَا حَامِيَا عَبَسَ قَدْ بَنَيْنَا عَلَى وَجَلٍ
مِنْ قَارِسٍ لَا يَخَافُ الْبُؤْسَ وَالضَّرَرَا
لَقَدْ رَجَوْنَاكَ عِنْدَ الْخُطْبِ تَدْرِكُنَا
وَمِنْ دِمَائِهِمْ تَرَوِي الصَّارِمَ الذِّكْرَا
٢١٢ قَالَ عَلِيُّ بْنُ جَبَلَةَ يَمْدَحُ أَبَا دَلْفٍ وَكَانَ قَتَلَ قُرْقُورَ فِي الْحَرْبِ:

إِمْتَدِخْ مِنْ وَائِلٍ رَجُلَا
عَصَرَ الْأَفَاقَ فِي عُصْرِهِ
الْمَنَآيَا فِي مَنَاقِبِهِ
وَالْعَطَايَا فِي ذَرَا حَجَرِهِ
مَلِكٌ تَنَدَّى أَنَامِلُهُ
كَأَنْبِلَاجِ النَّوَى عَنْ مَطَرِهِ
مُسْتَهْلٌ عَنْ مَوَاهِبِهِ
كَأَنْبَسَامِ الرُّوْضِ عَنْ زَهْرِهِ
إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دَلْفٍ
بَيْنَ بَادِيِهِ وَخُتْمِ عَصْرِهِ
فَإِذَا وَلَّى أَبُو دَلْفٍ
بَيْنَ بَادِيِهِ إِلَى حَضْرِهِ
يَا دَوَاءَ الْأَرْضِ إِنْ فَسَدَتْ
وَمَدِيلَ الْيَسْرِ مِنْ عُصْرِهِ
كُلُّ مَنْ فِي الْأَرْضِ مِنْ عَرَبٍ
بَيْنَ بَادِيِهِ إِلَى حَضْرِهِ
مُسْتَعِيرٌ مِنْكَ مَكْرُمَةٌ
يَكْتَسِبُهَا يَوْمَ مُفْتَحْرِهِ
وَزُخُوفٍ فِي صَوَاهِلِهِ
يَكْتَسِبُهَا يَوْمَ مُفْتَحْرِهِ
قُدَّتْهُ وَالْمَوْتُ مُكْتَمِنٌ
فِي مَذَاكِيهِ وَمُسْتَجْرِهِ
زُرْتُهُ وَالْخَيْلُ عَابِسَةٌ
تَحْمِلُ الْبُؤْسَ عَلَى عَقْرِهِ
خَارِجَاتٍ تَحْتَ رَايَاتِهِمَا
كَخُرُوجِ الطَّيْرِ مِنْ وَكْرِهِ

وَلَقَرْقُورٍ أَدْرَتْ رَحًا لَمْ تَكُنْ تَرْتَدُّ فِي فِكْرِهِ
قَدْ تَأْتَيْتَ الْبَقَاءَ لَهُ فَأَبَى ائْتِئُومُ مِنْ قَدْرِهِ
فَلَمَّا أَلْشَدَّ عَلَيَّ بَنُ أَبِي جَبَلَةَ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ اسْتَحْسَنَهَا أَبُو دُلْفٍ
وَسَرَّ بِهَا وَأَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ أَلْفٍ دِرْهَمٍ

٢١٣ أَخْبَرَ عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَخْفَشُ قَالَ: بَيْنَا أَبُو دُلْفٍ يَسِيرُ مَعَ
أَخِيهِ مَعْقِلٍ وَهَمَّا إِذْ ذَاكَ بِالْعِرَاقِ إِذْ مَرَّ بِأَمْرَئَيْنِ تَتَمَاشِيَانِ .
فَقَالَتْ إِحْدَاهُمَا لِصَاحِبَتِهَا: هَذَا أَبُو دُلْفٍ . قَالَتْ: وَمَنْ أَبُو دُلْفٍ .
قَالَتْ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ الشَّاعِرُ: (إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُلْفٍ) . (قَالَ):
فَاسْتَعْبَرَ أَبُو دُلْفٍ حَتَّى جَرَى دَمْعُهُ . قَالَ لَهُ مَعْقِلٌ: مَا لَكَ يَا أَخِي
تَبْكِي . قَالَ: لِأَنِّي لَمْ أَفْضِ حَقَّ عَلِيِّ بْنِ جَبَلَةَ (الْإِغَانِي)

٢١٤ قَالَ آخِرُ فِي الْمُدْحِ:

أَهْلُ بَانَ يُسْعَى إِلَيْهِ وَيُدْتَجَى وَيُذَارَ مِنْ أَقْصَى الْبِلَادِ عَلَى الرَّجَا
فَلَقَدْ غَدَا بِالْمَكْرُمَاتِ مُقَلِّدًا وَمُوشِحًا وَمُخْتَمًا وَمُتَوَجًّا
٢١٥ قَالَ الْمُتَنَبِّيُّ يُمْدَحُ سَيْفَ الدَّوْلَةِ:

ضَاقَ الزَّمَانُ وَوَجَّهَ الْأَرْضَ عَنْ مَلِكٍ مِلَّ الزَّمَانِ وَمِلَّ السَّهْلَ وَالْجَبَلَ
وَتَحَنُّ فِي جَدَلٍ وَالرُّومُ فِي وَجَلٍ وَالْبَرْقُ فِي شُغْلٍ وَالْجُرُ فِي نَحْلٍ
٢١٦ وَقَالَ أَيْضًا:

يَا أَكْرَمَ النَّاسِ أَخْلَاقًا وَأَوْفَرَهُمْ عَقْلًا وَأَسْبَقَهُمْ فِيهِ إِلَى الْأَمَدِ
أَصْبَحْتَ أَفْضَلَ مَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمٍ بِالرَّأْيِ وَالْعَقْلِ لَا بِالْبَطْشِ وَالْجَلْدِ

لَنْ ضَعُفَتْ وَأَضْنَاكَ السَّقَامُ فَلَمْ
 لَوْ كَانَ أَفْضَلُ مَا فِي الْخَلْقِ بَطْشُهُمْ
 يَضْعَفُ قُوَى عَقْلِكَ الصَّافِي وَلَمْ يَدِدْ
 دُونَ الْعُقُولِ لَكَانَ الْفَضْلُ لِلْأَسَدِ
 ٢١٧ قَالَ عُمَارَةُ الْيَمِينِيُّ :

(ابن خلكان)

يَا لِسَانَ الزَّمَانِ لَفْظًا وَمَعْنَى
 تَعْتَلِي كَوْكَبًا وَتَشْرِقُ شَمْسًا
 وَرَبِيعَ الْأَنَامِ كَفَاً وَمَعْنَى
 وَتَحَايَ لَيْثًا وَتَهْلُ مِرْنًا
 ٢١٨ قَالَ آخَرُ :

إِذَا حَلَّتْ بَارِضٍ وَهِيَ مُجْدِبَةٌ
 فَلَيْسَ تَرَحَّلُ إِلَّا وَهِيَ مُعْشِبَةٌ
 قَلِيلَةُ الْغَيْثِ لَمْ يَخْطُرْ بِهَا السَّارِي
 كَأَنَّمَا أَنْتَ فِيهَا رَحْمَةُ الْبَارِي
 ٢١٩ قَالَ أَبُو الْقَرَجِ الْبَغَاءُ فِي سَيْفِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ :

نَدَاكَ إِذَا ضَنَّ الْعَمَامُ غَمَامُ
 فَهَذَا يُنِيلُ الرِّزْقَ وَهُوَ مُنَمَّعُ
 وَعَزَمَكَ إِنْ فَلَ الْخُسَامُ خُسَامُ
 وَذَاكَ يَرُدُّ الْجَيْشَ وَهُوَ لِهَامُ
 وَمَنْ طَلَبَ الْأَعْدَاءَ بِالْمَالِ وَالطَّبِي
 وَبِالسَّعْدِ لَمْ يَبْعُدْ عَلَيْهِ مَرَامُ
 ٢٢٠ قَالَ أَبُو الْفَتْحِ الْبُسْتِيُّ فِي تَجَلٍّ بَعْضِ الْأَمْرَاءِ :

فَتَى جَمَعَ الْعُلَمَاءَ عِلْمًا وَعِفَةً
 كَمَا جَمَعَ التَّفَاحَ شَكْلًا وَبَهْجَةً
 وَجُودًا وَبَاسًا لَا يُفِيقُ فَوَاقَا
 وَرَأْمَةً مَحْبُوبَةً وَمَذَاقَا

٢٢١ قَالَ عُمَارُ بْنُ أَحْسَنٍ يَمْدَحُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ هَلِيعَةَ :

إِذَا سَارَ عَبْدُ اللَّهِ مِنْ مَرَوْ لَيْلَةً
 إِذَا ذُكِرَ الْأَحْبَارُ مِنْ كُلِّ بَلَدَةٍ
 فَقَدْ سَارَ مِنْهَا نُورُهَا وَجَمَالُهَا
 فَهُمْ أَتَجَمُّ فِيهَا وَأَنْتَ هَالِكُهَا

٢٢٢ أَلْشَدُّ مُحَمَّدُ بْنُ هَانِيٍّ فِي جَعْفَرِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَلْبُونٍ :

لَوْ خَلَدَ الدَّهْرُ ذَا عِزٍّ لِعِزَّتِهِ
تَبَلَّى الْكِرَامُ وَآثَارُ الْكِرَامِ وَمَا
٢٢٣ لَا بِي الشَّيْصِ الْخُرَاعِي :

عَشَقَ الْمَكَارِمَ فَهُوَ مُشْتَغِلٌ بِهَا
وَأَقَامَ سُوقًا لِلشَّاءِ وَلَمْ تَكُنْ
بَثِّ الصَّنَائِعِ فِي الْبِلَادِ فَاصْبَحَتْ
٢٢٤ قَالَ أَبُو حَوْتَةَ :

قَوْمٌ إِذَا اقْتَحَمُوا انْجَبَاجَ رَأْيِهِمْ
لَا يَعْدِلُونَ بِرَفْدِهِمْ عَنْ سَائِلٍ
وَإِذَا الصَّرِيحُ دَعَاهُمْ لِلْمَلَةِ
وَإِذَا نَادَى الْحَرْبُ أَحْمَدَ نَارَهَا
٢٢٥ قَالَ الْعَرَنْدَسُ يَمْدَحُ قَوْمًا :

هَيْنُونَ لَيْنُونَ أَيْسَارُ ذَوُو كَرَمٍ
فِيهِمْ وَمِنْهُمْ يَعْدُ الْمَجْدُ مُتَلَدًا
لَا يَنْطَفُونَ عَنْ الْقَهْشَاءِ إِنْ نَطَقُوا
مَنْ تَلَقَّ مِنْهُمْ تَقَلَّ لَا قَيْتُ سَيِّدِهِمْ
٢٢٦ قَالَ الْحَزِينُ اللَّيْثِيُّ فِي عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ :

هَذَا الَّذِي تُعْرِفُ الْبَطْحَاءُ وَطَأَتُهُ
إِذَا رَأَتْهُ قَرِيْشٌ قَالَ قَائِلُهَا
إِلَى مَكَارِمِ هَذَا يَنْتَهِي الْكَرَمُ

البابُ الحادي عشر في الخِزْرِ والحِمْسَةِ

- ٢٢٧ قَالَ أَبُو بَكْرِ الْأَرَجَانِيُّ فِي بَابِ الْخِزْرِ:
 أَنَا أَشَعْرُ الْفَقْهَاءِ غَيْرِ مُدَافِعٍ فِي الْعَصْرِ أَوْ أَنَا أَفْقَهُ الشُّعْرَاءِ
 شِعْرِي إِذَا مَا قُلْتُ دَوْنَهُ الْوَرَى بِالطَّبْعِ لَا يَتَكَلَّفُ الْإِلْقَاءُ
 كَالصَّوْتِ فِي قُلُلِ الْجِبَالِ إِذَا عَلَا لِلسَّمْعِ هَاجَ تَجَاوُبَ الْأَصْدَاءِ
- ٢٢٨ قَالَ الْقَاضِي الرَّشِيدُ أَبُو الْحُسَيْنِ الْغَسَّانِيُّ الْأَسْوَانِيُّ:
 جَلَّتْ لَدَيَّ الرَّزَايَا بَلْ جَلَّتْ هَمَّتِي وَهَلْ يَضُرُّ جَلَاءَ الصَّارِمِ الذِّكْرُ
 غَيْرِي يُغَيِّرُهُ عَنْ حُسْنِ شِمَّتِهِ صَرَفَ الزَّمَانِ وَمَا يَأْتِي مِنَ الْغَيْرِ
 لَوْ كَانَتْ النَّارُ لِلْيَاقُوتِ مُحْرِقَةً لَكَانَ يَشْتَبُهُ الْيَاقُوتُ بِالْحَجَرِ
 فَلَا تَغْرُنْكَ أَطْمَارِي وَفَيْتَهَا فَإِنَّمَا هِيَ أَصْدَافُ عَلَى دُرِّ
 وَلَا تَظُنَّ خَفَاءَ التَّجْمِ عَنْ صَغْرِ فَالذَّنْبُ مِنْ ذَلِكَ مَحْمُولٌ عَلَى الْبَصْرِ
- ٢٢٩ قَالَ عَنَرُ تَهْدِدْ هَوَازِنَ وَجْشِمَ وَكَانَا قَدْ أَغَارَا عَلَى دِيَارِ عَبَسٍ:
 سَكَتُ فَعَرَّأْتُ أَعْدَائِي السُّكُوتُ وَظَنُّونِي لِأَهْلِي قَدْ لَسَيْتُ
 وَكَيْفَ أَنَا عَنْ سَادَاتِ قَوْمٍ أَنَا فِي فَضْلِ نِعْمَتِهِمْ رَبِيتُ
 وَإِنْ دَارَتْ بِهِمْ خَيْلُ الْأَعَادِي وَنَادَوْنِي أَجَبْتُ مَتَى دُعِيتُ
 بِسَيْفٍ حَدَّهُ مَوْجُ الْمَنَازِلِ وَرَمَحَ صَدْرَهُ الْحُتُفُ الْمَمِيتُ
 حُلِقْتُ مِنَ الْحَدِيدِ أَشَدَّ قَلْبًا وَقَدْ بَلَى الْحَدِيدُ وَمَا بَلِيتُ

وَإِنِّي قَدْ شَرِبْتُ دَمَ الْأَعَادِي
وَفِي الْحَرْبِ الْعَوَانُ وُلِدْتُ طِفْلاً
فَمَا لِلرَّيْحِ فِي جِسْمِي نَصِيبُ
وَلِي بَيْتٌ عَلا فَلَكَ الثَّرِيَا
٢٣٠ وَقَالَ أَيْضًا يَفْتَحُرُ :

أَعَادِي صَرَفَ دَهْرٍ لَا يُعَادِي
وَأُظْهِرُ نَضْحَ قَوْمٍ ضَيَّعُونِي
أَعْلَلُ بِالنِّي قَلْبًا عَلِيلاً
تُعِيرُنِي الْعَدَى بِسَوَادِ جِلْدِي
وَرَدْتُ الْحَرْبَ وَالْأَبْطَالَ حَوْلِي
وَحُضْتُ بِمُجْهَجِي بِحَرِّ الْمَنَايَا
وَعُدْتُ مُخَضَّباً بِدَمِ الْأَعَادِي
وَسَيْفِي مُرْهَفُ الْحَدَّيْنِ مَاضٍ
وَرُحْمِي مَا طَعَنْتُ بِهِ طَعِيناً
وَلَوْلَا صَارِمِي وَسِنَانُ رُحْمِي
٢٣١ قَالَ عَمْرُو بْنُ مَعْدِي كَرِبُ :

لَيْسَ الْجَمَالُ بِمَنْزَرٍ
إِنَّ الْجَمَالَ مَعَادِنُ
أَعَدَدْتُ لِلْحَدَثَانِ سَا
فَأَعْلَمُ وَإِنْ رُدِّيتَ بُرْدَا
وَمَنَايِبُ أَوْرُنْ مَجْدَا
يَغَةُ وَعَدَاءُ عُلْدَا

نَهْدًا وَذَا شُطْبٍ يَشْدُ الْبَيْضَ وَالْأَبْدَانِ قَدًّا
وَعَلِمْتُ أَنِّي يَوْمَ ذَاكَ مُنَازِلُ كَعْفَا وَنَهْدَا
قَوْمٌ إِذَا لَبِسُوا الْحَدِيدَ تَنَمَّرُوا حَقًّا وَقَدًّا
كُلُّ أَمْرِي يُجْرِي إِلَى يَوْمِ الْهَيَاجِ بِمَا اسْتَعَدَّا
نَازَلْتُ كَنْشَهُمْ وَلَمْ أَرِ مِنْ زَالِ الْكَيْشِ بُدًّا
هُمْ يَنْذِرُونَ دِيَّ وَأَنَا ذُرٌّ إِنْ لَقِيتُ بَأْسًا
كَمْ مِنْ أَخٍ لِي صَالِحٍ بَوَّأَهُ يَدَيَّ لِحْدًا
مَا إِنْ جَزَعْتُ وَلَا هَلَهُ ت وَلَا يَدُّ بَكَايَ زَنْدًا
الْبَسْتُهُ أَثْوَابَهُ وَخُلِفْتُ يَوْمَ خُلِفْتُ جَلْدًا
أُغْنِي عَنَاءَ الدَّاهِيَةِ نَ أَعْدُ لِلْأَعْدَاءِ عَدًّا
ذَهَبَ الَّذِينَ أَحْبَبَهُمْ وَبَقِيتُ مِثْلَ السَّيْفِ فَرْدًا

٢٣٢ قَالَ عَنَتْرُ وَقَدْ خَرَجَ إِلَى دِيَارِ بَنِي زَيْدٍ فِي طَلَبِ رَأْسِ ابْنِ مُحَارِبٍ:
أَطْوِي فَيَا فِي الْفَلَا وَاللَّيْلِ مُعْتَكِرُ وَأَقْطَعُ الْيَدَ وَالرَّمْضَاءَ تَسْتَعِرُ
وَلَا أَرَى مُؤْنَسًا غَيْرَ الْحُسَامِ وَإِنْ قَلَّ الْأَعَادِي غَدَاةُ الرُّوعِ أَوْ كَثُرُوا
فَحَازِرِي يَا سَبَاعَ الْبَرِّ مِنْ رَجُلٍ إِذَا انْتَضَى سَيْفُهُ لَا يَنْفَعُ الْحَذَرُ
وَرَافِقِي تَرَى هَامًا مُفْلَقَةً وَالطَّيْرَ عَاكِفَةً تَمْسِي وَتَبْتَكِرُ
مَا خَالِدٌ بَعْدَ مَا قَدَسَتْ طَالِبُهُ بِجَالِدٍ لَا وَلَا الْجِدَاءُ تَقْفَحُرُ
وَلَا دِيَارَهُمْ بِالْأَهْلِ أُنْسَةً يَاوِي الْغُرَابُ بِهَا وَالذِّبُّ وَالنَّمِرُ
٢٣٣ وَقَالَ بَعْضُ بَنِي أَسَدٍ:

وَإِنِّي لَأَسْتَغْنِي فَمَا أَبْطَرَ الْغَنَى
وَأُعْسِرُ أَحْيَانًا فَكَشَّتْ دُعُسَرَتِي
وَمَا نَالَهَا حَتَّى تَجَلَّتْ وَأَسْفَرَتْ
وَأَبْذُلُ مَعْرُوفِي وَتَصْفُو خَلِيقَتِي
وَأَسْتَقْذِرُ الْمَوْلَى مِنَ الْأَمْرِ بَعْدَ مَا
وَأَمَحَّهُ مَالِي وَوُدِّي وَنُصْرَتِي
وَيَغْمُرُهُ حِلْمِي وَلَوْ شِئْتُ نَالَهُ
وَأَقْضِي عَلَى نَفْسِي إِذَا الْأَمْرُ نَابَنِي
وَأَسْتُ بِإِذِي وَجْهَيْنِ فِيمَنْ عَرَفْتُهُ
وَإِنِّي لَسَهْلٌ مَا تُغَيِّرُ شَيْئَتِي
٢٣٤ وَلِعَنْتَ فِي يَوْمِ الْمَصَانِعِ :

وَمَدَّ إِلَيْكَ صَرْفُ الدَّهْرِ بَاعًا
وَدَافِعٌ مَا اسْتَطَعْتَ لَهَا دِفَاعًا
وَلَا تَبْكُ الْمَنَازِلَ وَالْبَقَاعَا
وَيَهْتَكُنَ الْبَرَاقِعَ وَالْأَهْمَاعَا
إِذَا مَا جَسَّ كَفْكَ وَالذَّرَاعَا
يَرُدُّ الْمَوْتَ مَا قَاسَى الزَّرَاعَا
لَنَا بِفَعَالِنَا خَبْرًا مُشَاعَا
وَصَيَّرَنَا النَّفُوسَ لَهَا مَتَاعَا
إِذَا كَشَفَ الزَّمَانُ لَكَ الْقَتَاعَا
فَلَا تَخْشَ الْمُنِيَّةَ وَالنَّقِيهَا
وَلَا تَخْتَرْ فِرَاشًا مِنْ حَرِيرٍ
وَحَوْلَكَ نِسْوَةٌ يَنْدُبْنَ حُرْنََا
يَقُولُ لَكَ الطَّيِّبُ دَوَالِكُ عِنْدِي
وَلَوْ عَرَفَ الطَّيِّبُ دَوَاءَ دَاءِ
وَفِي يَوْمِ الْمَصَانِعِ قَدْ تَرَكْنَا
أَقْنَمًا بِالذَّوَابِلِ سُوقَ حَرْبِ

حَصَانِي كَانَ دَلَالُ الْمَنَايَا
وَسَيْفِي كَانَ فِي الْهَيْجَا طَيْبًا
أَنَا الْعَبْدُ الَّذِي خَبِرْتَ عَنْهُ
وَلَوْ أَرْسَلْتُ رُحْمِي مَعَ جَبَانٍ
مَلَأْتُ الْأَرْضَ خَوْفًا مِنْ حُسَامِي
إِذَا الْأَبْطَالُ فَرَّتْ خَوْفَ بَلْسِي
٢٣٥ وَقَالَ مُضَرَّسُ بْنُ رَبِيعٍ :

إِنَّا لَنُصَفِّحُ عَنْ مَجَاهِلِ قَوْمِنَا
وَمَتَى نَخَفُ يَوْمًا فِسَادَ عَشِيرَةٍ
وَإِذَا تَوَاصَعَدَّا فَلَيْسَ عَلَيْهِمْ
وَمُعِينُ فَاعِلَنَا عَلَى مَا نَابَهُ
وَنَجِيبُ دَاعِيَةِ الصَّبَاحِ بِثَائِبٍ
فَقُلْ شَوْكَتَهَا وَنَفْثَا حَمِيرَهَا
وَتَحُلْ فِي دَارِ الْخَفَاطِ يُونُثَا
٢٣٦ وَقَالَ عَنَتْرَةُ الْعَبْسِي :

وَأَجْهَدِي فِي عِدَاوَتِي وَعِنَادِي
إِنَّ لِي هِمَّةً أَشَدَّ مِنَ الصُّخْرِ
وَحُسَامًا إِذَا ضَرَبَتْ بِهِ الدَّهْرُ
وَسِنَانًا إِذَا تَعَسَّفَتْ فِي اللَّهِ

فَخَاضَ غُبَارَهَا وَشَرَى وَبَاعَا
يُدَاوِي رَأْسَ مَنْ يَشْكُو الصَّدَاعَا
وَقَدْ عَلَيْتَنِي قَدَحَ السَّمَاعَا
لَكَانَ بِهَيْبَتِي يَلْقَى السَّبَاعَا
وَحَضْمِي لَمْ يَجِدْ فِيهَا اتِّسَاعَا
تَرَى الْأَفْطَارَ بَاعًا أَوْ ذِرَاعَا

وَنَقِيمُ سَالِقَةِ الْعَدُوِّ الْأَصِيدِ
نُصْلُحُ وَإِنْ زَرَ صَالِحًا لَا نُفْسِدُ
مِنَّا الْخَبَالَ وَلَا نُفُوسُ الْحُسَدِ
حَتَّى يُنْسِرَهُ لِفِعْلِ السَّيِّدِ
عَجَلِ الرُّكُوبِ لِدَعْوَةِ الْمُسْتَجِدِ
حَتَّى تَبُوخَ وَحْمِينَا لَمْ يَبْرُدِ
رُتَعُ الْجَمَالِ فِي الدَّرِينِ الْأَسْوَدِ

أَنْتَ وَاللَّهِ لَمْ تُلْمِي بِبَالِي
رِوَأَقْوَى مِنْ رَأْسِيَاتِ الْخَبَالِ
رَمَحَلْتُ عَنْهُ الْقُرُونُ الْخَوَالِي
لِهُدَايَنِي وَرَدَّيْنِي عَنْ ضَلَالِي

وَجَوَادًا مَسَارًا إِلَى سَرَى الْبَرْقِ وَرَاهُ مِنْ اقْتِدَاحِ النَّعَالِ
 أَذْهَمُ يَصْدَعُ الدُّجَى بِسَوَادِ بَيْنَ عَيْنَيْهِ غَرَّةٌ كَالْهَلَالِ
 يَفْتَدِينِي بِنَفْسِهِ وَأُقَدِّيهِ بِنَفْسِي يَوْمَ الْقِتَالِ وَمَالِي
 وَإِذَا قَامَ سُوقُ حَرْبِ الْعَوَالِي وَتَلَطَّى بِالْمُرْهَقَاتِ الصِّقَالِ
 كُنْتُ دَلَالَهَا وَكَانَ سِنَانِي تَاجِرًا يَشْتَرِي النُّفُوسَ الْغَوَالِي
 يَا سِبَاعَ أَهْلًا إِذَا اشْتَعَلَ الْحَرْبُ بْ أَتْبِعِينِي مِنَ الْهَقَارِ الْخَوَالِي
 إِتْبِعِينِي تَرَى دِمَاءَ الْأَعَادِي سَائِلَاتٍ بَيْنَ الرَّثْبِ وَالرِّمَالِ
 ثُمَّ عُودِي مِنْ بَعْدِ ذَاوِ الشُّكْرِ بِنِي وَأَذْكُرِي مَا رَأَيْتَهُ مِنْ فِعَالِي
 وَخُذِي مِنْ جَمَاحِ الْقَوْمِ قُوَّتَا لِيَلِيكَ الصِّغَارِ وَالْأَشْبَالِ
 ٢٣٧ وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ الْأَنْصَارِيُّ:

مَتَى مَا تَأْتِ يَثْرَبُ أَوْ تُزْدَهَا تَجِدُنَا نَحْنُ أَكْرَمَهَا جُدُودَا
 وَأَغْلَظَهَا عَلَى الْأَعْدَاءِ رُكْنَا وَالنِّهَا لِبَاغِي الْخَيْرِ عُودَا
 وَأَخْطَبَهَا إِذَا اجْتَمَعُوا لِأَمْرٍ وَأَقْصَدَهَا وَأَوْفَاهَا عُهْدَا
 إِذَا نُدِعَى لِسَارٍ أَوْ لِحَارٍ فَتَحْنُ الْأَكْثَرُونَ بِهَا عِيدَا
 مَتَى مَا نُدْعُ فِي جُشْمٍ وَعَوْفٍ تَجِدُنِي لَا أَعْمَ وَلَا وَحِيدَا
 وَحَوْلِي جَمْعُ سَاعِدَةِ بْنِ عَمْرٍو وَتَمِ الْلَاتِ قَدْ لَبَسُوا الْحَدِيدَا
 زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ نَلْتُمُ مُلُوكَا وَزَعَمْنَا أَنَّنَا نَلْنَا عِيدَا
 وَمَا نَبْغِي مِنَ الْأَحْلَافِ وَتَرَا وَقَدْ نَلْنَا الْمُسُودَ وَالْمُسُودَا
 ٢٣٨ قَالَ أَبُو الْقَتْحِ الْبُسْتِيُّ:

وَنَحْنُ أَنَاسٌ لَا نَذِلُّ لِحَافٍ عَلَيْنَا وَلَا نَرْضَى حُكُومَةَ حَافٍ
مَلَكْنَا الْعَوَالِي بِالْمَعَالِي فَجَارُنَا وَرِثَاعِنِ الْأَبَاءِ عِنْدَ اخْتِرَائِهَا
تَوَمَّرْنَا أَسَافُنَا وَرِمَاحُنَا بَلَيْنَا بِأَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ كَعَبَّةٍ
فَمَنْ شَاءَ فَلْيَخْشَنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَلِنْ وَسَوْفَ نُجَازِي بِاللَّطَائِفِ أَهْلَهَا
٢٣٩ قَالَ الْقُرَيْطِيُّ بْنُ أُنَيْفٍ يَفْتَخِرُ بِقَوْمِهِ :

قَوْمٌ إِذَا الشَّرُّ أَبْدَى نَاجِدِيهِ لَهُمْ لَا يَسْأَلُونَ أَخَاهُمْ حِينَ يَنْدَبُهُمْ
لَكِنَّ قَوْمِي وَإِنْ كَانُوا ذَوِي عَدَدٍ يَجِزُّونَ مِنْ ظَلَمِ أَهْلِ الظُّلْمِ مَغْفِرَةً
كَانَ رَبُّكَ لَمْ يَخْلُقْ لِحَشِيَّتِهِ فَلَيْتَ لِي بِهِمْ قَوْمًا إِذَا رَكِبُوا
٢٤٠ وَلِلَّهِ عَنَرٌ حَيْثُ يَقُولُ :

أَنَا فِي الْحَرْبِ الْعَوَانِ وَحُسَامِي مَعَ قَتَاكِي
غَيْرُ مُجْهُولِ الْمَكَانِ لِفِعَالِي شَاهِدَانِ
وَهُوَ يَقْطَانُ الْجَنَانِ وَفِرَاهَا مِنْهُ دَانِ
إِنِّي أَطْعَمُ خَضَمِي أَسْفِهِ كَاسَ الْمَنَآيَا

خُلِقَ الرِّيحُ لِكُنِّي وَالْحُسَامُ الْهُندُؤَانِي
وَمَعِي فِي الْمَهْدِ كَانَا فَوْقَ صَدْرِي يُؤْنِسَانِي
وَإِذَا مَا الْأَرْضُ صَارَتْ وَرْدَةً مِثْلَ الدَّهَانِ
وَالدَّمَا تَجْرِي عَلَيْهَا لَوْنَهَا أَحْمَرُ قَانِي
فَأَسْقِيَانِي وَأَسْمِعَانِي نَعْمَةً كَيْ تَطْرِبَانِي
أَطِيبُ الْأَصْوَاتِ عِنْدِي حُسْنُ صَوْتِ الْهُندُؤَانِي
وَصَرِيحُ الرِّيحِ جَهْرًا فِي الْوَعْيِ يَوْمَ الطَّعَانِ
وَصِيَاحُ الْقَوْمِ فِيهِ وَهُوَ لِلْأَبْطَالِ دَانِ

٢٤١ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِي هَمْدَانِ :

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْخَيْلَ تَفْرَعُ بِالْقَنَا فَوَارِسَهَا حُمُرُ الْعُيُونِ دَوَامِ
وَأَقْبَلَ رَهْجٌ فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهُ غَمَامَةٌ دَجَنٍ أَوْ عِرَاضُ قَتَامِ
وَمِنْ كُلِّ حَيٍّ قَدْ أَتَتْنَا عَصَابَةٌ ذَوُو نَجْدَاتٍ فِي الْإِلْقَاءِ كِرَامِ
وَنَادَيْتُ فِيهِمْ دَعْوَةً فَلَجَانِي فَوَارِسُ مِنْ هَمْدَانَ غَيْرُ لِنَامِ
فَوَارِسُ مِنْ هَمْدَانَ لَيْسُوا بِغَزَلٍ غَدَاةُ الْوَعْيِ مِنْ شَائِكَ وَسَنَامِ
يَقُودُهُمْ حَارِي الْحَقِيقَةِ مِنْهُمْ سَعِيدُ بْنُ قَيْسٍ وَالْكَرِيمُ يُحَامِي
جَزَى اللَّهُ هَمْدَانَ الْجَنَانِ فَإِنَّهُمْ سِهَامُ الْأَعَادِي عِنْدَ كُلِّ حِمَامِ
مَتَى نَأْتِيهِمْ فِي دَارِهِمْ تَسْتَضِيئُهُمْ تَبَّتْ نَاعِمًا فِي غِبْطَةٍ وَطَعَامِ
وَقَوْمٌ يَجْبُونَ الْإِمَامَ وَهَدِيَهُ سِرَاعٌ إِلَى الْهَيْجَا بِكُلِّ حُسَامِ
فَلَوْ كُنْتُ بَوَّابًا عَلَى بَابِ جَنَّةٍ لَقُلْتُ لَهُمْدَانَ أَدْخُلُوا إِسْلَامِ

٢٤٢ وَمِنْ الْمُعْجَبِ فِي هَذَا الْبَابِ قَوْلُ مُجِيرِ الدِّينِ بْنِ تَمِيمٍ :
 لَوْ كُنْتُ تَشْهَدُنِي وَقَدْ حَمَى الْوَعَى فِي مَوْقِفٍ مَا الْمَوْتُ فِيهِ بِمَعْزَلٍ
 لَتَرَى أَنَا يَبِ الْقَنَاقَةِ عَلَى يَدَيَّ تُجْرِي دَمًا مِنْ تَحْتِ ظِلِّ الْقَسْطَلِ
 ٢٤٣ قَالَ بَذْرُ الدِّينِ بْنُ فَضْلِ اللَّهِ تَهْدِدُ تَيُورُنْكَ عَلَى لِسَانِ الظَّاهِرِ رَفُوقِ
 السِّيفِ وَالرُّمْحِ وَالنُّشَابِ قَدْ عَلِمْتُ مِنْهَا الْحُرُوبَ فَسَلْ مِنْهَا تَلِييَكَ
 إِذَا التَّقِيْنَا نَجِدُ هَذَا مُشَاهِدَةً فِي الْحَرْبِ فَأَنْتَ قَامَرُ اللَّهِ آتِيكَ
 بِخِدْمَةِ الْحَرَمَيْنِ اللَّهُ شَرَّفَنَا فَضْلًا وَمَلَكْنَا أَلَمُصَارَ تَلِيكَ
 وَبِالْجَمِيلِ وَحَلَوِ النَّصْرِ عَوَدَنَا خُذِ التَّوَارِيخَ وَأَقْرَأْهَا فَتُبِيكَ
 وَمَنْ يَكُنْ رَبُّهُ الْفَتْاحُ نَاصِرُهُ فَمَنْ يَخَافُ وَهَذَا الْقَوْلُ يَكْفِيكَ

قصيدة ابن سناء الملك في الفخر

٢٤٤

سِوَايَ بَابِ الْمَوْتِ أَوْ يَرْهَبُ الرَّدَى وَغَيْرِي يَهْوَى أَنْ يَعْيشَ مُخَلَّدًا
 وَلَكِنِّي لَا أَرْهَبُ الدَّهْرَ إِنْ سَطَا وَلَا أَحْذَرُ الْمَوْتَ أَلْزُومَ إِذَا عَدَا
 وَلَوْ مَدَّ نَحْوِي حَدَثُ الدَّهْرِ كَفَّهُ لَحَدَّثْتُ نَفْسِي أَنْ أَمُدَّ لَهُ يَدَا
 تَوْقُدُ عَزْمِي يَتْرُكُ الْمَاءُ جَمْرَةً وَحِيلَةُ حُلِيِّي تَتْرُكُ السِّيفَ مَبْرَدًا
 وَفَرَطُ احْتِقَارِي لِلْإِنَامِ لِأَنِّي أَرَى كُلَّ عَارِمٍ حَلَى سُودْدِي سُدَى
 وَيَأْبَى إِيَّائِي أَنْ يَرَانِي قَاعِدًا وَإِنِّي أَرَى كُلَّ الْبَرِيَّةِ مَقْعَدًا
 وَأَظْمَأُ إِنْ أَبَدَى لِي الْمَاءُ مِنْهُ وَلَوْ كَانَ لِي نَهْرُ الْمَجْرَةِ مَوْرَدًا
 وَلَوْ كَانَ إِدْرَاكُ الْهُدَى بِتَذَلُّ رَأَيْتُ الْهُدَى أَنْ لَا أَمِيلَ إِلَى الْهُدَى
 وَقَدْ مَا يَغْيِرِي أَصْبَحَ الدَّهْرُ أَشِيدَا وَيِي وَيَفْضُلِي أَصْبَحَ الدَّهْرُ أَمْرَدَا

عَلَى الرَّغْمِ مَنِي أَنْ أَرَى لَكَ سَيِّدًا
وَلِي هَمَّةٌ لَا تَرْفَعِي الْأَفْقَ مَقْعِدًا
خَرَّتْ جَمِيعًا تَحَوَّ وَجْهِي مُجْعِدًا
ذَكَاءٌ وَعِلْمًا وَأَعْتِلَاءٌ وَسُودَدًا
مِنَ الْغَيْظِ مِنْهُ سَاكِنُ الْبَحْرِ مُزِيدًا
فَمَا ضَرَّتْنِي أَنْ لَا أَهْزَ الْمُهَنْدَا
فَإِنَّ صَائِلَ الْمَشْرِفِي لَهُ صَدَى

وَإِنَّكَ عَبْدِي يَا زَمَانُ وَإِنِّي
وَمَا أَنَا رَا ضِائِبِي وَأَطِئُ الْتَرَى
وَلَوْ عَلِمْتُ زَهْرُ النُّجُومِ مَكَانِي
أَرَى الْخُلُقَ دُونِي إِذَا أَرَانِي فَوْقَهُمْ
وَبَذَلُ نَوَالِي زَادَ حَتَّى لَقَدْ غَدَا
وَلِي قَلَمٌ فِي أُنْمَلِي إِنْ هَزَزْتُهُ
إِذَا صَالَ فَوْقَ الطَّرْسِ وَقَعَ صَرِيهِ
٢٤٥ لِأَيِّ الطَّحَانِ الْقَيْنِي :

إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قَامَ صَاحِبُهُ
بَدَأَ كَوَكَبٌ تَأْوِي إِلَيْهِ كَوَاكِبُهُ
دُجَى اللَّيْلِ حَتَّى نَظَّمَ الْجَزَعُ نَاقِبُهُ
تَسِيرُ الْمُنَايَا حَيْثُ سَارَتْ كِتَابَتُهُ

وَإِنِّي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ هُمُ هُمُ
نُجُومُ سَمَاءٍ كُلَّمَا غَابَ كَوَكَبُ
أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ
وَمَا زَالَ مِنْهُمْ حَيْثُ كَانُوا مَسُودُ
٢٤٦ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيُّ :

وَلَسُودٌ يَوْمَ النَّائِبَاتِ وَنَعْتَلِي
وَمَتَى نُحْكَمُ فِي الْبَرِّيَّةِ نَعْدِلُ
فِيهِمْ وَنَفْصِلُ كُلَّ أَمْرٍ مُفْضِلُ

وَلَقَدْ ثَقَلْنَا الْعَشِيرَةَ أَمْرَهَا
وَتَرَوُا أَبْوَابَ الْمَمْلُوكِ رِكَابَنَا
وَنُحَاوِلُ الْأَمْرَ أَلَهُمَّ خُطَابُهُ
٢٤٧ قَالَ أَبُو الْجَرَّاحِ الْبَكْرِيُّ :

آبَاؤُنَا الْغُرُّ مِنْ مُجْدٍ وَمِنْ كَرَمٍ
إِلَّا إِلَى ضَاحِكٍ مِنَّا وَمُبْتَسِمٍ

إِنَّا لَبْنِي عَلَى مَا شَيْدَتْهُ لَنَا
لَا يَرْفَعُ الضَّيْفُ عَيْنًا فِي مَنَازِلِنَا

إِنِّي إِذَا كَانَ قَوْمِي فِي الْوَرَى عِلْمًا فَإِنِّي عَلِمْتُ فِي ذَلِكَ الْعِلْمِ
٢٤٨ قَالَ الْأَدِيبُ أَبُو بَكْرٍ يَحْيَى بْنُ بَقِيٍّ مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ :

هُوَ الشَّعْرُ أُجْرَى فِي مَيَادِينِ سَبْقِهِ وَأَفْرَجَ مِنْ أَبْوَابِهِ كُلِّ مُبْهِمٍ
وَسَلَ أَهْلُهُ عَنِّي هَلْ أَمْتَرْتُ مِنْهُمْ بِطَبْعِي وَهَلْ عَادَرْتُ مِنْ مُرَدِّمٍ
سَلَكْتُ أَسَالِيبَ الْبَدِيعِ فَأَصْبَحْتُ بِأَقْوَالِي الرَّكْبَانُ فِي الْبَيْدِ تَرْتَمِي
وَرَبَّتَا عَنِّي بِهِ كُلُّ سَاجِعٍ يَرُدُّهُ فِي شَجْوِهِ وَالْتَرَمِ
وَضَعَيْتُ قَوْمِي لِأَنِّي لِسَانُهُمْ إِذَا أَقْحَمَ الْأَقْوَامُ عِنْدَ التَّكَلُّمِ
وَطَالَ بَنِي دَهْرِي لِأَنِّي زَنْتُهُ وَأَتَى فِيهِ غُرَّةٌ فَوْقَ أَدْهَمِ
٢٤٩ مِنْ شِعْرِ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ قَوْلُهُ :

إِنَّ الدَّوَابَّ مِنْ فِهْرٍ وَإِخْوَتَهُمْ قَدْ يَنْبُوا سُنَنًا لِلنَّاسِ تَتَّبِعُ
يَرْضَى بِهَا كُلُّ مَنْ كَانَتْ سِرِّيَّتُهُ تَقْوَى إِلَالَهُ وَبِالْأَمْرِ الَّذِي شَرَعُوا
قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمْ أَوْ حَاوَلُوا النَّفْعَ فِي أَشْيَائِهِمْ نَفَعُوا
سَجِيَّةُ تِلْكَ مِنْهُمْ غَيْرُ مُخْدَتَةٍ إِنْ الْخَلَائِقَ فَأَعْلَمَ شَرُّهَا الْبِدْعُ
لَوْ كَانَ فِي النَّاسِ سَبَاقُونَ بَعْدَهُمْ فَكُلُّ سَبَقٍ لِأَذْنِي سَبْقِهِمْ تَبِعُ
لَا يَرْفَعُ النَّاسُ مَا أَوْهَتْ أَكْفُهُمْ عِنْدَ الرِّقَاعِ وَلَا يُوهُونَ مَا رَفَعُوا
إِنْ سَابَقُوا النَّاسَ يَوْمًا فَازَ سَبْقُهُمْ أَوْ وَارَثُوا أَهْلَ مَجْدٍ بِالْئَدَى مُنِعُوا
لَا يَفْخَرُونَ إِذَا نَالُوا عَدُوَّهُمْ وَإِنْ أُصِيبُوا فَلَا ضُورَ وَلَا هَاجَ
وَلَا يَضْنُونَ عَنْ جَارٍ بِفَضْلِهِمْ وَلَا يَمْسَهُمْ فِي مَطْمَعٍ طَمَعُ
كَأَنَّهُمْ أَفْضَلُ الْأَحْيَاءِ كُلِّهِمْ إِنْ جَدَّ بِالنَّاسِ جِدُّ الْقَوْلِ أَوْ سَمِعَ

٢٥٠ وَمَا يُسْتَجَادُ لِعَبِيدِنِ الْأَرْضِ قَوْلُهُ :

يَا أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْ مَجْدِنَا إِنَّكَ عَنْ مَسْعَاتِنَا جَاهِلٌ
 إِنْ كُنْتَ لَمْ تَسْمَعْ بِآبَائِنَا فَسَلْ تُبًّا أَيُّهَا السَّائِلُ
 سَائِلُ بَنِي حُجْرًا غَدَاةَ الْوَعَى يَوْمَ تَوَلَّى جَمْعُهُ الْحَافِلُ
 قَوْمِي بَنُو دُودَانَ أَهْلُ الْحَجَى يَوْمًا إِذَا أُلْفَحَتْ الْحَائِلُ
 كَمْ فِيهِمْ مَنْ آيَدٍ سَيِّدٍ ذِي نَفْحَاتٍ قَائِلُ قَاعِلُ
 مَنْ قَوْلُهُ قَوْلٌ وَمَنْ فِعْلُهُ فِعْلٌ وَمَنْ تَائِلُهُ تَائِلُ
 لَا يَحْرُمُ السَّائِلُ إِنْ جَاءَهُ وَلَا يُعَيِّي سَبَبُهُ الْعَاذِلُ
 الطَّاعِنُ الطَّعْنَةَ يَوْمَ الْوَعَى يَذْهَلُ مِنْهُ الْبَطْلُ الْبَاسِلُ

٢٥١ وَقَالَ كَبُيْمِدَحُ الْأَنْصَارِ :

لَا يَشْتَكُونَ الْمَوْتَ إِنْ زَلَّتْ بِهِمْ شَهْبَاءُ ذَاتُ مَعَاوِرٍ وَأَوَارٍ
 وَرَبُّوهُ السِّيَادَةُ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ إِنَّ الْكِرَامَ هُمْ بَنُو الْأَخْيَارِ
 ٢٥٢ قَالَ الْمُتَنَبِّي :

سَيَعْلَمُ الْجَمْعُ مِمَّنْ ضَمَّ مَجْلِسُنَا بِأَنِّي خَيْرُ مَنْ تَسْعَى بِهِ قَدَمُ
 أَنَا الَّذِي نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى أَدْيِي وَأَسْمَعْتُ كَلِمَاتِي مَنْ بِهِ صَمَمُ
 الْخَيْلُ وَاللَّيْلُ وَالْبِيدَاءُ تَعْرِفُنِي وَالسَّيْفُ وَالرُّمْحُ وَالْقِرْطَاسُ وَالْقَلَمُ
 ٢٥٣ قَالَ جَعْفَرُ بْنُ شَمْسٍ الْخِلَافَةِ :

أَنَا الذَّهَبُ الْإِبْرِيْزُ مَالِي آفَةٌ سِوَى نَقْصِ تَمْيِزِ الْمَعَانِدِ فِي نَقْدِي
 وَرُبَّ جَهْلٍ عَابَنِي بِمَحَاسِنِي وَيَفْجُضُ ضَوْءُ الشَّمْسِ فِي الْأَعْيُنِ الرُّمْدِ

الباب الثاني عشر في الهجاء

٢٥٤ كَانَ الرَّشِيدُ أَحْمَدُ بْنُ الزُّبَيْرِ قَدْ اجْتَمَعَتْ فِيهِ صِفَاتٌ وَأَخْلَاقٌ
تَقْتَضِي أَنْ يُجَوَّدَ مَعَانِي الْهَجَاءِ فِيهِ . مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ أَسْوَدَ وَلَا
يَزَالُ يَدْعِي الذُّكَاةَ وَأَنَّ خَاطِرَهُ مِنْ نَارٍ . فَقَالَ فِيهِ ابْنُ قَادُوسٍ :

إِنْ قُلْتَ مِنْ نَارٍ خُلِقْتُ وَفُقْتُ كُلُّ النَّاسِ فَهَمَّا
قُلْنَا صَدَقْتَ فَمَا الَّذِي أَطْفَاكَ حَتَّى صِرْتَ فَحْمًا

٢٥٥ قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ فِي بَحْيِلٍ :

يَرَاةُ غَرْنِي مِنْهَا وَمِيضُ سَنَاءٍ حَتَّى مَدَدْتُ إِلَيْهَا الْكَفَّ مُقْتَسِمًا
فَصَادَفْتُ حَجْرًا لَوْ كُنْتُ تَضْرِبُهُ مِنْ لَوْمِهِ بَعْصًا مُوسَى لَمَّا أُنْجِسًا

٢٥٦ قَالَ أَبُو نُؤَاسٍ فِي آخِرِ :

أَبُو نُوحٍ دَخَلَتْ عَلَيْهِ يَوْمًا فَعَدَّانِي بِرَائِحَةِ الطَّعَامِ
وَقَدَّمَ بَيْنَنَا حَمًا سَمِينًا أَكْنَسَاهُ عَلَى طَبَقِ الْكَلامِ
فَلَمَّا أَنْ رَفَعْتُ يَدَيَّ سَقَانِي كُؤُوسًا خَمْرُهَا رِيحُ الْمُدَامِ
فَكَانَ كَمَنْ سَقَى الظَّمَانَ آلا وَكُنْتُ كَمَنْ تَغَدَّى فِي الْمَنَامِ
وَقَالَ أَيْضًا فِي غَيْرِهِ :

رَأَيْتُ أَبَا زُرَّارَةَ قَالَ يَوْمًا لَحَاجِبِهِ وَفِي يَدِهِ الْحُسَامُ
لَنْ وَضَعَ الْحَيَّوَانُ وَلَا حَ شَخْصٌ لَا خَطِطَنَ رَأْسَكَ وَالسَّلَامُ

فَمَا فِي الْأَرْضِ أَقْبَحُ مِنْ خَوَانٍ عَلَيْهِ الْخُبْرُ يَحْضُرُهُ الرِّحَامُ
٢٥٧ قَالَ آخِرُ :

لَقَدْ عَثَرْتُ بِمَنْجٍ اللَّيْلِ رَجُلِي عَلَى شَخْصٍ وَلَمْ يَكُ فِي حِسَابِي
فَقَالَ مُجَابِيًا لِي أَنْتَ أَعْمَى فَقُلْتُ نَعَمْ وَدَوَّاسُ الْكِلَابِ
٢٥٨ قَالَ أَبُو نُؤَاسٍ فِي بَعْضِ مَنْ هَجَاهُ :

وَلَقَدْ قَتَلْتُكَ بِالْهَجَاءِ فَلَمْ تَمُتْ إِنَّ الْكِلَابَ طَوِيلَةَ الْأَعْمَارِ
٢٥٩ قَالَ جَرِيْدٌ يَهْجُو الْفَرَزْدَقَ :

وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ الْفَرَزْدَقَ حَيَّةٌ وَمَا قَتَلَ الْحَيَّاتِ مِنْ أَحَدٍ قَبْلِي
٢٦٠ قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ فِي نَفْطَوِيَّةٍ :

لَوْ أُوحِيَ النَّحْوُ إِلَى نَفْطَوِيَّةٍ مَا كَانَ هَذَا النَّحْوُ يُعْزَى إِلَيْهِ
أَحْرَقَهُ اللَّهُ بِنِصْفِ اسْمِهِ وَصَيَّرَ الْبَاقِيَ صُرَاخًا عَلَيْهِ
٢٦١ قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ الصَّوَلِيُّ فِي مَنْ هَجَرَهُ :

وَكُنْتَ أَخِي بِالذَّهْرِ حَتَّى إِذَا نَبَا نَبَوْتُ فَلَمَّا عَادُتَ مَعَ الذَّهْرِ
فَلَا يَوْمَ إِقْبَالٍ عَدَدْتُكَ طَائِلًا وَلَا يَوْمَ إِدْبَارٍ عَدَدْتُكَ فِي وَثَرٍ
وَمَا كُنْتُ إِلَّا مِثْلَ أَحْلَامٍ نَائِمٍ كِلَا حَالَتَيْكَ مِنْ وَفَاءٍ وَمِنْ غَدْرِ
٢٦٢ هَجَا ابْنُ خُرُوفٍ مَهْدَبَ الدِّينِ بْنِ الطَّيِّبِ :

إِنَّ الْأَعْيُوجَ حَازَ الطَّبَّ أَجْمَعَهُ اسْتَغْفِرُ اللَّهُ إِلَّا الْعِلْمَ وَالْعَمَلَا
وَلَيْسَ بِمُجْمَلٍ شَيْئًا مِنْ غَوَامِضِهِ إِلَّا الدَّلَالَةُ وَالْأَمْرَاضُ وَالْعِلْمَالَا
فِي حِيلَةِ الْبُرْءِ قُلْتُ عَنْدهُ حِيلٌ بَعْدَ اجْتِهَادٍ وَيَدْرِي لِرَدِّي حِيلَا

الرُّوحُ يَشْكُو لِحِمَانِ الْعَلِيلِ عَلَى عِلَاتِهِ فَإِذَا مَا طَبَهُ رَحَلَا
٢٦٣ مِنْ شِعْرِ ابْنِ الْمُبَارَكِ قَوْلُهُ فِي هَجْوِ قَاضٍ:

قَدْ يَفْتَحُ الْمَرْءُ حَانُوتًا لِمَتَجَرِهِ وَقَدْ فَتَحَتْ لَكَ الْحَانُوتَ بِالْدِّينِ
بَيْنَ الْأَسَاطِينِ حَانُوتٌ بِلَا غَلَقٍ تَبْتَاعُ بِالْدِّينِ أَمْوَالَ الْمَسَاكِينِ
صَيَّرَتْ دِينَكَ شَاهِينًا تَصِيدُ بِهِ وَلَيْسَ يَفْلَحُ أَصْحَابُ الشَّوَاهِينِ
٢٦٤ مِنْ شِعْرِ أَبِي الْعَبَّاسِ يَهْجُو بَنِي الرَّبِيزِ:

بَنِي أَسَدٍ لَا تَذْكُرُوا الْفَخْرَ إِنَّكُمْ مَتَى تَذْكُرُوهُ تَكْذِبُوا وَتُحْمَقُوا
مَتَى تَسْأَلُوا فَضْلًا تَضْنُوا وَتَجْلُوا وَنِيرَانُكُمْ بِالْشَّرِّ فِيهَا تَحْرُقُ
إِذَا اسْتَبَقَتْ يَوْمًا قَرِيشُ خَرَجْتُمْ بَنِي أَسَدٍ سَكَنَّا وَذُو النُّجْدِ يَسْبِقُ
تَحِيُّونَ خَلْفَ الْقَوْمِ سُودًا وَجُوهَكُمْ إِذَا مَا قَرِيشُ لِلْأَصَامِيمِ أَصْفَقُوا
وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّ لِلَّوْمِ طَابَعًا يَلُوحُ عَلَيْكُمْ رَسْمُهُ لَيْسَ يَخْلُقُ

٢٦٥ قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْكُورَانِيُّ يَذُمُّ أَهْلَ مَدِينَةِ قَاسٍ:

مَشَى اللَّوْمُ فِي الدُّنْيَا طَرِيدًا مُشَرَّدًا يَجُوبُ بِإِلَادِ اللَّهِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا
فَلَمَّا أَتَى قَاسًا تَلَقَّاهُ أَهْلُهُمَا وَقَالُوا لَهُ أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا

٢٦٦ قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْمُرْجِ الْعُتَيْمِيُّ لَمَّا احْتَرَقَتْ دَارُ ابْنِ صُورَةَ بِمِصْرَ:

أَقُولُ وَقَدْ عَايَنْتُ دَارَ ابْنِ صُورَةَ وَلِلنَّارِ فِيهَا مَارِجٌ يَتَضَرَّمُ
كَذَا كُلِّ مَالٍ أَصْلُهُ مِنْ مِهَاشٍ فَعَمَّا قَلِيلٍ فِي نَهَارٍ يَغْرَمُ
وَمَا هُوَ إِلَّا كَافِرٌ طَالَ عُمُرُهُ فَجَاءَتْهُ لَمَّا اسْتَبْطَأَتْهُ جَهَنَّمُ

٢٦٧ قَالَ الْأَدِيبُ أَبُو بَكْرِ يَحْيَى بْنُ بَقِيٍّ لَمَّا أَنْصَرَفَ عَنِ الْمَغْرِبِ

وَقَدْ ذَمَّ عِنْدَ أَهْلِهَا مَثْوَاهُ . وَصَفَرَتْ مِنْ نَائِلِهِمْ يَدَاهُ :

أَقَمْتُ فِيكُمْ عَلَى الْإِفْتَارِ وَالْعَدَمِ لَوْ كُنْتُ حُرًّا أَيْ النَّفْسِ لَمْ أَقِمِ
وَوَلَّتْ أَبْيَ لَكُمْ عُدْرًا لَعَلَّكُمْ تَسْتَقِظُونَ وَقَدْ نَمْتُمْ عَنِ الْكُرَمِ
فَلَا حَدِيقَتَكُمْ يُجْنِي بِهَا ثَمْرُ وَلَا سَمَؤُكُمْ تَنْهَلُ بِالْدِّيمِ
أَوْعَلْتُ فِي الْمَرْبِ الْأَقْصَى وَأَعْجَزِي نِيلُ الرِّغَابِ حَتَّى أَتَيْتُ بِالْبَدَمِ
٢٦٨ قَالَ أَحْمَدُ الشَّاهِنِي يُهْجَوُ أَبَا الْبَقَاءِ الصَّالِحِي السَّاجِرَ :

أَبَا الْبَقَاءِ لَحَاكَ اللَّهُ مِنْ رَجُلٍ فِيكَ الطَّيْبَةُ قَدْ قُدَّتْ مِنَ الْحَجَرِ
كَمْ يَدْعِي بِعُلُومِ النُّجُومِ مَعْرِفَةً وَلَيْسَ تَفَرُّقُ بَيْنَ النُّجُومِ وَالْقَمَرِ
٢٦٩ هَجَا بَعْضُ الْمَغَارِبَةِ قَبَائِلَ الْبَرَبَرِ فَقَالَ :

رَأَيْتُ آدَمَ فِي نَوْمِي فَقُلْتُ لَهُ أَبَا الْبَرِّيَّةِ إِنَّ النَّاسَ قَدْ حَكَمُوا
أَنَّ الْبَرَابِرَ نَسْلُ مِنْكَ قَالَ إِذَا حَوَاءُ طَالِقَةٌ إِنْ كَانَ مَا زَعَمُوا

الباب الثالث عشر

في اللغز

٢٧٠ لُغْزِي خَاتَمُ لِلصَّقْدِيِّ :

وَمُسْتَدِيرُ رُوقِ الْعَيْنِ بِهَجْتِهِ كَأَنَّهُ مَلِكُ نَجْمِ الدَّجَى فِيهِ
حُرُوفُهُ أَرْبَعٌ قَدْ رَكِبَتْ فَإِذَا مَا قُلْتُ أَوَّلَ حَرْفٍ تَمَّ بَاقِيهِ

٢٧١ قَالَ بَعْضُهُمْ مُلْغَزًا فِي قَلَمِهِ :

وَطَائِرٌ فِي وَكْرِهِ نَائِمٌ يَطِيرُ فِي الْأَرْضِ بِأَسْرَارِهِ
حَيَاتُهُ فِي قَطْعِ أَوْدَاجِهِ وَعَيْشُهُ فِي قَطْعِ مِيقَاتِهِ
يَكْرَعُ مِنْ مُسْتَنْقَعِ الْقَارِ كِي يَأْخُذَ بِالْمُنْقَارِ مِنْ قَارِهِ
٢٧٢ قَالَ ابْنُ بَصَاقَةَ مُلْغَزًا فِي الْبَيْضَةِ :

وَمَوْلُودَةٍ لَا رُوحَ فِيهَا وَإِنَّهَا لَتَقْبَلُ نَفْحَ الرُّوحِ بَعْدَ وَلَادِهَا
وَتَسْمُو عَلَى الْأَقْرَانِ فِي حَوْمَةِ الْوَعَى وَلَكِنْ سُمُوًا لَمْ يَكُنْ بِمُرَادِهَا
أَرَادَ فِي أَلَيْتِ الْأَوَّلِ بَيْضَةَ الدَّجَاجَةِ وَفِي الثَّانِي بَيْضَةَ الْحَرْبِ
٢٧٣ أُنْشِدَ الْإِمَامُ ابْنُ الْحَلَاوِيِّ رَجُلٌ لُغَزَا فِي شَبَابِهِ فَقَالَ :

وَنَاطِقَةٍ خَرَسَاءَ بَادٍ سُخُوبُهَا تَكْنِفُهَا عَشْرُ وَعَهْنٍ تُخْبِرُ
يَلْذِي إِلَى الْأَسْمَاعِ رَجْعَ حَدِيثِهَا إِذَا سُدَّ مِنْهَا مُنْخَرُ جَاشٍ مُنْخَرُ
٢٧٤ كَانَ ابْنُ شَيْبٍ مُقَدِّمًا فِي حَلِّ الْأَلْغَازِ لَا يَكَادُ يَتَوَقَّفُ عَمَّا يُسْأَلُ
عَنْهُ . فَتَقَاوَضَ أَبُو غَالِبِ بْنُ الْحَصِينِ وَأَبُو مَنْصُورٌ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ
فِي أَمْرِ ابْنِ شَيْبٍ هَذَا وَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ حَلِّ اللَّغْزِ . فَقَالَ أَبُو مَنْصُورٍ :
تَعَالَ حَتَّى نَعْمَلَ لُغْزًا مُحَالًا وَنَسْأَلَهُ عَنْهُ . فَظَنَّمَ أَبُو الْمَنْصُورِ :

وَمَا شَيْءٌ لَهُ فِي الرَّأْسِ رَجُلٌ وَمَوْضِعٌ وَجْهِهِ مِنْهُ قَفَاهُ
إِذَا غَمَضْتَ عَيْنَكَ أَبْصَرْتَهُ وَإِنْ فَتَحْتَ عَيْنَكَ لَا تَرَاهُ
وَنَظَّمَ أَيْضًا :

وَجَارٌ هُوَ تَيَّارٌ ضَعِيفُ الْعَقْلِ ضَوَّارٌ
بِلَا لَحْمٍ وَلَا رِيشٍ وَهُوَ فِي الرَّمْزِ طَيَّارٌ

بَطْنٍ بَارِدٍ جِدًّا وَلَكِنْ كُلُّهُ نَارٌ
وَأَنْفَذَ الْغَزِينَ إِلَيْهِ . فَكَتَبَ عَلَى الْأَوَّلِ : هُوَ طَيْفُ الْخَيَالِ . وَكَتَبَ
عَلَى الثَّانِي : هُوَ الزَّبَقُ . فَجَاءَ إِلَيْهِ وَقَالَ : هَبِ الْغَزَّ الْأَوَّلَ هُوَ طَيْفُ
الْخَيَالِ وَالْبَيْتَ الثَّانِي يُسَاعِدُكَ عَلَيْهِ فَكَيْفَ تَعْمَلُ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ .
فَقَالَ : لِأَنَّ الْمَنَامَ يُفَسِّرُ بِالْعَكْسِ لِأَنَّ مَنْ بَكَى يُفَسِّرُ لَهُ بِالضَّحْكِ .
وَمَنْ مَاتَ يُفَسِّرُ لَهُ بِطُولِ الْحَيَاةِ . وَقَوْلُهُ فِي الثَّانِي هُوَ طَيَّارٌ أَنَّ أَرْبَابَ
صَنْعَةِ الْكِيمِيَاءِ يَرْمُزُونَ لِلزَّبَقِ بِالطَّيَّارِ وَالْفَرَارِ وَالْآبِقِ وَمَا أَشْبَهَ
ذَلِكَ لِأَنَّهُ يَنَابِسُ صِفَتَهُ . وَأَمَّا بَرْدُهُ فَظَاهِرٌ . وَلِإِفْرَاطِ بَرْدِهِ ثَقُلَ
جِسْمُهُ وَجَرَمَهُ . وَكُلُّهُ نَارٌ لِسُرْعَةِ حَرَكَتِهِ وَتَشَكُّلِهِ فِي انْفِرَاقِهِ وَالتَّيَامُمِ .
فَأَعْجَبَا مِنْ ذَلِكَ وَتَوَقَّعَا لَهُ

(لابن حجة الحموي)

٢٧٥ قَالَ الصَّفْدِيُّ فِي الْمُدَامِ :

وَمَا شَيْءٌ حَشَاهُ فِيهِ دَاءٌ
إِذَا مَا زَالَ آخِرُهُ فَجُمِعَ
وَإِنْ أَهْمَّتْ أَوَّلُهُ فَفِعْلٌ
لِابْنِ الْمُعْتَرِّ فِي شَمْعَةٍ :

٢٧٦

صَفَرَاءُ مِنْ غَيْرِ عِلَلٍ
كَأَنَّهَا غَمْرُ الْقَتَى
مَرْكُوزَةٌ مِثْلَ الْأَسَلِ
وَالنَّارُ فِيهَا كَأَلْجَلِ

لِلْحَلِيِّ فِي دُودِ الْقَرِّ :

٢٧٧ وَمَا حَيَوَانٌ عَكْسُهُ مِثْلُ طَرْدِهِ
لَهُ جَسَدٌ سَبْطٌ وَلَيْسَ لَهُ قَابُ

ضَعِيفٌ وَكَمْ أَغْنَتْ مُجَاجَةٌ رَتْعَهُ فَقِيرًا بِهِ أَمْسَى وَمَرْبَعُهُ خَضْبٌ
يُرَى مِنْ خَشَّاشِ الْأَرْضِ طَوْرًا وَتَارَةً مِنَ الطَّيْرِ لَكِنْ ذُوْنَهُ تُسَلُّ الْحُجْبُ
شَقِيٌّ لِنَفْعِ الْغَيْرِ يَسْجُنُ نَفْسَهُ وَلَيْسَ لَهُ فِي السِّجْنِ أَكْلٌ وَلَا شَرْبٌ
٢٧٨ لِبَعْضِهِمْ فِي النَّجْرِ:

وَحَمَالٍ أَثْقَالِ الْبَرِيَّةِ قَادِرٍ وَيَخْجُزُ إِنْ حَمَلَتْهُ نِصْفَ دِرْهَمٍ
يَسِيرُ بِأَيْدِي النَّاسِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا فَيَسْرِي بِلَا رَجْلٍ لَهُ سَيْرَ أَرْقَمٍ
٢٧٩ لِأَخْرَفِي الْفَكْرِ:

وَمَا شَيْءٌ يُجُوبُ الْأَرْضَ سَبْقًا وَيُبْصِرُ مَا أَرَادَ بَغَيْرِ عَيْنٍ
يُشَاهِدُ مَا يُرِيدُ بِلَا لُغُوبٍ وَلَا يَبْرَحُ بِلَا كَدَرٍ وَمَيْنٍ
٢٨٠ لِلْمُتَمَتِّيِّ فِي الْحُمَى:

وَزَائِرَةٌ كَانَتْ بِهَا حَيَاءٌ فَلَيْسَ تَرُودُ إِلَّا فِي الظَّلَامِ
بَذَلَتْ لَهَا الْمَطَارِفَ وَالْحَشَايَا فَعَاقَتْهَا وَبَاتَتْ فِي عِظَامِي
يَضِيقُ الْجِلْدُ عَنْ نَفْسِي وَعَنْهَا فَتَوْسِعُهُ بِأَنْوَاعِ السَّقَامِ
٢٨١ وَمِنْ لَطَائِفِ مَا وَقَعَ فِي بَابِ الْأَلْغَازِ أَنَّ شَيْخَ الشُّيُوخِ بِحَمَاءَ
كَتَبَ إِلَيَّ وَالِدُهُ مُلْفَرًّا فِي بَابٍ بِقَوْلِهِ:

مَا وَاقِفٌ بِالْمُخْرَجِ يَذْهَبُ طَوْرًا وَيَمُجِي
لَسْتُ أَخَافُ شَرَّهُ مَا لَمْ يَكُنْ يُمَرَّجُ

فَكَتَبَ إِلَيْهِ وَالِدُهُ فِي الْجَوَابِ: ذَهَابٌ وَمُجِيٌّ وَخَوْفٌ وَشَرٌّ هَذَا
بَابُ خُصُومَةٍ. وَالسَّلَامُ

٢٨٢ قَالَ الْقَاضِي نُجَيِّ الدِّينِ بْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ مُغْزَا فِي بَابٍ أَيْضًا:
 أَيُّ شَيْءٍ تَرَاهُ فِي الدَّوْرِ وَالْكِتَابِ مَجَازًا هَذَا وَذَلِكَ مُحَقَّقٌ
 هُوَ رَوْجٌ وَتَارَةٌ هُوَ قَرْدٌ وَهُوَ فِي أَكْثَرِ الْأَحْيَانِ يُطْرَقُ
 وَطَلِيقٌ فِي لَشَاتِيهِ وَلَكِنْ بِحَدِيدٍ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ يُوثَقُ
 وَهُوَ فِي الْقَلْبِ يَسْتَوِي وَتَرَاهُ بَانَ تَصْخِيفُهُ لِمَنْ يَرْمَقُ
 فَأَجْبَنِي عَنْهُ بَقِيَتْ مُطَاعًا لَسْتُ فِي حَلَةِ الْفَضَائِلِ نَسْبَقُ

٢٨٣ قَالَ صَاحِبُ دَوَائِنِ الْإِنْشَاءِ بِدَمَشَقِ الْخُرُوسَةِ مُغْزَا فِي فَاخْتَةِ:
 وَمَا طَارَ يَهْوَى الرِّيَاضَ تَنْزُهُا وَيَسْرَحُ فِي أَفْنَانِهَا وَيَغَرِّدُ
 وَفِيهِ أَخٌ إِنْ تَهَتَّ عَنْهُ فَاخْتَهُ تَدُلُّ عَلَى مَا قَدْ عَنَيْتُ وَتُرْشِدُ

هَذَا الْفَرْغُ وَرَدَ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَحَلَّ زَيْنُ الدِّينِ بْنُ الْعَجَّيِّ بِقَوْلِهِ:
 أَيَّامَنْ لَهُ مَجْدٌ أَثِيلٌ وَسُودٌ غَدَا دُونَ مَرْقَاهُ سِمَاكَ وَفَرَقْدُ
 تُفِيدُ يَسَارَ الْمُقْتَرِينَ يَمِينُهُ وَيُسْرَاهُ مِنْ يَمِينِ الْعِمَامَةِ أَجُودُ
 سُؤَالَكَ عَنْ أَنْثَى طُرُوبٍ وَلَمْ تَرَلْ عَلَى عُودِهَا فِي الرُّوضِ تَشْدُو وَتَأْشُدُ
 وَتَجْدُبُنِي بِالطُّوقِ عِنْدَ كَشِيدِهَا لِنَحْوِ التَّصَابِي لَا أَطِيقُ أَفْنَدُ
 وَمَذْبَانِ مِنْهَا الطَّرْفُ أَمْسَتْ بِعَكْسِهَا تَخَافُ الرَّدَى مِمَّنْ لَهَا يَتَرَصَّدُ
 وَإِنْ سُلِبَتْ ثَانِي الْأَخِيرِ فَإِنَّهُ عَلَى الْعَكْسِ خَافِ بَلْ يُلُوحُ وَيَشْهَدُ
 فَأَوَّلُهَا مَعَ مَا يَأْبَاهُ وَطَرَفُهَا لَنَا فَاهُ بِالْمَعْنَى الَّذِي فِيهِ يُقْصَدُ
 بَقِيَتْ بَقَاءَ الدَّهْرِ عِزُّكَ بَادِخٌ وَفِي مَفْرِقِ الْجُوزَا لَوَاؤُكَ يُعْقَدُ
 فَخَذَهُ مِينًا مُغْضِيًا عَنْ إِسَاءَتِي فَإِنَّكَ لِلْإِحْسَانِ أَهْلٌ وَمُقْصَدُ

٢٨٤ وَقَالَ مُلَغَزًا فِي دُرَّةٍ :

أَيُّ شَيْءٍ مِنَ الْجَمَادَاتِ يُلْقَى وَرَأَهُ مِنْ بَعْدِ ذَا حَيَوَانَا
وَرَى ذَلِكَ الْجَمَادَ عَزِيزًا غَالِيًا مِنْهُ رَصَعُوا تَيْجَانَا
وَرَى الرُّوحَ مِنْهُ فِي حَيَوَانٍ ذِي جَنَاحٍ وَيَأْلَفُ الطَّيْرَانَا
وَإِذَا مَا شَدَا عَلَى الْعُودِ يَوْمًا فَوْقَ دُفٍّ يُحَرِّكُ الْأَغْصَانَا
أَوْ بَدَأَ فِي مُقْصَصٍ فَأَبْنُ بُرْدٍ عِنْدَ اسْتِجَاعِهِ يَصِيرُ مَهَانَا
كُلُّهُ طَائِرٌ وَفِي ثُلَاثِهِ لَكَ ذُو أَرْبَعٍ مَعَ الْعَكْسِ بَانَا
كُلُّهُ عَاطِلٌ بِهِ تَحَلَّى كُلُّ خَوْدٍ وَتَسْتَقِلُّ الْجَمَانَا
وَرَأَهُ عِنْدَ الْمُلُوكِ عَظِيمًا وَتَصْخِيفِهِ حَقِيرًا مَهَانَا
عَكْسُهُ فِي تَصْخِيفِهِ زِدْ بِمَقْصُودٍ فَالْمَعْنَى هُنَا فَكُنْ يَقْظَانَا
وَإِذَا لَمْ تَدْرِ التَّصَاحِيفَ ذَرَهُ لِلَّذِي فِيهِ فَهُوَ يَذَرِي الْبِلَانَا
وَيُخْرِيفُهُ تَوَدِّبُ مَنْ شِئْتَ إِذَا كَانَ يَجْهَلُ الْعِرْفَانَا
ثُلَاثُهُ دُرٌّ نَفِيسٌ وَفِيهِ إِذَا جَاءَ يَضْحَبُ الْمَرْجَانَا
لَكِنَّ الثَّلَاثَ عِنْدَهُ نِصْفٌ وَخَشَرٌ ذَبَّ عَنَّا تَصْخِيفُهُ مَا أَعْتَرَانَا
وَهُوَ فِي الْبَرِّ نَافِرٌ وَإِذَا مَا حَضَرُوهُ قَدْ يَأْلَفُ الْإِنْسَانَا
فَأَفْتَرِسُهُ بِالْحَلِّ إِنْ كُنْتَ لَيْثًا فَهُوَ لَغَزٌ عَنْ فَضْلِهِ قَدْ أَبَانَا

٢٨٥ قَالَ الْحَمَوِيُّ فِي الْقَقْصِ :

أَيُّ مَعْنَى أَعْوَادِهِ يَتُّ شَدُو مُرْقِصٌ مُطْرِبٌ وَبِالْقَابِ صَفَقُ
وَلِجَمُوعِهِ النَّبَاتِيُّ حُسْنُ فَرْتُ مِنْ بَعْضِهِ لِسَجِّ الْمَطُوقِ

الباب الرابع عشر في الوصف

٢٨٦ (قَالَ أَعْرَابِيٌّ يَصِفُ قَوْمًا) : هُمْ لُيُوثُ عَابَاتٍ . وَغُيُوثُ
جَدَبَاتٍ . مَا فِي عُيُودِهِمْ خَوْذٌ . وَلَا فِي صَفْوِهِمْ كَدَرٌ . وَلَا فِي
خُدُودِهِمْ صَعَرٌ . وَلَا فِي عُيُونِهِمْ خَزَرٌ . وَلَا فِي صُدُورِهِمْ وَغَرٌ . وَلَا فِي
حَدِيثِهِمْ زَوَرٌ . وَلَا فِي قَوْلِهِمْ خَلَفٌ

وصف مصر

٢٨٧ رُوِيَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ كَتَبَ إِلَى عُمَرُو بْنِ الْعَاصِ وَهُوَ
أَمِيرُ مِصْرَ : أَنَّ صِفَ لِي مِصْرَ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ . مِصْرُ
تُرْبَةٌ غَبْرَاءُ . وَشَجَرَةٌ خَضْرَاءُ . طُولُهَا شَهْرٌ . وَعَرْضُهَا عَشْرٌ . يَكْنُفُهَا جَبَلٌ
أَغْبَرُ . وَرَمْلٌ أَغْفَرُ . يَحْطُّ وَسَطُهَا نَهْرٌ يَمِينُ الْعُدَوَاتِ . مُبَارَكُ
الرُّوحَاتِ . يَجْرِي بِالزِّيَادَةِ وَالنَّقْصَانِ . كَجَرِي الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ لَهُ أَوَانٌ .
تَظْهَرُ بِهِ عُيُونُ الْأَرْضِ وَيَتَأَيَّعُهَا . حَتَّى إِذَا أُصْلِحَ عَجَاجُهَا . وَتَعَظَّمَتِ
أَمْوَاجُهَا . لَمْ يَكُنْ وُصُولُ بَعْضِ أَهْلِ الْقَرْيِ إِلَى بَعْضٍ إِلَّا فِي خِفَافِ
الْقَوَارِبِ . وَصِفَارِ الْمَرَائِبِ . فَإِذَا تَكَامَلَتْ تِلْكَ كَذَلِكَ نَكَصَ عَلَى
عَقِبِهِ كَأَوَّلِ مَا بَدَأَ فِي شِدَّتِهِ وَطَمَاحِهِ فِي حِدَّتِهِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ يَظْهَرُ أَهْلُ مِلَّةٍ
تَحْمُورَةً يُخْرِجُونَ مِنْ كُلِّ مَحَلَّةٍ آدِلَةً . يَخْرُثُونَ بَطُونِ أَوْدِيَّتِهِ وَرَوَافِدِهِ .
يَبْذُرُونَ الْحَبَّ . يَرْجُونَ الثَّمَارَ مِنَ الرَّبِّ لِغَيْرِهِمْ مَا سَعَوْا مِنْ كَسْبِهِمْ .

وَيُنَالُ مِنْهُمْ مَنْ غَيْرِ حَدِّهِمْ حَتَّى إِذَا اشْرَقَ وَأَشْرَفَ سَقَاهُ مِنْ فَوْقِهِ
النَّدَى. وَغَذَاهُ مِنْ تَحْتِهِ الثَّرَى. فَعِنْدَ ذَلِكَ يَدْرُجُ حِلَابُهُ. وَيُغْنِي ذُبَابُهُ.
فَيَنْمَاهِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ دُرَّةَ بَيْضَاءَ. إِذَا هِيَ غَبَرَةُ سَوْدَاءَ. فَإِذَا هِيَ
زَبْرَجْدَةٌ خَضْرَاءَ. فَتَعَالَى اللَّهُ الْعَمَلُ لِمَا يَشَاءُ. فَلَمَّا وَقَفَ عُمَرُ عَلَى كَلَامِهِ
قَالَ: لِلَّهِ دَرَكٌ يَا ابْنَ الْعَاصِ لَقَدْ وَصَفْتَ لِي مِمَّنْ حَتَّى كَأَنِّي شَاهِدْتُهَا
وصف دابة

٢٨٨ قِيلَ اشْتَرَى رَجُلٌ دَابَّةً مِنْ دَمِيرَةٍ. فَوَجَدَ بِهَا عُيُوبًا كَثِيرَةً.
فَحَضَرَ إِلَى الْقَاضِي يَشْتَكِي حَالَهُ. وَمَا أَصَابَهُ مِنَ النِّعَمِ وَنَالَهُ. فَقَالَ لَهُ
الْقَاضِي: مَا قِصَّتُكَ وَشَكْوَاكَ. وَمَا الَّذِي مِنَ النِّعَمِ وَالنِّعَمَ دَهَاكَ.
فَقَالَ: أَيُّهَا الْقَاضِي. إِنِّي بِحُكْمِكَ رَاضِي. اشْتَرَيْتُ مِنْ هَذَا الْغَرِيمِ
دَابَّةً اشْتَرَطَ لِي فِيهَا الصِّحَّةَ وَالسَّلَامَةَ. فَوَجَدْتُ بِهَا عُيُوبًا أَعْقَبَتْنِي
نَدَامَةً. وَقَدْ سَأَلْتُهُ رَدَّهَا فَأَبَى. وَقَالَ عِنْدَ رُؤْيِيهِ إِيَّايَ: لَا أَهْلًا لِكَ
وَلَا مَرَحَبًا. فَقَالَ الْقَاضِي: أَبِنْ مَا بِهَا مِنَ الْعُيُوبِ. وَإِلَّا جَعَلْتُكَ عَلَى
هَذِهِ الْحَشَةِ مَصْلُوبٍ. فَقَالَ: كُلُّهَا عُيُوبٌ وَذُنُوبٌ. وَهِيَ أَيُّهَا الْقَاضِي
أَنْحَسُ مَرْكُوبٍ. وَأَخْسُ مَضْحُوبٍ. إِنْ رَكِبْتُهَا رَقِصْتُ. وَإِنْ نَحَسْتُهَا
شِمَسْتُ. وَإِنْ هَمَزْتُهَا قَمَصْتُ. وَإِنْ لَكَزْتُهَا رَقِصْتُ. وَإِنْ سُقْتُهَا
رَقِدْتُ. وَإِنْ تَرَلْتُ عَنْهَا شَرَدْتُ. تَقَطَّعَ فِي يَدَيْهَا. وَتَصَلَّكَ
بِرَجْلَيْهَا. حَدْبَاءُ جَرَبَاءُ كَبَاءُ. لَا تَقُومُ حَتَّى تُحْمَلَ عَلَى الْحَشَبِ.
وَلَا تَنَامُ حَتَّى تُكْبَلَ بِالسَّلَبِ. إِنْ قَرُبْتُ مِنَ الْجِزَارِ كَسَرَتْهَا.

وَإِنْ دَنَتْ مِنَ الصِّغَارِ رَفَسَتْهُمْ . وَإِنْ دَارَ حَوْلَهَا أَهْلُ الدَّارِ
كَدَمَتْهُمْ . تَكْشُ عَلَى أَسْنَانِهَا . وَتَقْرُضُ فِي عَنَانِهَا . وَتَمُشِي فِي سَنَةِ
أَقْلٍ مِنْ يَوْمٍ . الْوَيْلُ لِرَاكِبِهَا إِنْ وَثَبَ عَلَيْهِ الْقَوْمُ . وَإِنْ رُمَتْ
تَقْدِيمُهَا تَأْخِرَتْ . وَإِنْ لَكَزَتْهَا شَخَرَتْ وَنَخَرَتْ . مَنْ اسْتَصْرَبَهَا
خَذَانَتُهُ . وَمَنْ سَاقَهَا رَمَتْهُ . فَقَتَلَتْهُ . وَمَتَى حَمَلَتْهَا فَلَا تَنْهَضُ . وَتَقْرُضُ
فِي حَبَالِهَا . وَتُجْفِلُ مِنْ ظِلِّهَا . وَلَا تَعْرِفُ مَنْزِلَ أَهْلِهَا . كِدَامَةٌ . هَجَامَةٌ .
نَوَامَةٌ . كَانَهَا هَامَةٌ . وَهِيَ فِي الدَّوَابِّ شَامَةٌ . حَرُونَةٌ . مَلْعُونَةٌ . مُجْنُونَةٌ .
تَقْلَعُ الْوَتِدَ وَتَقْرُضُ الْجَسَدَ . وَتُقَيِّتُ الْكَبِدَ . وَلَا تَزْكُنُ إِلَى أَحَدٍ .
تُسَرُّ وَتَعْدُرُ وَتَعْتُرُ . وَاقِفَةُ الصَّدْرِ . مَحْلُولَةُ الظَّهْرِ . بَدَاءَةُ الْأَذْنَيْنِ .
عَمَشَاءُ الْعَيْنَيْنِ . طَوِيلَةُ الْأَصْبَعَيْنِ . قَصِيرَةُ الرَّجْلَيْنِ ضَيْقَةُ الْأَنْفَاسِ .
مُقْلَعَةُ الْأَضْرَاسِ . صَغِيرَةُ الرَّاسِ . كَثِيرَةُ النَّعَاسِ . مَشِيهَا قَلِيلٌ . وَجِسْمُهَا
نَحِيلٌ . وَرَاكِبُهَا عَلِيلٌ . وَهُوَ بَيْنَ الْأَعْزَاءِ ذَلِيلٌ . تُجْفِلُ مِنَ الْهَوَا . وَتَشُرُّ
بِالنَّوَى . وَتُحْبَلُ بِشَعْرَةٍ . نَهَاقَةُ شَهَاقَةٍ غَيْرُ مَطْرَاقَةٍ . وَتُحْشَرُ صَاحِبُهَا
فِي كُلِّ ضَيْقٍ . وَتُهَوِّسُ عَلَيْهِ فِي الْمَكَانِ الْمَضِيقِ . وَتَقْطَعُ بِهِ فِي
الطَّرِيقِ عَنِ الصَّدِيقِ . وَتَعَضُّ رُكْبَةَ الرَّفِيقِ . وَهِيَ عَدِيمَةُ التَّوْفِيقِ .
عَلَى التَّحْقِيقِ . فَإِنْ رَدَّهَا فَأَكْرِمْ جَانِبَهُ . وَإِنْ لَمْ يَرُدَّهَا فَأَضْغَعْ غَارِبَهُ . وَفَكَ
مَضَارِبَهُ . وَلَا تُخَوِّجْنِي أَنْ أَضَارِبَهُ . وَالسَّلَامُ (الكنز الممدون للسيوطي)

وصف ابليس لنفسه

٢٨٩ قَالَ شَيْخُ الْعَقَارِيَةِ الطُّغَاةِ الْمُصَالِيَةِ : إِنِّي مِنْ قَدِيمِ الزَّمَانِ .

وَبَعِيدِ الْحِدَنَانِ . أَضَلَّتْ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ . بِالْمَكْرِ وَالْخِدَاعِ وَالْوَسْوَاسِ .
وَكَانَ مِنْ جِنْسِ بَنِي آدَمَ كَذَا وَكَذَا أَلْفَ عَالَمٍ خُدَّامِي وَمَعِي .
وَجُنْدِي وَتَبَعِي . مِنْهُمْ رُؤُوسُ الزُّهَّادِ . وَعُلَمَاءُ الْعِبَادِ . وَعَلَى مَحَبَّتِي
مَضَوْا . وَبِاتِّبَاعِ أَوَامِرِي قَضَوْا . فَأَنَافَتَهُ الْعَالَمُ . وَأَعَدَى أَعْدَاءَ بَنِي
آدَمَ . الشَّيْطَانُ الرَّجِيمُ . وَابْلِيسُ الذَّمِيمُ . اسْمُ ذَاتِي . وَوَصَفُ
صِفَاتِي . أَنَا رَأْسُ الْعَفَارِيتِ الْمُتَمَرِّدِينَ . وَمَحَلُّ غَضَبِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .
خُلِقْتُ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ . وَطُبِعْتُ عَلَى إِلْقَاءِ الْبُورِ وَالْذَّمَارِ . رُجُومُ
النَّجْمِ إِنَّمَا أُعِدَّتْ لِأَجْلِي . وَغَتَاةُ الْغَوَاةِ لَا تَصِلُ رُؤُوسَهَا إِلَى مَوَاطِئِ
رِجْلِي . الشَّيَاطِينُ تَسْتَمِدُّ مِنْ زَوَاحِرِ مَكْرِي . وَالزَّنَدِيقُ يَقْتَسِمُ مِنْ
ضَمَائِرِ فِكْرِي . لَمْ تَمْزُقْ قِصَّةً مِنَ الزَّمَانِ الْغَابِرِ إِلَّا وَلِي شِرْكَةٌ فِيهَا .
وَلَا حَدَّثْتُ مَخْنَةَ لِنَبِيِّ وَلَا وَلِيٍّ إِلَّا وَأَنَا مُتَعَاطِيهَا . جَدِّي ابْلِيسُ .
نَهَضَ لَجْدِي التَّعِيسُ . وَإِلَى نُحُورِ آدَمَ هَوَى . فَعَصَى رَبَّهُ فَفُغَى . وَأَنَا
قَضَيْتُ بِالتَّسْوِيلِ . حَتَّى قَتَلَ قَايِنُ هَابِيلَ . أَنَا سَوَّلْتُ لِأَوْلَادِ يَعْقُوبَ .
وَحَاوَلْتُ فِي قِصَّةِ أَيُّوبَ . وَأَنَا كُنْتُ الْعَوْنَ . لِهَامَانَ وَفِرْعَوْنَ .
وَجَرَّأتُ عَلَى قَتْلِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ . وَتَوَصَّاتُ بَنِي بَنِي الْوَسْوَاسِ .
لِقَائِلِي الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ . وَدَعَوْتُ إِلَى عِبَادَةِ الْأَنْجَلِ
قَوْمَ مُوسَى . وَسَاعَدْتُ فِي التَّفْرِيقِ وَالْإِضْلَالِ بَيْنَ أُمَّةِ عِيسَى .
وَكَمْ أَغْوَيْتُ مِنْ بُلْدَانٍ . بِمَا زَخَرْتُ مِنْ أَوْتَانٍ . وَقَدْ بَلَغَنِي عَنْ جَمْعٍ مِنْ
مُسْتَرْقِي أَسْمِعِ وَطَنَ عَلَى أَذُنِي وَوَعَاهُ خَاطِرِي . وَوَقَرُ فِي ذِهْنِي .

وَأَنَا أَشَارِفُ الثُّجُومِ . وَأَسَارِقُ الثُّجُومَ . وَأَسَاقُ الرُّجُومَ . فِي تَكْثُرِ
الْبَدْعِ . بَيْنَ الْجَمَاعَاتِ وَالْجَمْعِ . وَيَظْهَرُ مِنَ الْفَتَنِ . مَا بَطَنَ . وَيَغْلِبُ مِنَ
الْتَّارِ . وَأَهْلُ الْبُورِ وَالْحَسَارِ . أَنْوَاعُ الشُّرُورِ وَالْجِدَالِ . إِلَى حِينِ
يَظْهَرُ الدَّجَالُ . وَتَسْتَعِرُّ إِلَى هَذِهِ الْأُمُورِ . إِلَى يَوْمِ الْبُعْثِ وَالنُّشُورِ .
وَبِالْجُمْلَةِ وَالْتَّفْصِيلِ . أَنَا شَيْخُ التَّكْفِيرِ وَالتَّضْلِيلِ . وَتِلْكَ صَنَعَتِي مِنَ
الْإِبْتِدَاءِ . وَحِرْفَتِي إِلَى الْإِنْتِهَاءِ . أَسْهَمُ مَرَامِي الْمَشُورَةِ نَافِذَةً فِي
الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ . وَسُيُوفُ مَنَاشِرِي الْمُسُومَةِ قَاطِعَةً فِي الْأَعَاجِمِ .
وَالْأَعَارِبِ . كَمْ لِي فِي الْأَطْرَافِ وَالْأَفَاقِ وَالْأَكْتَفِ مِنْ قَاضٍ
وَنَائِبٍ . وَمَنَعٍ مِنَ الْخَيْرِ وَحَاجِبٍ . وَكَمْ لِي مِنْ جَائِي . مَنُوطٍ
بِتَقْرِيقِ قُلُوبِهِمْ وَجَمْعِ سُوَيْدَائِهَا إِلَى بَائِي . وَكَمْ لِي فِي الزَّوَايَا . مِنْ
خَبَايَا . وَفِي أَصْحَابِ الرِّوَايَاتِ . مِنْ دِرَايَاتٍ . وَفِيهِ فِي النَّادِي . فَاقُ
الْحَاضِرِ وَالْبَادِي . يُعَلِّمُ لِي فِي الشَّيْطَانَةِ أَوْلَادِي . وَفِي الْبَيْلَسَةِ
حَقْدَتِي وَأَجْنَادِي . وَبِالْجُمْلَةِ غَائِبُ الطَّوَائِفِ . وَأَرْبَابُ الْوُظَائِفِ .
عَلَى بَابِ خِدْمَتِي وَاقِفُ . وَعَلَى طَاعَةِ مَرَأْسِي لَيْلًا وَنَهَادًا عَاكِفُ .
مُنَايَ مُنَاهُمْ . وَرِضَايَ رِضَاهُمْ . وَإِنْ خَالَفَ بَعْضُ سِرِّي نَجَواهُمْ .
إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ (ابن عربشاه)
٢٩٠ وَصَفَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ رَجُلًا فَقَالَ : إِنَّهُ بَسِيطُ الْكُفِّ . رَحْبُ
الصَّدْرِ . مُوْطَأُ الْأَكْتَفِ . سَهْلُ الْخُلُقِ . كَرِيمُ الطَّبَاعِ . غَيْثُ
مَغُوثٍ . وَبَحْرُ زُخُورٍ . وَضُحُوكُ السِّنِّ . بَشِيرُ الْوَجْهِ . بَادِي الْقَبُولِ .

غَيْرُ عُبُوسٍ • يَسْتَقِيلُكَ بِطَلَاقَةٍ • وَيُحْيِيكَ بِبَشَرٍ • وَيَسْتَدْبِرُكَ بِكَرَمٍ
 غَيْثٍ وَجَمِيلٍ بِشَرٍ • تَبْهَجُكَ طَلَاقَتُهُ • وَيُزْصِيكَ بِشَرِهِ • صَحَّاحٌ عَلَى
 مَا نَدَيْتِهِ • عَبْدٌ إِضِيْفَانِهِ • غَيْرٌ مُلَاحِظٍ لِأَكِيلِهِ • بَطِينٌ مِنَ الْعَقْلِ •
 خَمِيصٌ مِنَ الْجَهْلِ • رَاجِعٌ الْجَلْمِ • ثَاقِبُ الرَّأْيِ • طَيِّبُ الْخُلُقِ •
 مُحْصَنُ الضَّرِيَةِ • مُعْطٍ غَيْرُ سَأَالٍ • كَاسٍ مِنْ كُلِّ مَكْرُمَةٍ • عَارٍ مِنْ
 كُلِّ مَلَأْمَةٍ • إِنْ سُئِلَ بِذَلِكَ • وَإِنْ قَالَ فَعَلَّ (للقيرواني)

٢٩١ قَالَ مُجِيرُ الدِّينِ بْنِ تَمِيمٍ فِي وَصْفِ نَاعُورَةٍ :

وَنَاعُورَةٍ قَدْ أَلْبَسَتْ لِحْيَاهَا مِنْ الشَّمْسِ ثَوْبًا فَوْقَ أَثَوَابِهَا الْخَضِرِ
 كَطَاوُوسٍ بِيْسْتَانٍ تَلَوْرُ وَتَنْجَلِي وَتَنْفُضُ عَنْ أَرْيَاسِهَا بَلَلُ الْقَطْرِ
 ٢٩٢ قَالَ نُورُ الدِّينِ بْنِ سَعْدٍ الْأَنْدَلُسِيِّ فِي دَوْلَابِ النَّاعُورَةِ :

لِلَّهِ دَوْلَابٌ يَفِيضُ بِسَائِلٍ فِي رَوْضَةٍ قَدْ أَيْتَتْ أَفْنَانًا
 قَدْ طَارَحَتْهُ بِهَا الْحَمَامُ تَحْوَهَا فَيُحْيِيهَا وَيَرْجِعُ الْأَلْحَانَا
 فَكَأَنَّهُ دَفْءٌ يَدُورُ بِمَعْدٍ يَبْكِي وَيَسْأَلُ فِيهِ عَمَّنْ بَانَ
 صَاقَتْ تَجَلَّرِي جَفْنَهُ عَنْ دَمْعِهِ فَتَقْتَحُ أَضْلَاعَهُ أَجْفَانَا

٢٩٣ قَالَ ابْنُ النَّبِيِّ :

وَرَوْضَةٌ وَجَنَاتٌ أَلْوَرْدٌ قَدْ خَجَلَتْ فِيهَا ضَحَى وَعُيُونُ التَّرْجِسِ انْفَقَحَتْ
 تَشَاجِرُ الطَّيْرِ فِي أَفْنَانِهَا سَحَرًا وَمَا لَ الْقُضْبِ لِلتَّغْنِيقِ وَأَصْطَلَحَتْ
 وَالْقَطْرِ قَدْ رَشَّ ثَوْبُ الدَّوْحِ حِينَ رَأَى حَمَامَ الزَّهْرِ فِي أَذْيَالِهِ نَفَحَتْ

٢٩٤ قَالَ عَلِيُّ بْنُ رُسْتَمٍ الْمَعْرُوفُ بِأَبْنِ السَّاعَاتِي :

وَالطَّلُّ فِي سِلَكَ الْغُصُونِ كُلُّوهُ رَطْبٌ يُصَافِحُهُ النَّسِيمُ فَيَسْقُطُ
وَالطَّيْرُ تَقْرَأُ وَالْغَدِيرُ صَحِيفَةٌ وَالرَّيْحُ تَكْتُبُ وَالْغَمَامُ يَنْقُطُ
٢٩٥ قَالَ ابْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ يَصِفُ رَوْضًا :

رَوْضٌ بِهِ أَشْيَاءٌ لَيْ سَتَ فِي سِوَاهُ تُؤَلَّفُ
فَمَنْ الْهَزَارِ تَهَازَرُ وَمَنْ الْأَصْيَابِ تَتَصَفُّ
وَمِنْ النَّسِيمِ تَلَطَّفُ وَمِنْ الْغَدِيرِ تَتَطَفُّ

زهرة صفى الدين الحلبي

٢٩٦

وَرَدَ الرَّبِيعُ فَرَحْبًا يوروده وَنُورٌ بَهْجَةً وَنُورٌ
وَبُحْسَنٍ مَنْظَرُهُ وَطِيبٌ نَسِيمُهُ وَأَنِيقٌ مَآبِسُهُ وَوَشْيٌ يوروده
فَصَلُّ إِذَا أَفْتَحَرُ الزَّمَانُ فَإِنَّهُ إِنْسَانٌ مُقَاتِلُهُ وَبَيْتُ قَصِيدِهِ
يُغْنِي الْمَزَاجَ عَنِ الْعِلَاجِ نَسِيمُهُ بِاللَّطْفِ عِنْدَ هُبُوبِهِ وَرُكُودِهِ
يَأْخُذُ أَزْهَارُهُ وَثَمَارُهُ وَنَبَاتٌ نَاجِمُهُ وَحَبٌّ حَصِيدُهُ
وَتَجَافُؤُ الْأَطْيَارِ فِي أَشْجَارِهِ كَبَاتٌ مَعْبَدٌ فِي مَوَاجِبِ عُودِهِ
وَالْغُصْنُ قَدْ كَسَى الْغُلَائِلَ بَعْدَ مَا أَخَذَتْ يَدًا كَانُونَ فِي تَجَرِيدِهِ
نَالَ الصَّبَا بَعْدَ الْمَشِيبِ وَقَدْ جَرَى مَاءُ الشَّيْبَةِ فِي مَنَابِتِ عُودِهِ
وَالْوَرْدُ فِي أَعْلَى الْغُصُونِ كَأَنَّهُ مَلَأَتْ خُفُّهُ بِهِ سَرَاةَ جُنُودِهِ
وَأَنْظُرْ لِرَجْسِهِ الْجَنِيِّ كَأَنَّهُ طَرَفٌ تَنَبَّهَ بَعْدَ طُولِ هُجُودِهِ
وَأَعْجَبْ لَا ذَرِيُونَهُ وَبَهَارَهُ كَالْتَّبَرِ يَزْهُو بِأَخْتِلَافِ نُشُودِهِ
وَأَنْظُرْ إِلَى الْمَنْظُومِ مِنْ مَثُورِهِ مُتَوَعًّا بِفُضُولِهِ وَتَعْمُودِهِ

أَوْ مَا تَرَى الْغَيْمَ الرِّقِيقَ وَمَا بَدَا
وَالسُّحْبُ تَعْقُدُ فِي السَّمَاءِ مَا تَمَّا
وَالْغَيْمُ يَحْكِي الْمَاءَ فِي جَرَيَانِهِ
فَأُبَكِّرُ إِلَى رَوْضِ الصَّرَاةِ وَظِلِّهَا
٢٩٧ قَالَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ زُرَّارٍ فِي مَدِينَةِ وَادِي آش :

وَادِي الْأَشَاتِ يَهِيحُ وَجَدِي كُلَّمَا
لِللَّهِ ظِلُّكَ وَالْهَجِيرُ مُسَلَّطٌ
وَالشَّمْسُ تَرْغَبُ أَنْ تَفُوزَ بِالْحِطَّةِ
وَالنَّهْرُ يَبْسِمُ بِالْحَبَابِ كَأَنَّهُ
فَلِذَاكَ تَحْذَرُهُ الْغُصُونُ فَمِثْلَهَا
٢٩٨ قَالَ مُجِيرُ الدِّينِ بْنُ تَمِيمٍ :

مَذْقِيلٌ لِلْأَغْصَانِ إِنْ أُلْوِدَ قَدْ
بَسَمَتْ تُغَوِّرُ الْأُفْحُونَ مَسْرَةً
٢٩٩ قَالَ الصَّائِي فِي شَمْعَةٍ

وَلَيْلَةٍ مِنْ حُحَاقِ الشَّهْرِ مُدْجَنَةٍ
كَانَتْ نَفْسِي بِهَا الْإِدْلَاجُ مُمْتَطِيًا
إِلَى حَيْبٍ لَهُ فِي النَّفْسِ مَنْزَلَةٌ
وَلَا دَلِيلَ سِوَى هَيْفَاءِ مُخْطَفَةٍ
غُصْنٌ مِنَ الذَّهَبِ الْإِبْرِيدِ أَمَرَ فِي
لَا التَّجْمِيمُ يَهْدِي السَّرَى فِيهَا وَلَا الْقَمَرُ
عَزَمَ مَا هُوَ الصَّارِمُ الصَّمَامَةُ الذِّكْرُ
مَا حَاثَهَا قَبْلَهُ سَمِعَ وَلَا بَصَرَ
يَهْدِي الرِّكَابَ وَجَحُّ اللَّيْلِ مُعْتَكِرُ
أَعْلَاهُ يَأْقُوتَةُ صَفْرَاءُ تَسْتَعِيرُ

تَأْتِيكَ لَيْلًا كَمَا يَأْتِي الْمُرِيبُ فَإِنْ لَاحَ الصَّبَاحُ طَوَّهَتْهَا دُونَهَا الْجَدْرُ
٣٠٠ قَالَ أَبُو الْعَلَاءِ الْمَعَرِيُّ فِي السَّمْعَةِ أَيْضًا :

وَصَفْرَاءُ لَوْنُ التَّبَرِّ مِثْلِي جَلِيدَةٍ عَلَى نُوبِ الْأَيَّامِ وَالْعَيْشَةِ الضَّنْكَ
تُرِيكَ ابْتِسَامًا دَائِمًا وَتَجْلِدُكَ وَصَبْرًا عَلَى مَا نَابَهَا وَهِيَ فِي الْمُلْكِ
وَلَوْ نَطَقَتْ يَوْمًا لَقَالَتْ أَظُنُّكُمْ تَحَالُونَ أَنِّي مِنْ حِذَارِ الرَّدَى أَبْكِي
فَلَا تَحْسَبُوا دَمْعِي لَوْجِدٍ وَجِدُّهُ فَقَدْ تَدَمَّعَ الْأَحْدَاقُ مِنْ كَثْرَةِ الضَّحْكَ

٣٠١ كَتَبَ الصَّابِيُّ فِي وَصْفِ الْبَغَاءِ إِلَى ابْنِ نَصْرِ الْمَعْرُوفِ بِالْبَغَاءِ :

أَلْقَتْهَا صَبِيحَةً مَلِيحَةً نَاطِقَةً بِاللُّغَةِ الْقَصِيحَةِ
عُدَّتْ مِنَ الْأَطْيَارِ وَاللَّسَانِ يُوهْمُنِي بِأَنَّهَا إِنْسَانُ
تُهَيِّئِي إِلَى صَاحِبِهَا الْأَخْبَارَا وَتَكْشِفِي الْأَسْرَارَ وَالْأَسْتَارَا
بِكُمَاءٍ إِلَّا أَنَّهَا سَمِيعَةٌ تَعِيدُ مَا تَسْمَعُهُ طَبِيعَةٌ
زَارَتْكَ مِنْ بِلَادِهَا الْبَعِيدَةِ وَاسْتَوَطَنْتْ عِنْدَكَ كَأَلْفَعِيدَةٍ
ضَيْفٌ قَرَاهُ الْجُوزُ وَالْأَرْدُ وَالضَّيْفُ فِي إِيْتَابِهِ يُعَزُّ
رَأَاهُ فِي مَنَاقِرِهَا الْخُلُوقِ كَكُلُوهُ يُلْقِطُ بِالْعَقِيقِ
تَمِيسُ فِي حُلَّتِهَا الْخَضْرَاءُ مِثْلَ الْفَتَاةِ الْعَادَةِ الْعَذْرَاءِ
خَرِيدَةٌ خُدُورُهَا الْأَقْفَاصُ لَيْسَ لَهَا مِنْ حَبْسِهَا خَلَاصُ
مَحْبُسُهَا وَمَا لَهَا مِنْ ذَنْبٍ وَإِنَّمَا ذَاكَ لِقَرَطِ الْحَبِّ
تِلْكَ الَّتِي قَلْبِي بِهَا مَشْغُوفٌ كَثِيتُ عَنْهَا وَأَسْمَهَا مَعْرُوفُ
يُشْرِكُ فِيهَا شَاعِرُ الزَّمَانِ الْكَاتِبُ الْمَعْرُوفُ بِالْيَانِ

ذَلِكَ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنِ نَصْرِ تَقِيهِ نَفْسِي حَادِثَاتِ الدَّهْرِ
 ٣٠٢ قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ يَصِفُ بَعْدَادَ بَعْدَ أَنْ حَاصَرَهَا طَاهِرُ بْنُ
 الْحُسَيْنِ وَخَرَّبَ بِنَاءَهَا :

بَكَيْتُ دَمًا عَلَى بَعْدَادَ لَمَّا قَدَّتْ نَضَارَةَ الْعَيْشِ الْأَنِيقِ
 تَبَدَّلْنَا هُمُومًا مِنْ سُرُورٍ وَمِنْ سَعَةٍ تَبَدَّلْنَا بِضِيقِ
 أَصَابَتِنَا مِنَ الْحُسَادِ عَيْنُ فَأَفْتِ أَهْلَهَا بِالْمُخْنِقِ
 وَقَوْمٍ أَحْرَقُوا بِالنَّارِ قَسْرًا وَنَائِحَةٍ تُنُوحُ عَلَى غَرِيقِ
 وَصَائِحَةٍ تُنَادِي وَاصْبَاحًا وَبَاكِئَةٍ لِقَدَانِ الشَّقِيقِ
 تَقَرُّ مِنَ الْحَرِيقِ إِلَى النَّهَابِ وَوَالِدُهَا يَفِرُّ إِلَى الْحَرِيقِ
 حَيَارَى هَكَذَا وَمُفَكَّرَاتٍ عَلَيْهِنَ الْقَلَانِدُ فِي الْجُلُوقِ
 يُنَادِيَنِ الشَّقِيقَ وَلَا شَفِيقَ وَقَدْ فُقِدَ الشَّقِيقُ مِنَ الشَّقِيقِ
 وَمُغْتَرِبٍ قَرِيبِ الدَّارِ مُلْقًى بِلَا رَأْسٍ بِقَارِعَةِ الطَّرِيقِ
 تَوَسَّطَ مِنْ قِتَالِهِمْ جَمِيعًا فَمَا يَذَرُونَ مِنْ أَيْ الْقَرِيقِ
 فَمَا وَلَدُ يُقِيمُ عَلَى أَبِيهِ وَقَدْ فَرَّ الصَّدِيقُ مِنَ الصَّدِيقِ
 وَمَهْمَا أَنَسَ مِنْ شَيْءٍ تَوَلَّى فَإِنِّي ذَاكِرُ دَارِ الرَّفِيقِ
 وَصَفَ صَبِيُّ الدِّينِ الْحَلِيِّ حَدِيثَةً قَالَ :

وَأَطْلَقَ الطَّيْرُ فِيهَا سَجْعَ مَنْطِقِهِ مَا بَيْنَ مُخْتَلَفٍ فِيهَا وَمُنْفِقِ
 وَالظِّلُّ يَسْرِقُ بَيْنَ الدُّوْحِ خُطْوَتُهُ وَلِلْمَيَّاهِ دَيْبٌ غَيْرُ مُسْتَرْقِ
 وَقَدْ بَدَأَ الْوَرْدُ مُفْتَرًّا مَبَاحِمَهُ وَاللَّجْسُ الْغَضُّ فِيهَا شَاخِصٌ لِحَدَقِ

مِنْ أَحْمَرٍ سَاطِعٍ أَوْ أَخْضَرَ نَضِرٍ أَوْ أَصْفَرَ فَاقِعٍ أَوْ أَيْضٍ يَقِقِ
 وَالسُّحْبُ تَبْكِي وَتَغْرُ الْبَرْقُ مَبْسَمِ وَالطَّيْرُ تَسْبِغُ مِنْ تَيْهِ وَمِنْ أَنْقِ
 فَالطَّيْرُ فِي طَرْبٍ وَالسُّحْبُ فِي حَرْبٍ وَالْمَاءُ فِي هَرْبٍ وَالْغُصْنُ فِي قَلْقِ
 ٣٠٣ قَالَ الْقَاضِي التَّنُوخِيُّ يَصِفُ دِجْلَةَ فِي الظَّلَامِ وَالْقَمَرُ يَلْمَعُ عَلَيْهَا:
 أَحْسَنُ بِدِجْلَةَ وَالِدُحَى مُتَصَوِّبٌ وَالْبَدْرُ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ مَغْرِبٌ
 فَكَلَّهَا فِيهِ بِسَاطُ أَرْزَقُ وَكَأَنَّهُ فِيهَا طِرَازُ مُذَهَّبٌ
 ٣٠٤ وَقَالَ أَيْضًا:

كَمْ لَيْلَةٍ سَامَرْتُ فِيهَا بِدْرَهَا مِنْ فَوْقِ دِجْلَةَ قَبْلَ أَنْ يَتَغَيَّبَا
 وَالْبَدْرُ يُجَنِّحُ لِلْأَفْوَلِ كَلَّهَ قَدْ سَلَ فَوْقَ الْمَاءِ سَيْفًا مُذَهَّبَا
 ٣٠٥ قَالَ ابْنُ الْحَزَرِيِّ فِي حَمَامَةٍ:

وَمَا نَارِحَاتُ سَاجِعَاتٍ بِشَجْوِهَا تَرْمَحُ أَغْصَانُ النَّقَا وَتَرْنَمُ
 تَنُوحُ بِلَا إِلْفٍ وَتَمْلِي غَرَامَهَا عَلَى وَرَقِ الْأَشْجَارِ وَالطَّلُ بِرَقْمِ
 وَتَقْرِبُ فِي الْحَانِئَا وَفُقُونِهَا فَتُقْرِبُ عَنْ أَشْجَانِهَا وَهِيَ تَعْجَمُ
 وَتَنْظُرُ فَرْخِيهَا قَدْ اخْطَطَقَتْهَا كَوَاسِرُ أَطْيَارٍ عَلَى الْأَفْقِ حُومُ
 تَرَامَتْ بِهَا أَيْدِي النَّوَى عَنْ وَكُونِهَا فَلَا عَيْشَهَا يَصْفُو وَلَا يَتَصَرَّمُ
 بِأَكْثَرِ مَنِي لَوْعَةٍ وَصَبَابَةٍ سِوَى أَنَّهَا تُبْدِي الْغَرَامَ وَاکْتَمُ

٣٠٦ مِنَ الْعَجَبِ قَوْلُ بَدْرِ الدِّينِ يُوسُفَ بْنِ لَوْلُوٍّ مِنْ قَصِيدَةٍ:

بَاكِرٌ إِلَى الرُّوْضَةِ تَسْتَحِلُّهَا فَتَغْرِهَا فِي الصَّبْحِ بِسَامُ
 وَالتَّرْجِسُ الْغَضُّ اعْتَرَاهُ أَحْلِيَا فَغَضَّ طَرَفًا فِيهِ أَسْقَامُ

وَبَلْبُلُ الدَّوْحِ فَصِيحٌ عَلَى الْأَيْكَةِ وَالشَّجَرُودُ تَمْتَامُ
وَسَمَةُ الرِّيحِ وَفِي ضَعْفِهَا لَهَا بِنَا مَرٌّ وَالْمَامُ

٣٠٧ قَالَ الشَّيْخُ أَبُو سَهْلٍ فِي وَصْفِ فَرَسٍ :

أَطْرَفُ فَاتٍ طَرَفِي أَمْ شِهَابُ هَفَا كَالْبَرْقِ ضَرَمَهُ التَّهَابُ
أَعَارَ الصُّبْحُ صَفْحَتَهُ نِقَابًا فَقَرَّبَهُ وَصَحَّ لَنَا النُّقَابُ
إِذَا مَا انْقَضَ كُلُّ النِّجَمِ عَنْهُ وَضَلَّتْ عَنْ مَسَالِكِهِ السَّحَابُ
سَلَ الْأَرْوَاحَ عَنْ أَدْنَى مَدَاهُ فَعِنْدَ الرِّيحِ قَدْ يُلْقَى الْجَوَابُ

قصيدة الشيخ عبد الغني النابلسي في وصف الشام

٣٠٨

إِنْ سَامَكَ الْخَطْبُ الْمُهُولُ فَأَقْلَقَا فَائِزِلْ بِأَرْضِ الشَّامِ وَأَسْكُنْ جِلْقَا
تَجِدُ الْمَرَامَ بِهَا وَكُلَّ مُتَاكِ بِلَ وَتَرَى بِهَا عِزًّا وَتَفْضُحُ مَنْطَقَا
بَلَدٌ سَمَتْ بَيْنَ الْبِلَادِ مَحَاسِنَا وَنَمَتْ بِهَا وَأَسْتَرَادَتْ رَوْنَقَا
زَادَ السُّرُورُ بِهَا لِكُلِّ مُعْرِجٍ لَا سِيَّيَا إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ التُّقَى
إِنْ تَعَشَّقُوا وَطَنًا قَدِي أَوْلَى لَكُمْ دُونَ الْبِلَادِ بَأَنْ تَحِبَّ وَتُعْشَقَا
خَيْرُ الْأَنْاسِ أَنْاسُهَا يَرْغَوْنَ أَنْوَاعَ الْوَدَادِ وَيَحْفَظُونَ الْمَوْثِقَا
هِيَ جَنَّةٌ لِلطَّائِعِينَ مُعَدَّةٌ يَتَمَتَّعُونَ وَلَا يَرَوْنَ بِهَا شَمَا
طَابَتْ هَوَاءُ النَّفُوسِ وَمَاوَاهَا عَذْبُ زُلَالٍ سَائِعٍ لِمَنْ أَسْتَقَى
جَلَّتْ مَحَاسِنُهَا عَنِ التَّعْدَادِ فَلَنَاتٍ بِمَا يُخْتَارُ مِنْهُ وَيُنْتَقَى
يَا حُسْنَ وَادِيهَا وَطِيبَ شِمِيمِهِ قَدْ فَاحَ عَرَفُ الزَّهْرِ فِيهِ وَعَبَقَا
وَرَأَسَتْ أَطْيَارُهُ بَيْنَ الرَّبِّي سَحَرًا فَهَيَّجَتْ الْفَوَادِ الشَّيْقَا

كَيْفَ انْجَحَتْ يَخْرُجُ نَحْوَكَ مَاؤُهُ وَإِلَيْكَ يَرْكُمُ كُلُّ غُصْنٍ أَوْرَقًا
 يَا حَبْدًا إِشْرَاقُ مَرْجَتِهَا الَّتِي أَضْحَى غَنِيَّ أَلْهَمَ فِيهَا مُمْلَقًا
 وَتَلَاعَبَتْ فُرْسَانُهَا وَتَرَكَضَتْ مَا بَيْنَهَا تَعْلُو أَلْجِيَادَ السُّبْقَا
 ضَحَكَتْ أَزَاهِرُهَا عَلَى أَغْصَانِهَا فَأَتَى السَّيْمُ يُمِيلُهُنَّ وَصَفَقَا
 قَدْ دَنَدَنْتْ أَنْهَارُهَا فِي جَرِيهَا لَمَّا شَدَا ذَاكَ الْحَمَامُ وَشَقَشَقَا
 وَالصَّالِحِيَّةُ يَا لَهَا مِنْ مَنَزِلٍ فِيهَا قُبُورُ الصَّالِحِينَ أُولِي التُّقَى
 وَبِهَا الْقُصُورُ الْعَالِيَاتُ تَخْرَفُ مِثْلَ الثُّجُومِ زَهَتْ بِكُلِّ مَنْ أُرْتَقَى
 كَسَمُو عَلَى أَطْرَافِ جَلَقَ بِهَجَّةٍ وَطَلَاوَةٌ فِيهَا السَّرُورُ تَحْمَقَا
 سَقَبَتْ دِمَشْقُ السَّامِ صَوْبَ عِمَامَةٍ أَشْفَى عَلَى غَيْطَانِهَا فَتَدَفَقَا
 كَمْ زَهَّةٌ لِلْعَيْنِ فِيهَا قَدْ زَهَتْ وَسَرَتْ عَلَى طَرَفِ الْهُمُومِ فَأَطْرَقَا
 مَا الْجَامِعُ الْأُمُويُّ (*) إِلَّا زَهَّةٌ فِيهَا تَرَاهُ بِالْعِبَادَةِ مُشْرِقَا

(*) ذكر ابن جبير جامع دمشق قال : هذا الجامع من أشهر جوامع الإسلام حسناً
 واتقاناً بناءً وغبابةً صنعةً واحتمالاً تنسيقاً وتزييناً . انتدب لبنائه الوليد . وبلغ الغاية في
 التأنيق فيه . وأُنزلت جُدُرُهُ كلها بفصوص الذهب المعروفة بالفُسَيْفَسَاءِ . وخلطت بها أنواع من
 الأصبغة العربية قد مثَّلت اشجاراً وفُرَعَتِ أَغْصَانُهَا منظومة بالفصوص ببدء الصنعة المعجزة وصف
 كل واحد . فجاء يغشي العيون ويميضاً وبصيصاً . وبلغت النفقة فيه أحد عشر ألف دينار
 ومائتي ألف دينار . وطول هذا الجامع من الغرب إلى الشرق ذُرْعُهُ ثَلَاثُمِائَةُ ذِرَاعٍ . وذِرْعُهُ فِي
 السَّعَةِ مِنَ الْقِبْلَةِ إِلَى الشَّمَالِ مِائَتَانِ ذِرَاعٍ . وبلاطاته المتصلة بالقبلة ثلاث مستطيلة من المشرق إلى
 المغرب سعة كل بلاطة منها ثمان عشرة خطوة . وقد قامت البلاطات على ثمانية وستين عموداً منها
 ٥٤ سارية و٨ رجل واثنتان مرخمة مُصَصَّقة بالجدار الذي يلي الصحن . وأربع أرجل مرخمة أبداع
 ترخيم مرصعة بفصوص من الرخام ملوَّنة قد نُظِمَتْ خَوَاتِيمُ وَصُورَتْ مَحَارِيبُ وَاشْكَالاً غريبة
 قائمة في البلاط الأوسط . دَوَّرَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهَا اثْنَانِ وَسَعُونَ شَبْرًا . ويستدير بالصحن بلاط من
 ثلاث جهاته سَعَتُهُ عَشْرُ خُطَا . عدد قوائمه سبع وأربعون منها أربعة عشر رجلاً والباقي سوار .

قَدْ أَتَقَنَتْ صُنَاعُهُ بُيَانَهُ فَأَتَى الْمَزْخِرُ زَانَهُ وَتَأَنَّقَا
 وَرَى ذُرُوسَ الْعِلَامِ فِيهِ دَائِمًا فِي كُلِّ فَنٍّ مَنْ تَدَاوَلَهُ رَقِي
 وَثَلَاثُ هَاتِيكَ الْمَآذِنِ تَجَلِي مِثْلَ الْعَرَائِسِ قَدْ لَبَسْنَ أَلْيَمًا
 مِنْ قَوْفِهَا أَهْلُ الْأَذَانِ تَرَسَّلُوا بَرَّثُمُ يُشْجِي الْفُؤَادَ الشَّقِيَّا
 وَالْعَشْرَةُ الْأَبْوَابُ لَمَّا أَنْ زَهَتْ فَتَحَتْ عَلَى الْمَشْتَقِ بَابًا مُغْلَقًا
 يَا حَبْدَاكَ الصَّخْنُ أَشْرَقَ وَانْجَلَى فَعَدَا بِهِ مَاءُ السَّيْمِ مُرْقَرًا
 فِيهِ الصَّحَابُ رَوَائِحًا وَغَوَادِيَا مَا بَيْنَهُ وَتَجْمَعًا وَتَفَرَّقَا
 مِنْ حَوْلِهِ الْأَسْوَاقُ تُشْرِقُ فِي الدُّجَى مِثْلَ النَّهَارِ بِمَا يَبَا قَدْ عَلِمَا
 فِيهَا تَرَى مَا تَشْتَهِي وَتَلَذُّهُ وَبُيُوتُ فَهَوَاتٍ شَذَاهَا عَبَا
 هِيَ شَامِنَا أَعْلَى الْإِلَهِ مَنَارَهَا وَبِهَا أَدَامَ اللَّهُ عَيْشًا رَيِّقَا
 لَمْ تَرْضَ عَيْنِي غَيْرَهَا مِنْ مَنْظَرٍ وَلِذَا تَرَى قَلْبِي بِهَا مُتَعَلِمًا

وسقف الجامع كله من خارج الواح رصاص . واعظم ما فيه قبة الرصاص المتصلة بالحراب
 وهي سامية في الهواء عظيمة الاستدارة وقد استقل بها هيكل عظيم هو عماد لها يتصل من
 الحراب الى الصحن . والقبة قد اغصت الهواء فاذا استقبلتها رأيت مرأى هائلًا . ومن اي جهة
 استقبلت البلد ترى القبة في الهواء كاخا معلقة في الجو . وعدد شمساتها الزجاجية المذهبة الملوثة
 اربع وسبعون . فاذا قابلتها الشمس واتصل شعاعها بها انعكس الشعاع الى كل لون منها واتصل
 بذلك بالجدار القلي . ويتصل بالابصار منها اشعة ملوثة هائلة لا تبلغ العبارة تصورها . ومحرابه
 من اعجب المحاريب الاسلامية حسنا وغبابة صنعة يتقد ذهبًا كله . قد قامت في وسطه محارب
 صفار متصلة بمجداره تحفها سوريات مفتولات قتل الاسورة . فانها مخروطة بعضها احمر كاخا
 مرجان لم ير شيء اجمل منها . وله اربعة ابواب وباب جبرون اعظمها وله وللغري دهاليز
 متسعة يفضي كل دهاليز منها الى باب عظيم كانت كلها مداخل للكنيسة . فبقيت على حالها
 ثم ذكر ابن جبير في الصحن عجائب من الابنية والقباب والمياه المدبرة فيه ما يطول وصفه
 واختصاره انه قال : هذا الصحن من اجمل المناظر واحسنها . وللجامع اربع سقايات في كل جهة

لِلَّهِ أَيَّامٌ تَقْصُتُ لِي بِهَا مَا زِلْتُ نَحْوَ ظِلَالِهَا مُتَشَوِّقًا
 هِيَ مَنْشَايَ لَا حَاجِرٌ وَطَوِيلِعُ وَمَحَلُّ أُنْسِي لَا الْغَوِيرُ وَلَا النُّقَا
 وَطَنِي وَأَوَّلُ مَا وَطِئْتُ بِهَا الْثَرَى لَا زَالَ يَنْشِي عَنْ حِمَاهَا مُطْلَمًا
 لُذِيَا فُؤَادٍ بِمَا بِهَا مِنْ مَعَشَرٍ إِنْ سَامَكَ الْحُطْبُ الْمُهُولُ فَأَقْلَمًا

سقاية وأعظمها سقاية باب جيرون . وذكر أن حول باب جيرون من الابنية الغربية ما يطول وصفه . وذكر باب جيرون فقال : يخرج من دهاليز الى بلاط طويل عريض له خمسة ابواب مقوسة لها ستة اعمدة في جهة اليسار منه مشهد كبير كان فيه راس الحسين قبل ان ينقل الى القاهرة بازائه مسجد صغير لعمر بن عبد العزيز . وقد انتظمت امام البلاط ادراج يتخدر عليها الى الدهاليز وهي كالخندق العظيم تتصل الى باب عظيم الارتفاع يتحير الطرف دونه سموًا . قد حَفَّتْهُ اعمدة كالجدوع طولًا وكالاطواد ضخامة وبجاني الدهاليز اعمدة قامت عليها شوارع مستديرة فيها حوائث الطَّارِين وغيرهم . وعليها شوارع مستطيلة فيها الحجر والبيوت للكرام مشرفة على الدهاليز . وفوقها سطح بيت فيه سكن الحجر والبيوت وفي وسط الدهاليز حوض كبير مستدير من الرخام عليه قبة ثَقُلَهَا اعمدة من الرخام . وفي وسط الحوض ابواب صُفْر يزعم الماء بقوة فيرتفع في الهواء ازيد من القامة . وحوله ابواب صفار ترمي الماء علوًا فتخرج منها كفضبان الحين فكأنها اغصان تلك الدوحة المائتة . ومنظرها ابدع من ان يوصف . وعن يمين الخارج من باب جيرون في جدار البلاط الذي امامه شبه غرفة لها هيئة طاق كبير مستدير فيه طيقان من صُفْر وقد فتحت ابوابًا صناعًا على عدد ساعات النهار ودبرت تدابير هندسية . فعند انقضاء ساعة من النهار تسقط صنجان من صُفْر من في بازيين من صُفْر قائمين على طاستين من صُفْر مثقوبتين فتبصر البازيين يمدان اعناقهم بالبدقتين الى الطاستين ويقذفانها بسرعة بتدبير عجب تخيلهُ الاوهام سحرًا . فعند وقوعها يسمع لها دوي فيعودان من الاثقاب الى داخل الجدار الى الغرفة ويتغلق باب تلك الساعة بلوح اصفر . فلا يزال كذلك حتى تنقضي (الساعات) فتتغلق الابواب كلها . ثم تعود الى حالاتها الأولى ولها بالليل تدبير آخر . وذلك ان في القوس المنعطف على الطيقان المذكورة اثني عشرة دائرة من الخاس مخزومة في كل دائرة زجاجة وخلف الزجاجة مصباح يدور به الماء على ترتيب مقدار الساعة . فاذا انقضت عم الزجاجة ضوء المصباح وافاض على الدائرة شعاعًا فلاحت دائرة محمّرة ثم ينتقل الى الاخرى حتى تنقضي ساعات الليل . وقد وكل بها من يدبر شأنها فيعيد فتح الابواب ويسرح الصنغ الى موضعه وهي التي تُسمى الميقاتة . ثم ذكر في دمشق عجائب ليس من غرضنا اثباتها (الشريشي)

البابُ الخامس عشر في الحكايات

هارون بن عبد الله والفيل

٣٠٩ قَالَ الْقُرَوِينِي: كَانَ هَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مَوْلَى الْأَزْدِ شَجَاعًا شَاعِرًا. وَلَمَّا حَارَبَ الْهِنْدُ الْمُسْلِمِينَ بِالْفِيلِ لَمْ يَقِفْ قُدَّامَ الْفِيلِ شَيْءٌ. وَقَدْ رَبَطُوا فِي خُرْطُومِهِ سِفًا هَذَا مَا طَوِيلًا ثَقِيلًا يَضْرِبُ بِهِ يَمِينًا وَشِمَالًا لَا يَرْفَعُهُ فَوْقَ رَأْسِ الْفِيلَيْنِ عَلَى ظَهْرِهِ وَيَضْرِبُ بِهِ. فَوَثَبَ هَارُونُ وَثَبَةً أَعْجَلَهُ بِهَا عَنِ الضَّرْبِ وَلَزِقَ بِصَدْرِ الْفِيلِ وَتَعَلَّقَ بِأَنْبِيَاهِهِ. فَجَالَ بِهِ الْفِيلُ جَوْلَةً كَأَدَّ يَحْطِئُهُ مِنْ شِدَّةِ مَا جَالَ بِهِ. وَكَانَ هَارُونُ شَدِيدَ الْخُلُقِ رَابِطَ الْجَاشِ. فَأَعْتَمَدَ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ عَلَى نَابِيهِ وَأَصْلَهُمَا مُجُوفٌ فَأَنْقَلَعَتَا مِنْ أَصْلِهِمَا. وَأَذْبَرَ الْفِيلُ وَبَقِيَ النَّابَانِ فِي يَدِ هَارُونِ. وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ هَزِيمَةِ الْهِنْدِ وَغَنَمِ الْمُسْلِمُونَ. فَقَالَ هَارُونُ فِي ذَلِكَ:

مَشَيْتُ إِلَيْهِ رَادِعًا مُتَمَهَّلًا وَقَدْ وَصَلُوا خُرْطُومَهُ بِجُحَامٍ
فَقُلْتُ لِنَفْسِي إِنَّهُ الْفِيلُ صَارِبًا بِأَبْيَضَ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ هَذَا
فَإِنْ تَنَكَّيْتُ مِنْهُ فَعُذْرُكَ وَاصْبِرْ لَدَى كُلِّ مَخُوبٍ الْفُؤَادِ عِبَامٍ
وَلَمَّا رَأَيْتُ السِّيفَ فِي رَأْسِ هَضْبَةٍ كَمَا لَاحَ بَرَقَ مِنْ خِلَالِ غَمَامٍ
فَعَاثَسْتُهُ حَتَّى لَزِقْتُ بِصَدْرِهِ فَلَيْمًا هَوَى لَا زَمْتُ أَيْ لَزَامَ
وَعَذْتُ بِنَابِيهِ وَأَذْبَرَ هَارِبًا وَذَلِكَ مِنْ عَادَاتِ كُلِّ مُحَامِي

الوفاء والفضل والمعروف عند بعض الكرماء

٣١٠ حُكي أَنَّهُ بَيْنَمَا كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ جَالِسًا فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ وَعِنْدَهُ أَكْبَرُ الصَّحَابَةِ . وَأَهْلُ الرَّأْيِ وَالْإِهَابَةِ . وَهُوَ فِي الْقَضَايَا . يَمُحُّكُمْ بَيْنَ الرَّعَايَا . إِذَا قَبِلَ شَابٌّ مِنْ أَحْسَنِ الشَّابِّ . نَظِيفُ الْأَثْوَابِ . يَكْتَفِيهِ شَابَّانِ مِنْ أَحْسَنِ الشَّابِّ أَيْضًا . وَقَدْ جَذَبَاهُ وَسَجَّاهُ . وَأَوْقَفَاهُ بَيْنَ يَدَيِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَلَبَّاهُ . فَلَمَّا وَقَفُوا بَيْنَ يَدَيْهِ . نَظَرَ إِلَيْهِمَا وَإِلَيْهِ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَحْنُ أَخَوَانِ شَقِيقَانِ . جَدِيرَانِ بِاتِّبَاعِ الْحَقِّ حَقِيقَانِ . كَانَ لَنَا أَبُو شَيْخٍ كَبِيرٌ . حَسَنُ التَّدْبِيرِ . مُعْظَمٌ فِي قِبَالِهِ . مُنْزَعٌ عَنْ رَذَائِلِهِ . مَعْرُوفٌ بِفَضَائِلِهِ . رَبًّا نَا صِفَارًا . وَأَوْلَا نَا مِتْنَا غَرَارًا . كَمَا قِيلَ فِي الْمَعْنَى :

لَنَا وَالِدٌ لَوْ كَانَ لِلنَّاسِ مِثْلُهُ أَبٌ آخَرُ أَغْنَاهُمْ بِالْمُنَاقِبِ
فَخَرَجَ الْيَوْمَ إِلَى حَدِيقَةٍ لَهُ يَتَنَزَّهُ فِي أَشْجَادِهَا . وَيَقْتَطِفُ يَانِعَ
أَثْمَارِهَا . فَقَتَلَهُ هَذَا الشَّابُّ . وَعَدَلَ عَنْ طَرِيقِ الصَّوَابِ . فَلَسَأَلَكَ
الْقَصَاصَ عَمَّا جَنَاهُ . وَالْحُكْمَ فِيهِ بِمَا أَمَرَكَ اللَّهُ . قَالَ الرَّأْوِي : فَنَظَرَ
عُمَرُ إِلَى الشَّابِّ . وَقَالَ لَهُ : قَدْ سَمِعْتَ فَمَا الْجَوَابُ . وَالْغُلَامُ مَعَ ذَلِكَ
ثَابِتُ الْجَنَانِ . خَالَ عَنْ الْإِسْتِيْحَاشِ . قَدْ خَلَعَ ثِيَابَ الْهَلَعِ . وَزَرَعَ
لِبَاسَ الْجَزَعِ . فَتَبَسَّمَ عَنْ مِثْلِ الْجَمَانِ . وَتَكَلَّمَ بِأَفْصَحِ لِسَانٍ . وَحَيًّا
بِكَلِمَاتٍ حَسَنٍ . ثُمَّ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَاللَّهِ لَقَدْ وَعَيْتُ . فِي مَا أَدْعَا .
وَصَدَقًا . فِي مَا نَطَقًا . وَأَخْبَرًا بِمَا جَرَى . وَعَبْرًا عَمَّا طَرَأ . وَسَأْنَهِي

قَصَّيْ بَيْنَ يَدَيْكَ . وَالْأَمْرُ فِيهَا إِلَيْكَ . إِعْلَمْ أَنِّي عَرِيمٌ مِنَ الْعَرَبِ
 الْعَرَبَاءُ نَبَتْ فِي مَنَازِلِ الْبَادِيَةِ . وَصَبَحَتْ عَلَيَّ أَسْوَدُ السِّنِينَ الْعَادِيَةِ .
 فَأَقْبَلْتُ إِلَى ظَاهِرِ هَذَا الْبَلَدِ . بِالْأَهْلِ وَالْمَالِ وَالْوَلَدِ . فَأَفْضَتْ بِي
 بَعْضُ طَرَائِقِهَا . إِلَى الْمُسِيرِ بَيْنَ حَدَائِقِهَا . بِنِيقٍ إِلَيَّ حَيْبَاتٍ . عَلَيَّ
 عَزِيزَاتٍ . بَيْنَهُنَّ فَحْلٌ كَرِيمٌ الْأَصْلِ . كَثِيرُ النَّسْلِ . مَلِجُ الشَّكْلِ .
 حَسَنُ النَّجَاحِ . يَمْشِي بَيْنَهُنَّ كَأَنَّهُ مَلِكٌ عَلَيْهِ تَاجٌ . فَذَنَّتِ الثُّنُوقُ إِلَى
 حَدِيقَةٍ قَدْ ظَهَرَ مِنْ أَحْاطِطِ شَجَرِهَا . فَتَنَاوَلْتَهَا بِشَفَرِهَا . فَطَرَدَتْهَا
 عَنْ تِلْكَ الْحَدِيقَةِ فَإِذَا شَيْخٌ قَدْ ظَهَرَ . وَتَسَوَّرَ أَحْاطِطَ وَزَفَرَ . فِي يَدِهِ
 أَلْمُنَى حَجَرٌ . يَتَدَاى كَالثَّلِثِ إِذَا خَطَرَ . فَضَرَبَ الْفَحْلَ بِذَلِكَ الْحَجَرِ
 فَأَصَابَ مَقْتَلَهُ وَأَبَادَهُ . فَلَمَّا رَأَيْتُ الْفَحْلَ سَقَطَ لِحْنِهِ وَأَنْقَابَ .
 تَوَقَّذْتُ فِي جَهْرَاتِ الْغَضَبِ . فَتَنَاوَلْتُ ذَلِكَ الْحَجَرَ بَعَيْنِهِ فَضَرَبْتُهُ
 بِهِ . فَكَانَ سَبَبَ حَيْنِهِ وَلَقِيَ سُوءَ مُنْقَلَبِهِ . وَالْمَرْءُ مَقْتُولٌ بِمَا قَتَلَ بِهِ .
 بَعْدَ أَنْ صَاحَ صَيْحَةً عَظِيمَةً . وَصَرَخَ صَرْخَةً أَلِيمَةً . فَأَسْرَعْتُ هَارِبًا
 مِنْ مَكَانِي . فَلَمْ أَكُنْ بِأَسْرَعَ مِنْ هَذَيْنِ الشَّابَّيْنِ فَأَمْسَكَانِي .
 وَأَحْضَرَانِي كَمَا تَرَانِي . قَالَ عُمَرُ : قَدْ اعْتَرَفْتَ . بِمَا اقْتَرَفْتَ . وَتَعَدَّرَ
 الْحُلَاصُ . وَوَجَبَ الْقِصَاصُ . وَلَاتَ حِينَ مَنَاصُ . فَقَالَ الشَّابُّ :
 سَمِعَا وَطَوْعًا لِمَا حَكَّمَ الْإِمَامُ . وَرَضِيْتُ بِمَا اقْتَضَتْهُ شَرِيعَةُ الْإِسْلَامِ .
 وَلَكِنْ لِي أَخٌ صَغِيرٌ . كَانَ لَهُ أَبٌ خَيْرٌ . خَصَّهُ قَبْلَ وَقَاتِهِ بِمَالٍ خَبِيرٍ .
 وَذَهَبٍ جَلِيلٍ . وَأَحْضَرَهُ بَيْنَ يَدَيَّ . وَسَلَّمْ أَمْرُهُ إِلَيَّ . وَأَشْهَدُ اللَّهَ

عَلِيٍّ . وَقَالَ : هَذَا لِأَخِيكَ عِنْدَكَ . فَأَحْفَظْهُ جَهْدَكَ . فَأَتَّخَذَتْ لَذَلِكَ مَدْفِنًا . وَوَضَعَتْهُ فِيهِ وَلَا يَعْلَمُ بِهِ أَحَدٌ إِلَّا أَنَا . فَإِنْ حَكَمْتَ الْآنَ بِقَتْلِي ذَهَبَ الذَّهَبُ . وَكُنْتَ أَنْتَ السَّبَبَ . وَطَالَ بَكَ الصَّغِيرُ بِحَقِّهِ . يَوْمَ يَقْضِي اللَّهُ بَيْنَ خَلْقِهِ . وَإِنْ أَنْظَرْتَنِي ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ . أَقَمْتُ مَنْ يَتَوَلَّى أَمْرَ الْغُلَامِ . وَعُدْتُ وَافِيًا بِالذِّمَامِ . وَلِي مَنْ يَضْمِنُنِي عَلَى هَذَا الْكَلَامِ . فَأَطْرَقَ عُمَرُ سَاعَةً ثُمَّ نَظَرَ . إِلَى مَنْ حَضَرَ . وَقَالَ : مَنْ يَقُومُ عَلَى صَمَانِهِ . وَالْعَوْدُ إِلَى مَكَانِهِ . قَالَ : فَظَرَ الْغُلَامُ إِلَى وُجُوهِ أَهْلِ الْمَجْلِسِ النَّاطِرِينَ . وَأَشَارَ إِلَى أَبِي ذَرٍّ دُونَ الْحَاضِرِينَ . وَقَالَ : هَذَا يَكْفُلُنِي . وَهُوَ الَّذِي يَضْمِنُنِي . فَقَالَ عُمَرُ : أَتَضْمِنُهُ يَا أَبَا ذَرٍّ عَلَى هَذَا الْكَلَامِ . قَالَ : نَعَمْ أَضْمِنُهُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ . فَرَضِيَ الشَّابَّانِ بِضَمَانِ أَبِي ذَرٍّ . وَأَنْظَرَاهُ ذَلِكَ الْقَدْرَ . فَلَمَّا انْقَضَتْ مُدَّةُ الْأَمَهَالِ . وَكَادَ وَقْتُهَا يَزُولُ أَوْ زَالَ . حَضَرَ الشَّابَّانِ إِلَى مَجْلِسِ عُمَرَ . وَالصَّحَابَةُ حَوْلَهُ كَالنَّجُومِ حَوْلَ الْقَمَرِ . وَأَبُو ذَرٍّ قَدْ حَضَرَ . وَالْحَضَمُ يُنْتَظَرُ . فَقَالَا : أَيْنَ الْغَرِيمُ يَا أَبَا ذَرٍّ . وَكَيْفَ يَرْجِعُ مِنْ قَدْفٍ . فَلَا نَبْرَحُ مِنْ مَكَانِنَا . حَتَّى تَفِي بِضَمَانِنَا . فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ : وَحَقُّ الْمَلِكِ الْغُلَامُ . إِنْ انْقَضَى تَمَامُ الْأَيَّامِ . وَلَمْ يَحْضُرِ الْغُلَامُ . وَفِيَتْ بِالضَّمَانِ . وَأَسْلَمْتُ نَفْسِي بِإِلَهِ السُّتَعَانِ . فَقَالَ عُمَرُ : وَاللَّهِ إِنْ تَأَخَّرَ الْغُلَامُ لِأَمْضِينَ فِي أَبِي ذَرٍّ مَا اقْتَضَتْهُ شَرِيعَةُ الْإِسْلَامِ . فَهَمَلْتَ عِبْرَاتِ الْحَاضِرِينَ . وَارْفَضْتَ زَفَرَاتِ النَّاطِرِينَ . وَعَظُمَ الصَّحِيحُ . وَتَرَايَدَ

الشَّيْخُ . فَعَرَضَ كِبَارُ الصَّحَابَةِ عَلَى الشَّابِّينَ اخْذَ الدِّيَةِ . وَاعْتَمَامَ
 الْأَثْنِيَةِ . فَأَصْرَعَ عَلَى عَدَمِ الْقَبُولِ . وَابْيَأَ إِلَّا الْأَخْذَ بِثَارِ الْمُتَمَوَّلِ . فَبَيْنَمَا
 النَّاسُ يَمْوُجُونَ تَلَهُفًا لِمَا مَرَّ . وَيَصِيحُونَ تَأْسَفًا عَلَى أَبِي ذَرٍّ . إِذَا أَقْبَلَ
 الْغُلَامُ . وَوَفَّ بَيْنَ يَدَيِ الْإِمَامِ . وَسَلَّمَ عَلَيْهِ أَمَّ سَلَامٍ . وَوَجَّهَهُ يَتَهَلَّلُ
 مُشْرِقًا . وَتَكَلَّلَ عَرَقًا . وَقَالَ : قَدْ أَسْلَمْتُ الصَّبِيَّ إِلَى أَخَوَالِي . وَعَرَفْتَهُمْ
 خَفِيَّ أَخَوَالِي . وَأَطْلَعْتُهُمْ عَلَى مَكَانِ مَالِهِ وَأَمْوَالِي . ثُمَّ أَقْتَحَمْتُ
 هَاجِرَاتِ الْحَرِّ . وَوَفَّيْتُ وَفَاءَ الْحَرِّ الْأَعْرَجِ . فَعَجِبَ النَّاسُ مِنْ صِدْقِهِ
 وَوَفَائِهِ . وَإِقْدَامِهِ عَلَى الْمَوْتِ وَاجْتِرَائِهِ . فَقَالَ : مَنْ غَدَرَ . لَمْ يَفُ عَنْهُ
 مَنْ قَدَرَ . وَمَنْ وَفَى . رَحِمَهُ الطَّالِبُ وَعَفَا . وَتَحَقَّقَتْ أَنَّ الْمَوْتَ إِذَا
 حَضَرَ لَمْ يُنْجِ مِنْهُ أَحْتِرَاسٌ . وَبَادَرْتُ كَيْ لَا يُقَالَ ذَهَبَ الْوَفَاءُ مِنْ
 النَّاسِ . فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ : وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَقَدْ صَنَيْتُ هَذَا الْغُلَامَ
 وَلَمْ أَعْرِفْهُ مِنْ أَيِّ قَوْمٍ . وَلَا رَأَيْتُهُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ . وَلَكِنَّهُ نَظَرَ إِلَيَّ
 مَنْ حَضَرَ فَقَصَّدَنِي . وَقَالَ : هَذَا يَضْمِنُنِي . فَلَمْ أَسْتَحْسِنْ رَدَّهُ . وَأَبَتْ
 الْمَرْوَةُ أَنْ تُخَيَّبَ قَصْدُهُ . إِذْ لَيْسَ فِي إِجَابَةِ الْقَصْدِ مِنْ بَاسٍ . كَيْ لَا
 يُقَالَ : ذَهَبَ الْفَضْلُ مِنَ النَّاسِ . فَقَالَ الشَّابَّانِ عِنْدَ ذَلِكَ : يَا أَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ . قَدْ وَهَبْنَا لِهَذَا الْغُلَامِ دَمَ أَبِينَا . فَلْتُبْدَلْ وَخْشَتُهُ بِإِنْيَاسٍ .
 كَيْ لَا يُقَالَ : ذَهَبَ الْمَعْرُوفُ مِنَ النَّاسِ . فَاسْتَبَشَرَ الْإِمَامُ . بِالْعَفْوِ
 عَنِ الْغُلَامِ . وَعَجِبَ مِنْ صِدْقِهِ وَوَفَائِهِ . وَاسْتَعَزَّزَ مَرْوَةَ أَبِي ذَرٍّ
 دُونَ جُلْسَانِهِ . وَاسْتَحْسَنَ اعْتِمَادَ الشَّابِّينَ فِي أَصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ

وَأَثْنَى عَلَيْهِمَا أَحْسَنَ ثَنَاءٍ وَتَمَثَّلَ بِهَذَا الْيَتِ :
 مَنْ يَصْنَعُ الْخَيْرَ لَمْ يَعْدَمْ جَوَازُهُ لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ
 ثُمَّ عَرَضَ عَلَيْهِمَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَصْرِفَ لهُمَا مِنْ بَيْتِ الْمَالِ دِيَّةَ
 أَبِيهِمَا . فَقَالَا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّمَا عَفَوْنَا عَنْهُ أَبْتِغَاءَ لَوْجِهِ اللَّهِ . وَمَنْ
 نَيْتُهُ كَذَا . لَا يَتَّبِعُ إِحْسَانَهُ مَنْ لَا أَدَى . قَالَ الرَّأْيِي : فَأَعْتَدْتُهَا
 مِنْ أَنْفَسِ الْعَجَائِبِ . وَاثْبَتَهَا فِي دِيْوَانِ الْغَرَائِبِ (للاتليدي)

جحدرد والسبع

٣١١ قِيلَ إِنَّ مُحَمَّدَ بْنَ رَبِيعَةَ كَانَ بَطْلًا شَجَاعًا فَاتَّكَأَ شَاعِرًا بَلِيغًا .
 قَعَزَا أَهْلَ أَلْيَمَةِ وَأَبَادَهُمْ فَلَبَّغَ ذَلِكَ الْحُجَّاجُ بْنُ يُونُسَ . فَكُتِبَ إِلَى
 عَامِلِهِ يُوجِّهُهُ بِتَغْلِبِ جَحْدَرٍ وَيَأْمُرُهُ بِالتَّوَجُّهِ إِلَيْهِ حَتَّى يَقْتُلَهُ أَوْ يُجْعَلُ إِلَيْهِ
 أَسِيرًا . فَوَجَّهَ الْعَامِلُ إِلَيْهِ فِتْيَةً مِنْ بَنِي خَنْظَلَةَ وَجَعَلَ لَهُمُ الْجَعْلَ لِلِ
 الْعَظِيمَةِ إِنْ هُمْ قَتَلُوا مُحَمَّدًا أَوْ أَتَوْا بِهِ أَسِيرًا . فَتَوَجَّهَ الْفِتْيَةُ إِلَى طَلَبِهِ
 فَلَمَّا دَنَوْا مِنْ مَكَانِهِ أَرْسَلُوا إِلَيْهِ يَقُولُونَ إِنَّهُمْ يُرِيدُونَ الْإِنْقِطَاعَ
 إِلَيْهِ وَالْقِيَامَ بِخِدْمَتِهِ . فَوُثِّقَ بِذَلِكَ مِنْهُمْ وَسُكِّنَ إِلَى قَوْلِهِمْ . فَيَنَامُ هُوَ
 مَعَهُمْ يَوْمًا إِذْ وَثَبُوا إِلَيْهِ فَشَدُّوهُ وَثَاقًا وَقَدِّمُوا بِهِ إِلَى الْعَامِلِ . فَوَجَّهَهُ
 مَعَهُمْ إِلَى الْحُجَّاجِ . فَلَمَّا قَدِّمُوا بِهِ عَلَيْهِ مَثَلِ بَيْنَ يَدَيْهِ . قَالَ لَهُ : أَنْتَ
 جَحْدَرُ . قَالَ : نَعَمْ أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ . قَالَ : مَا جَرَّكَ عَلَى مَا بَلَغَنِي
 عَنْكَ . قَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ . كَلَبُ الزَّمَانِ . وَجَفْوَةُ السُّلْطَانِ .
 وَجَرَاةُ الْجَنَانِ . قَالَ : وَمَا بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ . قَالَ : لَوْ أَبْتَلَانِي الْأَمِيرُ

وَجَعَلَنِي مَعَ الْفُرْسَانِ لَرَأَى مِنِّي مَا يُغْضِبُهُ . قَالَ الرَّاوِي : فَتَجَبَّ
 الْحُجَّاجُ مِنْ ثَبَاتِ عَقْلِهِ وَمَنْطِقِهِ . ثُمَّ قَالَ : يَا جَدْرُ إِنِّي قَازِفُ بَكَ فِي
 حَفَاظٍ بِهَا أَسَدٌ عَظِيمٌ . فَإِنْ قَتَلْتَ كَفَّانَا مَوْتَتَكَ . وَإِنْ قَتَلْتَهُ عَفَوْنَا
 عَنْكَ . قَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ قُرْبَ الْفَرَجِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . فَأَمَرَ
 بِهِ فَصَفَّدُوهُ بِالْحَدِيدِ ثُمَّ كَتَبَ لِعَامِلِهِ أَنْ يَرْتَادَ لَهُ أَسَدًا عَظِيمًا وَيُخَمِّلَهُ
 إِلَيْهِ . فَأَرْتَادَهُ الْعَامِلُ أَسَدًا كَرِيهَ الْمُنْظَرِ كَأَشْرَ أَخِيثًا قَدْ أَفْنَى عَامَّةَ
 الْمَوَاشِيِّ . وَأَمَرَ أَنْ يَصِيرَ فِي قَفْصِ حَدِيدٍ وَلِيُسَبَّ الْقَفْصُ عَلَى عَجَلٍ .
 فَلَمَّا قَدِمَ بِهِ عَلَى الْعَجَلِ إِلَى الْحُجَّاجِ أَمَرَ بِهِ فَأُلْقِيَ فِي الْحَفَاظِ وَلَمْ يُطْعَمْ
 شَيْئًا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ حَتَّى جَاعَ وَأَسْتَكَبَ . ثُمَّ أَمَرَ بِجَدْرٍ أَنْ يُنْزِلُوهُ إِلَيْهِ
 فَأَعْطَوْهُ سَيْفًا وَأَنْزَلُوهُ إِلَيْهِ مُقَيَّدًا وَأَشْرَفَ الْحُجَّاجُ عَلَيْهِ وَالنَّاسُ حَوْلَهُ
 يَنْظُرُونَ إِلَى الْأَسَدِ مَا هُوَ صَانِعٌ بِجَدْرٍ . فَلَمَّا نَظَرَ الْأَسَدُ إِلَى جَدْرٍ
 نَهَضَ وَوَتَبَ وَتَمَطَّى وَزَارَرَ بِيْرًا دَوَى مِنْهُ الْجِبَالُ وَارْتَاعَتْ مِنْهُ أَهْلُ
 الْأَرْضِ . فَشَدَّ عَلَيْهِ جَدْرٌ وَهُوَ يَقُولُ :

لَيْتُ وَلَيْتُ فِي بَحَالِ ضَنْكِ كِلَاهُمَا ذُوقُوهُ وَسَفْكَ
 وَصَوْلَةٍ وَبَطْشَةٍ وَفَتْكِ . إِنْ يَكْشِفِ اللَّهُ قِنَاعَ الشَّكِّ
 فَأَنْتَ لِي فِي قَبْضَتِي وَمَلِكِي

ثُمَّ دَنَا مِنْهُ وَضَرَبَهُ بِسَيْفِهِ فَفَلَقَ هَامَتَهُ . فَكَبَّرَ النَّاسُ وَاعْجَبَ
 الْحُجَّاجُ وَقَالَ : لِلَّهِ دَرَكٌ مَا أَنْجَدَكَ . ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ مِنَ الْحَفَاظِ وَفُكَّ
 وَثَاقُهُ وَقِيدُهُ . وَقَالَ لَهُ : اخْتَرِ إِمَّا أَنْ تُقِيمَ عِنْدَنَا فَتُكْرِمَكَ وَتُقَرَّبَ

مَنْزِلَتِكَ . وَإِمَّا أَنْ نَأْذَنَ لَكَ فَتَخْلُقَ بِلَادِكَ وَنَشْرَطَ عَلَيْكَ أَنْ لَا
تُحْدِثَ مُنْكَرًا وَلَا تُؤْذِيَ أَحَدًا . قَالَ : بَلْ أَخْتَارُ صُحْبَتَكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ .
فَجَعَلَهُ مِنْ سُمَارِهِ وَخَوَاصِّهِ . ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ وَلَّاهُ عَلَى الْيَمَامَةِ وَكَانَ مِنْ
أَمْرِهِ مَا كَانَ

عصيان ابرهيم بن المهدي على امير المؤمنين المأمون وما جرى له في اختفائه

٣١٢ حَكِي الْوَاقِدِيُّ قَالَ : إِنَّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمُهَدِيِّ أَخَا هَارُونَ
الرَّشِيدِ لَمَّا آلَ أَمْرُ الْخِلَافَةِ إِلَى الْمَأْمُونِ ابْنِ أَخِيهِ هَارُونَ الرَّشِيدِ لَمْ
يُبَايِعْهُ بَلْ ذَهَبَ إِلَى الرَّيِّ وَادَّعَى فِيهَا الْخِلَافَةَ لِنَفْسِهِ . وَأَقَامَ مَالِكَهَا
سَنَةً وَاحِدَةً عَشَرَ شَهْرًا وَاثْنَيْ عَشَرَ يَوْمًا وَابْنُ أَخِيهِ الْمَأْمُونُ يَتَوَقَّعُ مِنْهُ
الْإِنْقِيَادَ إِلَى الطَّاعَةِ وَالْإِنْتَظَامَ فِي سَبِيلِ الْجَمَاعَةِ حَتَّى يَثْبُتَ مِنْ
عَوْدِهِ . فَرَكِبَ بِحَيْلِهِ وَرَجَلِهِ وَذَهَبَ إِلَى الرَّيِّ وَحَاصَرَ الْمَدِينَةَ وَأَفْتَحَهَا
وَدَخَلَهَا . قَالَ إِبْرَاهِيمُ عَنْ نَفْسِهِ : فَخَفْتُ عَلَى دَمِي وَخَرَجْتُ مُسْرِعًا مِنْ
دَارِي عِنْدَ الظُّهْرِ وَأَنَا لَا أَدْرِي إِلَى أَيْنَ أَتَوَجَّهُ . وَكَانَ الْمَأْمُونُ قَدْ
جَعَلَ لِمَنْ أَتَاهُ فِي مِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ . وَفِيمَا كُنْتُ سَارًّا فِي الطَّرِيقِ
إِذَا أَنَا بِزُقَاقٍ فَمَشَيْتُ فِيهِ فَوَجَدْتُهُ غَيْرَ نَافِذٍ . فَقُلْتُ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا
إِلَيْهِ رَاجِعُونَ إِنْ رَجَعْتُ عَلَى أَثَرِي يُرْتَابُ فِي أَمْرِي وَالشَّارِعُ غَيْرُ
نَافِذٍ فَمَا الْحِيلَةُ . ثُمَّ نَظَرْتُ فَرَأَيْتُ فِي صَدْرِ الشَّارِعِ عَبْدًا أَسْوَدَ قَالِمًا
عَلَى بَابِ دَارٍ . فَتَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ وَقُلْتُ لَهُ : هَلْ عِنْدَكَ مَوْضِعٌ أَقِيمُ بِهِ
سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ . فَقَالَ : نَعَمْ وَفَتَحَ الْبَابَ . فَدَخَلْتُ إِلَى بَيْتٍ نَظِيفٍ

فِيهِ حَصِيرٌ وَبَسَاطٌ وَوُسْدٌ نَظِيفَةٌ مِنْ جُلُودٍ . ثُمَّ إِنَّ الْأَسْوَدَ أَفْلَقَ عَلَى
 الْبَابِ وَمَضَى . فَتَوَهَّمَتْ أَنَّهُ سَمِعَ بِجَعَالَةِ الْمَأْمُونِ لِلَّذِي يَأْتِيهِ بِي وَطَمَعَ
 بِالرَّيْحِ وَخَرَجَ يَدُلُّ عَلَى فَبَقِيَتْ أَثَقَلَى عَلَى جَمْرِ الْغَضَا . فَبَيْنَمَا كُنْتُ
 أَفَكِّرُ فِي ذَلِكَ إِذْ أَقْبَلَ وَمَعَهُ حَمَلٌ حَامِلٌ كُلِّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ خُبْزٍ
 وَلَحْمٍ وَقَدْرًا جَدِيدَةً وَجَرَّةَ نَظِيفَةٍ وَكَيْرَانًا جَدْدًا فَطَحَّهَا عَنْ الْحَمَلِ
 وَقَالَ لَهُ : أَمْضِ بِخَيْرٍ . فَخَرَجَ وَأَقْفَلَ وَرَاءَهُ بَابَ الدَّارِ وَجَاءَ إِلَيَّ وَقَالَ
 لِي : جُعِلَتْ فِدَاكَ يَا مَوْلَايَ إِنِّي رَجُلٌ حَجَّامٌ وَأَعْلَمُ أَنَّكَ تَتَقَدَّرُ
 مِنِّي لِمَا أَتَوَّلَاهُ مِنْ مَعِيشَتِي . فَشَأْنُكَ أَنْتَ بِمَا لَمْ تَقَعْ عَلَيْهِ يَدِي . قَالَ
 إِبْرَاهِيمُ : وَكُنْتُ شَدِيدَ الْجُوعِ وَلِي حَاجَةٌ عَظِيمَةٌ إِلَى الطَّعَامِ فَطَبَخْتُ
 لِنَفْسِي قَدْرًا لَمْ أَذْرِ فِي عُمْرِي أَنِّي أَكَلْتُ أَلَدَ مِنْهَا . فَلَمَّا قَضَيْتُ
 أَرْبِي مِنَ الطَّعَامِ قَالَ لِي الْأَسْوَدُ : هَلْ لَكَ يَا مَوْلَايَ فِي شَرَابٍ
 فَإِنَّهُ يَنْفِي الْهَمَّ وَيَدْفَعُ الْغَمَّ . فَقُلْتُ لَهُ : مَا أَكْرَهُ ذَلِكَ رَغْبَةً فِي
 مُوَانَسَتِكَ . فَمَضَى وَجَاءَ بِي بِقَدَحٍ وَبَدَسَتْ مَلَانُ شَرَابًا مُطِيبًا وَقَالَ
 لِي : رَوْقٌ لِنَفْسِكَ مَخَافَةٌ أَنْ تَتَقَرَّرَ مِنِّي . فَظَنَرْتُ فِي الدَّسْتِ
 فَرَأَيْتُ شَرَابًا فِي غَايَةِ الْجُودَةِ فَرَوَّعْتُ مِنْهُ . ثُمَّ أَتَانِي بِفَاكِهَةٍ وَأَبْقَالَ
 مُخْتَلِفَةٍ . وَبَعْدَهُ قَالَ لِي : يَا مَوْلَايَ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَقْعُدَ فِي نَاجِيَةٍ
 أَمَامَكَ وَأَتِي بِشَرَابٍ لِي فَأَشْرَبَهُ سُرُورًا بِكَ . فَقُلْتُ لَهُ : أَفْعَلْ
 فَشَرِبَ وَشَرِبْتُ . ثُمَّ دَخَلَ إِلَى خِزَانَةٍ لَهُ فَأَخْرَجَ مِنْهَا عُودًا وَقَالَ
 لِي : لَيْسَ مِنْ قَدْرِي أَنْ أَسْأَلَكَ فِي الْغِنَاءِ وَلَكِنْ إِنْ أَرَدْتُ أَنْ

عَبْدَكَ يُعْنِي فَلكَ عُلُوُّ الرَّأْيِ . فَقُلْتُ لَهُ : وَمِنْ أَيْنَ لَكَ أَنِّي أَحْسَنُ
الْفَنَاءِ . فَقَالَ : يَا سُجَّانَ اللَّهِ . مَوْلَايَ أَشْهَرُ مِنْ أَنْ يُخْفَى أَلَسْتَ أَنْتَ
سَيِّدِي إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُهَدِّيِّ خَلِيفَتَا فِي الْأَمْسِ الَّذِي جَعَلَ الْمَأْمُونُ لِمَنْ
دَلَّهُ عَلَيْكَ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ . فَلَمَّا سَمِعْتُ ذَلِكَ عَظُمَ الرَّجُلُ فِي عَيْنِي
وَتَبَتَ مَرُوءَتُهُ عِنْدِي . فَتَأَوَّلْتُ الْعُودَ وَأَصْلَحْتُهُ وَقَدْ مَرَّ بِخَاطِرِي
فِرَاقُ أَهْلِي وَوُلْدِي وَوَطَنِي فَغَنَيْتُ :

وَعَسَى الَّذِي أَهْدَى لِيُوسُفَ أَهْلَهُ وَأَعَزَّهُ فِي السَّجْنِ وَهُوَ أَسِيرُ
أَنْ يَسْتَجِيبَ لَنَا وَيَجْمَعَ شَمْلَنَا وَاللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ قَدِيرُ
فَأَسْتَوِلِي عَلَيْهِ الطَّرْبُ الْمُرْطُ وَطَابَ خَاطِرُهُ وَقَالَ لِي : يَا سَيِّدِي
وَمَوْلَايَ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَعْنِي مَا سَخَّ بِخَاطِرِي وَإِنْ كُنْتُ مِنْ غَيْرِ
أَهْلِ الصَّنَاعَةِ . فَقُلْتُ : وَهَذَا مِنْ زِيَادَةِ أَدَبِكَ وَمُرُوءَتِكَ . فَأَخَذَ
الْعُودَ وَأَنَشَدَ :

شَكُونَا إِلَى أَحْبَابِنَا طُولَ لَيْلِنَا فَقَالُوا لَنَا مَا أَقْصَرَ اللَّيْلَ عِنْدَنَا
وَذَاكَ لِأَنَّ النَّوْمَ يَغْشَى عَيْنَهُمْ سَرِيعًا وَلَا يَغْشَى لَنَا النَّوْمُ أَعِينَا
فَلَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَلَاقُونَ مِثْلَنَا نُلَاقِي لَكَأُنَا فِي الْأَضَاجِعِ مِثْلَنَا
قَالَ إِبْرَاهِيمُ فِدَا خَافِي مِنَ الطَّرْبِ مَا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ وَأَذْهَبَ مِنِّي
كُلُّ مَا كَانَ بِي مِنَ الْمَلَعِ فَقُلْتُ لَهُ : لَقَدْ أَحْسَنْتَ كُلَّ الْأَحْسَانِ
وَأَذْهَبْتَ عَنِّي أَلَمَ الْأَحْزَانِ . فَرَدَّنِي مِنْ هَذِهِ التَّرْهَاتِ فَأَنَشَدَ لِلسَّمَوَاتِ :
تُعِيرُنَا أَنَا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا فَقُلْنَا لَهَا إِنَّ الْكَرَامَ قَلِيلُ

قَالَ إِبْرَاهِيمُ : فَأَشْتَدَّ عَلَيَّ الطَّرَبُ وَنِمْتُ وَلَمْ أَسْتَيْقِظْ إِلَّا بَعْدَ
 الْعِشَاءِ . فَعَاوَدَنِي فِكْرِي فِي نَفَاسَةِ هَذَا الْحَجَّامِ وَحُسْنِ آدِيهِ . فَصُمْتُ
 ثُمَّ أَحَذْتُ خَرِيطةً كَانَتْ صُحْبَتِي فِيهَا دَانَايِرٌ لَهَا قِيَمَةٌ . فَرَمَيْتُ بِهَا
 إِلَيْهِ وَقُلْتُ لَهُ : أَسْتَوْدِعُكَ اللَّهُ وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَتَصَرَّفَ فِي هَذَا وَلَكَ
 عِنْدِي الْمَزِيدُ إِنْ أَمِنْتُ مِنْ خَوْفِي . فَأَبَى أَخْذَهَا وَأَعَادَهَا عَلَيَّ بِعِزَّةٍ
 وَقَالَ : يَا مَوْلَايَ إِنْ الصَّعَالِيكَ مِنَّا لَا قَدْرَ لَهُمْ عِنْدَكُمْ . أَاخْذُ عَلَيَّ
 مَا وَهَبَنِيهِ الزَّمَانُ قُرْبَكَ وَحُلُولَكَ فِي مَنْزِلِي غَنَى . وَاللَّهِ لَئِنْ رَاجَعْتَنِي
 بِهَا لَا أَقْتُلَنَّ نَفْسِي . فَأَعَدْتُ الْخَرِيطةَ إِلَى كُمِّي وَقَدْ أَثْقَلَنِي حَمْلُهَا
 وَانْصَرَفْتُ . وَلَمَّا أَنْتَهَيْتُ إِلَى بَابِ دَارِهِ قَالَ لِي : يَا سَيِّدِي إِنْ هَذَا
 الْمَلِكُ كَانَ أَخْفَى لَكَ مِنْ غَيْرِهِ وَلَيْسَ عَلَيَّ فِي مَوْؤُنِكَ ثِقَلٌ فَأَقِمْ
 عِنْدِي إِلَى أَنْ يُفَرِّجَ اللَّهُ عَنْكَ . فَقُلْتُ لَهُ : بِشَرْطٍ أَنْ تُثَبِّقَ مِمَّا فِي
 هَذِهِ الْخَرِيطةِ . فَأَوْهَمَنِي الرِّضَا بِذَلِكَ الشَّرْطِ . فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ أَيَّامًا
 عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ فِي الدَّعَاشِ وَهُوَ لَمْ يَصْرِفْ مِنَ الْخَرِيطةِ شَيْئًا .
 فَتَذَمَّمْتُ مِنَ الْإِقَامَةِ فِي بَيْتِهِ وَأَحْلَسْتُ مِنَ التَّثَقُّلِ عَلَيْهِ . فَتَرَيْتُ
 بَازِيَّ النِّسَاءِ بِالْخُفِّ وَالنَّقَابِ وَوَدَعْتَهُ وَخَرَجْتُ . فَلَمَّا صَرْتُ فِي
 الطَّرِيقِ دَاخِلَنِي مِنَ الْخَوْفِ أَمْرٌ شَدِيدٌ وَجِئْتُ لِأَعْبُرَ الْجِسْرَ وَإِذَا
 بِمَوْضِعٍ مَرشُوشٍ فَظَنَرَنِي جُنْدِيٌّ مِمَّنْ كَانَ يُخْدِمُنِي فَصَاحَ وَقَالَ :
 هَذَا حَاجَةُ الْمُأْمُونِ . ثُمَّ تَعَلَّقَ بِي مِنْ حَلَاوَةِ الرُّوحِ دَفَعْتُهُ هُوَ وَفَرَسَهُ
 فَوَقَعَ فِي ذَلِكَ الْمَزَلِقِ فَصَارَ عِبْرَةً . وَتَبَادَرَ النَّاسُ إِلَيْهِ فَاجْتَهَدْتُ

أَنَا فِي الْمَشْيِ حَتَّى قَطَعْتُ الْجِسْرَ فَدَخَلْتُ شَارِعًا فَوَجَدْتُ بَابَ دَارٍ
وَأَمْرَأَةً وَاقِفَةً فِي الدَّهْلِيزِ . فَقُلْتُ لَهَا : يَا سَيِّدَةَ النِّسَاءِ أَحَقَّنِي دَمِي
فَإِنِّي رَجُلٌ خَائِفٌ . فَقَالَتْ لِي : عَلَى الرَّحْبِ وَالسَّعَةِ . وَأَطْلَعَنِي إِلَى
غُرْفَةٍ وَفَرَشَتْ لِي فِرَاشًا وَقَدَّمَتْ لِي طَعَامًا وَقَالَتْ : هَدِي رَوْعَكَ
فَمَا عَلِمَ بِكَ مَخْلُوقٌ . فَبَيْنَمَا هِيَ كَذَلِكَ إِذَا بِالْبَابِ يُطْرَقُ طَرَقًا
عَنيفًا . فَخَرَجَتْ وَفَتَحَتِ الْبَابَ وَإِذَا بِصَاحِبِ الَّذِي دَفَعْتُهُ عَلَى الْجِسْرِ
وَهُوَ مُشْدُوخُ الرَّأْسِ وَدَمُهُ يُسِيلُ عَلَى ثِيَابِهِ وَلَيْسَ مَعَهُ فَرَسٌ . فَقَالَتْ
لَهُ : يَا هَذَا مَا دَهَاكَ . فَقَالَ : إِنِّي ظَفِرْتُ بِالْغَنَى وَأَنْقَلَتَ مِنِّي .
وَأَخْبَرَهَا بِمَا جَرَى لَهُ . فَأَخْرَجَتْ لَهُ عَصَابَ وَعَصَبَتْ رَأْسَهُ وَفَرَشَتْ
لَهُ فَنَامَ عَلَيْهِ . ثُمَّ إِنِّي أَطْلَعْتُ إِلَيْهِ وَقَالَتْ : أَظْنُكَ أَنْتَ صَاحِبُ
الْقَضِيَّةِ . فَقُلْتُ لَهَا : نَعَمْ . فَقَالَتْ : لَا بَأْسَ عَلَيْكَ وَلَا تَخَفْ . ثُمَّ
جَدَدْتُ لِي الْكِرَامَةَ فَأَقَمْتُ عِنْدَهَا ثَلَاثًا . ثُمَّ قَالَتْ لِي : إِنِّي خَائِفَةٌ
عَلَيْكَ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ (وَعَنْتُ زَوْجَهَا) لِئَلَّا يَطَّلِعَ عَلَيْكَ فَبَيْنَمَا بَكَ
فَالْأَوَّلَى بَكَ أَنْ تَنْجُو بِنَفْسِكَ فِي خَيْرٍ . فَسَأَلْتُهَا الْمُهَلَّةَ إِلَى اللَّيْلِ .
فَقَالَتْ : لَا بَأْسَ بِذَلِكَ . فَلَمَّا جَنَّ اللَّيْلُ لَبِسْتُ زِيَّ النِّسَاءِ وَخَرَجْتُ
مِنْ عِنْدِهَا وَاتَّيْتُ إِلَى بَيْتِ جَارِيَةٍ لِي . فَلَمَّا رَأَتْني بَكَتْ وَتَوَجَّعَتْ
وَحَمَدَتْ اللَّهَ عَلَى سَلَامَتِي وَخَرَجَتْ وَهِيَ تُوهَمُنِي أَنَّهَا تُرِيدُ السُّوقَ
لِلْإِهْتِمَامِ بِالضِّيَافَةِ وَظَنَنْتُ بِهَا خَيْرًا . فَمَا شَعَرْتُ إِلَّا بِأَبْرَهِيمَ الْمُوَصِّلِي
قَدْ أَقْبَلَ مُجْنِيهِ وَرَجُلِهِ وَالْجَارِيَةَ مَعَهُ . فَاسْلَمْتَنِي إِلَيْهِ فَرَأَيْتُ الْمَوْتَ

عَيَانًا . فَحَمَلُونِي بِالزَّيِّ الَّذِي أَنَا فِيهِ إِلَى الْمُأْمُونِ . فَعَقَدَ مَجْلِسًا عَامًّا
وَأَدْخَلَنِي إِلَيْهِ فَلَمَّا مَثَلْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ سَلَّمَ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ . فَقَالَ : لَا
سَلَامَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَلَا حَيَّاكَ وَلَا رَعَاكَ . فَقُلْتُ لَهُ : مَهْلَا يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ وَبِيَ الثَّارَ مُحْكَمٌ بِالْقِصَاصِ وَلَكِنَّ الْعَفْوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى .
وَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ فَوْقَ كُلِّ عَفْوٍ كَمَا جَعَلَ ذَنْبِي فَوْقَ كُلِّ ذَنْبٍ . فَإِنْ
تَقَتَّلَ فِعْدَلِكَ وَإِنْ تَعَفُّ فَمِنْ فَضْلِكَ . ثُمَّ أُنْشِدْتُ :

ذَنْبِي إِلَيْكَ عَظِيمٌ وَأَنْتَ أَعْظَمُ مِنْهُ

فَحُذِّ بِحُكْمِكَ أَوْ لَا فَاصْفَحْ بِحِلْمِكَ عَنْهُ

إِنْ لَمْ أَكُنْ عِنْدَ فِعْلِي مِنَ الْكِرَامِ فَكُنْهُ

قَالَ : فَرَفَعَ الْمُأْمُونُ رَأْسَهُ وَنَظَرَ إِلَيَّ فَبَدَرْتُهُ قَائِلًا :

أَتَيْتُ ذَنْبًا عَظِيمًا وَأَنْتَ لِلْعَفْوِ أَهْلٌ

فَإِنْ عَفَوْتَ فَمِنْ فَإِنْ قَتَلْتَ فَعَدْلٌ

فَرَفَعَ لِي الْمُأْمُونُ فَرَأَيْتُ وَجْهَهُ قَدْ هَشَّ وَاسْتَرْوَحَتْ رَوَائِحُ
الرَّحْمَةِ مِنْ شَمَائِلِهِ . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْعَبَّاسِ وَأَخِيهِ أَبِي إِسْحَاقَ وَجَمِيعٍ مِنْ
حَضَرَ مِنْ خَاصَّتِهِ وَقَالَ لَهُمْ : مَاذَا تَرَوْنَ فِي أَمْرِهِ فَكُلُّ أَشَارٍ بِقَتْلِي
إِلَّا أَنَّهُمْ اخْتَلَفُوا فِي الْقِتْلَةِ . فَقَالَ الْمُأْمُونُ لِأَحْمَدَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ : مَا تَقُولُ
يَا أَحْمَدُ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ قَتَلْتَهُ فَقَدْ وَجَدْنَا مِثْلَكَ قَدْ قُتِلَ
مِثْلُهُ . وَإِنْ عَفَوْتَ عَنْهُ لَمْ نَجِدْ مِثْلَكَ قَدْ عَفَا عَنْ مِثْلِهِ . فَتَنَكَّسَ الْمُأْمُونُ
رَأْسَهُ مُطْرِقًا إِلَى الْأَرْضِ سَاعَةً . ثُمَّ رَفَعَهُ وَأُنْشَدَ :

قَوْمِي هُمْ قَتَلُوا أَمِيرَ أَخِي فَأَذَارَمَيْتُ يُصِيبُنِي سَهْمِي
 (قَالَ) فَكَشَفْتُ عِنْدَ ذَلِكَ الْمُقَنِّعَةَ عَنْ رَأْسِي وَكَبَّرْتُ تَكْبِيرَةً عَظِيمَةً
 فَرَحًا وَقُلْتُ: عَفَا وَاللَّهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ الْمُأْمُونُ: لَا بَأْسَ عَلَيْكَ
 يَا عَمَّاهُ. فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ذَنْبِي أَعَظَمُ مِنْ أَنْ أَتَقَوَّهَ مَعَهُ بِعُذْرٍ
 وَعَفْوِكَ أَعَظَمُ مِنْ أَنْ أَنْطِقَ مَعَهُ بِشُكْرِ وَلَكِنِّي أَقُولُ:

إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الْمَكَارِمَ حَارَهَا فِي صُلْبِ آدَمَ لِلْإِمَامِ السَّابِعِ
 مُلِئَتْ قُلُوبُ النَّاسِ مِنْكَ مَهَابَةً وَتَظَلُّ تَكْلَأُهُمْ بِقَلْبٍ خَاشِعٍ
 فَعَفَوْتَ عَمَّنْ لَمْ يَكُنْ عَنْ مِثْلِهِ عَفْوٌ وَلَمْ يُشْفَعْ إِلَيْكَ بِشَافِعٍ
 وَرَحِمْتَ أَطْفَالَ كَأَفْرَاحِ الْقَطَا وَحَنِينَ وَالِدَةٍ بِقَلْبٍ جَارِعٍ
 فَقَالَ الْمُأْمُونُ: لَا تَثْرِبَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ. وَقَدْ عَفَوْتَ عَنْكَ وَرَدَدْتَ
 عَلَيْكَ مَا لَكَ وَضِيَاعَكَ بِأَجْمَعِهَا. فَقَبَّلْتُ الْأَرْضَ وَأَنشَدْتُ:

رَدَدْتَ مَا لِي وَلَمْ تَجْعَلْ عَلَيَّ بِهِ وَقَبْلَ رَدِّكَ مَا لِي قَدْ حَقَّتْ دَمِي
 نَأَيْتُ مِنْكَ وَقَدْ خَوَّلْتَنِي نِعَمًا هُمَا أَحْيَا تَانِ مِنْ مَوْتٍ وَمِنْ عَدَمٍ
 فَلَوْ بَذَلْتُ دَمِي أَبْغِي رِضَاكَ بِهِ وَالْمَالُ حَتَّى أَسْأَلَ النَّعْلَ مِنْ قَدَمِي
 مَا كَانَ ذَلِكَ سِوَى عَارِيَةٍ رَجَعْتُ إِلَيْكَ لَوْ لَمْ تُعْرِهَا كُنْتُ لَمْ تُلَمْ
 فَإِنْ جَعَدْتُكَ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ نِعَمٍ إِنِّي إِلَى اللُّؤْمِ أَوْلَى مِنْكَ بِالْكَرَمِ
 فَقَالَ الْمُأْمُونُ: إِنَّ مِنَ الْكَلَامِ لَدَرًّا وَهَذَا مِنْهُ. ثُمَّ خَافَ عَلَيَّ وَقَالَ
 لِي: يَا عَمُّ إِنَّ أَبَا إِسْحَاقَ أَخِي وَالْعَبَّاسَ أَشَارَا عَلَيَّ بِقَتْلِكَ. فَقُلْتُ لَهُ:
 إِنَّهُمَا نَصَحَاكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ بِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ. فَقَالَ

الْمَأْمُونُ : يَا عَمُّ لَقَدْ أَمَتَ حِفْدي بِحَيَاةِ عُذْرِكَ . وَقَدْ عَفَوْتُ عَنْكَ
وَلَمْ أُجْرِعْكَ مَرَارَةَ أَمْتَانِ الشَّافِعِينَ . ثُمَّ إِنَّ الْمَأْمُونَ سَجَدَ وَقَبَّلَ
الْأَرْضَ وَرَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ لِي : يَا عَمُّ أَتَدْرِي لِمَاذَا سَجَدْتُ وَقَبَّلْتُ
الْأَرْضَ . فَقُلْتُ : نَعَمْ أَظُنُّهُ شُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى الَّذِي أَظْفَرَكَ بَعْدَ
دَوْلَتِكَ . فَقَالَ : مَا أَرَدْتُ هَذَا وَلَكِنْ شُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى الَّذِي أَلْهَمَنِي
الْعَفْوَ عَنْكَ فَحَدَّثَنِي الْآنَ حَدِيثَكَ فِي اخْتِفَائِكَ . فَشَرَحْتُ لَهُ
صُورَةَ أَمْرِي مَعَ الْحُجَّامِ وَالْجُنْدِيِّ وَأَمْرَاتِهِ وَمَا جَرَى لِي مَعَ جَارِيَتِي .
فَأَمَرَ الْمَأْمُونُ بِإِحْضَارِ الْجَمِيعِ . فَعَدَا جَارِيَتِي وَكَانَتْ مُنْتَظِرَةً لِلْجَائِزَةِ .
فَقَالَ لَهَا : مَا مَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ بِسَيِّدِكَ . فَقَالَتْ : الرِّغْبَةُ فِي الْمَالِ .
فَقَالَ لَهَا الْمَأْمُونُ : أَلَيْكَ وَلَدٌ أَوْ زَوْجٌ . فَقَالَتْ : لَا . فَأَمَرَ بِضَرْبِهَا
مِائَةَ سَوْطٍ وَخَلَدَ سَجْنَهَا . ثُمَّ أَحْضَرَ الْجُنْدِيَّ وَأَمْرَاتَهُ وَالْحُجَّامَ . فَسَأَلَ
الْجُنْدِيَّ مَا حَمَلَهُ عَلَى مَا فَعَلَ . فَقَالَ : الرِّغْبَةُ فِي الْمَالِ . فَقَالَ لَهُ
الْمَأْمُونُ : أَنْتَ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ حَجَّامًا لِتَسْتَغِمَ الْحُجَّامَةُ . ثُمَّ طَرَدَهُ مِنَ
الْجُنْدِيَّةِ وَأَكْرَمَ زَوْجَتَهُ وَأَمَرَ فَأَدْخَلُوهَا قَصْرَهُ وَقَالَ : هَذِهِ أَمْرَاةُ
عَائِلَةٍ تَصْلُحُ لِلْمِهْمَاتِ . ثُمَّ أَلْتَقَتْ إِلَى الْحُجَّامِ وَقَالَ لَهُ : لَقَدْ ظَهَرَ مِنْ
مُرُوءَتِكَ مَا يُوجِبُ الْمُبَالَغَةَ فِي إِكْرَامِكَ . فَسَلَّمَ إِلَيْهِ دَارَ الْجُنْدِيِّ بِمَا
فِيهَا وَخَلَعَ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ رِزْقَ الْجُنْدِيِّ وَأَجْرِي لَهُ أَلْفَ دِينَارٍ فِي كُلِّ
سَنَةٍ . فَلَمْ يَزَلْ فِي تِلْكَ النِّعْمَةِ إِلَى أَنْ تَوَفَّاهُ اللَّهُ (حديقة الافراح لليمني)

الباب السادس عشر

في الفطاهات

٣١٣ كَتَبَ ابْنُ الْحَازِنِ الْكَاتِبُ الدِّيُورِيُّ إِلَى الْحَكِيمِ أَبِي الْقَاسِمِ الْأَهْوَازِيِّ وَقَدْ فَصَدَهُ وَالْمُه :

رَحِمَ إِلَاهُ مُجَدِّلِينَ سَلِمَهُمْ مِنْ سَاعِدَيْكَ مُبَضَّعٌ مُبَضَّعٌ
فَمَصَابُ تَأْتِيهِمْ بَعْصَابُ نَشَرَتْ فَطُوي أَدْرَعًا فِي الْأَدْرَعِ
أَفْصَدْتَهُمْ بِاللَّهِ أَمْ أَفْصَدْتَهُمْ وَخَرًّا بِأَطْرَافِ الرِّمَاحِ الشُّرَعِ
دَسْتُ الْمُبَاضِعِ أَمْ كِنَانَتُهُ أَسْهَمُ أَمْ ذُو الْقَمَارِ مَعَ الْبُطَيْنِ الْأَنْزَعِ
غَرَرًا بِنَفْسِي إِنْ لَقَيْتُكَ بَعْدَهَا يَاعَنْتَرِ الْعَبْسِيُّ غَيْرَ مُدْرِعِ
٣١٤ كَتَبَ بَعْضُ الظُّرَفَاءِ إِلَى صَاحِبِهِ لَهُ يَطْلُبُ خُمْرًا :

أَشْكُو إِلَيْكَ بَرَاغِيثًا بُلِيَّتُ بِهَا سُودًا إِذَا اتَّبَعُوا فِي اللَّيْلِ لَمْ أُنْمِ
أَصِيدُ هَذَا فَيَبْقَى ذَا فَيَلْدَغُنِي فَيَنْقِضِي اللَّيْلُ فِي صَيْدِي وَلَدَغُهُمْ
وَقَدْ تَقَيَّتُ أَتَيْ لَيْسَ يُقْذُنِي سَوَى ابْنَةِ الْكَرَمِ يَا ابْنَ الْجُودِ وَانْكَرَمْ
إِبْعَثْ إِلَيَّ دَمَ الْعُقُودِ أَشْرِبَهَا لَكِي أَنَا وَلَا أَشْعُرُ بِسَفْكِ دَمِي
٣١٥ قَالَ ابْنُ الدَّرَوِيِّ فِي ابْنِ أَبِي حُصَيْنَةَ الْأَحْدَبِ :

لَا تُظَانَّ حَدَبَةَ الظَّهْرِ عِيًّا فَهِيَ فِي الْحُسْنِ مِنْ صِفَاتِ الْهَلَالِ
وَكَذَلِكَ الْفَيْسِيُّ مُحْدُودَاتٌ وَهِيَ أَنْكَى مِنَ الطَّبَا وَالْعَوَالِي
وَإِذَا مَا عَلَا السَّامُ فِقِيهِهِ لِقُرُومِ الْجَمَالِ أَيْ جَمَالِ

كُونَ اللَّهُ حَدْبَةً فِيكَ إِنْ شِئْتَ مِنْ الْفَضْلِ لَا مِنْ الْإِفْضَالِ
 قَأَتِ رُبُوءَةً عَلَى طَوْدٍ حِلْمٍ مِنْكَ أَوْ مَوْجَةً بِبَحْرِ نَوَالٍ
 مَا رَأَتْهَا النِّسَاءُ إِلَّا تَمَنَّتْ أَنَّهَا حَلِيَّةٌ لِكُلِّ الرِّجَالِ
 ٣١٦ قَالَ ابْنُ دَانِيَالٍ فِي أَحَدَبَ يُسَمَّى حَسَّانَ :

قَسَمًا بِحُسْنِ قَوَامِكَ الْقَتَانِ يَا أَوْحَدَ الْأَمْرَاءِ فِي الْحُدْبَانِ
 يَا مُشْبِهَ الْفَضْلِ الرُّطِيبِ إِذَا انْتَنَى مِنْ حَدْبَةٍ فَيَمِيسُ كَالرَّيَّانِ
 يَا مُجْجَلًا شَكَلَ الزَّمَانِ بَقْدَهُ حَاشَاكَ أَنْ تُعْزَى إِلَى نُقْصَانِ
 مَا عَابَ قَامَتِكَ الْحُسُودُ جَهَالَةً إِلَّا أَجَبْتَ مَقَالَةً بَيَّانِ
 هَلْ تَحْسُنُ الْحَرَكَاتُ إِلَّا أَنْ يُرَى ذُو حَدْبَةٍ فِي حَابَةِ الْمِيدَانِ
 لَوْلَاكَ مَا اشْتَقْنَا قِيبَابَ الْمُتَحَنَّى مِنْ حَاجِرٍ وَالتَّلَّ مِنْ عُسْفَانِ
 وَالْعُودُ أَحَدَبُ وَهُوَ يُلْهِي مَطْرَبًا وَلَقَدْ تَحَمَّتْ بِنَفَمَةِ الْعِيدَانِ
 وَأَنْظُرْ سَفِينِ الْبَحْرِ لَوْلَا حَدْبَةُ فِي ظَهْرِهِ لَمْ يَقْوِ لِلطُّوفَانِ
 وَمُدَبِّرُ الْإِكْسِيرِ يُدْعَى أَحَدَبًا فِي عَامِهِ وَالْقَسْطُ فِي الْمِيزَانِ
 وَإِذَا اكْتَسَى الْإِنْسَانُ قِيلَ قَمَثُلًا بِالْمَذْحِ قَامَتِ حَدْبَةُ الْإِنْسَانِ
 يَفْدِيكَ فِي الْحُدْبَانِ كُلِّ مُكَرَّسٍ يَمْشِي الْهَوَيْنَا مِشْيَةَ السَّرَطَانِ
 مُتَجَمِّعِ الْكَفَّيْنِ أَقْوَسَ قَدْ بَدَأَ فِي هَيْئَةِ الْمُتَخَوِّفِ الضَّعْفَانِ

الطيب والحليقة

٣١٧ يُحْكِي أَنَّ فَلَاحًا حَصَلَ لَهُ شِدَّةٌ مِنْ مَرَضٍ آَلَهُ وَأَصَابَ قَدَمَهُ
 فَبَاءَ إِلَى طَيْبٍ وَشَكَا إِلَيْهِ الْآلَامَ وَقَالَ: أَلَمِي فِي رِجْلِي ضَاعَفَ هَمِّي

وَأَضْعَفَ هَمِيَّ . فَقَالَ لَهُ الطَّيِّبُ : لَا بَأْسَ يَا حَبِيبُ هَذَا هَمِيَّ .
وَعِلَاجُهُ بَيْنُ . أَعْطِنِي دِينَارًا أَصِفْ لَكَ دَوَاءً شَافِيًا . فَأَعْطَاهُ مَا أَسْتَهَيَّ
وَأَسْتَوْصَفُهُ الدَّوَاءَ . فَقَالَ صَمَدُهُ بِحُجَّةٍ بَيِّضٍ كَثِيرَةٍ الْأَبْزَارِ . وَضَعَ عَلَيْهِ
عَسَلًا مُسَخَّنًا عَلَى النَّارِ . فَفَعَلَ ذَلِكَ فَتَبَرَّتْ قَدَمُهُ . وَزَالَ بِالْكَلِّ الْمَلُومُ .
فَفَكَّرَ الْفَلَّاحُ فِي أَمْرِ الطَّيِّبِ . وَقَوْلِهِ الْمُصِيبِ . فَرَأَى الرَّاحَةَ . فِي
تَرْكِ الْفِلَاحَةِ . وَالْإِسْتِغَالَ يَعْلَمُ الطَّبَّ فَإِنَّهُ أَمْرٌ هَيْنٌ يُسِيرُ . وَيَأْتِي
أَمْرٌ حَقِيرٌ . يُحْصِلُ الْمَالُ الْكَثِيرَ . فَبَاعَ آتِ الزَّرَاعَةِ . وَعَزَمَ عَلَى تَعَاطِي
مَا فِي الطَّبِّ وَالتَّعْبِيرِ مِنَ الصَّنَاعَةِ . وَجَمَعَ كُتُبًا وَدَقَاتِرَ . وَكَرَّارِيسَ مُخَرَّمَةً
مَنَائِرَ . وَوَسَّعَ أَكَامَهُ . وَوَضَعَ عَلَى رَأْسِهِ عِمَامَةً كَغَمَامَةٍ . وَجَمَعَ عَقَاقِيرَ
وَأَوْرَاقًا وَبَسَطَ بُسْطُهُ فِي بَعْضِ الْأَسْوَاقِ وَأَشَارَ عَلَى لِسَانِ مُخْبِرٍ : أَنَّ
الْمَكَانَ الْفُلَانِيَّ فِيهِ طَبِيبٌ مُعَبَّرٌ وَهُوَ أَسْتَاذُ الزَّمَانِ وَعَلَامَةُ الْأَوَانِ .
وَتَلَامِيذُهُ فِي الطَّبِّ حُكَمَاءُ الْيُونَانِ . وَفِي التَّعْبِيرِ ابْنُ سِيرِينَ وَكَرْمَانُ .
وَتَصَدَّرَ كَأَيُّ زَيْدٍ وَسَاسَانُ . عَامِلًا بِمَا قَالَهُ شَيْخُ الْبَيَانِ وَهُوَ :

الطَّبُّ أَهْوَنُ عِلْمٍ يُسْتَفَادُ فَطَرُ
وَأَجْمَعَ لِذَلِكَ كَرَّارِيسًا مُنْتَرَةً
وَضَعَ عَلَى الرَّأْسِ بَقِيَارًا تُدَوِّرُهُ
وَأَجْمَعَ مَعَاجِينَ مِنْ رُبِّ تَحْطِطُهَا
وَسَمَّ مَا شَتَّتَ مِنْ أَسْمَاءٍ مُغَرَّبَةٍ
وَقُلَّ مِنَ الْهِنْدِ جَاهُذَا وَمِنْ عَدَنِ
بَيْنَ الْأَنَامِ بِهِ طَيْرُ الزَّنَابِيرِ
وَجَمَلَةٌ مِنْ حَشِيشٍ مِنْ عَقَاقِيرِ
كَثْبَةُ النَّسْرِ فِي وَزَنِ الْقُنَاطِيرِ
وَأَسْحَقُ سَفُوفًا وَكُحَالُ الْعَوَاوِيرِ
كَالسِّنْدِ وَالْهِنْدِ وَالسَّرْحَا وَخُفُورِ
هَذَا وَهَذَا أَتَى مِنْ مُلْكٍ تَقْفُورِ

وَذَا مِنَ الْبَحْرِ بَحْرُ الصَّيْنِ مَعْدِنُهُ وَذَا مِنَ الْبَرِّ بَرُّ الْمَدْعُو بِبُرْبُورٍ
فَإِنْ رَأَيْتَ بِالْأَسْتِسْقَاءِ ذَا وَرَمٍ قُلْ تَوَرَّمٌ مِنْ لَسَعِ الزَّنَائِيرِ
إِنْ أَقْشَرَ قُلْ بَرْدُ عَرَاهُ وَإِنْ يُحْمَ قُلْ حَرُّهُ وَهَجُّ التَّكَايِيرِ
وَإِنْ أَنْتَ مَرِيضٌ لَا تَخَفْ وَأَشِرْ بَمَا تَرَى مِنْ دَوَاءٍ دُونَهُ الْبُورِي
فَإِنْ يَبْعَثُ قُلْ دَوَائِي كَانَ مُنْعِشُهُ وَإِنْ يَمُتْ قُلْ أَتَاهُ جُحْمُ مَقْدُورِ
فَإِنْ أَصَبْتَ قُلْ عَلِمِي وَمَعْرِفَتِي وَفِي التَّخَالُفِ قُلْ ضِدُّ الْمَقَادِيرِ
وَإِنْ رَأَيْتَ فَقِيهًا فَرِّ مِنْهُ وَلَا تَنْطِقْ يُخْطِئُكَ فِي جَهْلٍ وَتَكْفِيرِ
وَأَنْتَ تَحْتَاجُ فِي هَذَا وَذَلِكَ إِلَى ذَوْقٍ وَمَعْرِفَةٍ مَعَ حُسْنِ تَدْبِيرِ
فَأَتَقَنَّ أَنْ زِمَامَ خَلِيفَةِ الْأَنَامِ رَأَى فِي الْمَنَامِ شَيْئًا هَالَهُ وَغَيْرِ
حَالَهُ فَحَصَلَ لَهُ فِي رَأْسِهِ صُدَاعٌ وَفِي فُؤَادِهِ أَوْجَاعٌ فَسَمِعَ بِهَذَا الْمُعْبِرِ
الْجَدِيدِ . وَأَنَّهُ أَسْتَاذٌ مُفِيدٌ فَقَالَ : مَاذَا تَشْكُو . فَقَالَ : فِي فُؤَادِي
أَوْجَاعٌ . وَفِي رَأْسِي صُدَاعٌ . فَقَالَ : يَا زَيْنَ مَنْ فَاحِرَ . أَعْطِنِي دِينَارًا
آخَرَ . أَصِفْ لَكَ أَلْسَرَ دَوَاءً . يَحْصُلُ لَكَ مِنْهُ الْعَافِيَةُ وَالشِّفَاءُ .
فَدَفَعَ إِلَيْهِ الدِّينَارَ . وَطَلَبَ مِنْهُ دَوَاءَ الدُّوَارِ . وَمَا بِفُؤَادِهِ مِنْ أَلَمٍ .
أَوْزَنَهُ الْوُجَعُ وَالضَّرَمُ . فَقَالَ : يَا أَبَا الْفَيْضِ . صَدِّ رَجُلًا بِحُجَّةٍ بَيِّضِ .
مُضَافًا إِلَيْهَا عَسَلٌ مُشْتَارٌ . وَلَيْكُنْ ذَلِكَ مُسَخَّنًا بِالنَّارِ . فَاسْتَشَاطَ غَضَبًا .
وَفَارَ كَالنَّارِ شَوَاطِئًا وَلَهَبًا . وَعَرَفَ أَنَّهُ جَاهِلٌ . وَعَنْ طُرُقِ الْعِلْمِ غَافِلٌ .
فَادَّبَهُ التَّلَادِبُ الْبَالِغُ . وَرَدَّهُ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ مُنَادِمَةِ السَّالِغِ . وَاسْتَمَرَ
عَلَى كَلَالَتِهِ . بَعْدَ رُجُوعِهِ إِلَى فِلَاحَتِهِ (فَاكْهَةِ الْخُلَفَاءِ لَا بَنَ عَرَبِشَاه)

الفضل بن يحيى والاعرابي

٣١٨ وَمَا جَاءَ مِنْ أَخْبَارِ الْبَرَامِكَةِ مَا رَوَاهُ الْأَصْمَعِيُّ قَالَ خَرَجَ الْفَضْلُ لِلصَّيْدِ وَالْقَنْصِ. وَبَيْنَمَا هُوَ فِي مَوْكِهِ إِذْ رَأَى أَعْرَابِيًّا عَلَى نَاقَةٍ قَدْ أَقْبَلَ مِنْ صَدْرِ الْبَرِيَّةِ يَرْكُضُ فِي سَيْرِهِ. قَالَ: هَذَا يَهْصِدُنِي فَلَا يَكْلُمُهُ أَحَدٌ غَيْرِي. فَلَمَّا دَنَا الْأَعْرَابِيُّ وَرَأَى الْمَضَارِبَ تُضْرَبُ. وَالْحِيَامُ تُنْصَبُ. وَالْعَسْكَرُ الْكَثِيرُ. وَالْجَمُّ الْغَفِيرُ. وَسَمِعَ الْغَوْغَاءَ وَالصَّخَجَةَ ظَنَّ أَنَّهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ. فَزَلَّ وَعَقَلَ رَاحِلَتَهُ وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ وَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ. قَالَ: أَخْفِضْ عَلَيْكَ مَا تَقُولُ. فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ. قَالَ: الْآنَ قَارَبْتَ أَجْلِسْ فَجَلَسَ الْأَعْرَابِيُّ. فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ: مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ يَا أَخَا الْعَرَبِ. قَالَ: مِنْ قُضَاعَةَ. قَالَ: مِنْ أَدْنَاهَا أَوْ مِنْ أَقْصَاهَا. قَالَ: مِنْ أَقْصَاهَا. فَقَالَ يَا أَخَا الْعَرَبِ: مِثْلَكَ مَنْ يَهْصِدُ مِنْ ثَمَانِيَةَ فَرَسَخٍ إِلَى الْعِرَاقِ لِأَيِّ شَيْءٍ. قَالَ: قَصَدْتُ هَؤُلَاءِ الْأُمَاةِ الْأَنْجَادِ الَّذِينَ قَدْ أَشْتَهَرَ مَعْرُوفُهُمْ فِي الْبِلَادِ. قَالَ: مَنْ هُمْ. قَالَ: الْبَرَامِكَةُ. قَالَ الْفَضْلُ: يَا أَخَا الْعَرَبِ إِنَّ الْبَرَامِكَةَ خَلَقَ كَثِيرٌ. وَفِيهِمْ جَلِيلٌ وَخَطِيرٌ. وَلِكُلِّ مِنْهُمْ خَاصَّةٌ وَعَامَّةٌ. فَهَلْ أَفَرَزْتَ لِنَفْسِكَ مِنْهُمْ مَنْ اخْتَرْتَ لِنَفْسِكَ وَآتَيْتَهُ لِحَاجَتِكَ. قَالَ: أَجَلْ أَطَوَّلُهُمْ بَاعًا وَأَسْمَحُهُمْ كُفًّا. قَالَ: مَنْ هُوَ. قَالَ: الْفَضْلُ ابْنُ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ. فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ: يَا أَخَا الْعَرَبِ إِنَّ الْفَضْلَ جَلِيلُ الْقَدْرِ عَظِيمُ الْخَطَرِ. إِذَا جَلَسَ لِلنَّاسِ مَجْلِسًا عَامًا لَمْ يَحْضُرْ مَجْلِسُهُ

إِلَّا الْعُلَمَاءُ وَالْفُقَهَاءُ وَالْأَدَبَاءُ وَالشُّعْرَاءُ وَالْكَتَّابُ وَالْمُنَاطِرُونَ لِلْعِلْمِ .
 أَعْلِمُ أَنْتَ . قَالَ : لَا . قَالَ : أَفَأَدِيبُ أَنْتَ . قَالَ : لَا . قَالَ : أَفَعَارِفُ
 أَنْتَ بِأَيَّامِ الْعَرَبِ وَأَشْعَارِهَا . قَالَ : لَا . قَالَ : وَرَدْتَ عَلَى الْفَضْلِ
 بِكِتَابٍ وَسِيْلَةٍ . قَالَ : لَا . فَقَالَ : يَا أَخَا الْعَرَبِ غَرَّكَ نَفْسُكَ . مِثْلَكَ
 يَقْصِدُ الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى وَهُوَ مَا عَرَفْتُكَ عَنْهُ مِنَ الْجَلَالَةِ . بَايَ ذَرِيعَةٍ
 أَوْ وَسِيْلَةٍ تَقْدُمُ عَلَيْهِ . قَالَ : وَاللَّهِ يَا أَمِيرُ مَا قَصَدْتُهِ إِلَّا لِإِحْسَانِهِ
 الْمَعْرُوفِ . وَكَرَّمِهِ الْمَوْصُوفِ . وَبَيْتَيْنِ مِنَ الشَّعْرِ قَاتَمْتُمَا فِيهِ . فَقَالَ
 الْفَضْلُ : يَا أَخَا الْعَرَبِ أَلْتَشِدُّنِي الْبَيْتَيْنِ فَإِنْ كَانَا يَصْلُحَانِ أَنْ تُلْقَاهُ
 بِهِمَا أَشَرْتُ عَلَيْكَ بِلِقَائِهِ . وَإِنْ كَانَا لَا يَصْلُحَانِ أَنْ تُلْقَاهُ بِهِمَا بَرَرْتُكَ
 بِشَيْءٍ مِنْ مَالِي وَرَجَعْتُ إِلَى بَادِيَتِكَ وَإِنْ كُنْتُ لَمْ تَسْتَحِقَّ بِشِعْرِكَ
 شَيْئًا . قَالَ : أَفَفَعَلُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَإِنِّي أَقُولُ :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْجُودَ مِنْ عَهْدِ آدَمَ تَحَدَّرَ حَتَّى صَارَ يَمْتَصُّهُ الْفَضْلُ
 وَلَوْ أَنَّ أُمَّا مَسَّهَا جُوعٌ طِفْلَهَا غَذَّاهُ بِالْفَضْلِ لَاغْتَدَّى الطِّفْلُ
 قَالَ : أَحْسَنْتَ يَا أَخَا الْعَرَبِ . فَإِنْ قَالَ لَكَ هَذَانِ الْبَيْتَانِ قَدْ مَدَحْنَا
 بِهِمَا شَاعِرٌ وَأَخَذَ الْجَائِزَةَ عَلَيْهِمَا فَأَنْشِدْنِي غَيْرَهُمَا . فَمَا تَقُولُ . قَالَ أَقُولُ :
 قَدْ كَانَ آدَمُ حِينَ حَانَ وَقَاتُهُ أَوْصَاكَ وَهُوَ يَجُودُ بِالْحَوْبَاءِ
 بَنِيهِ أَنْ تَرَعَاهُمْ فَرَعَيْتَهُمْ وَكَفَيْتَ آدَمَ عَوْلَةَ الْأَبْنَاءِ
 قَالَ : أَحْسَنْتَ يَا أَخَا الْعَرَبِ . فَإِنْ قَالَ لَكَ الْفَضْلُ مُتَحَنِّنًا . هَذَانِ
 الْبَيْتَانِ أَخَذْتَهُمَا مِنْ أَفْوَاهِ النَّاسِ . فَأَنْشِدْنِي غَيْرَهُمَا . فَمَا تَقُولُ وَقَدْ

رَمَقْتُكَ الْأَدْبَاءَ بِالْأَبْصَارِ وَامْتَدَّتِ الْأَعْنَاقُ إِلَيْكَ وَتَحْتَاجُ أَنْ تَنَاضِلَ
عَنْ نَفْسِكَ . قَالَ : إِذْنُ أَقُولُ :

مَلَّتْ جَهَائِدُ فَضْلِ وَزْنِ نَائِلِهِ وَمَلَّ كِتَابُهُ إِخْصَاءَ مَا يَهَبُ
وَاللَّهُ لَوْلَاكَ لَمْ يَمْدَحْ بِمَكْرُمَةٍ خَلَقَ وَلَمْ يَرْتَفِعْ بِمَجْدٍ وَلَا حَسْبُ
قَالَ : أَحْسَنْتَ يَا أَخَا الْعَرَبِ . فَإِنْ قَالَ لَكَ الْفَضْلُ هَذَانِ الْبَيْتَانِ
مَسْرُوقَانِ . أَتَشِدُّنِي غَيْرَهُمَا . فَمَا تَقُولُ : قَالَ : إِذْنُ أَقُولُ :

وَلَوْ قِيلَ لِلْمَعْرُوفِ نَادِرُ أَخَا الْعُلَا لَنَادَى بِأَعْلَى الصَّوْتِ يَا فَضْلُ يَا فَضْلُ
وَلَوْ أَنْفَقْتَ جَدًّا لَمْ يَرْمَلْ عَالِجٌ لِأَصْبَحَ مِنْ جَدِّ وَكَأَنَّكَ نَفْدُ الرَّمْلِ
قَالَ : أَحْسَنْتَ يَا أَخَا الْعَرَبِ فَإِنْ قَالَ لَكَ الْفَضْلُ : هَذَانِ

الْبَيْتَانِ مَسْرُوقَانِ أَيْضًا . أَتَشِدُّنِي غَيْرَهُمَا فَمَا تَقُولُ : قَالَ أَقُولُ :
وَمَا النَّاسُ إِلَّا أَثْنَانِ صَبٌّ وَبَازِلٌ وَإِنِّي لَذَاكَ الصَّبِّ وَالْبَازِلِ الْفَضْلُ
عَلَى أَنْ لِي مِثْلًا إِذَا ذَكَرَ الْوَرَى وَلَيْسَ لَفَضْلٍ فِي سَمَاحَتِهِ مِثْلُ
قَالَ : أَحْسَنْتَ يَا أَخَا الْعَرَبِ . فَإِنْ قَالَ لَكَ الْفَضْلُ : أَتَشِدُّنِي
غَيْرَهُمَا فَمَا تَقُولُ . قَالَ : أَقُولُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ :

حَكَى الْفَضْلُ عَنْ نِيحِي سَمَاحَةَ خَالِدٍ فَقَامَتْ بِهِ التَّقْوَى وَقَامَ بِهِ الْعَدْلُ
وَقَامَ بِهِ الْمَعْرُوفُ شَرْقًا وَمَغْرِبًا وَلَمْ يَكْ لِلْمَعْرُوفِ بَعْدُ وَلَا قَبْلُ
قَالَ : أَحْسَنْتَ . فَإِنْ قَالَ لَكَ : قَدْ ضَجِرْنَا مِنْ الْقَاضِلِ وَالْمَفْضُولِ
أَتَشِدُّنِي بَيْنَيْنِ عَلَى الْكُنْيَةِ لَا عَلَى الْأِسْمِ فَمَا تَقُولُ . قَالَ : إِذْنُ أَقُولُ :
أَلَا يَا أَبَا الْعَبَّاسِ يَا وَاحِدَ الْوَرَى وَيَا مَلِكًا خَدُّ الْمُلُوكِ لَهُ نَعْلُ

إِلَيْكَ تَسِيرُ النَّاسُ شَرْقًا وَمَغْرِبًا فُرَادَى وَازْوَاجًا كَانَهُمْ تَحُلُ
 قَالَ : أَحْسَنْتَ يَا أَخَا الْعَرَبِ فَإِنْ قَالَ لَكَ الْفَضْلُ . اُنْشِدْنَا غَيْرَ
 الْأَسْمِ وَالْكُنْيَةِ وَالْقَافِيَةِ . قَالَ : وَاللَّهِ لَنْ زَادَنِي الْفَضْلُ وَامْتَحَنِي
 بَعْدَ هَذَا لَا قَوْلَنْ أَرْبَعَةَ آيَاتٍ مَا سَبَقَنِي إِلَيْهِنَّ عَرَبِيٌّ وَلَا أَعْجَبِي .
 وَلَنْ زَادَنِي بَعْدَهَا لَأَجْعَنَّ قَوَائِمَ نَاقَتِي هَذِهِ وَأَجْعَلُهَا فِي فَمِ الْفَضْلِ .
 وَلَا زَجْعَنَّ إِلَى قُضَاعَةِ خَاسِرٍ وَلَا أَبَالِي . فَكَسَّ الْفَضْلُ رَأْسَهُ وَقَالَ
 لِلْأَعْرَابِيِّ : يَا أَخَا الْعَرَبِ أَسْمِعْنِي الْآيَاتِ الْأَرْبَعَةَ . قَالَ أَقُولُ :
 وَلَا نِيَّةَ لَأَمْتِكَ يَافُضْلُ فِي النَّدَى فَقُلْتُ لَهَا هَلْ يَبْدَحُ الْيَوْمُ فِي الْبَحْرِ
 أَنْتِهِنَّ فَضْلًا عَنْ عَطَايَاهُ لِلْوَرَى . فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْهَى السَّحَابَ عَنِ الْقَطْرِ
 كَانَ نَوَالُ الْفَضْلِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ تَحْدُرُ مَاءُ الْمُرْنِ فِي مَهْمِهِ قَفَرٍ
 كَانَ وَفُودَ النَّاسِ فِي كُلِّ وَجْهَةٍ إِلَى الْفَضْلِ لَاقُوا عِنْدَهُ أَيْلَةَ الْقَدْرِ
 قَالَ فَأَمْسَكَ الْفَضْلُ عَنْ فِيهِ وَسَقَطَ عَلَى وَجْهِهِ ضَاحِكًا . ثُمَّ رَفَعَ
 رَأْسَهُ . وَقَالَ : يَا أَخَا الْعَرَبِ أَنَا وَاللَّهِ الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى . سَلْ مَا شِئْتَ .
 فَقَالَ : سَأَلْتُكَ بِاللَّهِ أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِنَّكَ لَهْوٌ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ لَهُ :
 فَأَقِلْنِي قَالَ : أَقَالَكَ اللَّهُ أَذْكَرَ حَاجَتِكَ . قَالَ عَشْرَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ .
 قَالَ الْفَضْلُ : أُرْذَرَيْتَ بِنَاوِنَفْسِكَ يَا أَخَا الْعَرَبِ . تُعْطَى عَشْرَةُ آلَافٍ
 دِرْهَمٍ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ وَأَمْرٍ بِدَفْعِ الْمَالِ . فَلَمَّا صَارَ الْمَالُ إِلَيْهِ
 حَسَدَهُ وَزِيرُ الْفَضْلِ وَقَالَ : يَا مَوْلَايَ هَذَا إِسْرَافٌ . يَا تَيْكَ جَلْفٌ مِنْ
 أَجْلَافِ الْعَرَبِ بِآيَاتٍ اسْتَرْقَقَهَا مِنْ أَشْعَارِ الْعَرَبِ فَخِزْ بِهِ هَذَا الْمَالُ .

فَقَالَ: اسْتَحَقَّهُ بِحُضُورِهِ إِنِّيَا مِنْ أَرْضِ قُضَاعَةَ. قَالَ الْوَزِيرُ: أَقْسَمْتُ
عَلَيْكَ إِلَّا أَخَذْتَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِكَ وَرَكَبْتَهُ فِي كَبِدِ قَوْسِكَ
وَأَوَمَّاتَ بِهِ إِلَى الْأَعْرَابِيِّ. فَإِنْ رَدَّ عَنْ نَفْسِهِ بَيْتَ مِنَ الشَّعْرِ. وَإِلَّا
فَأَسْتَغْفِرُ مَالَكَ وَيَكُونُ لَهُ فِي بَعْضِهِ كَفَايَةٌ. فَأَخَذَ الْفَضْلُ سَهْمًا
وَرَكَبَهُ فِي كَبِدِ قَوْسِهِ وَأَوَمَّاتَ بِهِ إِلَى الْأَعْرَابِيِّ وَقَالَ لَهُ: رُدَّ سَهْمِي
بَيْتَ مِنَ الشَّعْرِ فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

لَقَوْسُكَ قَوْسُ الْجُودِ وَالْوَتْرُ النَّدَى وَسَهْمُكَ سَهْمُ الْغِرِّ قَارِمٍ بِهِ قَهْرِي
قَالَ فَضَحَكَ الْفَضْلُ وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

إِذَا مَلَكَتْ كَفِّي مَنْأَلًا وَلَمْ أَنْلِ فَلَا تَبْسُطْ كَفِّي وَلَا تَهَضَّ رَجْلِي
عَلَى اللَّهِ إِخْلَافُ الَّذِي قَدْ بَذَلْتَهُ فَلَا مُبْقِيَ لِي بِجُلِي وَلَا مُتْلِفِي بَذْلِي
أَرُونِي بِخَيْلٍ نَالٍ مَجْدًا بِجُلِّهِ وَهَاتُوا كَرِيمَاتٍ مِنْ كَثْرَةِ الْبَذْلِ
ثُمَّ قَالَ الْفَضْلُ لَوَزِيرِهِ: أَعْطِ الْأَعْرَابِيَّ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ لِقَصْدِهِ
وَشِعْرِهِ وَمِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ لِيَكْفِينَا شَرَّ قَوَائِمِ نَاقَتِهِ. فَأَخَذَ الْأَعْرَابِيُّ
الْمَالَ وَأَنْصَرَفَ. وَهُوَ يَبْكِي فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ: مِمَّ بَكَوْكَ يَا أَعْرَابِيَّ.
أَسْتَقْلَالَ لِلْمَالِ الَّذِي أُعْطِينَاكَ. قَالَ: لَا وَلَكِنِّي أَبْكِي عَلَى مِثْلِكَ يَا كَلُّهُ
الْتَرَابُ وَتَوَارِيهِ الْأَرْضُ. وَتَذَكَّرْتُ قَوْلَ الشَّاعِرِ:

لَعَمْرُكَ مَا الرِّزْيَةُ فَقْدُ مَالٍ وَلَا فَرَسٌ يَمُوتُ وَلَا بَعِيرٌ
وَلَكِنَّ الرِّزْيَةَ فَقْدُ حَرٍّ يَمُوتُ لِمَوْتِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ

ثُمَّ أَنْصَرَفَ الْأَعْرَابِيُّ مُسْرُورًا (اعلام الناس للتليدي)

الباب السابع عشر في المنسول

مدينة الزهراء في الاندلس

٣١٩ كَانَ الْخَلِيفَةُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ النَّاصِرُ كَلَفًا بِعِمَارَةِ الْأَنْدَلُسِ وَإِقَامَةِ
مَعَالِمِهَا وَتَحْلِيدِ الْأَثَارِ الدَّلَالَةِ عَلَى قُوَّةِ الْمَلِكِ وَعِزَّةِ السُّلْطَانِ . فَأَفْضَى بِهِ
الْإِغْرَاقُ فِي ذَلِكَ إِلَى أَنْ ابْتَنَى مَدِينَةَ الزَّهْرَاءِ الْبِنَاءَ الشَّائِعَ ذِكْرُهُ
الْمُنْتَشِرَ صَيْتُهُ . وَاسْتَفْرَغَ جَهْدَهُ فِي تَمِيمِهَا وَإِتْقَانِ قُصُورِهَا وَزُخْرَفَةِ
مَصَانِعِهَا . فَاسْتَدْعَى عُرَفَاءَ الْمُهَنْدِسِينَ وَحَشَدَ بُرْعَاءَ الْبَنَائِينَ مِنْ كُلِّ قَطْرِ
قَوْقُدُوا عَلَيْهِ حَتَّى مِنْ بَعْدَادَ وَالْقُسْطَنْطِينَةِ . ثُمَّ أَخَذَ فِي بِنَاءِ الْمُسْتَشْرَهَاتِ
وَأِنْشَاءِ مَدِينَةِ الزَّهْرَاءِ الْمَوْصُوفَةِ بِالْقُصُورِ الْبَاهِرَةِ . وَأَقَامَهَا بِطَرِيقِ
الْبَلَدِ عَلَى ضَفَّةِ نَهْرِ قَرْطَبَةٍ . وَنَسَقَ فِيهَا كُلَّ اقْتِدَارٍ مُجَيِّزٍ وَنِظَامٍ .
وَكَانَ قَصْرُ الْخَلِيفَةِ مُتَنَاهِيًا فِي الْجَلَالَةِ وَالْفَخَامَةِ . أَطْبَقَ النَّاسُ عَلَى أَنَّهُ لَمْ
يُبْنَ مِثْلُهُ فِي الْإِسْلَامِ الْبَتَّةَ . وَمَادَّ خَلَّ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ سَائِرِ الْبِلَادِ النَّائِيَةِ
وَالْتَحَلَ الْمُخْتَلَفَةَ إِلَّا وَكُلَّهُمْ قَطَعَ أَنَّهُ لَمْ يَرَلْهُ شَيْهًا بَلْ لَمْ يَسْمَعْ بِهِ بَلْ لَمْ
يَتَوَهَّمْ كَوْنَ مِثْلِهِ . وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ إِلَّا السَّطْحُ الْمُرْدُّ الْمُشْرِفُ عَلَى
الرَّوْضَةِ الْمُبَاهِي بِمَجْلِسِ الذَّهَبِ وَالْقُبَّةِ . وَعَجِيبَ مَا تَصَنَّمَهُ مِنْ إِتْقَانِ
الصَّنْعَةِ وَفَخَامَةِ الْهَمَّةِ وَحُسْنِ الْمُسْتَشْرِفِ وَرَاعَةِ الْمَلْبَسِ وَالْحُلَّةِ مَا بَيْنَ
مَرْمَرٍ مَسْنُونٍ وَذَهَبٍ مَصُونٍ وَعَمَدٍ كَانَمَا أَفْرِغَتْ فِي الْقَوَالِبِ . وَقَتَائِلَ

لَا تُهْدَى الْأَوْهَامُ إِلَى سَبِيلِ اسْتِقْصَاءِ التَّعْبِيرِ عَنْهَا (لَكُنِّي مَثَلًا). وَكُنْتُ
 تَرَى فِي مَقْصُورَةِ الْخَلِيفَةِ بَرَكَةً يَجْرِي الْمَاءُ فِيهَا بِصَنْعَةِ مُحْكَمَةٍ وَفِي وَسْطِهَا
 يَعمُومُ اسْدُ عَظِيمُ الصُّورَةِ بَدِيعُ الصَّنْعَةِ شَدِيدُ الرُّوعَةِ. لَمْ يُشَاهَدْ أَبْهَى
 مِنْهُ فِيمَا صَوَّرَ الْمُلُوكُ فِي غَايِرِ الدَّهْرِ. مَطْلِي بِذَهَبٍ إِبْرِيْزٍ وَعَيْنَاهُ
 جَوْهَرَتَانِ لَهَا وَبَيْضٌ شَدِيدٌ. فَيَمُجُّ الْمَاءُ فِي تِلْكَ الْبَرَكَةِ مِنْ فِيهِ فَيَبْهَرُ
 الْمُنَاطِرُ بِحُسْنِهِ وَرُّوعَةِ مَنْظَرِهِ وَتَحَاجَةِ صَبِّهِ. فَتُسْقَى مِنْ مُجَاجِهِ جَنَانُ هَذَا
 الْقَصْرِ عَلَى سَعَتِهَا وَيَسْتَقْبِضُ عَلَى سَاحَاتِهِ وَجَنَابَتِهِ. وَهَذِهِ الْبَرَكَةُ
 وَتَمَثَّلُهَا مِنْ أَعْظَمِ آثَارِ الْمُلُوكِ فِي غَالِبِ الدَّهْرِ لِخِمَامَةِ بُيُوتِهَا. وَمَا
 يَخْصُ سَائِرَ الْبَنَائِيَّاتِ فَكَانَ النَّاصِرُ قَدْ جَلَبَ إِلَيْهَا الرُّخَامَ الْأَبْيَضَ
 الْمَجْمُوعَ مِنْ رِيَّةٍ وَالْأَبْيَضَ مِنْ غَيْرِهَا وَالْوَرْدِيَّ وَالْأَخْضَرَ مِنْ أَفْرِيقَةِ
 وَبَنَى فِي الْقَصْرِ الْمَجْلِسَ وَجَعَلَ فِي وَسْطِهِ الْيَسِيْمَةَ الَّتِي اتَّخَفَ النَّاصِرُ
 بِهَا الْيُونُ مَلَكُ قُسْطَنْطِيْنِيَّةٍ. وَكَانَتْ قَرَامِدُ هَذَا الْقَصْرِ مِنْ
 الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَهَذَا الْمَجْلِسُ فِي وَسْطِهِ صَهْرٌ يَمُجُّ عَظِيمٌ مَمْلُوءٌ بِالزَّبَقِ.
 وَكَانَ فِي كُلِّ جَانِبٍ مِنْ هَذَا الْمَجْلِسِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ قَدْ انْعَقَدَتْ عَلَى حَنَائِيَا
 مِنْ الْعَاجِ وَالْأَبْنُوسِ الْمُرَصَّعِ بِالذَّهَبِ وَأَصْنَافِ الْجَوَاهِرِ قَامَتْ عَلَى
 سَوَارٍ مِنَ الرُّخَامِ الْمَلُونِ وَالْبَلُورِ الصَّافِي. وَكَانَتِ الشَّمْسُ تَدْخُلُ
 عَلَى تِلْكَ الْأَبْوَابِ فَيَضْرِبُ شُعَاعُهَا فِي صَدْرِ الْمَجْلِسِ وَحَيْطَانِهِ فَيَصِيرُ
 مِنْ ذَلِكَ نُورٌ يَأْخُذُ بِالْأَبْصَارِ. وَكَانَ بِنَاءُ الزَّهْرَاءِ فِي غَايَةِ الْإِتْقَانِ
 وَالْحُسْنِ وَبِهَا مِنَ الْمُرَمِيِّ وَالْعَمَدِ كَثِيرٌ وَاجْرَى فِيهَا الْمِيَاءُ وَأَحْدَقَ بِهَا

الْبَسَاتِينَ وَقَدْ أَتَقَنَهُ إِلَى الْغَايَةِ وَأَنْفَقَ عَلَيْهِ أَمْوَالًا طَائِلَةً . وَوَضَعَ فِي
وَسَطِ الْخَبِيرَةِ قُبَّةً مِنْ زُجَاجٍ مُلَوَّنٍ مَنقُوشٍ بِالذَّهَبِ وَجَلَبَ الْمَاءَ عَلَى
رَأْسِ الْقُبَّةِ بِتَدْبِيرِ أَحْكَمِ الْمُهَنْدِسِينَ . فَكَانَ الْمَاءُ يَنْزِلُ مِنْ أَعْلَى الْقُبَّةِ
عَلَى جَوَانِبِهَا مُحِيطًا بِهَا وَيَتَّصِلُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ وَكَانَتْ قُبَّةُ الزُّجَاجِ فِي
غَلَالَةِ تَمَّاسِكٍ خَلْفَ الزُّجَاجِ لَا يَفْتَرُّ مِنَ الْجَرِيِّ وَتَوْقُدُ فِيهَا الشَّمْعُ
فَيُرَى لِذَلِكَ مَنْظَرٌ بَدِيعٌ . وَتَمَّ بِنَاءُ الزَّهْرَاءِ بِأَرْبَعِينَ سَنَةً (المقري)

عجائب مصر منها المقياس والاهرام والنيل

٣٢٠ قَالَ ضِيَاءُ الدِّينِ بْنِ الْأَثِيرِ فِي وَصْفِ مِصْرَ : وَلَقَدْ شَاهَدْتُ
مِنْهَا بِلَدًا يَشْهَدُ بِفَضْلِهِ عَلَى الْبِلَادِ . وَوَجَدْتُهُ هُوَ الْمِصْرَ وَمَا عَدَاهُ فَهُوَ
السَّوَادُ . فَمَارَاهُ رَأً إِلَّا مَلَأَ عَيْنَهُ وَصَدْرَهُ . وَلَا وَصْفُهُ وَاصِفُ إِلَّا عِلْمُ
أَنَّهُ لَمْ يَقْدِرْ قَدْرَهُ . وَبِهِ مِنْ عَجَائِبِ الْأَثَارِ مَا لَا يَضِطُّهَا الْعِيَانُ فَضْلًا
عَنِ الْأَخْبَارِ . مِنْ ذَلِكَ الْهَرَمَانِ اللَّذَانِ هَرَمَ الدَّهْرِ وَهَمَا لَا يَهْرَمَانِ .
قَدْ اخْتَصَّ كُلُّ مِنْهُمَا بِعَظَمِ الْبِنَاءِ . وَسَعَةِ الْفَنَاءِ . وَبَلَغَ مِنَ الارتفاعِ
غَايَةً لَا يَبْلُغُهَا الطَّيْرُ عَلَى بُعْدِ تَخْلُقِهِ . وَلَا يَدْرِكُهَا الطَّرْفُ عَلَى مَدَى
تَحْدِيقِهِ . فَإِذَا أُضْرِمَ بِرَأْسِهِ قَبَسُ ظَنِّهِ الْمُتَمَلِّمْ نُجْمًا . وَإِذَا اسْتَدَارَ عَلَيْهِ
قَوْسُ السَّمَاءِ كَانَ لَهُ سَهْمًا . وَمِنْ عَجَائِبِ مِصْرَ الْمِقياسُ الَّذِي يُعْتَبَرُ فِيهِ
قَدْرُ زِيَادَةِ فَيْضِ النَّيْلِ كُلِّ سَنَةٍ . وَابْتِدَاؤُهُ مِنْ شَهْرِ جُوتَ وَمُعْظَمُ انْتِهَائِهِ
أَغْشَتْ وَآخِرُهَا أَوَّلُ شَهْرِ اكْتُوبَرِ . وَالْمِقياسُ عُمُودٌ رُخَامٍ سَمَرٌ فِي مَوْضِعٍ
يُخَصَرُ فِيهِ الْمَاءُ عِنْدَ انْتِهَائِهِ إِلَيْهِ . وَهُوَ مُفَصَّلٌ عَلَى اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ

ذِرَاعًا . وَكُلُّ ذِرَاعٍ مُفَصَّلَةٌ عَلَى أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ قِسْمًا أَفْسَامًا مُتَسَاوِيَةً
تُعْرَفُ بِالْأَصَابِعِ . فَإِذَا اسْتَوَى الْمَاءُ تِسْعَ عَشْرَةَ ذِرَاعًا فِي الْفَيْضِ فَهِيَ
الْغَايَةُ عِنْدَهُمْ فِي طِيبِ الْعَامِ . وَرُبَّمَا كَانَ الْمَاءُ فِيهَا كَثِيرًا الْعُمُومُ الْفَيْضُ .
وَالْمُتَوَسِّطُ مَا اسْتَوَى سَبْعَ عَشْرَةَ ذِرَاعًا وَهُوَ أَحْسَنُ مِمَّا زَادَ عَلَيْهِ . وَالَّذِي
يَسْتَحِقُّ بِهِ السُّلْطَانُ خَرَجَهُ سِتَّ عَشْرَةَ ذِرَاعًا فَصَاعِدًا . وَعَلَيْهَا تُعْطَى
الْبَشَارَةُ لِلَّذِي يَرْقُبُ الزِّيَادَةَ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَيَعْلَمُ بِهَا مِائِمَةً
وَمِنَ الْمَبَانِي الَّتِي يَبْلَى الزَّمَانُ وَلَا تَبْلَى وَتُدْرَسُ مَعَالِمُهُ وَأَخْبَارُهَا لَا
تُدْرَسُ الْأَهْرَامُ الَّتِي بِأَعْمَالِ مِصْرَ . وَهِيَ عَلَى تَحْوِ سَبْعَةِ أَمْيَالٍ فِي
الصَّخْرَاءِ الَّتِي يُفَضُّ مِنْهَا إِلَى الْأِسْكَندَرِيَّةِ . وَهِيَ قَدِيمَةُ الْعَهْدِ مُعْجَزَةٌ
الْبِنَاءِ غَرِيبَةٌ أُنْظَرُ مِنْهَا أَرْبَعَةُ الشُّكُلِ كَأَنَّهَا الْقَبَابُ الْمَضْرُوبَةُ . قَدْ قَامَتْ
فِي جَوِّ السَّمَاءِ لَا سِيَّمَا الْإِثْنَانِ مِنْهَا . فِي سَعَةِ الْوَاحِدِ مِنْهُمَا مِنْ رُكْنِهِ إِلَى
رُكْنِهِ ثَلَاثُمِائَةِ خُطْوَةٍ وَسِتُّ وَثِنْتُونَ خُطْوَةً مُحَدَّدَةً الْأَطْرَافِ فِي رَأْيِ
الْعَيْنِ . وَرُبَّمَا امْكُنَ الصُّعُودُ إِلَيْهَا عَلَى خَطَرٍ وَمَشَقَّةٍ فَتَلْقَى أَطْرَافَهَا الْمُحَدَّدَةَ
كَأَوْسَعِ مَا يَكُونُ مِنَ الرِّحَابِ . قَدْ أُقِيمَتْ مِنَ الصُّخُورِ الْعِظَامِ
الْمُخَوَّتَةِ وَرُكِبَتْ تَرْكِيبًا بَدِيعُ الْإِلْصَاقِ يَكَادُ يُغْجِزُ أَهْلَ الْأَرْضِ
نَقْضَ بَيْلِنِهَا . أَمَّا الْهَرَمَانُ الْعَظِيمَانِ فَمَحَاذِيَانِ لِلْفُسْطَاطِ . كُلُّ وَاحِدٍ
مِنْهُمَا جِسْمٌ مِنْ أَعْظَمِ الْحِجَارَةِ مُرَبَّعُ الْقَاعِ دَةِ . إِرْتِفَاعُ عُمُودِهِ أَرْبَعُ مِائَةٍ
ذِرَاعٍ يُحِيطُ بِهَا أَرْبَعَةُ سَطُوحٍ مُتَسَاوِيَاتٍ الْأَضْلَاعِ وَفِي أَعْلَاهُ سَطْحٌ
مُرَبَّعٌ رَحْبٌ . وَهَمَا مَعَ هَذَا الْعِظَمِ مِنْ إِحْكَامِ الصَّنْعَةِ وَإِتْقَانِ

الهندسة وحسن التدبير بحيث إنه لم يتأثر بعصف الرياح وهطل
السحاب وزعزعة الزلازل . وهذا البناء ليس بين حجارته ملاط إلا
ما يُخَيَّلُ أنه ثوب أبيض فرش بين حجرين أو ورقة لا يتخلل بينهما
الشعرة . وطول الحجر منها خمسة أذرع في ستمك ذراعين . قال بعضهم :
ما سمعت بشيء عظيم فحجته إلا رأيت دونه دونه . قال في
لما رأيتها كان رؤيتهما أعظم من صفتها . وقد اختلفوا في من بنى
الأهرام . قال بعضهم :

حسرت عقول ذوي النهى الأهرام واستصغرت لعلها الأجرام
مُسَّ مُؤَنِّقَةُ البناء شواهد قصرت لعال دونهن سهام
لم أدر حين كبا التفكير دونهما واستوهمت لبعيها الأوهام
أقبور أملاك الأعاجم هن أم طلسم رمل هن أم أعلام
وزعم بعضهم أن الأهرام بمصر قبور ملوك عظام بها آثروا أن
يتميزوا على سائر الملوك بعد مماتهم كما تميزوا عنهم في حياتهم .
فسبق ذكرهم على تطاول الدهور . قال أمية بن عبد العزيز :

بعينك هل أبصرت أحسن منظرًا على ما رأت عيناك من هرمي مصر
أنافا بأعناء السماء وأشرفًا على الجواشرف السمال أو النسر
وقال الفقيه عماره اليميني الشاعر :

سَخِيلِي مَا تَحْتَ السَّمَاءِ بَنِيَّةٌ ثَمَائِلُ فِي إِتْقَانِهَا هَرَمِي مِصْرِ
تَنَزَّ طَرَفِي فِي بَدِيعِ بَنَائِهَا وَلَمْ يَتَنَزَّ فِي الْمُرَادِ بِهَا فِكْرِي

وَقَالَ سَيْفُ الدِّينِ بْنِ حَبَّارَةَ :

لِلَّهِ أَيُّ غَرِيبَةٍ وَعَجِيبَةٍ فِي صَنَعَةِ الْأَهْرَامِ لِلْأَلْبَابِ
أَخَفَتْ عَنِ الْأَسْمَاعِ قِصَّةَ أَهْلِهَا وَقَصَتْ عَلَى الْأَنْبَاءِ كُلَّ نِقَابٍ
فَكَأَنَّمَا هِيَ كَالْحَيَامِ مُقَامَةٌ مِنْ غَيْرِ مَا عَمَدٍ وَلَا أَطْنَابٍ
قَالَ الْقُضَاعِيُّ : مِنْ عَجَائِبِ مِصْرَ النَّيْلِ قَالُوا لَيْسَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ
نَهْرٌ أَطْوَلُ مِنَ النَّيْلِ . لِأَنَّ مَسِيرَهُ شَهْرٌ فِي بِلَادِ الْإِسْلَامِ وَشَهْرَانِ فِي
بِلَادِ النَّوْبَةِ وَأَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ فِي الْحَرَابِ إِلَى أَنْ يُخْرَجَ بِبِلَادِ الْقَمَرِ حَلْفَ
خَطِّ الْإِسْتِوَاءِ . وَلَيْسَ فِي الدُّنْيَا نَهْرٌ يَصُبُّ مِنَ الْجَنُوبِ إِلَى الشِّمَالِ
وَيَمُدُّ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ عِنْدَ انْتِقَاصِ الْمَيَّاهِ وَالْأَنْهَارِ كُلَّهَا وَيَزِيدُ بِتَرْتِيبٍ
وَيَنْقُصُ بِتَرْتِيبٍ إِلَّا النَّيْلُ . وَجَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى سَقِيًّا يَزْرَعُ عَلَيْهِ وَيَسْتَغْنَى
عَنِ الْمَطَرِ بِهِ فِي زَمَانِ الْقَيْظِ إِذَا نَضَبَ الْمَيَّاهُ . قَالَ ابْنُ خُرُوفٍ :

مَا عَجَبَ النَّيْلُ مَا أَبْهَى شِمَائِلَهُ فِي ضَفَّتَيْهِ مِنَ الْأَشْجَارِ أَدْوَا حُ
مِنْ جَنَّةِ الْخُلْدِ فَيَاضُ عَلَى تَرْعٍ تَهْبُ فِيهَا هُبُوبُ الرِّيحِ أَرْوَا حُ
لَيْسَتْ زِيَادَتُهُ مَاءً كَمَا زَعَمُوا وَإِنَّمَا هِيَ أَرْزَاقُ وَأَرْبَاحُ

(أخبار مصر والقاهرة لجلال الدين السيوطي)

عنترة والاسد

٣٢١ قَالَ الرَّائِي : وَفِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ تَوَغَّلَ عَنَتَرُ فِي الْبَرِّ بِالْجَمَالِ
وَالنَّعَمِ . وَقَصَدَ بِهَا الرُّوَايَ وَالْأَكَمَ . إِلَى أَنْ حَمِيتَ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَبَعُدَ
عَنْ حَيِّ عَبَسَ . فَفَقَّصَدَ شَجَرَةً مِنَ الْأَشْجَارِ . يَسْتَظِلُّ بِهَا مِنْ حَرِّ النَّهَارِ .

وَسُرَّحَتِ الْأَغْنَامُ تَرْعى. فِي ذَلِكَ الْمَرْعى. وَإِذَا هُوَ بِأَسَدٍ كَبِيرٍ مِنْ بَطْنِ
 الْوَادِي ظَهَرَ يَمْشِي وَيَتَجَرَّ. أَفْطَسُ الْفَخْرُ. يَطِيرُ مِنْ عَيْنَيْهِ الشَّرُّ. يَقْلِبُ
 الْوَادِي إِذَا هَمَرَ. بِأَنْيَابِ أَحَدٍ مِنَ النَّوَابِ. وَمَخَابِ أَمْرٍ مِنَ الْمَصَائِبِ.
 شَدُوقُ شَدَقَمٍ. عَبُوسُ أَدْعَمٍ. تَسْمَعُ الرِّعْدَ إِذَا هَمَّهُمْ وَدَمَدَمَ. يَلْمَعُ الْبَرْقُ
 مِنْ عَيْنَيْهِ إِذَا أَظْلَمَ اللَّيْلُ وَلَعَنَ. شَدِيدُ الْحَيْلِ صَغْبُ الرِّاسِ. عَرِيضُ
 الْكَتِفِ كَبِيرُ الرِّاسِ. فَلَمَّا ظَهَرَ مِنْ بَطْنِ الْوَادِي وَشَمَّتِ الْحَيْلُ رَأَتْهُ
 فَرَّتْ مِنْ هَيْبَتِهِ. وَكَذَلِكَ النُّوقُ وَالْجِمَالُ. شَرَدَتْ فِي الْيَمِينِ وَالْشِّمَالِ.
 فَلَمَّا نَظَرَ عَنَتْرُ. إِلَى ذَلِكَ الْأَمْرِ الْمُنْكَرِ. نَزَلَ إِلَى الْوَادِي حَتَّى يُبْصِرَ.
 وَالسِّيفُ فِي يَدِهِ مُشَهَّرٌ. وَإِذَا هُوَ بِالْأَسَدِ رَابِطٌ بِأَسْطِ يَدَيْهِ. وَهُوَ
 يَلْعَبُ بِذَنَبِهِ وَيَضْرِبُ بِهِ جَنْبَيْهِ. وَالشَّرُّ يَطِيرُ مِنْ عَيْنَيْهِ. فَعِنْدَ ذَلِكَ
 رَعَقَ عَنَتْرُ عَلَيْهِ رَعَقَةً دَوَّتْ بِهَا الْجِبَالُ. وَقَالَ مَرْحَبًا بِكَ يَا أَبَا
 الْأَشْبَالِ. يَا كَلْبَ الْفَلَا. يَا مُحْسٍ وَحُوشِ الْبَيْدَا. فَلَقَدْ أَبْدَيْتَ
 بِأَسَاكَ وَصَوْلَتِكَ. وَأَفْتَخَرْتَ بِهَيْمَتِكَ وَهَمَمَتِكَ. فَلَا شَكَّ أَنَّكَ مَلِكُ
 السَّبَاعِ. وَسَاطِنُهُمُ الْمُطَاعُ. وَلَكِنْ عُدَّ بِالْخَيْبَةِ وَالْإِذْلالِ. فَمَا أَنَا
 كَمَنْ لَا قِيَّتَهُ مِنَ الرِّجَالِ. أَنَا مَهْلِكُ الْأَبْطَالِ. أَنَا مُبْتِمُّ الْأَطْفَالِ.
 فَأَنَا لَا أَرْضَى أَنْ أَقْتَلَكَ بِسِنَانٍ وَلَا بِجِسَامٍ. وَلَا بُدَّ أَنْ أَسْقِيكَ كَأْسَ
 الْحِمَامِ. ثُمَّ إِنَّهُ أَلْقَى السِّيفَ مِنْ يَدِهِ وَحَمَلَ عَلَى السَّبْعِ وَهُوَ يَشْدُ:
 يَا أَيُّهَا السَّبْعُ الْهَجُومُ عَلَى الرَّدَى هَا قَدْ بَقِيتَ مُعْفَرًا مَنُوبًا
 أَتْرِيدُ أَمْوَالِي تَكُونُ مُبَاحَةً هَا قَدْ تَرَكْتُكَ بِالْأَمَامِ مَحْضُوبًا

شَرَدَتْ أَغْصَانِي وَلَمْ تَكْ عَالِمًا أَنِّي هَزَبْتُ لَا أَزَالُ مَهِيًا
هَٰذَا فِعَالِي فِيكَ يَا كَلْبَ الْفَلَا هَلَّا شَهِدْتَ مَوَاقِعًا وَحُرُوبًا
لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَٰذَا تَلْتَقِي مِنِّي وَتُضْحِي لِلْحِمَامِ شُرُوبًا
لَمْ تَأْتِ نَحْوِي تَبْتَعِي صَيْدًا فَقَدْ وَأَفَاكَ حَتْفُكَ عَاجِلًا مَضْبُوبًا
ثُمَّ هَجَمَ عَلَى الْأَسَدِ وَوَقَعَ عَلَيْهِ كَوْقُوعُ الْبَرْدِ . وَنَفَخَ عَلَيْهِ مِثْلُ
الْثُعْبَانِ الْأَسْوَدِ . وَوَثَبَ عَلَيْهِ حَتَّى سَاوَاهُ فِي وَثْبَتِهِ . وَصَرَخَ عَلَيْهِ
صَرَخَةً أَعْظَمَ مِنْ صَرَخَتِهِ . وَقَبَضَ عَلَى فَمِهِ بِكَفَيْهِ . وَاتَّكَأَ عَلَيْهِ
فَشَقَّ حَنَكَيْهِ . إِلَى حَدِّ كَتْفَيْهِ . وَصَاحَ صَيْحَةً أَرْعَجَ بِهَا الْوَادِي وَجَانِبَيْهِ .
وَصَبَرَ عَلَى الْأَسَدِ حَتَّى قَضَى عَلَيْهِ

(سيرة عنتر لابن اسمعيل)

ذكر القهوة

٣٢٢ إَعْلَمُ أَنَّ الْقَهْوَةَ هِيَ النَّوْعُ الْمَتَّخَذُ مِنْ قَشْرِ الْبُنِّ أَوْ مِنْهُ مَعَ حَبِّهِ
الْبَحْمَمِ أَيْ الْمَقْلِيِّ . وَصَفَتْهَا أَنَّ يُوضَعُ الْقَشْرُ أَمَّا وَحْدَهُ وَهِيَ الْقَشْرِيَّةُ
أَوْ مَعَ الْبُنِّ الْبَحْمَمِ الْمَذْقُوقُ وَهِيَ الْبَيْتَةُ فِي مَاءٍ . ثُمَّ يُغْلَى عَلَيْهِ حَتَّى
تَخْرُجَ خَاصِيسُهُ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَجِدُ غَايَةَ اعْتِدَالِ اسْتِوَائِهَا بِطَعْمٍ مَذَاقُهَا
إِلَى الْمَرَارَةِ . ثُمَّ تُشْرَبُ . فَمَنْ قَابِلٌ بِحَبِّهَا يَرَى أَنَّهَا الشَّرَابُ الطَّهُّورُ الْمُبَارَكَةُ
عَلَى أَرْبَابِهَا . الْمَوْجِبَةُ لِلنَّشَاطِ وَالْإِعَانَةِ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَفِعْلِ
الْعِبَادَةِ لِطُلَّابِهَا . وَمِنْ قَابِلٍ بِحُرْمَتِهَا مُفْرَطٍ فِي ذَمِّهَا وَالتَّشْنِيعِ عَلَى
شَرِّابِهَا . وَكَثُرَ فِيهَا مِنَ الْجَانِبَيْنِ التَّصَانِيفُ وَالْفَتَاوَى . وَبَالِغُ الْقَابِلِ
بِحُرْمَتِهَا فَادَّعَى أَنَّهَا مِنَ الْخَمْرِ وَقَاسَمَهَا بِهِ وَسَاوَى . وَبَعْضُهُمْ نَسَبَ إِلَيْهَا

الْأَضْرَارُ بِالْعَقْلِ وَالْبَدَنِ . إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الدَّعَاوَى وَالَّتِي تَصُبُّ
 الْمُوَدَّةَ إِلَى الْجِدَالِ وَالْفِتَنِ . وَأَمَّا اسْتِقْاقُ اسْمِ الْقَهْوَةِ (كَمَا قَالَ الْعَلَّامَةُ
 الْفَخْرُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي يَزِيدٍ فِي مُؤَلَّفِهِ إِثَارَةُ الْخَوْفِ بِحِلِّ الْقَهْوَةِ)
 فَمِنْ الْإِقْتَاءِ وَهُوَ الْأَجْتَوَاءُ أَيُّ الْكَرَاهَةِ . أَوْ مِنَ الْإِقْتَاءِ بِمَعْنَى الْإِقْتِمَادِ
 مِنْ أَفْهَى الرَّجُلِ عَنِ الشَّيْءِ أَيُّ قَعْدَعْنَهُ وَكَرَاهَتَهُ كُلِّ شَيْءٍ وَالْقَعْدُ
 عَنْهُ بِحَسَبِهِ . وَمِنْهُ سُمِّيَتِ الْحُمْرَةُ قَهْوَةً لِأَنَّهَا تُقْبِي أَيُّ تُكْرِهُ الطَّعَامَ أَوْ
 تُقْعِدُ عَنْهُ أَوْ تُقْعِدُ عَنِ النَّوْمِ . وَكَانَ ظُهُورُهَا وَانْتِشَارُهَا عَلَى يَدِ جَمَالِ
 الدِّينِ بْنِ سَعِيدٍ الْمَعْرُوفِ بِالذَّجَانِيِّ . وَكَانَ مُتَوَلِّيًا لَوْظِيْفَةِ تَضْيِيعِ
 الْقِتَاوَى بِعَدَنَ . وَسَبَبُ إِظْهَارِهِ لَهَا أَنَّهُ كَانَ عَرَضَ لَهُ أَمْرٌ أُفْتَضِيَ لَهُ
 الْخُرُوجُ مِنْ عَدَنَ إِلَى بَرٍّ أَنْجَمَ فَأَقَامَ بِهِ مُدَّةً فَوَجَدَ أَهْلَهُ يَسْتَعْمِلُونَ الْقَهْوَةَ
 وَلَمْ يَعْلَمْ لَهَا خَاصِّيَةً . ثُمَّ عَرَضَ لَهُ لَمَّا رَجَعَ إِلَى عَدَنَ مَرَضٌ فَتَذَكَّرَهَا فَشَرِبَهَا
 فَفَقَعَتْهُ فِيهِ . وَوَجَدَ فِيهَا مِنْ الْخَوَاصِّ أَنَّهَا تُذْهِبُ النَّعَاسَ وَالْكَسَلَ
 وَتُورِثُ الْبَدْنَ خَفَّةً وَلَشَاطَاطًا . فَلَمَّا سَلَكَ طَرِيقَ التَّصَوُّفِ صَارَ هُوَ
 وَغَيْرُهُ مِنَ الصُّوفِيَّةِ بِعَدَنَ يَسْتَعِينُونَ بِشَرِبِهَا عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ . ثُمَّ تَتَابَعَ
 النَّاسُ بِعَدَنَ عَلَى شَرِبِهَا لِلِاسْتِعَانَةِ بِهَا عَلَى مُطَالَعَةِ الْعِلْمِ وَغَيْرِ ذَلِكَ
 مِنَ الْحِرْفِ وَالصَّنَاعَاتِ وَلَمْ تَرَلْ فِي انْتِشَارِ . قَالَ بَعْضُهُمْ فِي وَصْفِهَا :
 يَا قَهْوَةَ تَذْهِبُ هَمَّ الْقَتَى أَنْتَ لِحَاوِي الْعِلْمِ نِعْمَ الْمُرَادُ
 شَرَابُ أَهْلِ اللَّهِ فِيهَا الشِّفَا لِطَالِبِ الْحِكْمَةِ بَيْنَ الْعِبَادِ
 نَطِيجُهَا قِشْرًا فَتَاتِي لَنَا فِي نَكْهَةِ الْمُسْكِ وَلَوْنِ الْمِدَادِ

فِيهَا لَنَا تَبَرُّ وَفِي حَانِهَا
كَاللَّبَنِ الْحَالِصِ فِي حِلِّهِ
صُحْبَةُ أَبْنَاءِ الْكِرَامِ الْحَيَادِ
مَا خَرَجَتْ عَنْهُ سِوَى بِالسَّوَادِ
قَالَ آخَرُ:

عَرَجَ عَلَى الْقَهْوَةِ فِي حَانِهَا
فَإِنَّهَا لَا غَمَّ تُبْقِي إِذَا
لَا يُوجَدُ الْغَمُّ بِحَانَتَيْهَا
قَدْ خَضَعَ الْغَمُّ لِسُلْطَانِهَا
بِمَائِهَا نَفْسُ الْكَدَارِنَا
وَتَحْرِقُ أَلْهَمَ بَيْرَانِهَا
يَقُولُ مَنْ أَبْصَرَ كَانُونَهَا
أَفِ عَلَى الْخَمْرِ وَأَدْنَانِهَا
فَأَشْرَبَ وَلَا تَسْمَعْ كَلَامَ الَّذِي
بِجَهْلِهِ يُفْتِي بِبُطْلَانِهَا

(عمدة الصنف في حل القهوة لعبد القادر الجزيري)

ذكر الاندلس وما خُصَّ به أهلها من العوائد والاختراعات

٣٢٣ إَعْلَامُ أَنَّ فَضْلَ الْأَنْدَلُسِ ظَاهِرٌ . كَمَا أَنَّ حُسْنَ بِلَادِهِمْ بَاهِرٌ .
أَشْرَافُ عَرَبِ الْمَشْرِقِ أَفْتَحُوهَا . وَسَادَاتُ أَشْرَافِ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ
زَلُّوْهَا . فَبَقِيَ النَّسْلُ فِيهَا بِكُلِّ إِقْلِيمٍ . عَلَى عِرْقِ كَرِيمٍ . فَلَا يَكَادُ
بَلَدٌ مِنْهَا يَخْلُو مِنْ كَاتِبٍ مَاهِرٍ . وَشَاعِرٍ قَاهِرٍ . وَقَدْ أَعَاتَتْهُمْ عَلَى الشَّعْرِ
أَنْسَابُهُمُ الْعَرَبِيَّةُ . وَبَقَاعُهُمُ النَّصْرَةُ وَهُمْهُمْ الْأَبْيَةُ . قَالَ صَاحِبُ
الْفَرَحَةِ : أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ عَرَبٌ فِي الْأَنْسَابِ وَالْعِزَّةِ وَالْأَنْفَةِ وَعُلُوِّ
الْهَيْمِ وَفَصَاحَةِ الْأَلْسُنِ وَطِيبِ النُّفُوسِ وَإِبَاءِ الصَّيْمِ وَقَلَّةِ احْتِمَالِ
الدَّلِّ وَالسَّمَاحَةِ بِمَا فِي أَيْدِيهِمْ وَالزَّاهَةِ عَنِ الْخُضُوعِ وَإِتْيَانِ الدِّنِّيَّةِ .

هَنَدِيُّونَ فِي إِفْرَاطِ عِنَايَتِهِمْ بِالْعُلُومِ وَحُبِّهِمْ فِيهَا وَضَبْطِهِمْ لَهَا وَرَوَايَتِهِمْ .
صَيَّنُوا فِي إِتْقَانِ الصَّنَائِعِ الْعَمَلِيَّةِ وَإِحْكَامِ الْيَمَنِ الصُّورِيَّةِ .
تُرْكِيُّونَ فِي مُعَانَاةِ الْحُرُوبِ وَمُعَالَجَاتِ آلَاتِهَا وَالنَّظَرِ فِي مَهَامَتِهَا .
بَغْدَادِيُّونَ فِي نِظَافَتِهِمْ وَظَرْفِهِمْ وَرِفَّةِ أَخْلَاقِهِمْ وَنَبَاهَتِهِمْ وَذِكَايَتِهِمْ
وَحُسْنِ نَظَرِهِمْ وَجُودَةِ قَرَائِحِهِمْ وَلَطَافَةِ أَذْهَانِهِمْ وَحِدَّةِ أَفْكَارِهِمْ
وَنَفُوذِ خَوَاطِرِهِمْ . يُونَانِيُّونَ فِي اسْتِبْطَاطِهِمْ لِلْمِيَاهِ وَمُعَايَنَاتِهِمْ لِمَضْرُوبِ
الْفَرَاسَاتِ وَاخْتِيَارِهِمْ لِأَجْنَاسِ الْفَوَاكِهِ وَتَدْيِيرِهِمْ لِتَرْكِيبِ الشَّجَرِ
وَتَحْسِينِهِمْ لِلْبَسَائِنِ بِأَنْوَاعِ الْخَضِرِ وَصُنُوفِ الزَّهْرِ . فَهُمْ أَحْكَمُ
النَّاسِ لِأَسْبَابِ الْفَلَاحَةِ . وَمِنْهُمْ ابْنُ بَصَالٍ صَاحِبُ كِتَابِ الْفَلَاحَةِ
الَّذِي شَهِدَتْ لَهُ التَّجَرُّبَةُ بِفَضْلِهِ . وَهُمْ أَصْبَرُ النَّاسِ عَلَى مُطَاوَلَةِ النَّعْبِ
فِي تَجْوِيدِ الْأَعْمَالِ . وَمُقَاسَاةِ النَّصَبِ فِي تَحْسِينِ الصَّنَائِعِ . أَحَدُ
النَّاسِ بِالْفَرُوسِيَّةِ وَأَبْصَرُهُمْ بِالطَّعْنِ وَالضَّرْبِ . وَمِنْ فَضَائِلِهِمْ
اخْتِرَاعُهُمْ لِلْخُطُوطِ الْخُصُوصَةِ بِهِمْ (قَالَ) وَكَانَ خَطُّهُمْ أَوَّلًا مَشْرِقِيًّا .
وَعَدَّ ابْنُ غَالِبٍ فِي فَضَائِلِهِمْ اخْتِرَاعَهُمْ لِلْمُوسِيخَاتِ الَّتِي اسْتَحْسَنَهَا أَهْلُ
الْمَشْرِقِ وَصَارُوا يَتَزَعُونَ مِنْزَعَهَا . وَأَمَّا نَظْمُهُمْ وَتَرْهُمُ فَلَا يَخْفَى عَلَى مَنْ
وَقَفَ عَلَيْهِمَا عَلُوطُ قَلَمَيْهِمْ . ثُمَّ قَالَ ابْنُ غَالِبٍ : وَلَمَّا نَفَذَ قَضَاءُ اللَّهِ تَعَالَى
عَلَى أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ بِمُخْرُوجِ أَكْثَرِهِمْ عَنْهَا فِي هَذِهِ الْقِتْنَةِ الْأَخِيرَةِ
الْمُسِيرَةِ تَفَرَّقُوا بِبِلَادِ الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى مِنْ بَرِّ الْعُدُوةِ فِي بِلَادِ أَفْرِيقِيَّةِ .
فَأَمَّا أَهْلُ الْبِلَادِيَّةِ فَمَالُوا فِي الْبُؤَادِي إِلَى مَا اعْتَادُوهُ وَدَاخَلُوا أَهْلَهَا

وَسَارَكُوهُمْ فِيهَا . فَاسْتَنْبَطُوا الْمِيَاهَ وَغَرَسُوا الْأَشْجَارَ وَاحْدَثُوا الْأَرْضِيَّ
الطَّاحِنَةَ بِالْمَاءِ وَغَيْرَ ذَلِكَ . وَعَلَّمُوهُمْ أَشْيَاءَ لَمْ يَكُونُوا يَعْلَمُونَهَا وَلَا
رَأَوْهَا . فَشَرَقَتْ بِلَادُهُمْ وَصَلَتْ أُمُورُهُمْ وَكَثُرَتْ مُسْتَغَلَاتُهُمْ وَعَمَّتْهُمْ
الْخَيْرَاتُ . وَأَمَّا أَهْلُ الْحَوَاضِرِ فَأَلُّوا إِلَى الْحَوَاضِرِ وَاسْتَوْطَنُوهَا . وَأَمَّا
أَهْلُ الْأَدَبِ فَكَانَ مِنْهُمْ النُّوَزَاءُ وَالْكَتَّابُ وَالْعَمَالُ وَجِبَاةُ الْأَمْوَالِ
وَالْمُسْتَعْمَلُونَ فِي أُمُورِ الْمَمْلَكَةِ . وَلَا يُسْتَعْمَلُ بِلَدِيٍّ مَا وَجَدَ أُنْدَلُسِيٌّ .
وَأَمَّا أَهْلُ الصَّنَاعِ فَإِنَّهُمْ فَأَقُوا أَهْلَ الْبِلَادِ وَقَطَعُوا مَعَاشَهُمْ وَانْجَمَلُوا
أَعْمَالَهُمْ وَصَيَّرُوهُمْ أَتِبَاعَهُمْ وَمُتَصَرِّفِينَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ . وَمَتَى دَخَلُوا
فِي شُغْلِ عَمَلِهِ فِي أَقْرَبِ مُدَّةٍ وَأَفْرَعُوا فِيهِ مِنْ أَنْوَاعِ الْحِذْقِ وَالْتَّجْوِيدِ
مَا يُمْلُونَ بِهِ النُّفُوسَ إِلَيْهِمْ وَيُصَيِّرُ الذِّكْرَ لَهُمْ . وَلَا يَدْفَعُ هَذَا عَنْهُمْ إِلَّا
جَاهِلِيٌّ أَوْ مُبْطِلٌ . وَمَنْ حَكَايَتِهِمْ فِي الذِّكَاءِ وَاسْتِخْرَاجِ الْعُلُومِ
وَاسْتِنْبَاطِهَا أَنَّ أَبَا الْقَاسِمِ عَبَّاسَ بْنَ فِرْنَاسٍ حَكِيمَ الْأَنْدَلُسِ أَوَّلُ مَنْ
اسْتَنْبَطَ بِالْأَنْدَلُسِ صِنَاعَةَ الرُّجَاجِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَأَوَّلُ مَنْ فَكَّ بِهَا
كِتَابَ الْعُرُوضِ لِلْخَلِيلِ . وَأَوَّلُ مَنْ فَكَّ الْمَوْسِقَى وَصَنَعَ آلَاةَ
الْمَعْرُوفَةِ بِالْمِثْقَالِ لِيَعْرِفَ الْأَوْقَاتَ عَلَى غَيْرِ رَسْمٍ وَمِثَالٍ . وَاحْتَالَ فِي
تَطْيِيرِ جُثَمَانِهِ وَكَسَا نَفْسَهُ الرِّيشَ وَمَدَّ لَهُ جَنَاحَيْنِ وَطَارَ فِي الْجَوِّ
مَسَافَةً بَعِيدَةً . وَلَكِنَّهُ لَمْ يُحْسِنِ الْأَحْيَالَ فِي وَقْعِهِ . وَلَمْ يَذَرِ أَنَّ
الطَّيَّارَ إِنَّمَا يَقَعُ عَلَى زِمِكِهِ وَلَمْ يَعْمَلْ لَهُ ذَنْبًا . وَصَنَعَ فِي بَيْتِهِ هَيْئَةً
السَّمَاءِ وَخَلَّلَ لِلنَّظِيرِ فِيهَا النُّجُومَ وَالْغَيُومَ وَالْبُرُوقَ وَالرُّعُودَ (للقري)

البابُ الثامن عشر في المراسلات

فصل في المراسلات بين الملوك والامراء

كتاب كسرى بن هرمز الى موريقى ملك الروم

لما وثب الفرس على هرمز ملكهم فسلخوا عينيه ثم قتلوه وملكوا عليهم جهرا بالمرزبان. كان لهرمز ابن حدث اسمه كسرى وهو المعروف بانوشروان العادل. فتسكر كأنه سائل وشق سلطان الفرس حتى جاء نصيبين وصار الى الرها ومنها الى مِصْر وكتب الى موريقى كتابا نسخته:

٣٢٤ لِلأَبِ الْمُبَارَكِ وَالسَّيِّدِ الْمُقَدَّمِ مُورِيقِي مَلِكِ الرُّومِ مِنْ كِسْرَى
أَبْنِ هُرْمَزِ السَّلَامُ . أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَعْلِمُ الْمَلِكَ أَنَّ بَهْرَامَ وَمَنْ مَعَهُ
مِنْ عَبِيدِ أَبِي جَهْلُوا قَدَرَهُمْ وَنَسُوا أَنَّهُمْ عَبِيدُ وَأَنَا مَوْلَاهُمْ . وَكَفَرُوا
نِعَمَ آبَائِي لَدَيْهِمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيَّ وَأَرَادُوا قَتْلِي . فَهَمَمْتُ أَنْ أَفْزِعَ إِلَى
مِثْلِكَ فَأَعْتَصِمَ بِفَضْلِكَ وَأَكُونُ خَاضِعًا لَكَ . لِأَنَّ الْخُضُوعَ لِمَلِكٍ مِثْلِكَ
وَإِنْ كَانَ عَدُوًّا أَيْسَرُ مِنَ الْوُقُوعِ فِي أَيْدِي الْعَبِيدِ الْمُرْدَةِ . وَلَآنَ يَكُونُ
مَوْتِي عَلَى أَيْدِي الْمُلُوكِ أَفْضَلَ وَأَقْلُ عَارًا مِنْ أَنْ يَجْرِيَ عَلَى أَيْدِي
الْعَبِيدِ . فَفَزَعْتُ إِلَيْكَ ثِقَةً بِفَضْلِكَ وَرَجَاءً أَنْ تَتَرَأَّفَ عَلَيَّ مِثْلِي
وَتُمِدَّنِي بِجُيُوشِكَ لِأَقْوَى بِهِمْ عَلَى مُحَارَبَةِ الْعَدُوِّ وَأَصِيرَ لَكَ وَلَدًا
سَامِعًا وَمُطِيعًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى

فلما قرأ موريقى كتاب كسرى بن هرمز عزم على إجابة مسئته لانه لجأ اليه فأنجده
بمشرين ألفا . وسير له من الأموال أربعين قطارا ذهباً وكتب اليه كتابا نسخته:

٣٢٥ مِنْ مُورِيقِي عَبْدِ يَشُوعَ الْمَسِيحِ إِلَى كِسْرَى مَلِكِ الْفَرَسِ وَلَدِي

وَأَخِي السَّلَامُ. أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ قَرَأْتُ كِتَابَكَ وَفَهِمْتُ مَا ذَكَرْتَ فِيهِ مِنْ
 أَمْرِ الْعَبِيدِ الَّذِينَ تَمَرَّدُوا عَلَيْكَ. وَكَوْنِهِمْ غَمَطُوا أَنْعُمَ آبَائِكَ وَأَسْلَافِكَ
 غَمَطًا وَخَرُّوهُمْ عَلَيْكَ وَدَخَضِهِمْ إِيَّاكَ عَنْ مُلْكِكَ فَتَدَاخَلَنِي مِنْ ذَلِكَ
 أَمْرٌ حَرَّكَنِي عَلَى التَّرَافِ بِكَ وَعَلَيْكَ وَإِمْدَادِكَ بِمَا سَأَلْتُ. فَأَمَّا مَا
 ذَكَرْتَ مِنْ أَنَّ الْإِسْتِثَارَ تَحْتَ جَنَاحِ مَلِكٍ عَدُوٍّ وَالْإِسْتَظْلَالَ بِكَفِّهِ
 أَثَرٌ مِنَ الْوُقُوعِ فِي أَيْدِي الْعَبِيدِ الْمُرْدَةِ وَالْمَوْتِ عَلَى أَيْدِي الْمُلُوكِ
 أَفْضَلُ مِنَ الْمَوْتِ عَلَى أَيْدِي الْعَبِيدِ فَإِنَّكَ اخْتَرْتَ أَفْضَلَ الْخِصَالِ
 وَرَغِبْتَ إِلَيْنَا فِي ذَلِكَ فَقَدْ صَدَقْنَا قَوْلَكَ وَقِيلْنَا كَلَامَكَ وَحَقَّقْنَا
 أَمْلَكَ وَأَتَمَمْنَا بُغْيَتَكَ وَقَضَيْنَا حَاجَتَكَ وَحَمَدْنَا سَعْيَكَ وَشَكَرْنَا حُسْنَ
 ظَنِّكَ بِنَا. وَوَجَّهْنَا إِلَيْكَ بِمَا سَأَلْتَ مِنَ الْجُيُوشِ وَالْأَمْوَالِ وَصَيَّرْنَاكَ
 لِي وَلَدًا وَكُنْتُ لَكَ أَبًا. فَأَقْبِضِ الْأَمْوَالَ مُبَارَكًا لَكَ فِيهَا وَقَدْ جُيُوشَ
 وَسِرَّ عَلَى بَرَكَاتِهِ وَعَوْنِهِ وَلَا يَعْزُكَ الصَّخْرُ وَالْهَلْعُ. بَلْ تَشْتَرِ لِعَدُوِّكَ
 وَلَا تَقْصِرْ فِيمَا يَجِبُ لَكَ إِذَا تَطَاطَأْتَ مِنْ دَرَجَتِكَ وَانْحَطَطْتَ عَنْ
 مَرْتَبَتِكَ. فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُظْفِرَكَ اللَّهُ بِعَدُوِّكَ وَيَرُدَّ كَيْدَهُ فِي نَجْرِهِ
 وَيُعِيدَكَ إِلَى مَرْتَبَتِكَ بِرَجَاءِ اللَّهِ تَعَالَى (لَا يِ الْفَرْجِ الْمَلْطِي)

كتاب عمرو بن الخطاب الى عمرو بن العاص

٣٢٦ إِنْ أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ. أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ عَجِبْتُ
 مِنْ كَثْرَةِ كُتُبِي إِلَيْكَ فِي إِبْطَائِكَ بِالْخُرَاجِ وَكِتَابِكَ إِلَيَّ بَيْنَاتِ
 الطَّرُقِ. وَقَدْ عَلِمْتَ أَنِّي لَسْتُ أَرْضَى مِنْكَ إِلَّا بِالْحَقِّ الْبَيِّنِ. وَلَمْ

أَفَدِمَكَ مِصْرَ أَجْعَلَهَا لَكَ طُعْمَةً وَلَا لِقَوْمِكَ . وَلِكِنِّي وَجَّهْتُكَ لِمَا
 رَجَوْتُ مِنْ تَوْفِيرِكَ الْحَرَّاجَ وَحَسَنَ سِيَاسَتِكَ فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي فَأَجْلِ
 الْحَرَّاجَ فَإِنَّمَا هُوَ فِي الْمُسْلِمِينَ وَعِنْدِي مَنْ تَعْلَمُ قَوْمٌ مُحْصَرُونَ . وَالسَّلَامُ
 ٣٢٧ (فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ) : أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَتَانِي كِتَابُ
 أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَسْتَبْطِنِي فِي الْحَرَّاجِ . وَيَزْعُمُ أَنِّي أَعْنُدُ عَنْ الْحَقِّ وَأَنْكَبُ
 عَنْ الطَّرِيقِ . وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَرْغَبُ عَنْ صَالِحٍ مَا تَعْلَمُ وَلَكِنْ أَهْلُ
 الْأَرْضِ اسْتَظَرُّونِي إِلَى أَنْ تُدْرِكَ غَلَّتْهُمْ فَظَرْتُ لِلْمُسْلِمِينَ فَكَانَ
 الرِّفْقُ بِهِمْ خَيْرًا مِنْ أَنْ يُحْرَقَ بِهِمْ فَخَصِيرٌ إِلَيَّ مَا لَا غِنَى بِهِمْ عَنْهُ .
 (لجلال الدين السيوطي) وَالسَّلَامُ

كتاب غبسة بن اسحاق الى المأمون وهو عامله على الرقة

يصف خروج الأعراب بناحية سنجار وغبثهم بها

٣٢٨ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ قَطَعَ سُبُلَ الْمُجْتَازِينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُعَاهِدِينَ
 نَفَرٌ مِنْ شَذَازِ الْأَعْرَابِ الَّذِينَ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَلَا
 يَخَافُونَ فِي اللَّهِ حَدًّا وَلَا عُقُوبَةً . وَلَوْلَا ثِقَتِي بِسَيْفِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
 وَحَصَدِهِ هَذِهِ الطَّائِفَةَ وَبُلُوغِهِ فِي أَعْدَاءِ اللَّهِ مَا بَرَدْتُ قَاصِيَهُمْ وَدَانِيَهُمْ
 لَأَذْنْتُ بِالْإِسْتِجَادِ عَلَيْهِمْ وَلَا سَعَيْتُ الْخَيْلَ إِلَيْهِمْ . وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مُعَانٌ
 فِي أُمُورِهِ بِالتَّائِيْدِ وَالنَّصْرِ . (فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْمَأْمُونُ) :

أَسْمَعْتُ غَيْرَ كَهَامِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ لَا يَقْطَعُ السَّيْفُ إِلَّا فِي يَدِ الْحَدِيدِ
 سَيُضْجِعُ الْقَوْمَ مِنْ سَيْفِي وَضَارِيهِ مِثْلَ الْهَشِيمِ ذَرْتَهُ الرِّيحُ بِالْمَطَرِ

(فوجه غيبة باليتين الى الاعراب فابقي منهم اثنان) (لابن عبد ربه)

في الطلب وحسن التواصل

كتاب ابي العيناء الى عبيد الله بن سليمان

٣٢٩ أَنَا أَعَزُّكَ اللَّهُ وَوُلْدِي وَعِيَالِي زَرْعٌ مِنْ زَرْعِكَ إِنْ أَسْقَيْتَهُ رَاعٌ وَزَكَا. وَإِنْ جَفَوْتَهُ ذَبَلٌ وَذَوَى. وَقَدْ مَسَّنِي مِنْكَ جَفَاءٌ بَعْدَ بَرٍّ وَإِعْقَالٌ بَعْدَ تَعَاهُدٍ حَتَّى تَكَلَّمَ عَدُوٌّ وَنَمِتَ حَاسِدٌ. وَلَعِبَتْ بِي ظُنُونٌ رِجَالٍ كُنْتُ بِهِمْ لَا عِيَابًا وَلَهُمْ مَخْرِسًا. وَلِلَّهِ دَرَأِي الْأَسْوَدُ فِي قَوْلِهِ: لَا تُهِنِّي بَعْدَ أَنْ أَكْرَمْتَنِي وَشَدِيدُ عَادَةٍ مُنْتَرَعَةٍ

٣٣٠ (فَوَقَعَ فِي رُقْعَتِهِ): أَنَا أَسْعَدَكَ اللَّهُ عَلَى الْحَالِ الَّتِي عَمِدْتَ وَمَنِي إِلَيْكَ كَمَا عَلِمْتَ. وَلَيْسَ مِنْ أُنْسِيئَاهُ أَهْمَلْنَاهُ وَلَا مِنْ أَخْرَنَاهُ تَرَكَدَاهُ مَعَ اقْتِطَاعِ الشُّغْلِ لَنَا وَاقْتِسَامِ زَمَانِنَا. وَكَانَ مِنْ حَقِّكَ عَلَيْنَا أَنْ تُذَكِّرَنَا بِنَفْسِكَ وَتُعَلِّمَنَا أَمْرَكَ. وَقَدْ وَقَعْتَ لَكَ بِرِزْقِ شَهْرَيْنِ لِيُزِيحَ غَلَّتُكَ وَتُعَرِّفَنِي مَبْلَغَ اسْتِحْقَاقِكَ لِأُطْلِقَ لَكَ بَاقِي أَرْزَاقِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. وَالسَّلَامُ

(للقيرواني)

فصول لابن عبد ربه

٣٣١ لِلْمُفْضِلِ أَنْ يَخْصَّ بِفَضْلِهِ مَنْ شَاءَ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ ثُمَّ لَهُ فِيمَا أَعْطَى وَلَا حُجَّةَ عَلَيْهِ فِيمَا مَنَعَ. كُنْ كَيْفَ شِئْتَ فَإِنِّي وَاجِدُ أَمْرِي خَالِصَةً سَرِيدَتِي. أَرَى بَقَايَكَ بَقَاءً سُرُورِي وَبِدَوَامِ النِّعْمَةِ عِنْدَكَ دَوَامًا عِنْدِي. لَا أَزَالُ أَبْقَاكَ اللَّهُ أَسْأَلُ الْكِتَابَ إِلَيْكَ. فَمَرَّةً أَتَوَقَّفُ تَوَقُّفَ الْمُتَحَفِّفِ عَنْكَ

مِنَ الْمُؤُونَةِ وَرَرَةً أَكْتُبُ كِتَابَ الرَّاجِعِ مِنْكَ إِلَى الثَّقَةِ وَالْمُعْتَمِدِ مِنْكَ
 عَلَى الْمُقِيلِ لَا أَعْدَمْنَا اللَّهُ دَوَامَ عِزِّكَ وَلَا سَابَ الدُّنْيَا بِهَيْجَتِهَا بِكَ وَلَا
 أَخْلَانَا مِنَ الصَّنْعِ لِلَّهِ . فَإِنَّا لَا نَعْرِفُ إِلَّا نِعْمَتَكَ وَلَا نُمَجِّدُ لِلْحَيَاةِ طَعْمًا
 إِلَّا فِي ظِلِّكَ . وَلَئِنْ كَانَتْ الرَّغْبَةُ إِلَى بَشَرٍ مِنَ النَّاسِ خَسَاسَةً وَذُلًّا
 لَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ الرَّغْبَةَ إِلَيْكَ كَرَامَةً وَعِزًّا . لِأَنَّكَ لَا تَعْرِفُ حُرًّا قَعَدَ
 بِهِ دَهْرُهُ إِلَّا سَبَقَتْ مَسَلَّتُهُ بِالْعَطِيَّةِ وَصَلَتْ وَجْهَهُ عَنِ الطَّلَبِ وَالذَّلَّةِ .
 (فصل) : لَكَ أَصْحَاكَ اللَّهُ عِنْدِي أَيَادٍ تَشْفَعُ لِي إِلَى مَحَبَّتِكَ وَمَعْرُوفُ
 يُوجِبُ حَلِيكَ الْوَدَّ وَالْإِتِّمَامَ . وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُفِيزَنِي مَا لَمْ تَرَلِ
 الْفَرَّاسَةَ تَعْدِيهِ فِيكَ . (فصل) : قَدْ أَجَلَ اللَّهُ قَدْرَكَ عَنِ الْإِعْتِدَارِ
 وَأَغْنَانِي فِي الْقَوْلِ وَأَوْجَبَ عَلَيْكَ أَنْ تَقْنَعَ بِمَا فَعَلْتُ وَتَرْضَى بِمَا أَنْعَمْتُ
 وَصَلْتُ أَوْ قَطَعْتُ

(العقد القريد)

كان الامير عبد الرحمان قد جفا ابنه المندّر وابعدّه لسوء خلقه فكتب الى ابيه :

٣٣٣ إني قد تَوَحَّشْتُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ تَوَحُّشًا مَا عَلَيْهِ مِنْ مَزِيدٍ
 وَعَدِمْتُ فِيهِ مَنْ كُنْتُ آتِسُ إِلَيْهِ . وَأَصْبَحْتُ مَسْلُوبَ الْعِزِّ فَقِيدَ
 الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ عَقَابًا لِلذَّنْبِ كَبِيرٍ أَرْتَكِبُهُ وَعِلْمُهُ
 مَوْلَايَ وَلَمْ أَعْلَمْهُ فَإِنِّي صَابِرٌ عَلَى تَأْدِيهِ ضَارِعٌ إِلَيْهِ عَفْوُهُ وَصَفْحُهُ :
 وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَفِعْلُهُ لَكَالْدَهْرِ لَا عَارًا بِمَا فَعَلَ الدَّهْرُ
 (فلما وقف الأمير على رفقته أرجعه الى ما اعتاده)
 (للقري)

في الاشواق

كتاب اسحاق بن ابراهيم الموصلي الى بعض الحلة يستدعيه

٣٣٣ يَوْمَنَا يَوْمَ لَيْلِ الْحَوَاشِي وَطِيءُ النَّوَاحِي وَسَمَاؤُنَا قَدْ أَقْبَلَتْ
وَرَعَدَتْ بِالْخَيْرِ وَرَقَّتْ. وَأَنْتِ قُطْبُ السُّرُورِ وَنِظَامُ الْأُمُورِ. فَلَا
تُفْرِدُنَا فَنَقِلَ. وَلَا تَفْرُدُنَا فَنَذِلَ (للقيرواني)

كتاب ابي العباس الغساني كاتب صاحب افريقية لبعض الاصدقاء

٣٣٤ سِرِّي إِلَى مَجْلِسٍ يَكَادُ يَسِيرُ شَوْقًا إِلَيْكَ. وَيَطِيرُ بِأَجْنِحَةٍ مِنْ
جَوَاهِ حَتَّى يَجُلَ بَيْنَ يَدَيْكَ. فَلِلَّهِ دَرْكُكُمْ إِنْ طَلَعَتْ بَدْرًا بِأَعْلَاهُ
وَجَمَالِهِ إِنْ ظَهَرَتْ غُرَّةً بِجَمِيَّاهُ. فَهُوَ أَفْقٌ قَدْ حَوَى نُجُومًا تَتَشَوَّقُ إِلَى
طُلُوعِ بَدْرِهَا. وَقَطْرٌ قَدْ اسْتَمَلَّ عَلَى أَنْهَارٍ تَتَشَوَّقُ إِلَى بَحْرِهَا. لَتَسْتَمِدَّ
مِنْهُ. فَإِنْ مَنَنْتَ بِالْحُضُورِ. وَإِلَّا فَيَا خِيَمَةَ السُّرُورِ. قَالَ ابْنُ الزَّيْنِ :

قَامَتْ لِعَيْنَيْكَ الدُّنْيَا عَلَى سَاقٍ وَالْكَأْسُ أَصْبَحَ غَضْبَانًا عَلَى السَّاقِ
وَالرَّاحُ قَدْ أَقْسَمَتْ أَنْ لَا تَطِيبَ لَنَا حَتَّى تَرَى وَجْهَكَ الزَّاهِي بِإِشْرَاقِ
وَأَعْيُنِ الزَّهْرِ نَحْوَ الْبَابِ نَاطِرَةٌ وَقَدْ صَغَتْ أُذُنُ السُّوسَانِ لِلطَّاقِ
فَأَسْمَعُ بِجُودِكَ فَضْلًا بِالْحُضُورِ لَنَا مَا دَامَ سَمَلُ مَسَرَّاتِ الْهَنَاءِ بَاقِ
فَلَوْ دُعِيتُ إِلَى هَذَا سَعَيْتُ لَهُ يَا حَبَّذَاكَ عَلَى رَأْسِي وَأَحْدَاقِي

كتاب الصاحب ابن عباد الى صديق له

٣٣٥ مَجْلِسُنَا يَا سَيِّدِي مُفْتَقِرٌ إِلَيْكَ مُعَوَّلٌ فِي شَوْقِهِ عَلَيْكَ. وَقَدْ أَبَتْ
رَاحَتُهُ أَنْ تَصْفُوهُ إِلَّا أَنْ تَتَنَاوَلَهَا يَمْنَاكَ. وَأَقْسَمَ غَنَاؤُهُ لَا يَطِيبُ حَتَّى

تَعِيَهُ أَذْنَاكَ . وَتَحْنُ لِعَيْنَيْكَ كَقَدِ ذَهَبَتْ وَاسْطَتُهُ وَشَبَابٌ قَدْ أَخَذَتْ
جِدَّتُهُ . وَإِذَا غَابَتْ شَمْسُ السَّمَاءِ عَنَّا فَلَا بُدَّ أَنْ تَذْنُو شَمْسُ الْأَرْضِ
مِنَّا . فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَحْضُرَ لِنَتَّصِلَ الْوَاسِطَةَ بِالْعَقْدِ . وَتَحْصُلَ بِكَ فِي جَنَّةِ
الْخُلْدِ . فَكُنْ إِلَيْنَا أَسْرَعَ مِنَ السَّهْمِ فِي مَرِّهِ . وَالْمَاءِ إِلَى مَقَرِّهِ . لِنَلَّا يَجِبَتْ
مِنْ يَوْمِي مَا طَابَ . وَيَعُودَ مِنْ نَوْمِي مَا طَارَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ (للنواجي)

فصول في العتاب والاعتذار

فصول لاحمد بن يوسف

٣٣٦ لَوْلَا حُسْنُ الظَّنِّ بِكَ أَغْرَكَ اللَّهُ لَكَانَ فِي إِغْضَائِكَ عَنِّي
مَا يَقْضِي عَنِ الطَّلَبِ إِلَيْكَ . وَلَكِنْ أَمْسَكَ بِرَمَقٍ مِنَ الرَّجَاءِ عَلَيَّ
بِرَأْيِكَ فِي رِعَايَةِ الْحَقِّ وَبَسْطِ يَدِكَ إِلَيَّ الَّذِي لَوْ قَبَضْتَهَا عَنْهُ لَمْ يَكُنْ
لَهُ إِلَّا كَرَمُكَ مُذَكِّرًا وَسُودُوكَ شَافِعًا . (فَضْلٌ) . لَا سَبِيلَ إِلَى
شِكَايَتِكَ إِلَّا إِلَيْكَ وَلَا اسْتِعَانَةَ إِلَّا بِكَ . وَمَا أَحَقَّ مَنْ جَعَلَكَ عَلَى
أَمْرِ عَوْنًا أَنْ تَكُونَ لَهُ إِلَى النِّجَاحِ سَبَبًا . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

عَجِبْتُ لِقَلْبِكَ كَيْفَ انْقَلَبَ وَمِنْ طُولِ وَدِّكَ أَتَى ذَهَبُ
وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا وَذَا أَنِّي أَرَاكَ بَيْنَ الرِّضَا فِي الْغَضَبِ
(فَضْلٌ) . إِنْ مَسَّلَتِي إِلَيْكَ حَوَائِجِي مَعَ عَتَبِكَ عَلَيَّ مِنَ اللُّومِ . وَإِنْ
إِمْسَاكِ عَنِّي فِي حَالِ ضَرُورَةٍ إِلَيْهَا مَعَ عَلَيَّ بِكَرَمِكَ فِي السُّخْطِ وَالرِّضَا
لَعَجْزُ . غَيْرَ أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّ أَقْرَبَ الْوَسَائِلِ فِي طَلَبِ رِضَاكَ مَسْأَلَتُكَ
مَا سَنَعَ مِنَ الْحَاجَةِ . إِذْ كُنْتَ لَا تَجْعَلُ عَتَبَكَ سَبَبًا لِمَنْغٍ مَعْرُوفِكَ

فصل في العتاب للعتابي

٣٣٧ تَأْنِينًا إِفَاقَتَكَ مِنْ سَكْرَتِكَ وَتَرَقُّبِنَا أَنْتَبَاهَكَ مِنْ رَقَدَتِكَ .
وَصَبْرَنَا عَلَى تَجَرُّعِ الْغَيْظِ فِيكَ . فَهِيَ أَنَا قَدْ عَرَفْتُكَ حَقَّ مَعْرِفَتِكَ فِي
تَعْدِيكَ لِطَوْرِكَ وَإِطْرَاحِكَ حَقَّ مَنْ غَلَطَ فِي اخْتِيَارِكَ (لابن عبدربه)

فصول لابن مكرم في الاعتذار

٣٣٨ لَيْسَ يُزِيلُنِي عَنْ حُسْنِ الظَّنِّ بِكَ فِعْلُ حَمَلِكِ الْأَعْدَاءِ عَلَيْهِ .
وَلَا يَقْطَعُنِي عَنْ رَجَائِكَ عِتْبُ حَدَثِ عَلَيَّ مِنْكَ . بَلْ أَرْجُو أَنْ
بِتَقَاضَى كَرَمُكَ إِجْزَارَ وَعْدِكَ إِذْ كَانَ أَبْلَغَ الشُّقْمَاءِ إِلَيْكَ . وَأَوْجَبَ
الْوَسَائِلِ لَدَيْكَ . (فصل) أَنْتَ أَعَزُّكَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِالْعَفْوِ وَالْعُقُوبَةِ مِنْ
أَنْ يُجَازِيَنِي بِالسُّوءِ عَلَى ذَنْبٍ لَمْ أَجْهِدْ بِهِ وَلَا لِسَانُ بَلِّ جَنَاهُ عَلَى لِسَانِ
وَأَش . فَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّكَ لَا تُسَهِّلُ سَبِيلَ الْعُذْرِ فَأَنْتَ أَعْلَمُ بِالْكَرَمِ
وَأَرْغَى لِلْحُقُوقِ . وَأَقْعَدُ بِالشَّرَفِ وَأَحْفَظُ لِدِمَائِهِ . مِنْ أَنْ تَرُدَّ يَدُ مُوَمِّلِكَ
صَفْرًا مِنْ عَفْوِكَ إِذَا التَّمَسَّهُ . وَمِنْ عُذْرِكَ إِذَا جَعَلَ فَضْلَكَ شَافِعًا فِيهِ

٣٣٩ مرض الحسن بن وهب فلم يعهده ابن الزيات ولم يتعرف خبره فكتب اليه :
أَيُّهَاذَا الْوَزِيرُ أَيْدِكَ اللَّهُ وَأَبْقَاكَ لِي زَمَانًا طَوِيلًا
أَجْمِيلًا تَرَاهُ يَا أَكْرَمَ النَّاسِ لِكَيْمَا أَرَاهُ أَيْضًا جَمِيلًا
أَنْتَبِي قَدْ أَقَمْتُ عَشْرًا عَلِيمًا مَا تَرَى مُرْسِلًا إِلَيَّ رَسُولًا
إِنْ يَكُنْ يُوجِبُ التَّعَهُدُ فِي الصُّحُوفِ مِنَّا عَلَى مِنْكَ طَوِيلًا
فَهُوَ أَوْلَى يَا سَيِّدَ النَّاسِ بِرَأَا وَأَفْتِقَادًا لِمَنْ يَكُونُ عَلِيمًا

فاجابه ابن الزيات :

دَفَعَ اللَّهُ عَنْكَ نَائِبَةَ الدَّهْرِ وَحَاشَاكَ أَنْ تَكُونَ عَائِلًا
أَشْهَدُ اللَّهَ مَا عَلِمْتُ وَمَاذَا لَكَ مِنَ الْعُذْرِ جَائِزًا مَقْبُولًا
وَلَعَمْرِي أَنْ لَوْ عَلِمْتُ فَلَا زَمَ تَكْ حَوْلًا لَكَانَ عِنْدِي قَلِيلًا
فَأَجْعَلَنِي لِي إِلَى التَّعَلُّقِ بِالْعُذْرِ رِسِيْلًا إِنْ لَمْ أَجِدْ لِي سَبِيلًا
فَقَدِيمًا مَا جَادَ بِالصَّفْحِ وَالْعَفْوِ وَمَا سَامَحَ الْخَلِيلُ خَلِيلًا

فصول في الذم

كتاب ابي بكر الخوارزمي الى العامل على البريد بالاهواز

٣٤٠ كُنْتُ ظَنَنْتُ بِكَ يَا أَخِي ظَنًّا كَذَبَهُ فُجِحُ فِعْلِكَ . وَضَعُفُ هَجْرِكَ
وَوَصْلِكَ . فَإِنَّكَ لَا تَعْمَلُ فِيهِمَا عَلَى قِيَاسٍ وَاجِبٍ وَلَا تَصْبِرُ مِنْهُمَا عَلَى
طَعَامٍ وَاحِدٍ . فَلَا جَرَمَ لَقَدْ رَجَعْتُ فِي وَدْيِ لَكَ وَمَا كُنْتُ أَرْجِعُ فِي
هَيْبَةٍ . وَنَدِمْتُ عَلَى ثِقَتِي بِكَ وَعَهْدِي أَنْ لَا أُنْدِمَ عَلَى حَسَنَةِ (الخوارزمي)

كتاب عمر بن الخطاب الى ابي موسى الاشعري

٣٤١ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ لِلنَّاسِ نَفْرَةً عَنِ سُلْطَانِهِمْ . فَأَحْذَرُ أَنْ تُدْرِكَنِي
وَيَاكَ عُمَيَّاكُمُجْمُؤَةٌ . وَضَعَانُ مَحْمُولَةٌ . وَأَهْوَاءُ مُتَّبَعَةٌ وَدُنْيَا مُؤَثَّرَةٌ . فَأَقِمِ
الْحُدُودَ وَلَوْ سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ وَبَاشِرْ أُمُورَ الْمُسْلِمِينَ وَافْتَحْ بَابَكَ لَهُمْ .
فَإِنَّمَا أَنْتَ رَجُلٌ مِنْهُمْ غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ جَعَلَكَ أَثَقَلَهُمْ حِمْلًا . وَقَدْ بَلَغَ أَمِيرُ
الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُ فَشَتْ لَكَ وَلِأَهْلِ بَيْتِكَ هَيْبَةٌ فِي لِبَاسِكَ وَمَطْعَمِكَ
وَمَرْكَبِكَ لَيْسَ لِلْمُسَامِينِ مِثْلُهَا . فَإِيَّاكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ أَنْ تَكُونَ كَأَبْهَيْمَةٍ

هُمَا فِي السَّمَنِ وَالسَّمَنِ حَفَهَا . وَأَعْلَمَ أَنَّ الْعَامِلَ إِذَا زَاغَ زَاغَتْ رَعِيَّتُهُ .
وَأَشَقَى النَّاسَ مَنْ يَشْقَى بِهِ النَّاسُ . وَالسَّلَامُ لابن عبد ربه .

كتاب صلاح الدين الى معز الدين صاحب الجزيرة

٣٤٢ إِنَّكَ أَنْتَ قَصَدْتَ الْإِنْتِمَاءَ إِلَيَّ أَبَدَاءً وَرَاجَعْتَنِي فِي ذَلِكَ
مِرَارًا . وَأَظْهَرْتَ الْحَيْفَةَ عَلَى نَفْسِكَ وَقَلْبِكَ وَبَلَدِكَ مِنْ أَهْلِكَ .
فَقَبْلَتُكَ وَأَوَيْتُكَ وَنَصَرْتُكَ وَبَسَطْتُ يَدَكَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ وَدِمَائِهِمْ
وَأَعْرَضْتَهُمْ . فَفَضْتُ إِلَيْكَ وَنَهَيْتُكَ عَنْ ذَلِكَ مِرَارًا فَلَمْ تَنْتَهُ . فَأَتَقَقَّ
وُقُوعُ هَذِهِ الْوَاقِعَةِ لِلْإِسْلَامِ فَدَعَوْنَاكَ فَأَتَيْتَ بِعَسْكَرٍ قَدْ عَرَفْتَهُ وَعَرَفَهُ
النَّاسُ . وَأَمَتَ هَذِهِ الْمُدَّةَ الْمُدِيدَةَ وَقَلَقْتَ هَذَا الْقَلْقَ وَتَحَرَّكَتْ هَذِهِ
الْحَرَكَةُ . وَأَنْصَرَفْتَ عَنْ غَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ وَغَيْرِ قَصْدٍ حَالٍ مَعَ الْعَدُوِّ .
فَأَنْظَرُ لِنَفْسِكَ وَأَبْصُرْ مَنْ تَنْتَمِي إِلَيْهِ غَيْرِي . وَاحْفَظْ نَفْسَكَ مِمَّنْ
يَقْصِدُكَ فَمَا لِي إِلَى جَانِبِكَ الْتِفَاتٌ (سيرة صلاح الدين لابن شازي)

٣٤٣ كتاب عبد الله بن طاهر الى محمد بن عبد الملك الزيات

أَحَلَّتْ عَمَّا عَهَدْتُ مِنْ أَدْيَاكَ أَمْ نِلْتَ مُلْكَاً قَهَيْتَ فِي كُتَيْبِكَ
أَمْ قَدْ تَرَى أَنَّ فِي مِلَاطِفَةِ أَلْ إِيْخْوَانَ نَقَصًا عَلَيْكَ فِي أَدْيَاكَ
أَكَانَ حَقًّا كِتَابُ ذِي مِقَّةٍ يَكُونُ فِي صَدْرِهِ وَأَمْتَعَ بِكَ
أَتَعَبْتُ كَفَيْكَ فِي مُكَاتَبَتِي حَسْبُكَ مِمَّا لَقِيتَ مِنْ تَعِيكَ
(فَكَتَبَ إِلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَّاتُ)

كَيْفَ أَخُونُ الْإِخَاءَ يَا أَمَلِي وَكُلُّ شَيْءٍ أَنَالُ مِنْ سَبَبِكَ

أَنْكَرْتَ شَيْئًا فَلَسْتُ فَاعِلُهُ وَلَنْ تَرَاهُ يُخْطُ فِي كُتُبِكَ
 إِنْ يَكُ جَهْلٌ أَتَاكَ مِنْ قِبَلِي فَعُدْ بِفَضْلِ عَلَيٍّ مِنْ حَسَبِكَ
 فَأَعْفُ فِدَتَكَ النَّفْسُ عَنْ رَجُلٍ يَعِيشُ حَتَّى الْمَمَاتِ فِي أَدَبِكَ

فصول في التوصية

كتاب عمر الى ابي عبيدة بعد فتوح الشام

٣٤٤ وَبَعْدُ فَإِنِّي وَلَيْتَكَ أُمُورَ الْمُسْلِمِينَ فَلَا تَسْتَحْيَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي
 مِنْ الْحَقِّ . وَإِنِّي أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي يَبْقَى وَيَفْنَى مَا سِوَاهُ
 وَالَّذِي اسْتَخْرَجَكَ مِنَ الضَّلَالِ إِلَى الْهُدَى وَقَدْ اسْتَعْمَلْتَنِي عَلَى جُنْدٍ مَا
 هُنَاكَ مَعَ خَالِدٍ فَأَقْبِضْ جُنْدَهُ وَأَعِزَّهُ عَنْ إِمَارَتِهِ . وَلَا تَقُلْ إِنِّي
 أَرْجُو لَكُمْ النَّصْرَ فَإِنَّ النَّصْرَ إِنَّمَا يَكُونُ مَعَ الْيَقِينِ وَالثِّقَةِ بِاللَّهِ .
 وَإِيَّاكَ وَالْتَفِيرَ بِإِلْقَاءِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْهَلَكَةِ . وَغَضَّ عَنْ الدُّنْيَا عَيْنَكَ
 وَأَلْهَ عَنْهَا قَلْبَكَ . وَإِنَّمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْآخِرَةِ سِتْرُ الْحِمَارِ وَقَدْ تَقَدَّمَكَ
 سَلَفُكَ . وَأَنْتَ كَأَنَّكَ مُنْتَظَرٌ سَفَرًا وَرَحِيلًا مِنْ دَارِ مَضَتْ نَضَارَتُهَا
 وَذَهَبَتْ زَهْرَتُهَا . فَأَحْزَمُ النَّاسِ فِيهَا الرَّحَالُ عَنْهَا لَغِيرَهَا وَيَكُونُ زَادُهُ
 التَّقْوَى . وَرَاعِ الْمُسْلِمِينَ مَا اسْتَطَعْتَ . وَأَمَّا اخْتِصَامُكَ أَنْتَ وَخَالِدٌ
 فِي الصُّلْحِ أَوْ الْقِتَالِ فَأَنْتَ أَوْلَىُّ وَصَاحِبُ الْأَمْرِ . وَالسَّلَامُ وَرَحْمَةُ
 اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكَ وَعَلَى جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ (فتوح الشام للواقدي)

كتاب بديع الزمان الى ابن اخته

٣٤٥ أَنْتَ وَلَدِي مَا دُمْتَ وَالْعِلْمُ شَأْنُكَ . وَالْمَدْرَسَةُ مَكَانُكَ .

وَالْخَبْرَةُ حَلِيفُكَ . وَالدَّقْتُرُ الْيَفُكُ . فَإِنْ قَصُرَتْ وَلَا إِحَالَكَ . فَمَغِيرِي
خَالَكَ وَالسَّلَامُ (رسائل بديع الزمان الهمداني)

فصول لمحمد بن عبد الملك الزيات للخلفاء في التوصية

٢٤٦ إِنْ حَقَّ الْأَوْلِيَاءُ عَلَى السُّلْطَانِ تَفْعِيدُ أُمُورِهِمْ وَتَقْوِيمُ أَوْدِهِمْ
وَرِيَاضَةُ أَخْلَاقِهِمْ . وَأَنْ يُمَيَّزَ بَيْنَهُمْ فَيَقْدَمَ مُحْسِنُهُمْ وَيُؤَخَّرَ مُسِيئُهُمْ .
لِيَزْدَادَ هَوْلًا فِي إِحْسَانِهِمْ وَيَزْدَجِرَ هَوْلًا عَنْ إِسَاءَتِهِمْ . (وَفَضْلٌ لَهُ) :
إِنَّ اللَّهَ أَوْجَبَ لِحُلَفَائِهِ عَلَى عِبَادِهِ حَقَّ الطَّاعَةِ وَالنَّصِيحَةِ . وَلِعَبِيدِهِ عَلَى
حُلَفَائِهِ بَسْطَ الْعَدْلِ وَالرَّأْفَةِ وَإِحْيَاءَ السُّنَنِ الصَّالِحَةِ . فَإِذَا أَدَّى كُلُّ
إِلَى كُلِّ حَقِّهِ كَانَ ذَلِكَ سَبَبًا لِتَامِ الْمَعُونَةِ وَاتِّصَالِ الزِّيَادَةِ وَاتِّسَاقِ
الْكَلِمَةِ وَدَوَامِ الْأَلْفَةِ . (وَفَضْلٌ) : لَيْسَ مِنْ نِعْمَةٍ يُجَدِّدُهَا اللَّهُ لِأَمِيرٍ
الْمُؤْمِنِينَ فِي نَفْسِهِ خَاصَّةً إِلَّا أَنْ تَصَلَتْ بِرِعَّتِهِ عَامَةً وَشَمَتِ الرِّعْيَةَ
كَافَّةً وَعَظُمَ بَلَاءُ اللَّهِ عَنْدهُمْ فِيهَا وَوَجَبَ عَلَيْهِمْ شُكْرُهُ عَلَيْهَا . لِأَنَّ اللَّهَ
جَعَلَ بِنِعْمَتِهِ تَمَامَ نِعْمَتِهِمْ وَبِتَذْيِيرِهِ وَذِيهِ عَنْ دِينِهِ حِفْظَ حَرَمِهِمْ .
وَبِحِيَاطَتِهِ حَقْنَ دِمَائِهِمْ وَأَمْنِ سَبِيلِهِمْ . فَأَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
مُنْطَوِي الْقَلْبِ عَلَى مَنَاصِحَتِهِمْ مُؤَيَّدًا بِالنَّصْرِ . مُعَزِّزًا بِالْتِمَكِينِ .
مَوْصُولًا بِالْبَقَاءِ بِالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ .

فصول في المدح والشكر

فصول للحسن بن وهب

٣٤٧ مَنْ شَكَرَكَ عَلَى دَرَجَةٍ رَفَعْتَهُ إِلَيْهَا أَوْ ثَرَوَةٍ أَقْدَرْتَهُ بِهَا . فَإِنَّ

شُكْرِي لَكَ عَلَى مُجْهِةِ أَحْيَيْتَهَا وَحُشَّاشَةِ أَبْقَيْتَهَا وَرَمَقِ أَمْسَكَتَ بِهِ
وَقَمَّتْ بَيْنَ التَّلَفِ وَبَيْنَهُ . فَلِكُلِّ نِعْمَةٍ مِنْ نِعَمِ الدُّنْيَا حُدٌّ تَنْتَهِي إِلَيْهِ
وَمَدَى يُوقِفُ عِنْدَهُ وَغَايَةٌ مِنَ الشُّكْرِ يَسْمُو إِلَيْهَا الطَّرْفُ . خَلَا هَذِهِ
النِّعْمَةُ الَّتِي قَدْ فَاقَتْ الْوَصْفَ وَأَطَالَتِ الشُّكْرَ وَتَجَاوَزَتْ قَدْرَهُ . وَأَنْتَ
مِنْ وَرَاءِ كُلِّ غَايَةٍ . رَدَدْتَ عَنَّا كَيْدَ الْعَدُوِّ وَارْقَمْتَ أَنْفَ الْحُسُودِ
فَتَحْنُ نَجْأً إِلَيْهِ مِنْهَا إِلَى ظِلِّ ظَلِيلٍ وَكَنَفِ كَرِيمٍ فَكَيْفَ يَشْكُرُ الشَّاكِرُ
وَأَيْنَ يَبْلُغُ جُهْدُ الْمُجْتَهِدِ . (وَلَهُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ) : وَصَلَ كِتَابُكَ فَمَا
رَأَيْتُ كِتَابًا أَسْهَلَ فُنُونًا وَلَا أَمْلَسَ مَثُونًا وَلَا أَكْثَرَ عُيُونًا وَلَا أَحْسَنَ
مَقَاطِعَ وَمَطَالِعَ مِنْهُ . أُنْجِزْتُ فِيهِ عِدَّةُ الرَّأْيِ وَبُشِّرِي الْقِرَاسَةَ . وَعَادَ
الظَّنُّ يَقِينًا وَالْأَمَلُ مُبْلُوغًا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ

كتاب ابن مكرم الى احمد بن اللدبر

٣٤٨ إِنْ مِنَ النِّعْمَةِ عَلَى الْمُثْنِيِّ عَلَيْكَ أَنْ لَا يَخَافَ الْإِفْرَاطَ وَلَا
يَأْمَنُ التَّقْصِيرَ . وَيَأْمَنُ أَنْ تُحَقِّقَهُ نَقِصَةُ الْكُذِبِ . وَلَا يَنْتَهِي بِهِ الْمُدْحُ
إِلَى غَايَةٍ إِلَّا وَجَدَ فَضْلَكَ تَجَاوَزَهَا . وَمِنْ سَعَادَةِ جَدِّكَ أَنْ الدَّاعِيَ لَا
يُقَدِّمُ كَثْرَةَ الْمُتَابِعِينَ لَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ مَعَهُ (لَا بِنَ عَبْدِ رَبِّهِ)

فصول في التهنة والهدايا

فصل للمحسن بن وهب

٣٤٩ لَنْ تَخْلُقْتَ عَنْ عِيَادَتِكَ بِالْعُذْرِ الْوَاضِحِ مِنَ الْعِلَّةِ مَا أَغْفَلَ
قَلْبِي ذِكْرَكَ وَلَا لِسَانِي فَحْصَاءَ عَنْ خَبْرِكَ . وَلَمَّا بَلَغْتَنِي إِفَاقَتُكَ كَتَبْتُ

مُهِنًا بِالْعَافِيَةِ مُعْفِيًا مِنَ الْجَوَابِ إِلَّا بِخَبَرِ السَّلَامَةِ (للقيرواني)

كتاب سعيد بن حميد الى بعض اهل السلطان في يوم النيزور

٣٥٠ أَيُّهَا السَّيِّدُ الشَّرِيفُ عِشْتَ أَطْوَلَ الْأَعْمَارِ زِيَادَةً مِنَ الْعُمُرِ
مَوْصُولَةً بِفِرَاضِهَا مِنَ الشُّكْرِ . لَا يَنْقُضِي حَقُّ نِعْمَةٍ حَتَّى يُجَدِّدَ لَكَ
أُخْرَى وَلَا يَمُرُّ بِكَ يَوْمٌ إِلَّا كَانَ مُقْصِرًا عَمَّا بَعْدَهُ مُوْفِيًا عَمَّا قَبْلَهُ . وَإِنِّي
وَإِنْ أَهْدَيْتُ نَفْسِي فِيهِ مُلْكٌ لَكَ لَا حَظَّ فِيهَا لِفَيْرِكَ . وَرَمَيْتُ
بِطَرَفِي إِلَى كَرَامَتِكَ مَالِي فَوَجَدْتُهَا مِنْكَ . فَإِنْ كُنْتُ أَهْدَيْتُ مِنْهَا شَيْئًا
لِمُهْدٍ مَالَكَ إِلَيْكَ . وَزَعْتُ إِلَى مَوَدَّتِي فَوَجَدْتُهَا خَالِصَةً لَكَ قَدِيمَةً غَيْرَ
مُسْتَحْدَنَةٍ . فَرَأَيْتُنِي إِنْ جَعَلْتَهَا أَهْدِيَّتِي لَمْ أَجِدْ لِهَذَا الْيَوْمِ الْجَدِيدِ بَرًّا
وَلَا لُطْفًا . وَلَمْ أُمِيزْ مَنَزَلَةً مِنْ شُكْرِي بِمَنَزَلَةٍ مِنْ نِعْمَتِكَ إِلَّا كَانَ
الشُّكْرُ مُقْصِرًا عَنْ الْحَقِّ وَالنِّعْمَةُ زَائِدًا عَلَى مَا تَبْلُغُهُ الطَّاقَةُ . فَجَعَلْتُ
الْإِعْزَافَ بِالْتَّقْصِيرِ عَنْ حَقِّكَ هَدِيَّةً إِلَيْكَ وَالْإِقْرَارَ بِالْحُجْزِ عَمَّا يَجِبُ
لَكَ بَرًّا أَتَوَصَّلُ بِهِ إِلَيْكَ

وكتب بعض الكتاب الى بعض الملوك

٣٥١ النَّفْسُ لَكَ وَالرَّجَاءُ مَوْقُوفٌ عَلَيْكَ وَالْأَمَلُ مَصْرُوفٌ نَحْوَكَ .
فَمَا عَسَى أَنْ أَهْدِيَ إِلَيْكَ فِي هَذَا الْيَوْمِ . وَهُوَ يَوْمٌ سَهَّلَتْ فِيهِ الْعَادَةُ
سَبِيلَ الْهَدَايَا لِلْسَّادَةِ . فَأَقْتَصَرَ نَاعِلِي هَدِيَّةٍ تَقْضِي بَعْضَ الْحَقِّ وَتَقُومُ
عِنْدَكَ مَقَامَ أَجَلِ الْبَرِّ . وَلَا زِلْتُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ دَائِمَ السُّرُورِ وَالْغُبْطَةِ فِي
أَتَمِّ أَحْوَالِ الْعَافِيَةِ وَأَعْلَى مَنَازِلِ الْكِرَامَةِ تَمْرُ بِكَ الْأَعْيَادُ الصَّالِحَةُ .

فَتُخْلَفُهَا وَأَنْتَ جَدِيدٌ تَسْتَقْبِلُ أَمْثَالَهَا فَتَلْقَاكَ بِهَا بِهَا (لابن عبد ربّه)

فصول في التعزية

كتاب الخوارزمي الى الشيخ ابي بكر

٣٥٩ بَلَّغْنِي مَا قَاسَاهُ شَيْخِي أَيَّدَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْمُصِيبَةِ مِنْ غَمٍّ يُشْكِي بَلَّ يُبْكِي . وَجَزَعٍ يُضْنِي . بَلَّ يُفْنِي . وَالْمَوْتُ خُطْبٌ تُقْلَ حَتَّى خَفَّ وَكَثُرَ حَتَّى قَلَّ . وَهَانَ عَلَى الْبَاقِي لِمَا رَأَاهُ بِالْمَاضِي . وَعَلَى الْمُعْزِي لِمَا نَظَرَهُ فِي الْمُعْزَى . وَدَخَلَ الْجَمِيعُ تَحْتَ قَوْلِ الْمُتَنَبِّئِ :

فَيَدْفِنُ بَعْضُنَا بَعْضًا وَيَمْشِي أَوَاخِرُنَا عَلَى هَامِ الْأَوَالِي وَشَيْخِي أَعْرَفُ بِاللَّهِ . مِنْ أَنْ يَتَأَدَّبَ بِغَيْرِ آدَبِ اللَّهِ . وَلَا يُسَلِّمَ لِقَضَاءِ اللَّهِ . وَلَكِنْ لِمَفَاجَأَةِ الْمُصِيبَةِ لَذَعُهُ يُسْتَرَاخُ مِنْهَا إِلَى مُبَاتَّةِ الصَّدِيقِ . وَإِلَى تَسْلِيَةِ الْأَخِ الشَّقِيقِ . وَالسَّلَامُ (رسائل الخوارزمي)

غيره لبعضهم

٣٥٣ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ تَعَزَّى وَأَوْلَى مَنْ تَأَنَسَّ وَسَلَّمَ لِأَمْرِ اللَّهِ وَقَبْلَ تَأْدِيبِهِ فِي الصَّبْرِ عَلَى نَكَبَاتِ الدُّنْيَا وَتَجَرُّعِ غُصَصِ الْبَلْوَى مَنْ تَجَزَّ مِنْ اللَّهِ وَعَدَهُ وَأَخْلَصَ لَهُ نَفْسَهُ وَاعْتَرَفَ لَهُ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ . وَفِي قَلْبِهِ سَلَوَةٌ مِنْ فَقْدِ كُلِّ حَبِيبٍ وَإِنْ لَمْ تَطِبِ النَّفْسُ عَنْهُ وَأُنْسٌ مِنْ كُلِّ فَقِيدٍ وَإِنْ عَظُمَتِ اللَّوْعَةُ بِهِ . وَالْمَوْتُ سَبِيلُ الْمَاضِينَ وَالْغَايِبِينَ وَمَوْزِدُ الْخَلَائِقِ أَجْمَعِينَ . وَفِي أَنْبَاءِ اللَّهِ وَسَائِفِ أَوْلِيَائِهِ أَفْضَلُ الْعِبَرَةِ وَأَحْسَنُ الْأَسْوَةِ . فَهَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَّا وَقَدْ أَخَذَ مِنْ فَجَائِعِ الدُّنْيَا بِأَجْزَلِ الْأَعْطَاءِ

وَمِنَ الصَّبْرِ عَلَيْهَا بِاحْتِسَابِ الْأَجْرِ فِيهَا بِأَوْفَرِ الْأَنْصِبَاءِ . فَوَهَبَ اللَّهُ
لَكَ مِنْ عِصْمَةِ الصَّبْرِ مَا يَكْمُلُ لَكَ بِهِ زُلْفَى الْفَائِزِينَ وَقُرْبَةَ الشَّاكِرِينَ .
وَجَعَلَكَ مِنَ الْمَرْضِيِّينَ قَوْلًا وَفِعْلًا (لابن عبدربه)

كتاب ابي العيناء الى المهدي بعد موت الخليفة المنصور

٣٥٤ أَجَرَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَهُ وَبَارَكَ لَهُ فِيمَا خَلَفَهُ
لَهُ . فَلَا مُصِيبَةَ أَعْظَمُ مِنْ مُصِيبَةِ إِمَامٍ وَالِدٍ وَلَا عُقْبَى أَفْضَلُ مِنْ خِلَافَةِ اللَّهِ
عَلَى أَوْلِيَائِهِ . فَاقْبَلْ مِنَ اللَّهِ أَفْضَلَ الْعَطِيَّةِ وَأَصْبِرْ لَهُ عَلَى أَعْظَمِ الرِّزْيَةِ

فصول الى عليل

كتاب ابي بكر الخوارزمي الى تلميذه له قد ظهر عليه المجدي

٣٥٥ وَصَلَنِي خَبَرُ الْجُدَرِيِّ فَقَالَ مَنِّي وَهَمَّ حُزْنِي . وَرَاعَ قَلْبِي
وَأَسْهَرَ عَيْنِي وَهَذِهِ الْعِلَّةُ وَإِنْ كَانَتْ مُوجِعَةً . وَفِي رَأْيِ الْعَيْنِ قِطْعَةٌ
شَنِيعَةٌ . فَإِنِّي إِلَى السَّلَامَةِ أَقْرَبُ . وَطَرِيقَهَا إِلَى الْحَيَاةِ أَقْصَدُ . لِأَنَّ
عَيْنَ الطَّيِّبِ تَقَعُ عَلَيْهَا . وَظَاهِرُ الدَّاءِ أَسْلَمُ مِنْ بَاطِنِهِ . وَبَارِزُ الْجُرْحِ
أَهْوَنُ مِنْ كَامِنِهِ . وَلَعَمْرِي إِنَّهَا تُورِثُ سَوَادَ أَلْوَنٍ . وَتَذْهَبُ مِنْ
أَلْوَجِهِ بِدِيَابِجَةِ الْحُسْنِ وَلَكِنَّ ذَلِكَ يَسِيرُ فِي جَنْبِ السَّلَامَةِ لِلرُّوحِ
اللطيفة . وَالنَّفْسِ الشَّرِيفَةِ . وَلَسْتُ أَسْتَطِيعُ لَكَ غَيْرَ الدُّعَاءِ . لَا أَسْأَلُ
صِحَّتَكَ . إِلَّا مِمَّنْ خَلَقَ عَلَيْكَ . وَارَى لَكَ أَنْ تُحْسِنَ ظَنَّاكَ بِرَبِّكَ .
وَتَسْتَغْفِرَ مِنْ ذُنُوبِكَ . وَتَجْعَلَ الصَّدَقَةَ شَفِيعَكَ . وَالْيَقِينَ طَيِّبَكَ .
وَتَعْلَمَ أَنَّهُ لَدَاءٌ أَدْوَأُ مِنْ أَجَلٍ . وَلَا دَوَاءٌ أَشْفَى مِنْ مَهْلٍ . وَلَا فِرَاشَ

أَوْطَأَ مِنْ أَمَلٍ . شَفَاكَ اللَّهُ تَعَالَى . وَحَسْبُكَ بِهِ طَيِّبًا (للخوارزمي)
 وكتب الى تلميذه له ورد عليه كتابه بأنه عليل

٣٥٦ وَصَلَ كِتَابُكَ يَا سَيِّدِي فَسَرَّني نَظَرِي إِلَيْهِ . ثُمَّ غَمَّني
 أَطْلَاعِي عَلَيْهِ لِمَا تَضَمَّنَهُ مِنْ ذِكْرِ عِلَّتِكَ . جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى أَوَّلَهَا كَهَّارَةً
 وَآخِرَهَا عَافِيَةً . وَلَا أَعْدَمَكَ عَلَى الْأَوَّلَى أَجْرًا . وَعَلَى الْآخِرَةِ شُكْرًا .
 وَيُودِّي لَوْ قُرْبَ عَلَيَّ مُتَاوُلَ عِيَادَتِكَ . فَأَخْتَمْتُ عَنْكَ بِالْعَهْدِ
 وَالْمُسَاعَدَةِ بَعْضَ أَعْبَاءِ عِلَّتِكَ . فَلَقَدْ خَصَّنِي مِنْ هَذِهِ الْعِلَّةِ قِسْمٌ
 كَقِسْمِكَ . وَمَرَضَ قَلْبِي لِمَرَضِ جِسْمِكَ . وَأُظِنُّ أَنِّي لَوْ لَقَيْتَكَ عَلِيلًا
 لَا نَصَرْتُ عَنْكَ وَأَنَا أَعْلُ مِنْكَ فَإِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى جَلَدْتُ عَلَى أَوْجَاعِ
 أَعْضَائِي . غَيْرُ جَلَدٍ عَلَى أَوْجَاعِ أَصْدِقَائِي . شَفَاكَ اللَّهُ وَعَافَاكَ . وَكَفَانِي
 فِيكَ الْخُذُورَ وَكَفَاكَ . وَغَفَرَ ذَنْبَكَ . وَشَرَحَ قَلْبَكَ وَأَعْلَى كَمَبِكَ لَهُ

فصول في وصاة للمحافظ

٣٥٧ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ أَسْعَفَتْهُ فِي حَاجَتِهِ وَأَجَبَتْهُ إِلَى طَلَبَتِهِ مَنْ
 تَوَسَّلَ إِلَيْكَ بِالْأَمَلِ وَزَرَخَ نَحْوَكَ بِالرَّجَاءِ . وَإِنَّ فُلَانًا أَسْبَابُهُ مُتَّصِلَةٌ
 بِنَا يَلْزِمُنَا ذِمَامُهُ وَبُلُوغُ مُوَافَقَتِهِ مِنْ أَيَادِيكَ عِنْدَنَا . وَأَنْتَ لَنَا مَوْضِعُ
 الْثِقَةِ مِنْ مُكَافَأَتِهِ فَأَوْلُنَا فِيهِ مَا نَعْرِفُ مَوْقِعَنَا مِنْ حُسْنِ رَأْيِكَ وَتَكُونُ
 مُكَافَأَةً لِحَقِّهِ عَلَيْنَا (وَلَهُ) : أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَتَانَا كِتَابُكَ فِي فُلَانٍ وَلَهُ لَدُنَا
 مِنْ الذِّمَامِ مَا يَلْزِمُنَا مُكَافَأَتَهُ وَرِعَايَةَ حَقِّهِ . وَنَحْنُ مِنَ الْمَعْتَبَةِ بِأَمْرِهِ عَلَى
 مَا كَانَ فِي حُرْمَتِهِ وَيُودِّي شُكْرَهُ (لابن عبد ربه)

الباب التاسع عشر في التراجم

شعراء النصرية

٣٥٨ (الْبَرَّاقُ بْنُ رَوْحَانَ ٥٢٥). هُوَ أَبُو النَّصْرِ بْنِ رَوْحَانَ بْنِ أَسَدِ
 التَّمِيمِيِّ مِنْ شُعَرَاءِ الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ وَهُوَ جَاهِلِيٌّ قَدِيمٌ. وَكَانَ فِي صِغَرِهِ
 يَتَّبِعُ رِعَاةَ الْإِبِلِ وَيَحْلُبُ اللَّبَنَ وَيَأْتِي بِهِ إِلَى رَاهِبٍ حَوْلَ الْمُرَايِ
 فَيَتَعَلَّمُ مِنْهُ تِلَاوَةَ الْإِنْجِيلِ وَكَانَ يَدِينُ بدينِهِ. ثُمَّ اشْتَهَرَ أَمْرُهُ وَسَارَ
 بَعْدَ ذَلِكَ. وَظَهَرَ مِنْهُ مِنَ الْقِيَامِ وَالْفَرُوسِيَّةِ فِي الْحَرْبِ الَّتِي وَقَعَتْ
 بَيْنَ بَنِي رَبِيعَةَ وَبَنِي إِيَادٍ وَلَحِمَ مَا لَمْ يَكُنْ لغيرِهِ. وَمِنْ شِعْرِهِ :
 يَا طَالِبَ الْأَمْرِ لَا يُعْطَى أَمَانِيهِ إِسْتَعْمِلِ الصَّبْرَ فِي مَا كُنْتَ تَبْغِيهِ
 وَالْبَسْ لِسْرِكَ مَا تُخْفِيهِ مُجْتَهِدًا . وَالْبَسْ عَفَاكَ فِي مَا كُنْتَ تَعْنِيهِ
 فَصَاحِبُ الصَّدْقِ يَجْنِي صَدَقَهُ حَسَنًا وَصَاحِبُ الشَّرِّ سُوءُ الشَّرِّ يَجْنِيهِ
 وَلَمَّا وَقَعَتْ بَيْنَ بَنِي رَبِيعَةَ وَبَنِي طِيٍّ وَقُضَاةُ الْحُرُوبِ الْمَشْهُورَةِ
 وَتَعَاطَمَتِ الْقَتْلَةُ بَيْنَهُمْ وَأَسْمَعَتْ أَعْيَا التَّدْيِيرِ فِي الصَّلَاحِ حَتَّى لَحِقَ شَرُّهُمْ
 مَنْ كَانَ مُعْتَرِلًا عَنْهُمْ . فَأَجْتَمَعَ إِلَى الْبَرَّاقِ كَلِيبُ بْنُ رَبِيعَةَ وَإِخْوَتُهُ

(*) قد افردنا هذا الباب لذكر تراجم المشاهير من اهل النصرية الذين مع اشتهارهم يفتقروا على الكثير تاريخهم . وقد افردنا باباً آخر لتراجم المشاهير من الاسلام وغيرهم قضى علينا ضيق المقام بوضعه في الجزء التالي. وقد اصطحبنا في الارقام ان يكون العدد الاول دالاً على سنة الميلاد والثاني على سنة الوفاة . وان لم تر اعداداً فذلك تاريخ سنة الوفاة . وهو بحسب التاريخ السيعي .

وَسَارِ قَبَائِلَ رَبِيعَةَ يَسْتَجِدُّونَهُ وَقَالُوا: قَدْ جَلَّ الْخَطْبُ فَلَا قَرَارَ لَنَا عَلَيْهِ. وَكَانَ الْبَرَّاقُ مُعْتَرِلاً عَنْهُمْ بِقَوْمِهِ. فَأَخَذَتْهُ الْغَيْرَةُ وَأَنْشَأَ يَقُولُ:
 أَعْمَرِي لَسْتُ أَتْرُكُ آلَ قَوْمِي وَأَرْحَلُ عَنْ فِنَائِي أَوْ أَسِيرُ
 أَاَنْزِلُ بَيْنَهُمْ إِنْ كَانَ يُسَرُّ وَأَرْحَلُ إِنْ أَلَمَّ بِهِمْ عَسِيرُ
 ثُمَّ نَادَى فِي قَوْمِهِ وَقَالَ: قَدْ عَلِمْتُمْ كَثْرَةَ قَبَائِلِ طِيٍّ وَشِدَّةَ
 بَأْسِهِمْ وَتَجَدَّتِهِمْ فَشَدُّوا بِنَا الْخَيْلَ وَأَبْدَوْهُمْ بِالْفَارَةِ. فَوَضَعُوا فِيهِمْ
 السُّيُوفَ وَعَلَّتِ الْأَصْوَاتُ وَتَبَادَرَتْ إِلَيْهِمُ النَّاسُ وَحَمَلَتْ عَلَيْهِمْ كُلُّ
 قَبِيلَةٍ بِمَا يَلِيهَا. فَأَعْتَرَكُوا سَاعَةً وَوَلَّتْ طِيٌّ وَقَضَاعَةٌ بَعْدَ قِتْلَةٍ مُرَبَّعَةٍ.
 وَأَتَمَّهُمُ الْبَرَّاقُ. وَأَمْتَلَاتِ أَيْدِيهِمْ مِنَ الْغَنَائِمِ وَأَنْقَادَتْ إِلَيْهِمُ الْعُرَبَانُ.
 وَعَظُمَتْ مَنَزَلَةُ الْبَرَّاقِ فِي أَعْيُنِ النَّاسِ وَأَسْتَهَالُوا أَمْرَهُ وَأَثْنَوْا عَلَيْهِ
 جَمِيلًا. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ خَمْسِمِائَةٍ وَخَمْسٍ وَعِشْرِينَ لِلْمَسِيحِ.

٣٥٩ (إِمْرُؤُ الْقَيْسِ ٥٦٦). قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: هُوَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ بْنِ حَجْرٍ
 ابْنِ الْحَارِثِ مِنْ بَنِي كِنْدَةَ صَاحِبُ الْمُلَقَّةِ الْمَشْهُورَةِ. وَكَانَ مِنْ فُحُولِ
 شُعْرَاءِ الطَّبَقَةِ الْأُولَى مُقَدِّمًا عَلَى سَارِ شُعْرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ. سَبَقَ إِلَى
 أَشْيَاءَ ابْتَدَعَهَا وَاسْتَحْسَنَهَا الْعَرَبُ وَاتَّبَعَتْهُ عَلَيْهَا الشُّعْرَاءُ. وَكَانَ تُحِبُّ
 أَبُو أَمْرِئِ الْقَيْسِ مَلِكًا عَلَى بَنِي أَسَدٍ فَقَتَلُوهُ غِيلَةً. قَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ:
 فَجَاءَ رَسُولٌ إِلَى أَمْرِئِ الْقَيْسِ فَأَخْبَرَهُ عَنْ أَمْرِ أَبِيهِ فَقَالَ: الْحَمْرُ عَلَيَّ
 وَاللَّعِبُ حَرَامٌ حَتَّى أَقْتُلَ مِنْ بَنِي أَسَدٍ مِائَةً. وَأَجَزَ نَوَاصِي مِائَةٍ
 ثُمَّ قَامَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ وَكَانَ إِذْ ذَاكَ غُلَامًا قَدْ تَرَعَّعَ لَيْسِيرُ فِي أَحْيَاءِ

الْعَرَبُ . وَلَمَّا جَنَّهُ اللَّيْلُ رَأَى بَرَقًا فَقَالَ :

أَرَقْتُ لِبَرَقِ بَلِيلِ أَهْلٍ يُضِي سَنَاهُ بِأَعْلَى الْجَبَلِ
أَتَانِي حَدِيثٌ فَكَذَّبْتُهُ بِأَمْرِ تَرَعَزَ مِنْهُ الْقُلَلُ
بِقَتْلِ بَنِي أَسَدٍ رِبْهِمْ أَلَا كُلُّ شَيْءٍ سِوَاهُ جَلَلُ

ثُمَّ ارْتَحَلَ حَتَّى زَلَّ بَكْرًا وَتَغَلَّبَ فَسَأَلَهُمُ النَّصْرَ عَلَى بَنِي أَسَدٍ .
وَبَعَثَ الْعُيُونَ عَلَى بَنِي أَسَدٍ فَنَذَرُوا بِالْعُيُونِ وَجَلَّأُوا إِلَى بَنِي كِنَانَةَ .
فَنَهَضَ إِلَيْهِمْ وَبَنُوا أَسَدٍ جَاثُونَ عَلَى الْمَاءِ فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى كَثُرَتْ الْجُرْحَى
وَأَقْتُلُوا فِيهِمْ . وَحَجَزَ اللَّيْلُ بَيْنَهُمْ وَهَرَبَتْ بَنُو أَسَدٍ . فَلَمَّا أَصْبَحَتْ بَكْرٌ
وَتَغَلَّبَ أَبُو أَنْ يَتَّبِعُوهُ وَقَالُوا لَهُ : قَدْ أَصَبْتَ ثَارَكَ . فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا
فَعَلْتُ وَلَا أَصَبْتُ مِنْ بَنِي كَاهِلٍ وَلَا مِنْ غَيْرِهِمْ مِنْ بَنِي أَسَدٍ أَحَدًا .
قَالُوا : بَلَى وَلَكِنَّكَ رَجُلٌ مَشُورٌ . وَكَرِهُوا قِتَالَهُمْ بَنِي كِنَانَةَ وَأَنْصَرَفُوا
عَنْهُ فَمَضَى هَارِبًا لَوَجْهِهِ حَتَّى لَحِقَ بِحَمِيرٍ . ثُمَّ خَرَجَ فَظَفَرَ بِبَنِي أَسَدٍ
(قَالُوا) وَلَحِقَ الْمُنْذِرُ فِي طَلَبِ أَمْرِ الْقَيْسِ وَأَمَدَهُ أَنْ يُشِيرَ وَأَنْ يُجِيشَ مِنْ
الْأَسَاوِرَةِ فَسَرَّحَهُمْ فِي طَلَبِهِ . وَتَفَرَّقَ جَمِيرٌ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ عَنْهُ فَفَجَأَ فِي
عُصْبَةٍ مِنْ بَنِي أَكِلِ الْمُرَارِ حَتَّى زَلَّ بِالْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ مِنْ بَنِي
حَنْظَلَةَ وَمَعَ أَمْرِ الْقَيْسِ أَدْرَاعٌ يَتَوَارَثُونَهَا مِلْكًَا عَنْ مَلِكٍ . فَقَتَلَهُ
لَيْثُوَانٌ عِنْدَ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ حَتَّى بَعَثَ إِلَيْهِ الْمُنْذِرُ مِائَةً مِنْ أَصْحَابِهِ
يُوعِدُهُ بِالْحَرْبِ إِنْ لَمْ يُسَلِّمْ إِلَيْهِ بَنِي أَكِلِ الْمُرَارِ . فَاسْلَمَهُمْ وَنَجَا
أَمْرُ الْقَيْسِ وَمَعَهُ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَارِثِ وَبَنَتُهُ هِنْدُ بِنْتُ أَمْرِ

الْقَيْسِ وَالْأَذْرُعَ وَالسَّلَاحَ . ثُمَّ قَالَ لَهُ عَمْرُو بْنُ جَابِرِ بْنِ مَازِنٍ
الْفَزَارِيُّ : يَا ابْنَ حَجْرٍ إِنِّي أَرَاكَ فِي خَلٍّ مِنْ قَوْمِكَ وَأَنَا أَنَفْسُ
مِثْلِكَ مِنْ أَهْلِ الشَّرَفِ . أَفَلَا أَدُلُّكَ عَلَى بَلَدٍ فَقَدْ جِئْتُ قَيْصَرَ وَجِئْتُ
النُّعْمَانَ فَلَمْ أَرِ لَصِيفٍ نَازِلٍ وَلَا لِمَجْدٍ مِثْلُهُ وَلَا مِثْلَ صَاحِبِهِ . قَالَ :
مَنْ هُوَ وَأَيْنَ مَنْزِلُهُ . قَالَ : السَّمْوَلُ بَنِيَاءَ وَسَوْفَ أَضْرِبُ لَكَ مِثْلَهُ . هُوَ
يَمْنَعُ ضَعْفَكَ حَتَّى تَرَى ذَاتَ غَيْبِكَ . وَهُوَ فِي حِصْنٍ حَصِينٍ وَحَسَبٍ
كَبِيرٍ . فَمَضَى الْقَوْمُ حَتَّى قَدِمُوا عَلَى السَّمْوَلِ فَأَشَدَّهُ قَوْلُهُ :

وَلَقَدْ أَتَيْتُ بَنِي الْمَصَاصِ مُفَاخِرًا وَإِلَى السَّمْوَلِ زُرْتُهُ بِالْأَبْلَقِ
فَأَتَيْتُ أَفْضَلَ مَنْ تَحْمَلُ حَاجَةً إِنْ جِئْتُهُ فِي غَارِمٍ أَوْ مَرْهَقٍ
عَرَفْتُ لَهُ الْأَقْوَامَ كُلَّ فَضِيلَةٍ وَحَوَى الْمَكَارِمَ سَابِقًا لَمْ يُسْبَقِ
وَعَرَفَ لَهُمُ السَّمْوَلُ حَقَّهُمْ فَأَنْزَلَهُمْ فِي مَجْلِسٍ لَهُ بِرَاحٍ فَكَانَ عِنْدَهُ
مَا شَاءَ اللَّهُ . ثُمَّ إِنَّهُ طَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَكْتُبَ لَهُ إِلَى الْحَارِثِ بْنِ أَبِي شَيْمٍ
الْعَسَايِيِّ بِالشَّامِ لِيُوصِلَهُ إِلَى قَيْصَرَ . فَاسْتَجَدَّ لَهُ رَجُلًا وَاسْتَوْدَعَ عِنْدَهُ
الْأَذْرُعَ وَالْمَالَ وَأَقَامَ مَعَهَا يَزِيدُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ مُعَاوِيَةَ ابْنِ عَمِّهِ . فَمَضَى
حَتَّى أَتَاهُ إِلَى قَيْصَرَ فَقَبِلَهُ وَكَرَّمَهُ وَكَانَتْ لَهُ عِنْدَهُ مَنْزِلَةٌ . فَانْدَسَ
رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لَهُ الطَّمَّاحُ حَتَّى أَتَى إِلَى بِلَادِ الرُّومِ فَأَقَامَ
مُسْتَحْقِيًا . ثُمَّ إِنْ قَيْصَرَ ضَمَّ إِلَيْهِ جَيْشًا كَثِيفًا وَفِيهِمْ جَمَاعَةٌ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ .
فَلَمَّا فَصَلَ دَخَلَ الطَّمَّاحُ عَلَى قَيْصَرَ فَقَالَ : إِنَّ الْعَرَبَ قَوْمٌ غَدَرٌ وَلَا تَأْمَنُ
أَنْ يَظْفَرَ بِمَا يُرِيدُ ثُمَّ يَغْزُوكَ مِنْ بَعَثَ مَعَهُ . فَبَعَثَ إِلَيْهِ قَيْصَرَ

حِينَئِذٍ بِحُلَّةٍ وَشِيٍّ مَسْمُومَةٍ مَسْجُوجَةٍ بِالذَّهَبِ . وَقَالَ لَهُ : إِنِّي أُرْسَلْتُ
إِلَيْكَ بِحُلَّتِي الَّتِي كُنْتُ أَلْبَسُهَا تَكْرِمَةً لَكَ فَإِذَا وَصَلْتَ إِلَيْكَ فَالْبَسْهَا
بِالْيَمَنِ وَالْبَرَكَةِ . وَكُتِبَ إِلَيَّ بِخَبْرِكَ مِنْ مَنْزِلٍ مَنْزِلٍ . فَلَمَّا وَصَلْتُ إِلَيْهِ
لَبِسَهَا فَأَسْرَعَ فِيهِ أُلْسَمٌ وَسَقَطَ جِلْدُهُ فَسَمِيَ ذَا الْقُرُوحِ (الافاني)
٣٦٠ (عدي بن زيد ٥٨٢) . هُوَ مِنْ أَوْلَادِ زَارٍ وَكَانَ شَاعِرًا أَفْصَحًا مِنْ
شُعْرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ نَصْرَانِيًّا . وَكَانَ أَبُوهُ لَمَّا أَفْغَعَ طَرَحَهُ فِي الْكُتَّابِ
حَتَّى إِذَا حَذَقَ أَرْسَلَهُ الْمَرْزُبَانَ مَعَ ابْنِهِ شَاهَانَ مَرَدًا إِلَى كُتَّابِ الْفَارَسِيَّةِ .
فَكَانَ يَخْتَفِ مَعَ ابْنِهِ وَيَتَعَلَّمُ الْكُتَابَةَ وَالْكَلامَ بِالْفَارَسِيَّةِ . حَتَّى خَرَجَ
مِنْ أَفْهَمِ النَّاسِ بِهِمَا وَأَفْصَحِهِمُ بِالْعَرَبِيَّةِ . وَقَالَ الشَّعْرُ وَتَعَلَّمَ الرَّمِيَّ
بِالنِّسَابِ فَخَرَجَ مِنَ الْأَسَاوِرَةِ الرَّمَاةِ . وَتَعَلَّمَ لَعِبَ النِّجَمِ عَلَى الْحَيْلِ
بِالصَّوَالِحَةِ وَغَيْرِهَا . ثُمَّ اثْبَتَهُ كَسْرَى مَعَ وَلَدِ الْمَرْزُبَانَ فَكَانَ عَدِيُّ
أَوَّلَ مَنْ كَتَبَ بِالْعَرَبِيَّةِ فِي دِيوَانَ كَسْرَى . يُؤَدِّنُ لَهُ عَلَيْهِ فِي الْخَاصَّةِ
وَهُوَ مُعْجَبٌ بِهِ قَرِيبٌ مِنْهُ فَأَرْتَفَعَ ذِكْرُ عَدِيٍّ . وَلَمَّا تَوَلَّى النُّعْمَانُ بْنُ
الْمُنْذِرِ عَلَى الْحَيَرَةِ اسْتَدْعَى عَدِيَّ بْنَ زَيْدٍ مِنَ الْمَدَائِنِ مَعَ أَخَوَيْهِ لَهُ
أَسْمُهُمَا أَيُّ وَعَامِرٌ فَأَكْرَمَهُمْ وَأَجَزَلَ صَلَاتِهِمْ وَزَوَّجَ عَدِيًّا ابْنَتَهُ هِنْدًا وَوَلَّاهُ
مَمْلَكَتَهُ وَكُلَّ شَيْءٍ سِوَى أَسْمِ الْمَلِكِ . ثُمَّ حَسَدَهُ وَحَبَسَهُ فِي مَحْبَسٍ لَا
يَدْخُلُ عَلَيْهِ فِيهِ أَحَدٌ . فَجَعَلَ عَدِيُّ يَقُولُ الشَّعْرَ وَهُوَ فِي الْحَبْسِ فَمِنْ قَوْلِهِ :
أَلَا مَنْ مُبْلِغُ النُّعْمَانِ عَنِّي وَقَدِ هَوَى النَّصِيحَةَ بِالْمَغِيبِ
أَحْظِي كَانَ سِلْسِلَةً وَقِيدًا وَغَلًّا وَالْبَيَانَ لَدَى الطَّيِّبِ

أَتَاكَ يَا نَبِيَّ قَدْ طَالَ حَبْسِي وَلَمْ تَسْأَمْ بِمَسْجُونٍ حَرِيبٍ
وَبَيْتِي مُقْفَرٌ إِلَّا نِسَاءً أَرَامِلَ قَدْ هَلَكْنَ مِنَ الْخَيْبِ
يُبَاذِرْنَ الدَّمْعَ عَلَى عَدِي كَشَنَ خَانَهُ خَزَزُ الرِّيبِ
فَهَلْ لَكَ أَنْ تَدَارِكَ مَا لَدَيْنَا وَلَا تُغْلِبَ عَلَى الرَّأْيِ الْمَصِيبِ
فَإِنِّي قَدْ وَكَلْتُ الْيَوْمَ أَمْرِي إِلَى رَبِّ قَرِيبٍ مُسْتَجِيبِ
وَكَتَبَ إِلَى أَخِيهِ أَبِي وَهُوَ مَعَ كَسْرِي :

وَتَقُولُ الْعِدَّةُ أَوْدَى عَدِي وَبَنُوهُ قَدْ أَيْقَنُوا بَعْلَاقِ
يَا أَبَا مُبَشَّرٍ فَأَبْلِغْ رَسُولًا إِخْوَتِي إِنْ أَتَيْتَ صَحْنُ الْعِرَاقِ
أَبْلِغَا عَامِرًا وَأَبْلِغْ أَخَاهُ أَنِّي مُوثِقٌ شَدِيدٌ وَثَاقِي
فِي حَدِيدٍ مُضَاعَفٍ وَغَالِلٍ وَثِيَابٍ مُنْصَحَاتٍ خِلَاقِ
فَارْكَبُوا فِي الْحَرَامِ فَكُونُوا أَخَاكُمْ إِنْ عِيراً تَجَهَّزْتَ لَا تَطْلَاقِ
فَلَمَّا قَرَأَ أَبِي كِتَابَ عَدِي قَامَ إِلَى كَسْرِي فَسَكَّمَهُ فِي أَمْرِهِ
وَعَرَفَهُ خَبْرَهُ . فَكَتَبَ إِلَى النُّعْمَانِ يَا مَرُّهُ بِإِطْلَاقِهِ . فَأَتَى النُّعْمَانُ أَعْدَاءَ
عَدِي فَأَعْرَضَهُ عَلَى قَتْلِهِ فَقَتَلَهُ (*) (لأبي الفرج الاصبهاني)

(*) واخبر صاحب كتاب الاغانى انه لما انتهى خبر قتل عدي الى كسرى سكت اشهرًا على ذلك ووقع في قلبه منه ما وقع . وجعل النعمان يستعد ويتوقع حتى آتاه كتابه أن أقبل فأنا للملك حاجة اليك . فحمل سلاحه وما قوي عليه ثم لحق بالبادية وأقبل يطوف على قبائل العرب وليس احد منهم يقبله خوفًا من كسرى . فقال له بعض أصحابه : عندي رأي لك لست أشير به عليك لأدفعك عما تريد من مجاورتي ولكنه الصواب . فقال : هات . فقال : ان كل امرء يحمل بالرجل ان يكون عليه الا أن يكون بعد الملك سوقة والموت نازل بكل احد . ولأن قوت كرمًا خير من أن تتجرع الذل أو تبقى سوقة بعد الملك . فامض الى صاحبك واحمل

٣٦١ (حَاتِمُ الطَّائِي ٦٠٥) . هُوَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدِ الطَّائِي .
وَكَانَ نَصْرَانِيًّا مِنَ الْكُرَمِ عَلَى أَفْضَلِ جَانِبٍ . فَيَفُكُّ الْعَالِي وَيَجْمِي الدَّمَارَ
وَيَقْرِي الضَّيْفَ وَيَشْبِعُ الْجَائِعَ وَيُفْرِجُ عَنِ الْمَكْرُوبِ وَيُطْعِمُ الطَّعَامَ
وَيُنْفِثِي السَّلَامَ . وَلَمْ يَرُدَّ طَالِبَ حَاجَةٍ قَطُّ . وَكَانَ حَاتِمٌ مِنْ شُعْرَاءِ
الْعَرَبِ جَوَادًا يُشَبِّهُ شَعْرَهُ جُودَهُ . وَيُصَدِّقُ قَوْلَهُ فِعْلُهُ . وَكَانَ حَيْثُمَا
نَزَلَ عُرِفَ مَنَزِلُهُ وَكَانَ مُظْفَرًا إِذَا قَاتَلَ غَلَبَ . وَإِذَا غَنِمَ أَنَهَبَ . وَإِذَا
سُئِلَ وَهَبَ . وَكَانَ إِذَا جَنَّ اللَّيْلُ يُوعِزُّ إِلَى غُلَامِهِ أَنْ يُوقِدَ النَّارَ فِي
يَفَاعٍ مِنَ الْأَرْضِ لِيَنْظُرَ إِلَيْهَا مَنْ أَضَلَّهُ الطَّرِيقُ فَيَأْوِي إِلَى مَنَزِلِهِ وَيَقُولُ :
أَوْقِدْ فَإِنَّ اللَّيْلَ لَيْلٌ قَرٌّ وَالرَّيْحُ يَا مُوقِدُ رِيحٌ صِرٌّ
عَسَى يَرَى نَارَكَ مِنْ يَمِينٍ . إِنْ جَلَبْتَ ضَيْفًا فَأَنْتَ حُرٌّ
وَكَانَ إِذَا أَهَلَ الشَّهْرَ يُنَحِّرُ عَشْرًا مِنَ الْإِبِلِ فَيُطْعِمُ النَّاسَ (دواوين العرب)
٣٦٢ (أُمِيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ ٦٢٤) هُوَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ
الْتَقِيٍّ مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ مِنْ شُعْرَاءِ الطَّبَقَةِ الْأُولَى . وَكَانَ أُمِيَّةٌ مِنْ
رُؤَسَاءِ ثَقِيفٍ وَفُصَحَاءِهِمْ يَتَعَبَّدُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَيُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ . وَيُنْشِدُ
فِي أَثْنَائِهِ الشُّعْرَ الْمُلْحِجَ وَادْرَكَ الْإِسْلَامَ وَلَمْ يُسْلِمَ . وَلَهُ فِي الْفَخْرِ :

اليه هدايا ومالاً وألقى نفسك بين يديه . فإمّا إن صفح عنك فعدت ملكاً عزيزاً . وإمّا إن
أصابك فلموت خيرٌ من أن يتلعب بك صمالك العرب ويتخطفك ذئابها وتاكل مالك
وتعيش فقيراً مجاوراً أو تقتل مقهوراً : ففضي الى كسرى حتى اذا وصل الى المدائن بلغ كسرى انه
بالباب فبعث اليه فقبده وبعث به الى سجن كان له بخانقين فلم يزل فيه حتى مات . وقال
الكلبي : القاه تحت ارجل الفيلة فوطئته حتى مات وذلك قبيل الاسلام بعين (الاغاني)

وَرِثْنَا الْمَجْدَ عَنْ كُبْرَى زَارٍ فَأَوْرَثْنَا مَآثِرَنَا بَيْنَنَا
وَكُنَّا حَيْثُمَا عَلِمْتَ مَعَدٍ أَقَمْنَا حَيْثُ سَارُوا هَارِبِينَ
تُخْبِرُكَ الْقَبَائِلُ مِنْ مَعَدٍ إِذَا عَدُّوا سِعَايَةَ أَوْلِيَانَا
يَا أَيُّهَا النَّازِلُونَ بِكُلِّ نَعْرِ وَأَنَا الضَّارِبُونَ إِذَا التَّقِيَا
وَأَنَا الْمُلَاعِنُونَ إِذَا أَرَدْنَا وَأَنَا الْعَاطِفُونَ إِذَا دُعِينَا
وَأَنَا الْحَامِلُونَ إِذَا أَنَاخَتْ خُطوبُ فِي الْعَشِيرَةِ بَتَلِينَا
وَأَنَا الرَّافِعُونَ عَلَى مَعَدٍ أَكْفَأَ فِي الْمَكَارِمِ مَا بَقِينَا
نُشْرِدُ بِالْخُفَاةِ مَنْ أَتَانَا وَيُعْطِينَا الْمَقَادَةَ مَنْ يَلِينَا
لَسِيرٍ بِمَشْرِ قَوْمًا لِقَوْمٍ وَنَدْخُلُ دَارَ قَوْمٍ آخِرِينَ
وَحَضَرَ يَوْمًا مَجْلِسَ بَعْضِ الرُّؤَسَاءِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ أَطْبَاقٌ مِنَ الذَّهَبِ
فِيهَا وَرْدٌ أَبْيَضٌ وَاحْمَرُّ فَأَمَرَهُ بِوَضْعِهَا فَقَالَ :

كَأَنَّمَا الْوَرْدُ الَّذِي لَشَرِّهِ يَبْقَى مِنْ طِيبٍ مَعَانِيكَ
دِمَاءُ أَعْدَائِكَ مَسْفُوكَةً قَدْ قَابَلَتْ بَيْضَ أَيْدِيكَ
وَمِنْ شَعْرِهِ قَوْلُهُ يَمْدَحُ ابْنُ جَدْعَانَ الشَّيْمِيِّ صَدِيقَهُ :
خَلِيلٌ لَا يُغَيِّرُهُ صَبَاحٌ عَنِ الْخُلُقِ الْجَمِيلِ وَلَا مَسَاءُ
وَأَرْضُكَ كُلُّ مَكْرَمَةٍ بَلَّتْهَا بُنُو تَيْمٍ وَأَنْتَ لَهَا سَمَاءُ
إِذَا أَثْنَى عَلَيْكَ الْمُرءُ يَوْمًا كَفَاهُ مِنْ تَعَرُّضِهِ لِلنَّهَاءِ
قَالَ اللَّيْثِيُّ : لَمَّا مَرَضَ أُمَيَّةُ الْمَرَضُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ جَعَلَ يَقُولُ :
قَدْ دَنَا أَجَلَ وَهَذِهِ الْمُرَضَةُ مِنِّْي . فَلَمَّا دَنَتْ وَفَاتَهُ أَغْمَى عَلَيْهِ قَلِيلًا

ثُمَّ أَفَاقَ وَهُوَ يَقُولُ : لَبَيْكُمَا لَبَيْكُمَا هَا أَنَا ذَا لَدَيْكُمَا . لَا مَالَ لِي
يَفِدِينِي وَلَا عَشِيرَةَ تَحْمِينِي . وَرَفَعَ رَأْسَهُ وَهُوَ يَقُولُ :
كُلُّ حَيٍّ وَإِنْ تَطَاوَلَ دَهْرًا حَازِرٌ مَرَّةً إِلَى أَنْ يَزُولَا
لَيْتَنِي كُنْتُ قَبْلَ مَا قَدْ بَدَأَ لِي فِي قِلَالِ الْجِبَالِ أَرْعَى الْوَعُولَا
إِجْعَلِ الْمَوْتَ نُصْبَ عَيْنِكَ وَأَحْذَرْ غَوْلَةَ الدَّهْرِ إِنَّ الدَّهْرَ غُولا
ثُمَّ قَضَى نَحْبَهُ فِي قَصْرِ مِنْ قُصُورِ الطَّائِفِ (لَا بِي زَكَرِيَا النُّووي)
٣٦٣ (أَبُو زَيْد ٦٤٥) . هُوَ حَرَمَلَةٌ بَنُ الْمُنْذِرِ مِنْ بَنِي طَيْيٍّ . وَكَانَ
نَصْرَانِيًّا وَعَلَى دِينِهِ مَاتَ . وَهُوَ مِمَّنْ أَدْرَكَ الْجَاهِلِيَّةَ وَالْإِسْلَامَ .
كَانَ يَزُورُ الْمُلُوكَ وَخَاصَّةً مُلُوكَ الْعَجَمِ . وَكَانَ عَالِمًا بِسَيْرِهِمْ . وَكَانَ عُثْمَانُ
ابْنُ عَفَّانٍ يَقْرُبُهُ إِلَى ذَلِكَ وَيُدِينِي مَجْلِسَهُ . وَكَانَ يَكْثُرُ وَصْفُ الْأَسَدِ
فَتَذَاكُرُوا مَا ثَرَّ الْعَرَبِ وَأَشْعَارَهَا فَالْتَقَتْ عُثْمَانُ إِلَى أَبِي زَيْدٍ وَقَالَ :
يَا أَخَا تَبَعِ الْمَسِيحِ أَسْمِعْنَا بَعْضَ قَوْلِكَ . فَقَدْ أَنْبَأْتُ أَنَّكَ مُجِيدٌ . فَأَنْشَدَهُ
قَصِيدَتَهُ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا :

مَنْ مُبْلَغُ قَوْمِنَا النَّائِينَ إِذْ شَخَطُوا أَنَّ الْقَوَادِ إِلَيْهِمْ شَيْقٌ وَلِعُ
وَوَصَفَ الْأَسَدَ فَقَالَ عُثْمَانُ : تَأَلَّهْ تَفَنَّا تَذَكُّرُ الْأَسَدِ مَا حَيْتَ وَاللَّهِ
إِنِّي لَا أَحْسَبُكَ جَبَانًا هَرَبًا . قَالَ : كَلَّا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنِّي رَأَيْتُ
مِنْهُ مَنْظَرًا وَشَهِدْتُ مِنْهُ مَشْهَدًا لَا يَبْرَحُ ذِكْرُهُ يَتَجَدَّدُ وَيَتَرَدَّدُ فِي قَلْبِي .
وَمَعْدُورٌ أَنَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ مَلُومٍ . فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ : وَأَنَّى كَانَ ذَلِكَ .
قَالَ : خَرَجْتُ فِي صُيَابَةِ أَشْرَافٍ مِنْ أَبْنَاءِ قَبَائِلِ الْعَرَبِ ذَوِي هَيْئَةٍ

وَشَارَةَ حَسَنَةَ تَرْمِي بِنَا الْمَهَارِي بِأَكْسَائِهَا وَنَحْنُ زَيْدُ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي شَمْرٍ
الْغَسَّانِي مَلِكُ الشَّامِ . فَأَخْرَوْطَ بِنَا السَّيْرُ فِي حِمَارَةٍ الْقَيْظِ حَتَّى إِذَا
عَصَبَتِ الْأَفْوَادُ وَذَبَلَتِ الشِّفَاهُ وَسَالَتِ الْمِيَاهُ . وَأَذَكْتَ الْجُوزَاءُ الْمُعْزَاءُ
وَصَرَ الْجُنْدُبُ قَالَ قَائِلٌ : أَيُّهَا الرُّكْبُ غُورُوا بِنَا فِي ضَوْجِ هَذَا
الْوَادِي . وَإِذَا وَادٍ قَدْ بَدَأَ لَنَا كَثِيرُ الدَّغْلِ دَائِمُ الْغُلِّ . أَشْجَارُهُ مَغْنَّةٌ
وَأَطْيَارُهُ مَرْنَةٌ . فَحَطَطْنَا رِحَالَنَا بِأُصُولِ دَوْحَاتِ كَنْهَبَاتٍ . فَأَصْبْنَا مِنْ
فَضَلَاتِ الزَّادِ وَاتَّبَعْنَاهَا الْمَاءُ الْبَارِدَ . فَإِنَّا لَنَصِفُ حَرَّ يَوْمِنَا وَمِمَّا طَلَّتْهُ إِذْ
صَرَ أَقْصَى الْخَيْلِ أَذْنِيهِ . وَفَحَّصَ الْأَرْضَ بِيَدَيْهِ . فَوَاللَّهِ مَا لَيْثَ أَنْ
جَالَ . ثُمَّ حَمَمَ الْخَيْلُ وَتَكَمَّكَتِ الْأَيْلُ وَتَهَمَّقَتِ الْبِغَالُ . فَمِنْ تَأْفِيرٍ
بِشِكَالِهِ . وَنَاهَضَ بِعِقَالِهِ . فَعَلِمْنَا أَنَّ قَدْ أُتِينَا وَأَنَّ هُ السَّبْعُ قَفَرَعُ كُلِّ وَاحِدٍ
مِنَّا إِلَى سَيْفِهِ فَأَسْتَلَّهُ مِنْ جَرَابِهِ . ثُمَّ وَفَقْنَا رَزْدَقًا أَرْسَالًا وَأَقْبَلَ أَبُو
الْحَارِثِ مِنْ أَجْمَتِهِ يَتَطَالَعُ فِي مَشْيَتِهِ مِنْ نَعْتِهِ كَأَنَّهُ مُجْنُوبٌ أَوْ فِي هِجَارٍ
بِصَدْرِهِ نَحِيطٌ . وَلِبَاسُهُ غَطِيطٌ . وَلِطَرَفِهِ وَمِيزٌ . وَلَا رِسَاغِهِ نَقِيزٌ .
كَأَنَّمَا يُخْبِطُ هَشِيمًا . أَوْ يَطَأُ صَرِيمًا . وَإِذَا هَامَةً كَالْمَجْنُونِ . وَخَذَّ كَالْمِسْنِ .
وَعَيْنَانِ سَجَرَاوَانِ . كَأَنَّهُمَا سِرَاجَانِ يَقْدَانِ . وَكَفَّ شَتْنُهُ الْبَرَّانِ إِلَى
مَخَابِيبِ كَالْمُحَاجِنِ . فَضْرَبَ بِيَدِهِ فَارْهَجَ . وَكَشَرَ فَأَفْرَجَ عَنْ أَنْيَابِ
كَالْمَعَاوِلِ مَضْمُولَةٍ غَيْرِ مَفْلُولَةٍ . ثُمَّ أَقْعَى فَأُقْشِرَ ثُمَّ مَثَلُ فَأُكْفَهَرَ . ثُمَّ
تَجَمَّهَمَ فَازْ بَارَّ . فَلَا وَدُوْبَيْتُهُ فِي السَّمَاءِ مَا أَتَقْنِيَاهُ إِلَّا بِأَخٍ لَنَا مِنْ فِرَازَةٍ
كَانَ صَنْحُهُ الْجُرَّارَةِ . فَوَقَّصَهُ ثُمَّ نَفَضَهُ نَفْضَةً فَقَضَضَهُ مَتْنِيَهُ فَجَعَلَ

يَلْبِغُ فِي دَمِهِ . فَذَمَرْتُ لِأَصْحَابِي فَأَخْتَلَجَ رَجُلًا عَجْرًا ذَا حَوَايَا فَفَقَضَهُ
 نَفْضَةً تَرَأَيْتُ مَقَاصِلَهُ . ثُمَّ نَهَمَ فَفَرَفَرْتُ ثُمَّ زَفَرْتُ فَبَرَّ . ثُمَّ زَارَ فَجَرَ جَرَّ .
 ثُمَّ لَحَظَ فَوَاللَّهِ لَحَلَّتْ الْبَرْقُ يَتَطَايَرُ مِنْ تَحْتِ جُنُوبِهِ مِنْ شِمَالِهِ وَبِمِيزَانِهِ .
 فَأَرَعَشَتْ الْأَيْدِي وَأَصْطَكَّتِ الْأَرْجُلُ وَأَطَّتِ الْأَضْلَاعُ . وَارْتَجَّتِ
 الْأَسْمَاعُ . وَشَخَصَتِ الْعُيُونُ . وَتَحَقَّقَتِ الظُّنُونُ وَانْخَرَلَتِ الْأُمُورُ . فَقَالَ
 لَهُ عُثْمَانُ : أَسْكُتْ فَقَدْ أَرَعَبْتَ قُلُوبَ الْمُسْلِمِينَ . وَيُقَالُ إِنَّ أَبَا زَيْدٍ
 عُمَرَ مِائَةَ سَنَةٍ بَنِيْفٍ وَدُفِنَ فِي الرُّقَّةِ فِي بَيْعَةِ النَّصَارَى (الآغَانِي)
 ٣٦٤ (أَلْقَطَائِي ٧١٠) . هُوَ لَقَبٌ عَلَبَ عَلَيْهِ وَاسْمُهُ عُمَيْرُ بْنُ سُيَمٍ
 وَكَانَ نَصْرَانِيًّا . قَالَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ : أَوَّلُ مَا حَرَّكَ مِنَ الْقَطَائِي
 وَرَفَعَ مِنْ ذِكْرِهِ أَنَّهُ قَدِمَ فِي خِلَافَةِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ دِمَشْقَ
 لِيَمْدَحَهُ فَقِيلَ لَهُ : إِنَّهُ يُجِيلُ لَا يُعْطِي الشُّعْرَاءَ وَالشُّعْرُ لَا يَنْفِقُ عِنْدَهُ . وَهَذَا
 عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ سُلَيْمَانَ فَاْمَدَحَهُ . فَمَدَحَهُ فَقَالَ لَهُ : كَمْ أَمَلْتَ مِنْ أَمِيرِ
 الْمُؤْمِنِينَ قَالَ : أَمَلْتُ أَنْ يُعْطِيَنِي ثَلَاثِينَ نَاقَةً . فَقَالَ : قَدْ أَمَرْتُ لَكَ
 بِخَمْسِينَ نَاقَةً مُوقَرَةً بَرًّا وَتَمَرًا وَثِيَابًا ثُمَّ أَمَرَ بِدَفْعِ ذَلِكَ إِلَيْهِ . وَلَمَّا سَارَ
 عُمَيْرُ بْنُ الْحُبَابِ لِمُحَارَبَةِ بَنِي عَتَّابٍ وَفِيهِمْ أَخْلَاطُ تَعْلَبَ اسْتَحَرَّ بِهِمْ
 الْقَتْلُ وَأَصِيبَ أَكْثَرِهِمْ وَأَسْرَ مِنْهُمْ كَثِيرٌ مِنْهُمْ الْقَطَائِي . وَأَخَذَتْ إِبِلُهُ
 فَأَتَى الْأَمِيرَ زُفَرَ فَحَلَّى سَبِيلَهُ وَرَدَّ عَلَيْهِ مِائَةَ نَاقَةٍ . فَقَالَ الْقَطَائِي يَمْدَحُهُ :
 يَا زُفَرَ بْنَ الْحَارِثِ ابْنَ الْأَكْرَمِ قَدْ كُنْتَ فِي الْحَيِّ قَدِيمَ الْمُقَدَّمِ
 إِذَا انْجَمَ الْقَوْمُ وَلَمَّا تَنَجَّمَ إِنَّكَ وَابْنُكَ حَفِظْتُمْ مَحْرَمِي

وَحَقَّنَ اللَّهُ بِكَفِّكَ دَمِي مِنْ بَعْدِ مَا جَفَّ لِسَانِي وَفِي
 أَنْقَذْتَنِي مِنْ بَطْلٍ مُعَمَّمٍ وَأَحْلَيْتَ تَحْتَ الْعَارِضِ الْمُسَوِّمِ
 أَخْبِرْ أُمْدَانِي قَالَ: قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ لِلْأَخْطَلِ وَعِنْدَهُ
 عَامِرُ الشَّعْبِيِّ: أَتُحِبُّ أَنْ لَكَ قِيَا ضًا بِشِعْرِكَ شِعْرًا أَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ
 أَمْ تُحِبُّ أَنْتَ قُلْتَهُ. قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا أَنِّي وَدِدْتُ أَنِّي
 كُنْتُ قُلْتُ أَيْبَانًا قَالَهَا رَجُلٌ مِنَّا مُغْدِفُ الْقِنَاعِ. قَلِيلُ السَّمَاعِ قَصِيرُ
 الذَّرَاعِ. قَالَ: وَمَا قَالَ. فَأَنشدهُ قَوْلَ الْقَطَامِيِّ فِي عَبْدِ الْوَاحِدِ سُلَيْمَانَ:
 إِنَّا مُحِبُّوكَ فَاسْلَمْ أَيُّهَا الطَّلَلُ وَإِنْ بَلَيْتَ وَإِنْ طَالَتْ بِكَ الطَّلِيلُ
 لَيْسَ الْجَدِيدُ بِهِ تَبْقَى بَشَاشَتُهُ إِلَّا قَلِيلًا وَلَا ذُو حَلَةٍ يَصِلُ
 وَالْعَيْشُ لَا عَيْشَ إِلَّا مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنٌ وَلَا حَالٌ إِلَّا سَوْفَ تَنْقَلُ
 قَدْ يَذُرُّكَ الْمُتَأَنِّي بَعْضَ حَاجَتِهِ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعْجِلِ الزَّلَلُ
 حَتَّى أَتَى عَلَى آخِرِهَا. فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ: تَكَتِ
 الْقَطَامِيُّ أُمُّهُ. هَذَا وَاللَّهِ الشَّعْرُ

٣٦٥ (الْأَخْطَلُ ٧١٢) هُوَ أَبُو مَالِكٍ غِيَاثُ بْنُ غَوْثِ بْنِ الصَّلْتِ بْنِ
 الطَّارِفَةِ. وَأَصْلُ تَسْمِيَّتِهِ بِالْأَخْطَلِ أَنَّهُ هَجَرَ رَجُلًا مِنْ قَوْمِهِ فَقَالَ لَهُ:
 يَا غَلَامُ إِنَّكَ لَأَخْطَلُ اللِّسَانِ. فَغَلَبَتْ عَلَيْهِ. وَكَانَ الْأَخْطَلُ نَصْرَانِيًّا
 وَنَحَلَهُ فِي الشَّعْرِ أَكْبَرَ مِنْ أَنْ يَخْتِاجَ إِلَى وَصْفٍ. وَهُوَ وَجَرِيْرٌ وَالْفَرَزْدَقُ
 طَبَقَهُ وَاحِدَةً. سُئِلَ حَمَادُ الرَّائِيَّةِ عَنِ الْأَخْطَلِ فَقَالَ: مَا تَسْأَلُونِي
 عَنْ رَجُلٍ قَدْ حَبَّبَ شِعْرَهُ إِلَى النَّصْرَانِيَّةِ. وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو: لَوْ أَدْرَكَ

الْأَخْطَلُ يَوْمًا وَاحِدًا مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ مَا قَدَّمْتُ عَلَيْهِ أَحَدًا . قِيلَ لَجَرِيذٍ مَا
 تَقُولُ فِي الْأَخْطَلِ . قَالَ : كَانَ أَشَدَّنَا اجْتِرَاءً وَأَرْمَانًا لِلْفَرَانِصِ
 وَأَمْدَحَ النَّاسِ لِكَرِيمٍ . وَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ يَقُولُ : شُعْرَاءُ الْإِسْلَامِ
 الْأَخْطَلُ ثُمَّ جَرِيذٌ ثُمَّ الْفَرَزْدَقُ . وَكَانَ يُشَبِّهُ الْأَخْطَلُ بِالنَّافِثَةِ لِحَيْتِهِ
 شَعْرَهُ وَيَقُولُ : الْأَخْطَلُ أَشَبُّهُ بِالْجَاهِلِيَّةِ وَأَشَدُّهُمْ أَمْرَ شَعْرٍ وَأَقْلَهُمْ
 سَقَطًا . أَخْبَرَ عَلِيُّ بْنُ مُجَاهِدٍ قَالَ : دَخَلَ الْأَخْطَلُ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ
 فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ زَعَمَ ابْنُ الْمُرَاغَةِ أَنَّهُ يَبْلُغُ مِدْحَتَكَ فِي ثَلَاثَةِ
 أَيَّامٍ . وَقَدْ أَقَمْتُ فِي مِدْحَتِكَ (خَفَّ الْقَطِينُ قَرَأُوا مِنْكَ أَوْ بَكَرُوا)
 سَنَةً فَمَا بَلَغْتُ كُلَّمَا أَرَدْتُ . فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : مَا يَمْنَعُهَا يَا أَخْطَلُ .
 فَأَنْشَدَهُ إِيَّاهَا فَجَعَلَتْ أَرَى عَبْدَ الْمَلِكِ يَتَطَاوَلُ لَهَا . ثُمَّ قَالَ : وَيَحْكُ
 يَا أَخْطَلُ أَتُرِيدُ أَنْ أَكْتُبَ إِلَيْكَ الْأَقَاقِ أَنَّكَ أَشَعْرُ الْعَرَبِ . قَالَ :
 أَكْتَفِي بِقَوْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . وَأَمْرَ لَهُ بِحِفْظِهِ كَانَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَمَّتْ
 دَرَاهِمَ وَأَلْقَى عَلَيْهِ خِلْعًا . وَخَرَجَ بِهِ مَوْلَى لِعَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى النَّاسِ يَقُولُ :
 هَذَا شَاعِرُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا أَشَعْرُ الْعَرَبِ . وَأَخْبَرَ أَبُو عَمْرٍو قَالَ :
 لَقَدْ كَانَ الْأَخْطَلُ يَمْحِي وَعَلَيْهِ جِيَّةٌ خَزَّ فِي عُنُقِهِ سَنَسِلَةٌ ذَهَبٌ فِيهَا
 صَلِيبٌ ذَهَبٌ حَتَّى يَدْخُلَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بَغِيرِ إِذْنٍ . قَالَ الْأَخْطَلُ :
 فَضَلْتُ الشُّعْرَاءَ فِي الْمَدِيحِ وَالْهَجَاءِ بَمَا لَا يُلْحَقُ بِي فِيهِ . فَقَوْلِي بِالْمَدِيحِ :
 نَفْسِي فِدَاءُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا أَبَدَى التَّوَاجِدَ يَوْمَ عَارِمٍ ذَكَرُ
 الْحَارِثُ الْعَمْرَةَ الْيَمُونَ طَائِرُهُ خَلِيفَةُ اللَّهِ يُسْتَسْقَى بِهِ الْمَطَرُ

وَقَوْلِي فِي الْهَجَاءِ :

وَكُنْتُ إِذَا لَقِيتُ عَيْدَ تَيْمٍ وَتَيْمًا قُلْتُ أَيُّهُمَا الْعَيْدُ
لَيْمُ الْعَالَمِينَ يَسُودُ تَيْمًا وَسَيِّدُهُمْ وَإِنْ كَرِهُوا مَسُودُ
قَالَ عَبْدُ الْحَالِقِ : وَصَدَقَ لَعْمَرِي لَقَدْ فَضَّلَهُمْ . قَالَ الْجَوْهَرِيُّ :
كَانَ مِمَّا يُقَدَّمُ بِهِ الْأَخْطَلُ أَنَّهُ كَانَ أَخْبَثَ الشُّعْرَاءِ هَجَاءً فِي عَفَافٍ
مِنَ الْفُحْشِ . وَقَالَ الْأَخْطَلُ : مَا هَجَوْتُ أَحَدًا قَطُّ مَا تَسْتَحْيِي الْعُذْرَاءُ
أَنْ تُنْشِدَهُ أَبَاهَا . قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ : قَدِمْتُ الشَّامَ وَأَنَا شَابٌ .
فَكُنْتُ أَطُوفُ فِي كَنَائِسِهَا وَمَسَاجِدِهَا فَدَخَلْتُ كَنِيسَةً دِمَشْقَ وَإِذَا
الْأَخْطَلُ فِيهَا مَجْبُوسٌ . فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِ فَسَأَلَ عَنِّي فَأَخْبِرَ بِنَسَبِي .
فَقَالَ : يَا فَتَى إِنَّكَ لَرَجُلٌ شَرِيفٌ وَإِنِّي أَسْأَلُكَ حَاجَةً . فَقُلْتُ :
حَاجَتُكَ مُضْمِيَّةٌ . قَالَ : إِنْ أَلْقَسَ حَبَسَنِي هَهُنَا فَتَكَلِّمْنِي لِيُخْلِيَ عَنِّي .
فَأَتَيْتُ أَلْقَسَ فَأَنْتَسَبْتُ لَهُ فَرَجَبَ وَعَظَمَ . فَقُلْتُ : إِنْ لِي إِلَيْكَ
حَاجَةٌ . قَالَ : مَا حَاجَتُكَ . قُلْتُ : الْأَخْطَلُ يُخْلِي عَنِّي . قَالَ : أُعِيدُكَ
بِاللَّهِ مِنْ هَذَا . مِثْلُكَ لَا يَتَكَلَّمُ فِيهِ . فَاسِقُ يَشْتُمُ أَعْرَاضَ النَّاسِ
وَيَهْجُوهُمْ . فَلَمْ أَزَلْ أَطْلُبُ إِلَيْهِ حَتَّى مَضَى مَعِيَ مُتَكَسِّعًا عَلَى عَصَاهُ .
فَوَقَّفَ عَلَيْهِ وَرَفَعَ عَصَاهُ وَقَالَ : يَا عَدُوَّ اللَّهِ أَتَعُودُ تَشْتُمُ النَّاسَ
وَتَهْجُوهُمْ وَتَقْذِفُ الْمُحْصَنَاتِ . وَهُوَ يَقُولُ : لَسْتُ بِعَائِدٍ وَلَا أَفْعَلُ
وَيَسْتَحْذِي لَهُ . قَالَ : فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَبَا مَالِكٍ النَّاسُ يَهَابُونَكَ وَالْخَلِيفَةُ
يُكْرِمُكَ وَقَدَرُكَ فِي النَّاسِ قَدْرُكَ وَأَنْتَ تَخْضَعُ لِهَذَا هَذَا الْخُضُوعَ

وَتَسْتَحْذِي لَهُ . فَجَعَلَ يَقُولُ لِي : إِنَّهُ الدِّينُ إِنَّهُ الدِّينُ (الآغاني) (*)

خطباء النصرانية

٣٦٦ (قُسُّ بْنُ سَاعِدَةَ ٦٠٠) . هُوَ أُسْقِفُ مَجْرَانَ خَطِيبُ الْعَرَبِ
وَشَاعِرُهَا وَحَلِيمُهَا وَحَكِيمُهَا وَحَكَمُهَا فِي عَصْرِهِ . يُقَالُ إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ
عَلَا عَلَى شَرَفٍ وَخَطَبَ عَلَيْهِ وَأَوَّلُ مَنْ قَالَ فِي كَلَامِهِ : أَمَّا بَعْدُ .
وَأَوَّلُ مَنْ أَتَكَأَ عِنْدَ خُطْبَتِهِ عَلَى سَيْفٍ أَوْ عَصَا . حَدَّثَ بَعْضُهُمْ قَالَ :
كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى قُسِّ بِسُوقِ عَكَاظَ وَهُوَ يَقُولُ : أَيُّهَا النَّاسُ أَسْمَعُوا
وَعُوا : مَنْ عَاشَ مَاتَ . وَمَنْ مَاتَ فَاتَ . وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ . لَيْلٌ
دَاجٍ . وَسَمَاءٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ . بِحَارٌ تَزْخَرُ . وَمَجُومٌ تَزْهَرُ . وَضَوْءٌ وَظَلَامٌ .
وَبَرٌّ وَأَنَامٌ . وَمَطْعَمٌ وَمَشْرَبٌ . وَمَلْبَسٌ وَمَرْكَبٌ . مَا لِي أَرَى النَّاسَ
يَذْهَبُونَ وَلَا يَرْجِعُونَ . أَرْضُوا بِالْمُقَامِ فَأَقَامُوا أَمْ تَرَكُوا فَنَامُوا . وَإِلَهُ
قُسِّ بْنِ سَاعِدَةَ مَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَفْضَلُ مِنَ الدِّينِ . فَطُوبَى لِمَنْ
أَذْرَكَهُ فَأَتَبَعَهُ وَوَيْلٌ لِمَنْ خَالَفَهُ . ثُمَّ أُنْشَأَ يَقُولُ :

فِي الذَّاهِبِينَ الْأَوَّلِ نَ مِنْ الْقُرُونِ لَنَا بَصَائِرُ

(*) ومن شعراء النصرانية المتلمّس وخنين الحيري من فحول المغنين . وله ضعة فاضلة
متقدمة . ومنهم قيس بن زهير تنصّر قبل وفاته . ومنهم أبو قابوس والرباب بن البراء وخالد
للقيصري . وقد ذكرهم جميعاً صاحب الآغاني . ومنهم أبو المليح المماي ذكره ابن خلكان . ومنهم
ثابت بن هارون الرقي وراثاؤه للتني معروف . ومنهم المرغوي ذكره المقرئ في نفع الطبيب .
ومنهم سليمان بن اسماعيل الماردني وله نظم رفيق حسن الموقع في النفوس . ومنهم الاسقف
جبرائيل الكلداني الكاثوليكي وله القصائد الطنانة . ومنهم السيد جرمانوس فرحات والخوري
نيقولا الصانع وغيرهم ممن يستغني بشهرتهم عن ذكرهم

لَمَّا رَأَيْتُ مَوَارِدًا لَمَوْتٍ لَيْسَ لَهَا مَصَادِرُ
وَرَأَيْتُ قَوْمِي تَحْوَهَا يَمِضِي الْأَصَاغِرُ وَالْأَكَاوِرُ
أَيَقُنْتُ أَيَّي لَا مَحَا لَهَ حَيْثُ صَارَ الْقَوْمُ صَارَ (*)

٣٦٧ (إِلَى الثَّلَاثِ ١١٢٨ - ١١٩٠). هُوَ ابْنُ الْحَدِيثِيِّ الْمَعْرُوفُ
بِأَبِي حَلِيمٍ. هَذَا الْأَبُ كَانَ كَهْلًا حَسَنَ الْخَلْقَةِ تَامَ الْقَامَةِ خَبِيئًا
كَرِيمًا عَالِمًا فَاضِلًا مِنْ أَهْلِ بَلَدٍ مَيَّافَارِقِينَ وَكَانَ مَطْرَانًا عَلَى نَصِيْبِينَ
فَانتَشَرَتْ شُهْرَتُهُ. وَلَمَّا اسْتَنَاحَ يَشُوعِيَابُ وَرَدَ إِلَى بَغْدَادَ مَعَ الْأَبَاءِ
لِلْاخْتِيَارِ. وَاتَّفَقَ عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ لِأَنَّ الْأَبَاءَ الْوَارِدِينَ مَعَهُ لَمْ يَكُنْ
مِنْهُمْ مَنْ يُمَاتِلُهُ عِلْمًا وَحِكْمَةً وَكَرَمًا وَحُسْنًا وَبَلَاغَةً وَفَصَاحَةً. فَاخْتِيرَ
فِي خِلَافَةِ الْمُسْتَضَيِّ وَأُقِيمَ قَطْرُكََا بَدِيرِ الْمَدَانِ وَوَفَّقَهُ اللَّهُ وَأَجْرَى
أَخْيَرَاتٍ عَلَى يَدِهِ. وَأَقَامَ جَمَاعَةً مِنَ الْمَطَارِنَةِ وَجَدَّدَ بِنَاءَ هَيْكَلِ مَارِ

(*) وجاء في كتاب الأغاني عن بعضهم قال: بينا أنا يجلي يقال له سيمان في يومٍ شديد
الحر إذ أنا بقس بن ساعدة وبقبرين بينهما مسجد فقلت له: ما هذان القبران قال: هذان
قبرا أخوين كانا لي فأتانا فأتخذت بينهما مجداً أعبد الله جل وعز فيه حتى ألحق بها. ثم ذكر أباها
فبكى ثم أنشأ يقول:

خَلِيلِي هُبَا طَالَمَا قَد رَقْدْتَا	أَجْدَاكُمَا لَا تَقْضِيَانِ كِرَاكَا
أَلَمْ تَعْلَمَا مَا لِي بِرَاوِدٍ هَذِهِ	وَلَا يُجْزَاقِي مِنْ نَدِيمٍ سَوَاكُمَا
مُقِيمٌ عَلَى قَبْرِيكُمَا لَسْتُ بَارِحًا	طَوَالَ اللَّيَالِي أَوْ يُجِيبُ صَدَاكَا
جَرَى الْمَوْتُ مَجْرَى اللَّحْمِ وَالْعَظْمِ مِنْكَمَا	كَأَنَّ الَّذِي يَسْقِي الْمَقَارَ سَقَاكَا
أُنَادِيكُمَا كَيْمَا تَجِيبَا وَتَنْطَقَا	وَلَيْسَ عَجَابًا صَوْتُهُ مِنْ دَعَاكُمَا
أَمِنْ طَوِيلِ نَوْمٍ لَا تَجِيبَانِ دَاعِيًا	خَلِيلِي مَا هَذَا الَّذِي قَدْ دَهَاكُمَا
قَضَيْتُ بَانِي لَا مَحَالَةَ هَالِكًا	وَأَنِّي سَيَمُرُونِي الَّذِي قَدْ عَرَاكَا
سَأَبْكِيكُمَا طَوِيلَ الْحَيَاةِ وَمَا الَّذِي	يُرْدُ عَلَى ذِي عَوَلَةٍ إِنْ بَكَاكُمَا

مَا رَى الرَّسُولَ وَغَيْرِهِ مِنَ الْبَيْعِ وَالْأَدْيَارِ . وَكَانَ مَعَ أَوْصَافِهِ الْجَمِيلَةِ
 بِحَسَنِ الْخُلُقِ وَالْحَلَقَةِ سَخِيًّا بِأَلْمَالِ فِي عَمَلِ الْخَيْرِ مَعَ النَّاسِ الضُّعَفَاءِ
 وَالْمَسَاكِينِ وَمَعَ الْحُكَّامِ وَالْمُتَوَلِّينَ لِأَجْلِ جَادِ دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ . وَمَعَ
 ذَلِكَ كَانَ مُرْتَضَاً بِالْعُلُومِ النَّحْوِيَّةِ وَاللُّغَوِيَّةِ السَّرْيَانِيَّةِ وَالْعَرَبِيَّةِ
 وَالْعُلُومِ الْحِكْمِيَّةِ . وَمِنْ جُمْلَةِ مَوْضُوعَاتِهِ كِتَابُ تَرَاجِمِ الْأَعْيَادِ
 السَّيِّدِيَّةِ وَخُطْبُ وَمَوَاعِظُ كَثِيرَةٌ وَرَسَائِلُ كَثِيرَةٌ فِي اثْبَاتِ
 الْأَمَانَةِ وَالْإِعْتِقَادِ وَصِحَّةِ دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ . وَدَبَّرَ الْكُرْسِيَّ تَدْبِيرًا
 حَسَنًا وَأَسْتَنَاحَ يَوْمِ الْحَمِيسِ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ نَيْسَانَ . وَكَانَتْ مُدَّةُ
 رِئَاسَتِهِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً . وَعِنْدَ مَرَضِهِ الَّذِي تَوَفَّى فِيهِ جَاءَ الْأَبَاءُ
 وَالرُّؤَسَاءُ إِلَى عِيَادَتِهِ فَأَخَذَ يَرِي نَفْسَهُ وَيُعَزِّيهِمْ وَفِي آخِرِ ذَلِكَ قَالَ :
 أَرُونِي مَنْ يَقُومُ لَكُمْ مَقَامِي إِذَا مَا الْأَمْرُ جَلَّ عَنْ الْخُطَّابِ
 بِمَنْ تَسْتَصْرِخُونَ إِذَا حَثُوتُمْ بِأَنْفُسِكُمْ عَلَيَّ مِنَ التُّرَابِ
 (ملخص عن كتاب المجدل لعمر بن متى) (*)

مشاهير اطباء النصرانية

٣٦٨ (جِيُورْ جِيسُ بْنُ بَحْنِيْشُوعَ ٧٧٠) . كَانَ الْمُنْصُورُ فِي صَدْرِ أَمْرِهِ
 عِنْدَمَا بَنَى بَغْدَادَ أَدْرَكَهُ ضَعْفٌ فِي مَعِدَتِهِ وَسُوءٌ اسْتَمْرَأَ وَقَلَّةٌ شَهْوَةٌ
 وَكُلَّمَا عَالَجَهُ الْأَطِبَّاءُ أَرْدَادَ مَرَضِهِ . فَقِيلَ لَهُ عَنْ جِيُورْ جِيسُ بْنُ

(*) ومن خطباء النصرانية خالد القسري (٧٤٥) وهو معدود من خطباء العرب المشهورين .
 ومنهم يوسف بن أيوب الحمصاني الزاهد الرباني (١١٤٦) صاحب المقامات والكرامات . عقد
 ببغداد مجلس الوعظ بالمدرسة النظامية وصادف مجابولاً . ثم انقطع الى الله وتنصر بالقسطنطينية

بَحْتِشُوعَ الْجَنْدِيسَابُورِيِّ إِنَّهُ أَفْضَلُ الْأَطِبَّاءِ فَقَدَّمَ بِإِحْضَارِهِ فَأَنْقَذَهُ
 الْعَامِلُ بِجَنْدِيسَابُورٍ بَعْدَ مَا أَكْرَمَهُ . فَخَرَجَ وَوَصَّى وَلَدَهُ بِبَحْتِشُوعَ
 بِالْمِيَارِ سِتَانٍ . وَاسْتَصْحَبَ مَعَهُ تَلْمِيزَهُ عِيسَى بْنِ شَهْلَانَا . وَلَمَّا وَصَلَ إِلَى
 بَغْدَادَ أَمَرَ الْمَنْصُورُ بِإِحْضَارِهِ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الْحَضْرَةِ دَعَا لَهُ بِالْقَارِسِيَّةِ
 وَالْعَرَبِيَّةِ فَعَجِبَ الْمَنْصُورُ مِنْ حَسَنِ مَنَظِقِهِ وَمَنْظَرِهِ . وَأَمَرَهُ بِالْجُلُوسِ
 وَسَأَلَهُ عَنْ أَشْيَاءَ أَجَابَهُ عَنْهَا بِسُكُونٍ . وَخَبَرَهُ بِمَرْضِهِ فَقَالَ لَهُ
 جِيُورْجِيسُ : أَنَا أَدْرِيكَ بِمِشِيَّةِ اللَّهِ وَعَوْنِهِ . فَأَمَرَ لَهُ فِي الْوَقْتِ بِخَلْعَةِ
 جَلِيلَةٍ وَتَقَدَّمَ إِلَى الرِّبْعِ بِإِزَالِهِ فِي أَجْمَلِ مَوْضِعٍ مِنْ دُورِهِ وَإِكْرَامِهِ
 كَمَا يُكْرَمُ أَخَصُّ الْأَهْلِ . وَلَمْ يَزَلْ جِيُورْجِيسُ يَتَطَفَّؤُ لَهُ فِي تَدْبِيرِهِ
 حَتَّى بَرَى مِنْ مَرْضِهِ وَفَرَحَ بِهِ فَرَحًا شَدِيدًا . وَكَانَ الْمَنْصُورُ أَمَرَ أَنْ
 يُحْمَلَ إِلَيْهِ مِنَ الْجَوَارِي الرُّومِيَّاتِ ثَلَاثُ فَرْدَهْنَ جِيُورْجِيسُ . فَلَمَّا
 اتَّصَلَ الْخَبَرُ إِلَى الْمَنْصُورِ أَحْضَرَهُ وَقَالَ لَهُ : لِمَ رَدَدْتَ الْجَوَارِي . قَالَ :
 لَا يَجُوزُ لَنَا مَعَشَرَ النَّصَارَى أَنْ تَتَزَوَّجَ بِأَكْثَرِ مِنْ أَمْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ مَا
 دَامَتِ الْمَرْأَةُ حَيَّةً لَا نَأْخُذُ غَيْرَهَا . فَحَسُنَ مَوْقِعُ هَذَا مِنَ الْخَلِيفَةِ وَزَادَ
 مَوْضِعُهُ عِنْدَهُ وَهَذَا ثَمَرَةُ الْعَقَّةِ . ثُمَّ مَرَضَ جِيُورْجِيسُ مَرَضًا صَعْبًا وَلَمَّا
 اشْتَدَّ مَرْضَاهُ أَمَرَ الْمَنْصُورُ بِحَمْلِهِ إِلَى دَارِ الْعَامَّةِ . وَخَرَجَ مَاشِيًا إِلَيْهِ
 وَتَعَرَّفَ خَبَرَهُ فَخَبَرَهُ وَقَالَ لَهُ : إِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ يَأْذَنَ لِي فِي
 الْإِنْصِرَافِ إِلَى بَلَدِي لِأَنْظُرَ أَهْلِي وَوُلْدِي وَإِنْ مِتُّ قُبِرْتُ مَعَ آبَائِي .
 فَقَالَ الْمَنْصُورُ : إِنِّي مِنْذُ رَأَيْتُكَ وَجَدْتُ رَاحَةً مِنَ الْأَمْرَاضِ الَّتِي

تَعْتَادُنِي . فَقَالَ جِيُورَجِيْسُ : أَنَا أَخْلَفُ بَيْنَ يَدَيِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عِيسَى تَلْمِيذِي فَهُوَ مَاهِرٌ . فَأَمَرَ جِيُورَجِيْسُ بِعَشْرَةِ آلَافٍ دِينَارٍ وَأَذِنَ لَهُ فِي الْأَنْصَرِافِ . وَأَنْفَذَ مَعَهُ خَادِمًا وَقَالَ : إِنْ مَاتَ فِي الطَّرِيقِ فَأَحْمِلْهُ إِلَى مَنْزِلِهِ لِيُدْفَنَ هُنَاكَ كَمَا أَحَبَّ . فَوَصَلَ إِلَى بَلَدِهِ حَيًّا

٣٦٩ (بَحْتِشُوعُ بْنُ جِيُورَجِيْسَ ٧٩٨) . قِيلَ إِنَّ الرَّشِيدَ فِي خَلَاقَتِهِ مَرَضَ مِنْ صُدَاعٍ لِحَقَّةٍ . فَقَالَ لِيَحْيَى بْنُ خَالِدِ بْنِ بَرْمَكٍ هَؤُلَاءِ الْأَطِبَّاءُ لَيْسُوا يَفْهَمُونَ شَيْئًا وَيَنْبَغِي أَنْ تَطْلُبَ لِي طَبِيبًا مَاهِرًا . فَقَالَ لَهُ عَنْ بَحْتِشُوعَ بْنِ جِيُورَجِيْسَ . فَأَرْسَلَ الْهَرِيدَ فِي حِمْلِهِ مِنْ نَيْسَابُورَ . وَلَمَّا كَانَ بَعْدَ أَيَّامٍ وَرَدَ وَدَخَلَ عَلَى الرَّشِيدِ فَأَكْرَمَهُ وَخَلَعَ عَلَيْهِ خُلْعَةً سَنِيَّةً . وَوَهَبَ لَهُ مَالًا وَافِرًا وَجَعَلَهُ رَئِيسَ الْأَطِبَّاءِ . وَلَمَّا كَانَ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَةٍ (٧٩٠) مَرَضَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى . فَتَقَدَّمَ الرَّشِيدُ إِلَى بَحْتِشُوعَ أَنْ يَخْدُمَهُ وَلَمَّا أَفَاقَ جَعْفَرُ مِنْ مَرَضِهِ قَالَ لِبَحْتِشُوعَ : أُرِيدُ أَنْ تَخْتَارَ لِي طَبِيبًا مَاهِرًا أَكْرَمُهُ وَأَحْسِنُ إِلَيْهِ قَالَ بَحْتِشُوعُ : لَسْتُ أَعْرِفُ فِي هَؤُلَاءِ الْأَطِبَّاءِ أَحَدًا مِنْ أُنْبِيَائِ جَبْرِيلَ . فَقَالَ لَهُ جَعْفَرُ : أَحْضِرْنِي فَلَمَّا أَحْضَرَهُ شَكَا إِلَيْهِ مَرَضًا كَانَ يُخْفِيهِ . فَدَبَّرَهُ فِي مُدَّةٍ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ وَبَرَأَ فَأَحْبَبَهُ جَعْفَرُ مِثْلَ نَفْسِهِ

٣٧٠ (حَنِينُ بْنُ إِسْحَاقَ ٨٠٩ - ٨٧٤) . فِي أَيَّامِ الْمُتَوَكِّلِ اشْتَهَرَ حَنِينُ بْنُ إِسْحَاقَ الطَّبِيبُ النَّصْرَانِيَّ الْعِبَادِيَّ . وَنَسَبَتْهُ إِلَى الْعِبَادِ وَهُمْ قَوْمٌ مِنْ نَصَارَى الْعَرَبِ مِنْ قِبَائِلِ شَتَّى اجْتَمَعُوا وَأَنْفَرُوا عَنْ

أَنَّاسٍ فِي قُصُورٍ ابْتَوَاهَا بَظَاهِرِ الْحِيرَةِ . وَتَسَمَّوْا بِالْعِبَادِ لِأَنَّهُ لَا يُضَافُ
 إِلَّا إِلَى الْخَالِقِ وَأَمَّا الْمَسِيدُ فَيُضَافُ إِلَى الْخَلْقِ وَالْخَالِقِ . وَيُنْسَبُ إِلَيْهِمْ
 خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْهُمْ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ الشَّاعِرُ الْمَشْهُورُ . وَكَانَ إِسْحَاقُ وَالِدُ
 حُنَيْنٍ صَيْدَ لَانِيَا بِالْحِيرَةِ . فَلَمَّا نَشَأَ حُنَيْنٌ أَحَبَّ الْعِلْمَ فَدَخَلَ بَغْدَادَ
 وَحَضَرَ مَجْلِسَ يُوْحَنَّا بْنِ مَاسَوِيَهْ وَجَعَلَ يَخْدُمُهُ وَيَقْرَأُ عَلَيْهِ . ثُمَّ تَوَجَّهَ
 إِلَى بِلَادِ الرُّومِ وَأَقَامَ بِهَا سَنَتَيْنِ حَتَّى أَحْكَمَ اللُّغَةَ الْيُونَانِيَّةَ وَتَوَصَّلَ
 فِي تَحْصِيلِ كُتُبِ الْحِكْمَةِ غَايَةَ إِمْكَانِهِ . وَعَادَ إِلَى بَغْدَادَ بَعْدَ
 سَنَتَيْنِ وَنَهَضَ مِنْ بَغْدَادَ إِلَى أَرْضِ فَارِسَ . وَدَخَلَ الْبَصْرَةَ وَلَزِمَ الْحَلِيلَ
 ابْنَ أَحْمَدَ حَتَّى بَرَعَ فِي اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى بَغْدَادَ . قَالَ يُوْسُفُ
 الطَّيِّبُ : دَخَلْتُ يَوْمًا عَلَى جَبْرِ بِلَ بْنِ مَجْشِشٍ فَوَجَدْتُ حُنَيْنًا
 وَجَبْرِ بِلَ يُخَاطِبُهُ بِالتَّجِيلِ وَيُسَمِّيهِ الرُّبَانَ . فَأَعْظَمْتُ مَا رَأَيْتُ وَتَبَيَّنَ
 ذَلِكَ جَبْرِ بِلَ مِنِّي . فَقَالَ : تَسْتَكْثِرُ هَذَا مِنِّي فِي أَمْرِ هَذَا الْفَتَى .
 قَوْلَ اللَّهِ إِنَّ مَدَّةَ فِي الْعُمُرِ لَيَقْصَحَنَّ سَرَجِيْسَ . وَسَرَجِيْسُ هَذَا هُوَ
 الرَّأْسُ عَيْنِي الْيَعْقُوبِيُّ نَاقِلُ عُلُومِ الْيُونَانِيِّينَ فِي السُّرْيَانِي . وَلَمْ يَزَلْ
 أَمْرُ حُنَيْنٍ يَقْوَى وَعِلْمُهُ يَتَرَايِدُ وَعَجَابُهُ تَظْهَرُ فِي الْقُلُوبِ وَالنَّفَاسِيرِ حَتَّى
 صَارَ يَتَّبِعُونَهُ لِلْعُلُومِ وَمَعْدِنًا لِلْفَضَائِلِ . وَاتَّصَلَ خَبَرُهُ بِالْحَلِيفَةِ الْمُتَوَكِّلِ
 فَأَمَرَ بِإِحْضَارِهِ . وَلَمَّا حَضَرَ أَقْطَعَهُ إِقْطَاعًا سَنِيًّا وَأَحَبَّ أَمْتَحَانَهُ .
 فَاسْتَدْعَاهُ وَأَمَرَ أَنْ يُخْلَعَ عَلَيْهِ . فَشَكَرَ حُنَيْنٌ هَذَا الْفِعْلَ ثُمَّ قَالَ لَهُ بَعْدَ
 أَشْيَاءَ جَرَتْ : أُرِيدُ أَنْ تَصِفَ لِي دَوَاءً يَقْتُلُ عَدُوًّا زَرِيدَ قَتْلِهِ . وَلَيْسَ

يُمْكِنُ إِعْلَانُ هَذَا وَزَيْدُهُ سِرًّا . فَقَالَ حُثَيْنٌ : مَا تَعَلَّمْتُ غَيْرَ الْأَدْوِيَةِ
 النَّافِعَةِ وَلَا عَلِمْتُ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَطْلُبُ مِنِّي غَيْرَهَا . ثُمَّ رَغِبَهُ وَهَدَدَهُ
 وَأَحْضَرَ سَيْفًا وَنَطْعًا . فَقَالَ حُثَيْنٌ : قَدْ قُلْتُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا فِيهِ
 الْكَفَايَةُ . قَالَ الْخَلِيفَةُ : فَإِنِّي أَقْتُلُكَ . قَالَ حُثَيْنٌ : لِي رَبٌّ يَأْخُذُ بِي
 حَتَّى عَدَا فِي الْمَوْقِفِ الْأَعْظَمِ . فَتَبَسَّمَ الْمُتَوَكِّلُ وَقَالَ لَهُ : طِبَّ نَفْسًا
 فَإِنَّا أَرَدْنَا امْتِحَانَكَ وَالطُّمَأْنِينَةَ إِلَيْكَ . فَقَبِلَ حُثَيْنُ الْأَرْضَ وَشَكَرَ لَهُ .
 فَقَالَ الْخَلِيفَةُ : مَا الَّذِي مَنَعَكَ مِنَ الْإِجَابَةِ مَعَ مَا رَأَيْتَهُ مِنْ صِدْقِ
 الدِّينِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُنَا بِاصْطِنَاعِ الْجَمِيلِ مَعَ أَعْدَانَا فَكَيْفَ ظَنَنْكَ بِالْأَصْدِقَاءِ .
 وَأَمَّا الصَّنَاعَةُ فَإِنَّهَا مَوْضُوعَةٌ لِنَفْعِ أَتْبَاءِ الْإِنْسِ وَمَقْصُودَةٌ عَلَى مُعَالَجَتِهِمْ .
 وَمَعَ هَذَا فَقَدْ جُعِلَ فِي رِقَابِ الْأَطِبَّاءِ عَهْدٌ مُؤَكَّدٌ بِإِيمَانٍ مُغَلْظَةٍ أَنَّ لَا
 يُعْطَوْنَ دَوَاءً قَتَالًا لِأَحَدٍ . فَقَالَ الْخَلِيفَةُ : إِنَّهُمَا شَرَعَانِ جَلِيلَانِ . وَأَمْرٌ بِالْجُلْعِ
 فَأَفِضَتْ عَلَيْهِ فَخَرَجَ وَهُوَ أَحْسَنُ النَّاسِ حَالًا وَجَاهًا (لَا فِي الْفَرْجِ الْمَلْطِيِّ)
 ٣٧١ (إِسْحَاقُ بْنُ حُثَيْنٍ ٨٣٠ - ٩١١) . هُوَ أَبُو يَعْقُوبَ إِسْحَاقُ بْنُ حُثَيْنِ
 ابْنِ إِسْحَاقَ الْعِبَادِيِّ الطَّبِيبُ الْمَشْهُورُ كَانَ أَوْحَدَ عَصْرِهِ فِي عِلْمِ
 الطِّبِّ . وَكَانَ يُلْحِقُ بِأَبِيهِ فِي الثَّقَلِ وَفِي مَعْرِفَتِهِ بِاللُّغَاتِ وَفَصَاحَتِهِ
 فِيهَا . وَكَانَ يُعَرِّبُ كُتُبَ الْحِكْمَةِ الَّتِي بِلُغَةِ الْيُونَانِيِّينَ إِلَى اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ
 كَمَا كَانَ يَفْعَلُ أَبُوهُ . إِلَّا أَنَّ الَّذِي وَجَدَ مِنْ تَعْرِيبِهِ فِي كُتُبِ الْحِكْمَةِ
 مِنْ كَلَامِ أَرِسْطَاطَالِيسَ وَغَيْرِهِ أَكْثَرَ مِمَّا يَوْجَدُ مِنْ تَعْرِيبِهِ لِكُتُبِ

الطَّبِّ . وَكَانَ قَدْ خَدَمَ مِنَ الْخُلَفَاءِ وَالرُّؤَسَاءِ مَنْ خَدَمَهُ أَبُوهُ . ثُمَّ
 انْقَطَعَ إِلَى الْقَاسِمِ بْنِ عُيَيْدِ اللَّهِ وَزَيْرِ الْإِمَامِ الْمُعْتَصِدِ بِاللَّهِ . وَاخْتَصَّ
 بِهِ حَتَّى إِنَّ الْوَزِيرَ الْمَذْكُورَ كَانَ يُطْلَعُهُ عَلَى أَسْرَارِهِ وَيُنْضِي إِلَيْهِ بِمَا
 يَكْتُمُهُ عَنْ غَيْرِهِ لَهُ . وَلَإِيَّهِ الْمُصَنَّفَاتُ الْمُفِيدَةُ فِي الطَّبِّ . وَلِحَقِّهِ الْقَالِجُ
 فِي آخِرِ عُمُرِهِ . وَكَانَتْ وَقَاتُهُ سَنَةً ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ (لَا بَنَ خَلَّ كَانَ)
 ٣٧٢ (يُوحَنَّا بْنُ مَسَوِيهِ ٨٥٧) . وَمِنْ أَطِبَّاءِ الرَّشِيدِ يُوحَنَّا بْنُ
 مَسَوِيهِ النَّصْرَانِيُّ السُّرْيَانِيُّ وَلَاهُ الرَّشِيدُ تَرْجَمَةَ الْكُتُبِ الطِّيبِيَّةِ
 الْقَدِيمَةِ . وَخَدَمَ الرَّشِيدَ وَمَنْ بَعْدَهُ إِلَى أَيَّامِ الْمُتَوَكِّلِ . وَكَانَ مُعْظَمًا
 بِبَعْدَادَ جَلِيلَ الْقَدْرِ وَلَهُ تَصَانِيفُ جَمِيلَةٌ . وَكَانَ يَفْقِدُ مَجْلِسًا لِلنَّظَرِ
 وَيَجْرِي فِيهِ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْعُلُومِ الْقَدِيمَةِ بِأَحْسَنِ عِبَارَةٍ وَكَانَ
 يُدَرِّسُ وَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ تَلَامِيذُ كَثِيرُونَ . وَكَانَ فِي يُوحَنَّا دُعَابَةٌ شَدِيدَةٌ
 يُخَضِّرُهُ مِنْ حَضَرٍ لِأَجْلِهَا فِي الْأَكْثَرِ . وَكَانَ مِنْ ضَيْقِ الصَّدْرِ
 وَشِدَّةِ الْحِدَّةِ عَلَى الْكَثَرِ مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ جَبْرِيلُ بْنُ مَجْتَبَشُوعَ . وَكَانَتْ الْحِدَّةُ
 تُخْرِجُ مِنْ يُوحَنَّا الْقَاطَا وَهِيَ مُضْحَكَةٌ . فَمِمَّا حُفِظَ مِنْ نَوَادِرِهِ أَنَّ رَجُلًا
 شَكَا إِلَيْهِ عِلَّةً وَكَانَ أَشَارَ عَلَيْهِ بِالْقَصْدِ . فَقَالَ لَهُ : لَمْ أَعْتِدِ الْقَصْدَ . قَالَ
 لَهُ يُوحَنَّا : وَلَا أَحْسَبُكَ أَتَعْتَدُ الْعِلَّةَ مِنْ بَطْنِ أُمِّكَ (لَا بِي الْفَرَجِ)

٣٧٣ (ابْنُ التَّلْمِيذِ ١١٦٥) . وَهُوَ أَبُو الْحَسَنِ هَبَّةُ اللَّهِ بْنِ التَّلْمِيذِ
 النَّصْرَانِيُّ الطِّيبِيُّ الْمُلَقَّبُ بِأَمِينِ الدَّوْلَةِ . شَيْخُ النَّصَارَى وَالْأَطِبَّاءِ
 وَسُلْطَانُ الْحِكْمَاءِ مَقْصِدُ الْعَالَمِ فِي عِلْمِ الطَّبِّ بِقِرَاطِ عَصَرِهِ

وَجَالِيُوسُ زَمَانِهِ . خُتِمَ بِهِ هَذَا الْعِلْمُ وَلَمْ يَكُنْ فِي الْمَاضِي مِنْ بَلَغَ مَدَاهُ
 فِي الطِّبِّ . عُمَرُ طَوِيلًا . وَعَاشَ نَدِيلًا جَلِيلًا . وَرَأَيْتُهُ وَهُوَ شَيْخٌ بَعِي
 الْمُنْظَرِ حَسَنُ الرِّوَاءِ عَذْبُ الْحِجْتِ وَالْحِجْتِ لَطِيفُ الرُّوحِ ظَرِيفُ
 الشَّخْصِ بَعِيدُ الْهَمِّ عَالِيُ الْهِمَّةِ ذِكِيُّ الْخَاطِرِ مُصِيبُ الْفِكْرِ حَازِمُ الرَّأْيِ
 رَأْسُ النَّصَارَى وَقَيِّسُهُمْ وَرَبِّسُهُمْ . وَلَهُ فِي النِّظْمِ كَلِمَاتٌ رَائِقَةٌ
 وَحَلَاوَةٌ جَنِيَّةٌ وَغَزَارَةٌ بَهِيَّةٌ . وَذَكَرَ فِي أَمْوَدِجِ الْأَعْيَانِ مِنْ شُعَرَاءِ
 الزَّمَانِ أَنَّ ابْنَ التِّلْمِذِ الْمَذْكُورَ كَانَ مُتَقَنَّتًا فِي الْعُلُومِ ذَا رَأْيٍ رَصِينٍ .
 وَعَقْلٍ مَتِينٍ . طَالَتْ خِدْمَتُهُ لِلْخُلَفَاءِ وَالْمُلُوكِ . وَكَانَتْ فُجَالَسَتُهُ أَحْسَنَ
 مِنَ التَّبَرُّكِ الْمَسْبُوكِ وَالْدَّرِّ فِي السُّلُوكِ . وَكَانَ يُتَعَجَّبُ فِي أَمْرِهِ كَيْفَ
 حُرِّمَ الْإِسْلَامُ مَعَ كَمَالِ فَهْمِهِ وَغَزَارَةِ عَقْلِهِ وَعِلْمِهِ . وَكَانَ إِذَا تَرَسَّلَ
 اسْتَطَالَ وَسَطًا . وَإِذَا نَظَّمَ وَقَعَ بَيْنَ أَرْبَابِ النِّظْمِ وَسَطًا . وَكَانَ بَيْنَهُ
 وَبَيْنَ أَوْحِدِ الزَّمَانِ هَبَّةُ اللَّهِ الْحَكِيمِ الْمَشْهُورِ تَتَأَفَّسُ وَكَانَ هَذَا يَهُودِيًّا
 فَأَسْلَمَ فِي آخِرِ عُمرِهِ . وَأَصَابَهُ الْجُدَامُ فَعَالَجَ نَفْسَهُ بِتَسْلِيطِ الْأَفَاعِي عَلَى
 جَسَدِهِ فَبَالَغَتْ فِي نَهْشِهِ فَبَرِيءَ مِنَ الْجُدَامِ . فَعَمِلَ فِيهِ ابْنُ التِّلْمِذِ شِعْرًا :
 لَنَا صَدِيقٌ يَهُودِيٌّ حَمَاقَتُهُ إِذَا تَكَلَّمَ تَبْدُو فِيهِ مِنْ فِيهِ
 بَيْتُهُ وَالْكَأْبُ أَعْلَى مِنْهُ مَنْزِلَةً كَأَنَّهُ بَعْدَ لَمْ يَخْرُجْ مِنَ آلِيهِ
 وَكَانَ ابْنُ التِّلْمِذِ مُتَوَاضِعًا وَأَوْحَدُ الزَّمَانِ أَبُو الْبَرَكَاتِ مُتَكَبِّرًا
 فَعَمِلَ فِيهِمَا الْبَدِيعُ الْأَسْطَرُّ لَا بِي شِعْرًا :
 أَبُو الْحَسَنِ الطَّيِّبُ وَمُتَقَنِّيهِ أَبُو الْبَرَكَاتِ فِي طَرَفِي نَقِضِ

فَهَذَا بِالتَّوَّاضِعِ فِي الثُّرَيَّا وَهَذَا بِالتَّكْبَرِ فِي الْحُضِيِّضِ
وَتَوَفَّى ابْنُ التَّلْمِيزِ سَنَةَ سِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةٍ وَقَدْ نَاهَزَ الْمِائَةَ مِنْ عُمُرِهِ
(١١٦٥). وَلَمْ يَبْقَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الْجَانِبَيْنِ مَنْ لَمْ يَخْضُرِ الْبَيْعَةَ وَلَمْ يَشْهَدْ
جَنَازَتَهُ. وَلَا بَنُ التَّلْمِيزِ فِي الطَّبِّ تَصَانِيفُ نَافِعَةٌ فِي بَابِهَا مِنْهَا كِتَابُ
أَقْرَابَازِينَ وَحَوَاشٍ عَلَى كَلَيَّاتِ ابْنِ سِينَا (الْحُرِيدَةُ لِلْعِمَادِ الْأَصْبَهَانِيِّ) (*)

مشاهير المؤرخين والكتّاب والفلاسفة من اهل النصرانية

٣٧٤ (أَبُو الْقَرَجِ الْمَلْطِيُّ ١٢٢٦-١٢٨٦). جَمَالَ الدِّينِ غُرْبُورِيُوسُ
أَبُو الْقَرَجِ بَنُ حَكِيمَا (*) الطَّبِيبُ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْعِزْرِيِّ تَاجُ
الْفَضَلَاءِ. مُحَلُّ الْمَشْكَلَاتِ الْخَفِيَّةِ مِنَ الْكَلِمَاتِ الْإِلَهِيَّةِ. وَحِيدُ
الْعَصْرِ وَفَرِيدُ الزَّمَانِ. رَئِيسُ رُؤَسَاءِ الْأُمَّةِ النَّصْرَانِيَّةِ. وَخَلَاصَةُ
نُصَارِ الْمِلَّةِ الْيَعْقُوبِيَّةِ. كَانَ كَثِيرَ الْإِطْلَاعِ وَحَصَلَ لَهُ عُلُومًا شَتَّى
وَأَتَقَنَهَا وَانْفَرَدَ بِالطَّبِّ فِي زَمَانِهِ حَتَّى شُدَّتْ إِلَيْهِ الرِّجَالُ بِأَرْضِ

(*) وممن اشتهر أيضاً بين النصارى في الطب سعيد بن ماري صاحب المقامات الستين .
وبوحنّا بن بطريق ترجمان الخليفة المأمون . ومنهم ابن العطار متطبب القاهر . ومنهم كتيّفات
خدم البساسيري . ومنهم ابن المقشر المصري طبيب العزيز . ومنهم ابن بطلان وله تصانيف جليلة
في الطب انقطع في آخر عمره للعبادة . ومنهم حسنون الرهاوي خدم سيف الدين وزير قلم
ارسلان . ومنهم يعقوب بن صقلان المالكي المقدسي اجتمع بالملك المعظم ابن الملك العادل وطالجه
وارتفعت عنده حاله . ومنهم صاعد بن هبة الله وابو الخير الاركيدياقون أخو الجاثليق ابن
المسيحي . ومنهم صاعد بن توما البغدادي الملقب بأمين الدولة استوثقه الامام الناصر
(*) وأخبر في تاريخه قال : في سنة أربعين وستمائة (١٢٦٣) لما سمع أهل ملطية ما
فعل التاتار بقيصرية هلعوا وجزعوا ألحش الجزع طالبين حاب . فأمسك والذي عن الخروج
واجتمع بالمطران دنيوسوس وتشاورا في مرابطة المدينة . وجما المسلمين والنصارى في البيعة

الْمَغْرِبُ . وَأَقِيمَ اسْقِطًا عَلَى مَدِينَةِ مَلْطِيَّةَ وَأَخَذَ عَنْهُ كَثِيرٌ مِنْ فَضْلِهِ
الْمُسْلِمِينَ . وَمِنْ تَصَانِيفِهِ كِتَابُ تَارِيخِ مُخْتَصَرِ الدَّوَلِ وَهُوَ مِنْ أَشْهُرِ
التَّوَارِيخِ وَشَرَحَ قَانُونَ ابْنِ سِينَا وَبُقْرَاطَ وَدِيُونِسُورُسَ وَكِتَابُ دَفْعِ
أَهْمٍ وَدِيُونِ شِعْرِ فِي الْأِلَهِيَّاتِ وَغَيْرُهَا (*)

٣٧٥ (ثَابِتُ بْنُ قُرَّةَ ٨٣٦-٩٠٢) . أَبُو الْحَسَنِ بْنُ كَرَايَا الْحَاسِبُ
كَانَ فِي مَبْدَأِ أَمْرِهِ صَيْرَفِيًّا بِحَرَّانَ ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى بَغْدَادَ . وَاشْتَغَلَ
بِالْعُلُومِ الْأَوَّلِ فَمُهِرٌ فِيهَا . وَكَانَ الْغَالِبُ عَلَيْهِ الْقَاسِقَةُ وَلَهُ تَأْلِيفٌ كَثِيرٌ
فِي فُنُونِ مِنَ الْعِلْمِ مِقْدَارُ عَشْرِينَ تَأْلِيفًا . وَأَخَذَ كِتَابَ أَفْلِيدُسَ الَّذِي
عَرَّبَهُ حَنِينُ بْنُ إِسْحَاقَ الْعِبَادِيِّ فَهَذَبَهُ وَنَتَّحَهُ وَأَوْضَحَ مِنْهُ مَا كَانَ مُسْتَعْجِلًا .
وَكَانَ مِنْ أَعْيَانِ عَصْرِهِ فِي الْفَضَائِلِ . وَجَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَهْلِ مَذْهَبِهِ
أَشْيَاءٌ أَنْكَرُوهَا عَلَيْهِ فِي الْمَذْهَبِ . فَرَأَفُوهُ إِلَى رَأْسِهِمْ فَأَنْكَرَ عَلَيْهِ
مَقَالَتَهُ وَمَنْعَهُ مِنْ دُخُولِ الْهَيْكَلِ فَتَابَ وَرَجَعَ عَنْ ذَلِكَ . ثُمَّ خَرَجَ مِنْ
حَرَّانَ وَزَلَ كَفَرُوثًا وَأَقَامَ بِهَا مُدَّةً إِلَى أَنْ قَدِمَ مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى مِنْ

الكوفة وتعالفوا أن لا يمتحن بعضهم بعضاً ولا يخالفوا المطران في جميع ما يتقدم اليهم من مداراة
التاتار والقيام بحفظ المدينة والبيتوته على أسوارها وكف أهل الشر عن الفساد . ففاز الله الى
حسن نيأتم ودفع العدو عنهم ووصلوا بالقرب من ملطية ولم يتعرضوا اليها . وفي إحدى
وأربعين (١٢٤٤) غزا شاورونين بلد الشام واجتاز بملطية وخرّب بلدها وأخذ غلاتها . ثم
رحل عنها وطلب طبيباً يُداويه عن مرضٍ عرض له . فخرج اليه والذي وسار معه الى
حَرَّتْ بَرَّتْ فَدَبَّرَهُ حَتَّى بَرَأَ . ثُمَّ جَاءَ وَلَمْ يُبْطِلِ الْمَقَامَ بملطية ورحل بنا الى أنطاكية فاسكنّاها .

(*) ومن مؤرخي النصارى سعيد بن البطريق بطرك الاسكندرية وجرجيس بن العميد
مكمل تاريخ الطبري . ومنهم ابن الراهب وابو البركات وابن المسيبي وكثيراً ما يستشهد
ابن خلدون في تاريخه . ومنهم عمرو بن مقي (١٣٤٠) نقل عنه العلامة السعالي

بِلَادِ الرُّومِ . فَاجْتَمَعَ بِهِ فَرَاهُ فَاضِلًا فَصِيحًا فَاسْتَصْحَبَهُ إِلَى بَغْدَادَ وَأَزَلَّهُ
 فِي دَارِهِ وَوَصَلَهُ بِالْخَلِيفَةِ . وَعَقِبَهُ بِهَا إِلَى الْآنَ . وَلَهُ وَلَدٌ يُسَمَّى إِبرْهِيمَ
 بَلَغَ رُتَبَةً أَيْبَهُ فِي الْفَضْلِ وَكَانَ مِنْ حُذَّاقِ الْأَطِبَّاءِ . عَالِجَ مَرَّةِ السَّرِيِّ
 الرَّقَاءِ الشَّاعِرِ فَاصَابَ الْعَافِيَةَ فَعَمِلَ فِيهِ وَهُوَ أَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي طَبِيبٍ
 هَلْ لِلْعَلِيلِ سِوَى ابْنِ قُرَّةَ شَافِي بَعْدَ الْأَلَاءِ وَهَلْ لَهُ مِنْ كَافِي
 فَكَانَهُ عَيْسَى بْنُ مَرْيَمَ نَاطِقًا يَهْبُ الْحَيَاةَ بِأَيْسَرِ الْأَوْصَافِ
 يَبْدُو لَهُ الدَّاءُ الْخَفِيُّ كَمَا بَدَأَ لِلْعَيْنِ رَضَارُضُ الْعَدِيرِ الصَّافِي
 ٣٧٦ الْكِنْدِيُّ (٢٤٦هـ) (٨٦٠م) . هُوَ يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ الْكِنْدِيُّ
 النَّصْرَانِي . وَكَانَ شَرِيفَ الْأَصْلِ بَصْرِيًّا وَكَانَ أَبُوهُ إِسْحَاقُ أَمِيرًا عَلَى
 الْكُوفَةِ لِلْمُهَدِيِّ وَالرَّشِيدِ . وَيَعْقُوبُ هَذَا أَوْحَدُ عَصَرِهِ فِي فُنُونِ
 الْأَدَابِ وَشُهْرَتُهُ تُغْنِي عَنْ الْإِطْنَابِ . وَكَانَ لَهُ الْيَدُ الطُّوْلُ بِمَعْلُومِ
 الْيُونَانِ وَالْهِنْدِ وَالْعَجَمِ مُتَفَنًّا عَلِيمًا بِالطَّبِّ وَالْمَنْطِقِ وَتَأَلَّفَ الْخَوْنِ
 وَالْمُنْدَسَةِ وَالْهَيْئَةِ وَالْفَلَسَفَةِ . وَلَهُ فِي أَكْثَرِ هَذِهِ الْعُلُومِ تَأْلِيفٌ
 مَشْهُورَةٌ وَلَمْ يَكُنْ فِي الْعَرَبِ مَنْ اشْتَهَرَ عِنْدَ النَّاسِ بِمُعَانَاةِ عِلْمِ
 الْفَلَسَفَةِ حَتَّى يَمُوتَ فَيَلْسُوفًا غَيْرَ يَعْقُوبَ . وَكَانَ مُعَاصِرًا لِقُسْطَا بْنِ
 لُوقَا الْفَلَسُوفِ الْبَلْبَكِيِّ النَّصْرَانِي وَاسْتَوْطَنَ بَغْدَادَ وَأَخَذَ عَنْ أَبِي
 مَعْشَرٍ الْبَلْخِيِّ . وَمِنْ أَلْسِبَاءِ يَعْقُوبَ هَذَا عَبْدُ أَلْسَيْجِ بْنِ إِسْحَاقَ
 الْكِنْدِيُّ وَلَهُ رِسَالَةٌ مُشْتَهَرَةٌ قَدْ دَفِنَ فِيهَا أُعْتَرِاضَاتُ ابْنِ إِسْمَاعِيلَ
 الْهَاشِمِيِّ عَلَى النَّصْرَانِيَّةِ . ذَكَرَهَا أَبُو رِيحَانَ السِّيرُونِيُّ فِي تَارِيخِهِ

٣٧٧ (الصَّائِي ٩٣٤-٩٨٣) أَبُو الْحَسَنِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ هَلَالِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ
 ابْنُ زَهْرُونَ بْنِ حَبُونِ الْحَرَّانِيِّ الصَّائِي صَاحِبُ الرِّسَالِ الْمَشْهُورَةِ
 وَالنَّظْمِ الْبَدِيعِ وَكَانَ كَاتِبَ الْأَنْشَاءِ بَغْدَادَ عَنِ الْخَلِيفَةِ وَعَنْ عِزِّ
 الدَّوْلَةِ بِمُخْتَارِ بْنِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ ابْنِ بُوَيْهٍ الدَّيْلَمِيِّ . وَتَقَلَّدَ دِيْوَانَ الرِّسَالِ
 سَنَةَ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِينَ . وَكَانَتْ تَصْدُرُ عَنْهُ مَكَاتِبَاتٌ إِلَى عَضِدِ
 الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهٍ بِمَا يُؤْلَهُ فَحَقَّدَ عَلَيْهِ . فَلَمَّا قُتِلَ عِزُّ الدَّوْلَةِ وَمَلَكَ عَضِدُ
 الدَّوْلَةَ بَغْدَادَ اعْتَقَلَهُ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَسَبْعِينَ . وَكَانَ قَدْ أَمَرَهُ أَنْ يَصْنَعَ
 لَهُ كِتَابًا فِي أَخْبَارِ الدَّوْلَةِ الدَّيْلَمِيَّةِ فَعَمِلَ الْكِتَابَ التَّاجِي . فَقِيلَ لِعَضِدِ
 الدَّوْلَةِ إِنَّ صَدِيقًا لِلصَّائِي دَخَلَ عَلَيْهِ فَرَأَاهُ فِي شُغْلٍ شَاغِلٍ مِنْ
 التَّلْعِيقِ وَالْتِسْوِيدِ وَالتَّبْيِضِ فَسَأَلَهُ عَمَّا يَعْمَلُ فَقَالَ : أَبَاطِيلُ أَنْفُسِهَا
 وَأَكَاذِبُ أَلْفِهَا . فَحَرَّكَتْ سَاكِنُهُ وَهَاجَتْ حِقْدُهُ وَلَمْ يَزَلْ مُبْعَدًا
 فِي أَيَّامِهِ . وَكَانَ مُتَشَدِّدًا فِي دِينِهِ . وَجَهَدَ عَلَيْهِ عِزُّ الدَّوْلَةِ أَنْ يُسَلِّمَ
 فَلَمْ يَفْعَلْ وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ حَسَنٍ مِنَ الْمَنْظُومِ وَالْمَنْثُورِ (*) (ابن خلكان)

(*) وقد اشتهر كثير من الكتاب والمصنفين بين النصارى نُسغني بذكر بعضهم ففهم ابن
 المقفع الكتاب المشهور صاحب الرسائل البديعة والدرّة اليقينة ومعرب كتاب كلبية ودمنة .
 ومنهم ذكر بالافريحي المنطقي نزيل بغداد . ومنهم قسطا بن لوقا البعلبكي توفي سنة ٩٠٨ الحاسب
 الفيلسوف عرب كتباً كثيرة منها كتاب الفلاحة . ومنهم القديس فرما المنيش ومنهم القديس
 يوحنا الدمشقي يعرفه العرب بابن منصور وكان أبوه من اعيان الدولة الاموية خرج في
 العلوم والمعارف على القديس فرما الشيخ فبلغ منها المبلغ الطائل حتى صار مشكاة للأدب . ودافع
 عن أكرام الصور فردت له العذراء يده المقطوعة بدسائس الملك لاون الابزوري . ثم انقطع
 الى الله في بلاد فلسطين وألّف عدة تأليف فلسفية ولاهوتية فلُقب بجري الذهب وتوفي سنة
 ٧٨٠ . وقد اشتهرت اليسوعية داره بدمشق من عهد قريب وموقعها قرب باب توما

الباب العشرون في التاريخ

صاحب الشريعة الإسلامية محمد بن عبد الله

٣٧٨ ذَكَرَ النَّسَابُونَ أَنَّ نَسَبَهُ تَرْتَقِي إِلَى إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ
الَّذِي وَلَدَتْ لَهُ هَاجِرُ أُمَّةٌ سَارَا زَوْجَتِهِ . وَكَانَ وَلَادُهُ بِمَكَّةَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ
وَتِسْعِينَ وَثَمَانِيَةً لِلْإِسْكَانَدَرِ وَلَمَّا مَضَى مِنْ عُمُرِهِ سِتْمَانًا بِالتَّقْرِيبِ مَاتَ
عَبْدُ اللَّهِ أَبُوهُ وَكَانَ مَعَ أُمِّهِ أَمْتَةٌ بِنْتُ وَهَبٍ سِتِّ سِنِينَ . فَلَمَّا
تَوَفَّيَتْ أَخَذَهُ إِلَيْهِ جَدُّهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ بِحَيَاتِهِ وَصَّمَهُ إِلَيْهِ وَكَفَلَهُ . ثُمَّ خَرَجَ
بِهِ وَهُوَ ابْنُ تِسْعٍ سِنِينَ إِلَى الشَّامِ . فَلَمَّا نَزَلُوا بَصْرَى خَرَجَ إِلَيْهِمْ
رَاهِبٌ عَارِفٌ أَسْمُهُ بُحَيْرَا مِنْ صَوْمَعَتِهِ وَجَعَلَ يَتَخَلَّلُ الْقَوْمَ حَتَّى أَتَاهُ
إِلَيْهِ فَأَخَذَهُ بِيَدِهِ وَقَالَ : سَيَكُونُ مِنْ هَذَا الصَّبِيِّ أَمْرٌ عَظِيمٌ يَنْتَشِرُ
ذِكْرُهُ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا . وَلَمَّا كَمَلَ لَهُ مِنَ الْعُمُرِ خَمْسُ
وَعِشْرُونَ سَنَةً عَرَضَتْ عَلَيْهِ أَمْرَأَةٌ ذَاتُ شَرَفٍ وَيسَارُ اسْمُهَا خَدِيجَةٌ أَنَّ
يُخْرَجَ بِمَا لَهَا تَأْجِرًا إِلَى الشَّامِ وَيُعْطِيَهُ أَفْضَلَ مَا تُعْطِي غَيْرَهُ . فَاجَابَهَا إِلَى
ذَلِكَ وَخَرَجَ . ثُمَّ رَغِبَتْ فِيهِ وَعَرَضَتْ نَفْسَهَا عَلَيْهِ فَتَزَوَّجَهَا وَعُمَرُهَا
يَوْمَئِذٍ أَرْبَعُونَ سَنَةً . وَأَقَامَتْ مَعَهُ إِلَى أَنْ تَوَفَّيَتْ بِمَكَّةَ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ
سَنَةً . وَلَمَّا كَمَلَ لَهُ أَرْبَعُونَ سَنَةً أَظْهَرَ الدَّعْوَةَ . وَلَمَّا مَاتَ أَبُو طَالِبٍ
عُمُهُ وَمَاتَتْ أَيْضًا خَدِيجَةُ زَوْجَتُهُ أَصَابَتْهُ قُرَيْشُ بِعَظِيمٍ مِنْ أَذَى

فَهَا جَرَّ عَنْهُمْ إِلَى الْمَدِينَةِ وَهِيَ يَثْرِبُ . وَفِي (السَّنَةِ الْأُولَى) مِنْ هِجْرَتِهِ
 اِحْتَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ وَنَصَرُوهُ عَلَى الْمَكِّيِّينَ أَعْدَائِهِ . وَفِي (السَّنَةِ الثَّانِيَةِ)
 مِنْ هِجْرَتِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ خَرَجَ بِنَفْسِهِ إِلَى غَزَاةٍ بَدْرٍ وَهِيَ الْبَطْشَةُ الْكُبْرَى
 وَهَزَمَ بِثَلَاثِمِائَةٍ وَثَلَاثَةِ عَشَرَ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَلْقَا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ
 الْمُشْرِكِينَ . وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ صُرِفَتِ الْقِبْلَةُ عَنْ جِهَةِ الْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ
 إِلَى جِهَةِ الْكُعْبَةِ . وَفِيهَا فُرِضَ صِيَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ . وَفِي (السَّنَةِ الثَّالِثَةِ)
 خَرَجَ إِلَى غَزَاةٍ أُحُدٍ وَفِيهَا هَزَمَ الْمُشْرِكُونَ الْمُسْلِمِينَ وَنُجِّىَ فِي وَجْهِهِ
 وَكُسِرَتْ رِبَاعِيَّتُهُ . وَفِي (السَّنَةِ الرَّابِعَةِ) غَزَا بَنِي النَّضِيرِ الْيَهُودَ وَأَجْلَاهُمْ
 إِلَى الشَّامِ . وَفِيهَا اجْتَمَعَ أَحْزَابُ شَتَّى مِنْ قَبَائِلِ الْعَرَبِ مَعَ أَهْلِ مَكَّةَ
 وَسَارُوا جَمِيعًا إِلَى الْمَدِينَةِ . فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ وَلِأَنَّهُ هَالِكُ الْمُسْلِمِينَ أَمْرُهُمْ
 أَمْرٌ بِخَفَرٍ خَنْدَقَ وَبَقُوا بِضْعَةَ عِشْرِينَ يَوْمًا لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ حَرْبٌ .
 وَفِي (السَّنَةِ السَّادِسَةِ) خَرَجَ بِنَفْسِهِ إِلَى غَزَاةِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ وَأَصَابَ
 مِنْهُمْ سَبِيًّا كَثِيرًا . وَفِي (السَّنَةِ السَّابِعَةِ) خَرَجَ إِلَى غَزَاةِ خَيْبَرَ مَدِينَةَ
 الْيَهُودِ وَيَقُولُ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنَّهُ عَالَجَ بَابَ خَيْبَرَ وَأَقْتَلَعَهُ وَجَعَلَهُ
 مَجْنَا وَقَاتْلَهُمْ . وَفِي (الثَّانِيَةِ) كَانَتْ غَزَاةُ الْفَتْحِ فَفَتَحَ مَكَّةَ وَعَهْدَ الْمُسْلِمِينَ
 أَنْ لَا يَقْتُلُوا فِيهَا إِلَّا مَنْ قَاتَلَهُمْ . وَأَمَّنَ مَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَمَنْ أَعْلَقَ
 عَلَى نَفْسِهِ بَابَهُ وَكَفَّ يَدَهُ وَمَنْ تَعَلَّقَ بِأَسْتَارِ الْكُعْبَةِ سِوَى قَوْمٍ
 يُؤْذُونَهُ . وَأَسْلَمَ أَبُو سُفْيَانَ وَهُوَ عَظِيمُ مَكَّةَ مِنْ تَحْتِ السُّيْفِ . وَفِي
 (السَّنَةِ الثَّلَاثَةِ) خَرَجَ إِلَى غَزَاةِ تَبُوكَ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ وَلَمْ يَخْتِجْ فِيهَا إِلَى

حَرْبٍ . وَفِي (السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ) حَجَّ حِجَّةَ الْوَدَاعِ . ثُمَّ وَعَكَ وَمَرَضَ وَتَوَفَّى يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ لِلْيَمِينِ بَقِيَّتًا مِنْ صَفَرٍ وَكَانَ عُمُرُهُ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ سَنَةً . وَلَمَّا تَوَفَّى أَرَادَ أَهْلُ مَكَّةَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَدَّهُ إِلَيْهَا لِأَنَّهَا مَسْقُطُ رَأْسِهِ . وَأَرَادَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ مِنَ الْأَنْصَارِ دَفْنَهُ بِالْمَدِينَةِ لِأَنَّهَا دَارُ هِجْرَتِهِ وَمَدَارُ نَصْرَتِهِ . ثُمَّ دَفَنُوهُ بِالْمَدِينَةِ فِي حُجْرَتِهِ حَيْثُ قُبُصَ (*) (لَا فِي الْفَرَجِ)

ذكر الخلفاء الراشدين (٦٣٢ - ٦٦١)

خلافة أبي بكر (٦٣٢ - ٦٣٤)

٣٧٩ ثم اجتمع المهاجرون والأنصار للبيعة فارتفعت الأصوات وكثر اللغط . فلما أشفق غمر الاختلاف قال : إنا والله ما وجدنا أمرًا هو أقوى من مبايعة أبي بكرٍ ثم قال لأبي بكر : ابسط يدك فأبايعك . فبسط يده فبايعه وبايعه المهاجرون وبايعه الأنصار . ولما بويع أبو بكر ضرب بعثًا على أهل المدينة ومن حولهم . وأمر أسامة بن زيد فقال له الناس : إن هؤلاء جلُّ المسلمين على ما ترى نخم فيهم النفاق واتقضوا بك . فليس ينبغي لك أن تفترق عنك جماعة المسلمين . فقال : والذي نفس أبي بكرٍ بيده لو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذت بعث أسامة إلى الشام . ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذته . ثم خرج أبو بكر إلى البعث حتى أتاهم . فاشتصم وشيعهم وهو ماش وأسامته راكب . فقال له أسامة : يا أمير المؤمنين والله لتركبن أو لآتزن . فقال : لا تزلن ولا أركبن وما علي أن أغبر قدي في سبيل الله ساعة (تاريخ الملوك للطبري)

خبر الأسود العنسي ومسيلمة الكذابين (٦٣٤)

٣٨٠ كان الأسود هذا غلب على صنعاء ومقارعة حضرموت إلى عمل الطائف إلى البحرين . ودأى النبوة وطابقت عليه اليمن وجعل يستطير استطارة الحريق . فبعث أبو بكر رجالًا لمحاولته أو مصالحته . فدخلوا على أزد وهي امرأته فسالوا لها : يا ابنة العم قد عرفت بلاء هذا

(*) وصفه علي بن أبي طالب قال : كان راجح العقل يكثر الذكر ويقلّ اللغو دائم البشر مطيل الصمت لا ينفر أحدًا . وكان ليس بالطويل ولا بالقصير ضخيم الراس كث اللحية مشرباً وجهه حمرة وقيل : كان ادبح العينين سبط الشعر سهل الحديث . واختلف في أزواجه قال أبو الفداء : تزوج بمخمس عشرة امرأة وولد له سبعة أولاد كلهم من خديجة الأبراهيم ابنه فإنه من مارية القبطية التي بعث بها المقوقس ولم يعيش منهم بعده إلا فاطمة فتوفيت بعد أيها بثلاثة أشهر

الرجل عند قومك قتل أبك وطأطأ في قومك القتل وسفل بن بقي منهم فوئل عندك من مالا عليه . فاجابت أزد الى قولهم . ولما جن الليل أدخلت الرجال في مقصورة الأسود زوجها . وهو يقط فالحموه بمسلة وأمروا الشفرة على حلقه . فخار خوار الثور . فابتدر الحرس الباب وهم حول المقصورة : ما هذا ما هذا . فقالت المرأة : النبي يوحى اليه . ولما قُتل الأسود وأراح الله الإسلام من شره تراجع الامراء واعتذر الناس (الآداب السلطانية للفخري)

ثم ظهر مسيلمة الكذاب . وأوقع أعظم فتنة في أهل اليمامة وكان يؤذن له ويشهد له بالرسالة . وكان يسبغ لقومه بالجماع يزعم أنها قرآن يأتيه ويأتي بخارق يزعم أنها معجزات فيقع منها ضد المقصود . فامر أبو بكر خالد بن الوليد بالمسير الى محاربه . وكان بينها وقعات واشتد الحرب بين الفريقين . وافتحم المسلمون باجمعهم الى مسيلمة وأصحابه . فقاتلواهم حتى احمرت الأرض بالدماء . ونظر عبد الله أسود اسمه وحشي الى مسيلمة فرماه بحجرة فوقعت على خصرته فسقط عن فرسه قتيلًا (الطبري)

فتح العراق (٦٣٢) والشام (٦٣٣ - ٦٣٨) وموت ابي بكر (٦٣٥)

٣٨١ ومن هناك توجه خالد الى أرض العراق فزحف الى الحيرة ففقهها صلحاً . وكان ذلك أول شيء افتتح من العراق . وقد كان ابو بكر وجه قبل ذلك أبا عبيدة بن الجراح في زهاء عشرين الف رجل الى الشام . وبلغ هرقل ملك الروم ورود العرب الى أرض الشام . فوجه اليهم سرجيس البطريق في خمسة آلاف رجل من جنوده ليحارجم . وكتب أبو بكر الى خالد عند افتتاحه الحيرة يأمره أن يسير الى أبي عبيدة بارض الشام . ففعل والتقى العرب والروم باجنادين فانهمز الروم . وقُتل سرجيس البطريق وذلك أنه في هربه سقط من فرسه . فركبه غلامه فسقط فركبه ثانياً فهبط ايضاً وقال لهم : فوزوا بانفسكم واركوني أقتل وحدي . وفي سنة ثلاث عشرة للهجرة مرض أبو بكر خمسة عشر يوماً ومات رحمه الله يوم الاثنين لثلاث خلون من جمادى الآخرة . وهو ابن ثلاث وستين سنة وكانت خلافته سنتين وأربعة أشهر

خلافة عمر (٦٣٤ - ٦٤٤) فتح دمشق (٦٣٦) فارس (٦٣٢) مصر (٦٤٢)

٣٨٢ ثم قام بالأمر بعده عمر بن الخطاب ببيع له بالخلافة في اليوم الذي مات فيه أبو بكر . فقام بعده بمثل سيرته وجهاده وثباته وصبره على العيش الحشن والقناعة باليسير وفتح الفتوحات الكبار والأقاليم الشاسعة . وهو أول من سمي بامير المؤمنين فأرخ التاريخ ودون الدواوين ومصر الأمصار وشهد بدرًا . وهو أول من عس في عمله لحفظ الدين والناس . وعابه الناس هبة عظيمة وزاد في الشدة في مواضعها واللين في مواضعه . ولما ولي الأمر لم يكن له همّة الا العراق . فعقد لأبي عبيد بن مسعود على زهاء الف رجل وأمره بالمسير الى العراق فعبوا واليا . فزحف اليهم العجم فتناجزوا من وقت الزوال الى أن توارت الشمس بالحجاب .

فحمل العرب حملة رجل واحد وقتلوا مهران قائدهم . فانهزم العجم لاحقين بالمدائن . ثم وتلى
يزدجرد عظماً من عظام مازتبه له سنٌ وتجربة يُقال له رسم . وعقد ايضاً لرجلي آخر يُسمّى
الهرمزان في جنود كثيرة . وعند الالتقاء قُتِل هذان المرزبانان ومُرت العرب في أثر العجم
يقتلون من أدركوا منهم (تاريخ ابن خلدون)

وفي خلافة عمر فتح أبو عبيدة وخالد دمشق بعد حصار سبعة اشهر فخرج اهل دمشق
وبذلوا الصلح لأبي عبيدة . فأمنهم وصالح اهل طبرية وقيسارية وبعليك . وعلى يد عمر اتى
الفتح الى حمص والرها وماردين وطرابلس وعسقلان وما يليها من الساحل وبيت المقدس .
وفتح عمرو بن العاص مصر عنوة وفتح الإسكندرية صلحاً . حتى هاب عمر ملوك فارس والروم .
ومع ذلك كلّه بقي على حاله كما كان قبل الولاية في لباسه وزيه وافعاله وتواضعه يسير منفرداً
من غير حرس ولا حجاب . لم تغبره الإمرة ولم يستطيل على مسلم بلسانه . ولا حالي احداً في
الحق . وكان لا يطعم الشريف في حيفه ولا يئاس الضعيف من عدله . ومات عمر يوم الاربعاء
لخمس بقين من ذي الحجة . وقتله أبو لؤلؤة الجوسي وكان عمره ثلاثاً وستين سنة . وكانت
خلافته عشر سنين وستة اشهر . ولما فتح عمرو بن العاص مصر طلب منه يوحنا النحوي النصراني
كتب الحكمة التي في الخزان الملكية . فكتب عمرو الى الخليفة يستأذن امير المؤمنين . فكتب
اليه عمر : الكتب التي ذكرتها فان كان فيها ما يوافق كتاب الله ففي كتاب الله عنه غنى . وان
كان فيها ما يخالفه فلا حاجة اليه فتقدم باعدادها . فشرع عمرو في تفريقها على حمّامات
الاسكندرية واحرقها في مواقدھا . فاستيقدت في مدة ستة اشهر (لابن العميد)

عثمان بن عفان (٦٤٥-٦٥٧)

٣٨٣ بُوع له بالخلافة في أول يوم من سنة اربع وعشرين . وكانت له شفقة ورأفة
بالرعية . وافتتحت في ايامه أفريقية وغزا معاوية قبرس وأنقرة فافتتحها صلحاً . وانزع عثمان عمرو
ابن العاص عن الاسكندرية فأمر عليها اخاه لأمه . ثم ان الناس انكروا على عثمان اشياء منها كلّفه
باقاريه . فحنقت العرب على ذلك وجمعوا الجموع وتزلوا فرسخاً من المدينة . وبعثوا الى عثمان
من يستعته ويقول له : إما أن تعدل او تعزل

وكتب عثمان اليهم كتاباً يقول فيه : اني انزع عن كل شيء انكرتموه وأتوب الى الله .
فلم يقبلوا منه ثم اشتد عليه الحصار عشرين يوماً حتى تسور محمد بن أبي بكر مع رجلين حائط
عثمان فضربه احدهم بمشقة في اوداجه . وقتله الآخر والمصحف في حجره . وكانت خلافته
اثني عشرة سنة . وعمره ثيف وثمانون سنة (للاميري)

علي بن ابي طالب (٦٥٧-٦٦١)

٣٨٤ ولما قُتِل عثمان اجتمع طلبة والزبير والمهاجرون والأنصار وأتوا علياً بيايعونه

فأبى. وقال: أن أكون وزيراً لكم خيرٌ من أن أكون أميراً ومن اخترتم رضيتُ. فالحوا عليه وقالوا: لا نعلم أحقَّ منك حتى غلبوه في ذلك. ثم ادعى الزبير بن العوام وطلحة الإكرام بعد ذلك وقالوا على نقض إمارة علي. فخلق علي بهم وناجزهم الحرب وقتل الزبير وطلحة. وسميت هذه الواقعة وقعة الجمل. ولما بلغ معاوية خبر الجمل دعا أهل الشام إلى القتال. فخرج علي من الكوفة واقتتلوا قتالاً شديداً في صيفين. ثم هادنا وافترقا. ثم تعاهد شبيب وابن الجهم على قتل علي وكمناه في المسجد. فلما خرج علي ونادى بالصلاة علاه شبيب بالسيف وضربه ابن الجهم على مقدم رأسه. فدعا علي قبل موته الحسن والحسين ابنيه ووصّاهما وقال: أوصيكما بتقوى الله ولا تبغيا الدنيا وإن بغيكما. ولا تأسفا على شيء ذوى منها عنكما. وقولا الحق وارحما اليتيم وكونا للظالم خصماً وللمظلوم ناصراً. ولا تأخذكما في الله لومة. ولما حضرته الوفاة كتب وصيته العامة ثم قبض. وصفه ضرار بن ضمرة قال: كان علي بعيد المدى شديد القوى يتغير العلم من جوانبه. وتنطق الحكمة من نواحيه. يستوحش من الدنيا وزهرتها. ويأنس بالليل ووحشته. غزير العبدة. طويل الفكرة. يعجبه من اللباس ما خشن. ومن الطعام ما جشب. وكان فينا كأحدنا. يميناً إذا سألناه ويأثينا إذا دعواناه. ونحن مع تقريبه لا تكاد نكلمه هيبه له. لا يطمع القوى في باطله ولا يياسر الضعيف من عدله (لابن خلدون)

الحسن بن علي بن أبي طالب (٦٦١ - ٦٦٢)

٣٨٥ ولما قُتِل علي اجتمع أصحابه بالكوفة فبايعوا ابنه الحسن. وبويع معاوية بالشام. فسار الحسن إلى المدائن واستقر بها خمسة أشهر. ولما رأى المناوشة بين أصحابه قال: لا حاجة لي في هذا الأمر وقد رأيت أن أسلمته إلى معاوية فيكون في عنقه تبعاً وأوزاره. فقال له الحسين أخوه: أأنشدك الله أن لا تكون أول من عاب أباه ورغب عن رأيه. فقال: لا بد من ذلك وقد اخترت العار على النار. وبعث إلى معاوية بتسليم الأمر إليه واشترط عليه شروطاً. فاجابه معاوية إلى ما التمس منه. فسلم الأمر إلى معاوية وبايع له الحسن بقين من ربيع الأول. وذلك لأنه رأى المصلحة في جمع الكلمة وترك القتال (لأبي الفداء)

دولة الأمويين (٦٦٢ - ٧٤٦)

خلافة معاوية (٦٦٢ - ٦٨٠)

٣٨٦ ولما بويع بالخلافة استقام له الملك وصف له الولاية. وكان معاوية مليح الشكل عظيم الهيبة وافر الحشمة يلبس الثياب الفاخرة ويركب الخيل المستومة. وكان كثير البذل والعطا، محسناً إلى رعيته. وهو أول من اتخذ المقاصير وأقام الحرس والحجاب وأول من مشى بين يديه صاحب الشرطة بالحراويل في الحلم أخبار كثيرة. واعلم أن معاوية كان مربي

دول وسائس أمم وراعي ممالك ابتكر في الدولة اشياء لم يسبقه أحد اليها . منها أنه وُضع البريد لوصول الاخبار بسرعة . واختراع ديوان الخاتم فصارت التواقيع تصدر منه مختمومة لا يتمكن احد من تغييرها . وفي سنة خمسين سبر جيشاً كثيفاً الى القسطنطينية فاوغلوا في بلاد الروم وحاصروا القسطنطينية ولم يدخلوها . وفي ايامه بُنيت القيروان وكمل بناؤها في خمس سنين . ولما حضرته الوفاة جمع اهله فقال : أَلَسْمَ اهلي . قالوا : بلى فذاك الله بنا . قال : فهذه نفسي قد خرجت من قديمي فردوها علي أن استطعم . فبكوا وقالوا : ما لنا الى هذا سبيل . فرفع صوته بالبكاء ثم قال : فلا تغرم الدنيا بعدي . وتوفي بدمشق في مستهل رجب سنة ستين (الفخري)

خلافة يزيد بن معاوية (٦٨٠-٦٨٣)

٣٨٧ بويج له بالخلافة يوم مات ابوه . وكان يزيد يمحض فقدم منها وباعه الناس . ولم يبايعه الحسين بن علي بن ابي طالب ولا عبد الله بن زبير . فسير جيشاً الى محاربة الحسين فادر كوه فحملوا عليه واصحابه واحترقوا راس الحسين . اما عبد الله بن زبير فلحق بمكة وتحصن في المسجد الحرام . فسار اليه الحصين بن غير ونصب الخنبيق على ابي قيس ورمى به الكعبة فحرقت استارها . وبيناهم كذلك اذ ورد الى الحصين الخبر بموت يزيد بن معاوية . فارسل الى ابن زبير يسأله الموادة فاجابه الى ذلك . وتوفي يزيد في شهر ربيع الأول سنة اربع وستين . وكان آدم جعداً احمر العينين . بوجه آثار جذري حسن اللحية خفيفها طويلاً . وكان موثق الرغبة في اللهو والقنص . تعلم الفصاحة ونظم الشعر في بادية بني كلب (لابي الفداء)

معاوية الثاني (٦٨٣) ومروان بن الحكم (٦٨٤)

٣٨٨ ثم قام بعده بالامر معاوية ابنه ولم تكن ولايته غير ثلاثة اشهر . ثم تخلى بالعبادة ومات بالطاعون . واما عبد الله بن زبير فلما مات يزيد دعا الناس الى البيعة وادعى الخلافة . فظفر بالجزاز والعراق وخراسان واليمن ومصر والشام الا الاردن . ثم بويج بالاردن لمروان بن الحكم وكان كاتب السر لعثمان . ثم دخل الشام فاذعن اهلها له بالطاعة . وسار اليه من قبل عبد الله بن زبير الضحاك بن قيس . فاقتتلوا بغوطة دمشق فقتل الضحاك . ومات مروان بدمشق مخنوقاً . وكانت مدة خلافته تسعة اشهر

عبد الملك بن مروان (٦٨٥-٧٠٥)

٣٨٩ بويج سنة خمس وستين بالشام . واما ابن الزبير فبعث اخاه مصعباً على العراق فقدم البصرة واعطاه اهلها الطاعة . واستولى المصعب على العراقيين فسار اليه عبد الملك بن مروان . فالتقوا بسكن . وقتل مصعب واستقام العراق لعبد الملك . وكان الحجاج بن يوسف الثقفي على شرطه فرأى عبد الملك من نفاذه وجلادته ما أعجب به . فبعثه الى عبد الله بن زبير فقتله وسلخ جلده وحشاه تبناً وصلبه . وتوفي عبد الملك سنة ست وثمانين وكان حازماً عاقلاً

ففيها عالماً وكان ديناً. فلما تولى الخلافة استهوت الدنيا فتغبر عن ذلك (لاي النرج)

الوليد بن عبد الملك (٧٠٥ — ٧١٥)

٣٩٠ هو سادس خلفائهم وكان مغرمًا بالبناء واستوثقت له الامور. ومن بناياته المسجد الاقصى واعطى المخدمين ومنهم السَّوَال الى الناس. واعطى كل مقعد خادماً وكل ضرير قائداً. ومنع الكتاب النصارى من ان يكتبوا الدفاتر بالرومية ولكن بالعمرية. وفي ايامه اجاز طارق الى الاندلس فنهب لذريق ملك القوط وزحف الى طارق فالتقوا بفحص شريش فهزم الله لذريق واذعت الاندلس لامر الوليد. وفتحت في ايامه الفتوحات الكثيرة من ذلك ما وراء النهر. وتغلغل الحجاج في بلاد الترك. وتغلغل مسلمة بن عبد الملك في بلاد الروم ففتح وسي. وفتح محمد بن القاسم التقي بلاد الهند. وفي سنة ثمان وثمانين امر الوليد ببناء جامع دمشق. وكان فيه كنيسة فهدمها. فانفق عليه اموال كثيرة تجل عن الوصف. وفي ايامه توفي الحجاج وقيل انه احصي من جملة الذين قتلهم الحجاج فكانوا مائة الف وعشرين الفا. ومات الوليد سنة ست وتسعين (للمديري)

سليمان بن عبد الملك (٧١٥—٧١٧) عمر بن عبد العزيز (٧١٧—٧٢٠)

٣٩١ ثم قام بالامر بعده اخوه سليمان وهو سابعهم. واحسن السيرة ورد المظالم وآوى للعترة وخرج الجوسين. وكان غيوراً شديد الغيرة خصماً واتخذ ابن عمه عمر بن عبد العزيز وزيراً وجهز اخاه مسلمة لغزو القسطنطينية. ونزل سليمان في مرج دابق فسقى مسلمة على قسطنطينية وزرع الناس بها الزرع واككلوه. واقام مسلمة قاهراً قسطنطينية حتى جاءه الخبر بموت سليمان متحماً. وكانت خلافة سليمان سنتين وثمانية اشهر واستخلف وزيره عمر بن عبد العزيز كان عمر غنياً زاهداً فاسكاً جاداً تقياً. وهو اول من فرض لانباء السبيل. وابطل في الخطب سب علي. وكان اليه المنتهى في العلم والفضل والشرف والورع والتألف ونشر العدل. وتوفي عمر بدير سمعان وكان موته بالسم عند اكثر اهل التاريخ. فان بني امية ظلموا انه ان امتدت ايامه اخرج الامر من ايديهم وانه لا يعهده بعده الا لمن يصلح للامر فعالجوه وما املهوه. وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر. وكان في وجهه شجرة من ربح دابة. وكان يدعى بالاشبح. وكان متحريراً سيرة الخلفاء الراشدين. وكانت نفقته كل يوم درهمين. وفي ايامه تحركت دولة بني هشام وكان كثيراً ما يمثل هذه الايات:

نهارك يا مغرور سهو وغفلة وليك نور والردى لك لازم
يفرك ما يفنى وتفرح بالئني كما غر باللذات في النوم حالم
وشغلك فيما سوف تكرر غبه كذلك في الدنيا تمشي البهائم

(د) راجع مقالة ابن جبير في وصف دمشق وجامعها في وجه ٢٢٦ من هذا الجزء

يزيد الثاني (٧٢٠-٧٢٤) هشام (٧٢٤-٧٤٣)

٣٩٢ ثم قام بالامر بعده يزيد بن عبد الملك . وكان ايضاً جسيماً مليح الوجه خرج في ايامه يزيد بن المهلب فارس على اخاه مسلمة فقاتله وظفر به . ثم توفي يزيد لاربع سنين من خلافته بعد ان عهد بالخلافة الى اخيه هشام . بويغ له بالخلافة يوم مات اخوه . وكان حازماً عاقلاً صاحب سياسة حسنة ايض . وكان ذا رأي ودهاء وخزم وفيه حلم وقلة شره وقام بالخلافة اثم قيام . وكان يجمع الاموال ويوصف بالبخل والحرص . يقال انه جمع من الاموال ما لم يجمعه خليفة قبله . وفي ايامه غزا المسلمون بلاد الترك فاتصروا وغنموا شيئاً كثيراً . وقتلوا من الاتراك مقتلة عظيمة وقتلوا ابن خاقان ملك الترك . وكان المتولي لحرهم اسد بن عبد الله القسري . وفي ايام هشام ايضاً خرج زيد بن زين العابدين ودعا الى نفسه فاسرعت اليه الشيعة . وكان الوالي على الكوفة من قبل هشام يوسف بن عمر الثقفي . فجمع العساكر وتناوش زيداً القتال فاصاب زيداً سهم في جبهته فحمل من المعركة فأت ودفن . فلما اصبحوا استخرجوه يوسف من قبره فصلبوه . ومات هشام بالرصافة سنة خمس وعشرين ومائة . وكان مرضه الذبحة

الوليد الثاني (٧٤٣-٧٤٤) يزيد الثالث (٧٤٤-٧٤٤)

٣٩٣ كان الوليد مقيمًا في البادية فلما مات هشام سار من فوره الى دمشق واقام في الخلافة سنة واحدة وكان اكمل بني أمية ادباً وفصاحة وظرفاً واعرفهم باللغة والنحو . وكان جواداً مفضالاً . ومع ذلك لم يكن في بني أمية اكثر ادماناً للشراب والسباع ولا اشدّ مجوناً وتحتكاً واستخفافاً بامر الأمة من الوليد بن يزيد . فاجتمع اهل دمشق على خلعه وقتله لاشتهاره بالمنكرات وتظاهره بالكفر والزندقة . فلم يلبث الا اياماً يسيرة حتى قُتل شر قتلة وصُلب راسه على شرافات قصره ثم على اعلى سور بلده . ولما قُتل اضطربت البلاد واستنصر الى بني أمية اعداؤهم ولم تقم لهم قائمة بعده . ثم تولى يزيد الثالث ابن الوليد وابن عم الوليد بن يزيد وسعي لتناقص فتنازل بنو أمية بولايته فاقام في الخلافة والامور مضطربة عليه . وكان مظهرًا للنسك محمود السيرة مرضي الطريقة ويخلق باخلاق عمر بن عبد العزيز . وكان ذا دين وورع الا انه لم يجمع وبقيته المنية

ابراهيم بن الوليد (٧٤٥) مروان الثاني (٧٤٦)

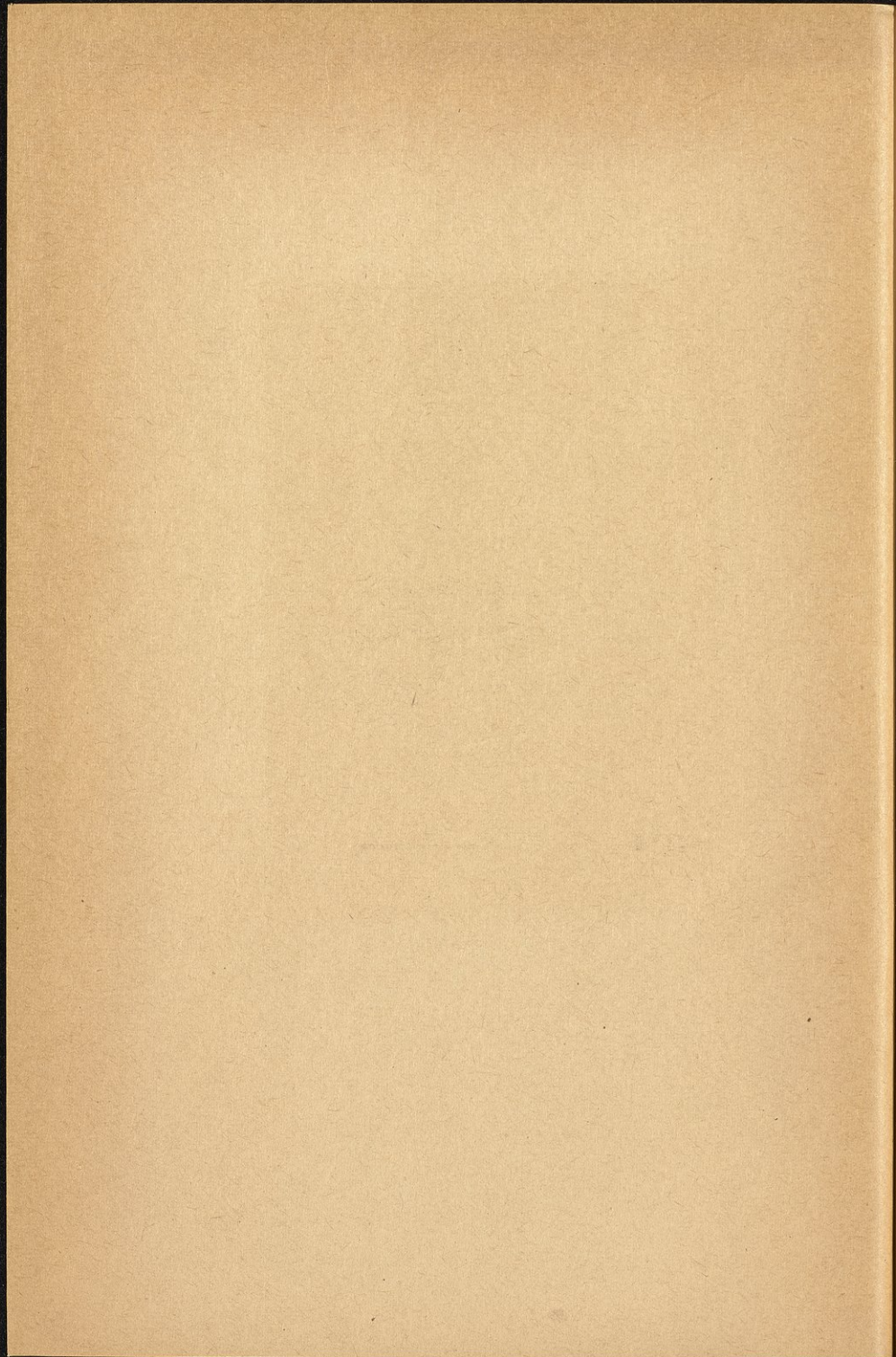
٣٩٤ ثم بويغ اخوه ابراهيم فلم يثبت له امر . ومكث سبعين يوماً فصار اليه مروان بن محمد . فبرز اليه الخليفة وعسكر بظاهر دمشق فخذله جنده وحاصروا عليه بعد ان اتفق عليهم الخثران واخفى امرهم فبايع الناس مروان واستوثق له الامر وخلعوا ابراهيم . وظهر السفاح بالكوفة وبويغ له بالخلافة . فجهز جيشاً لقتال مروان بن محمد فالتقى الجمعان قرب الموصل . فهزم مروان وقُتل في هربه وظهرت دولة بني عباس وانقرضت دولة بني أمية (لاي الفداء)

ثم بجواره تعالى

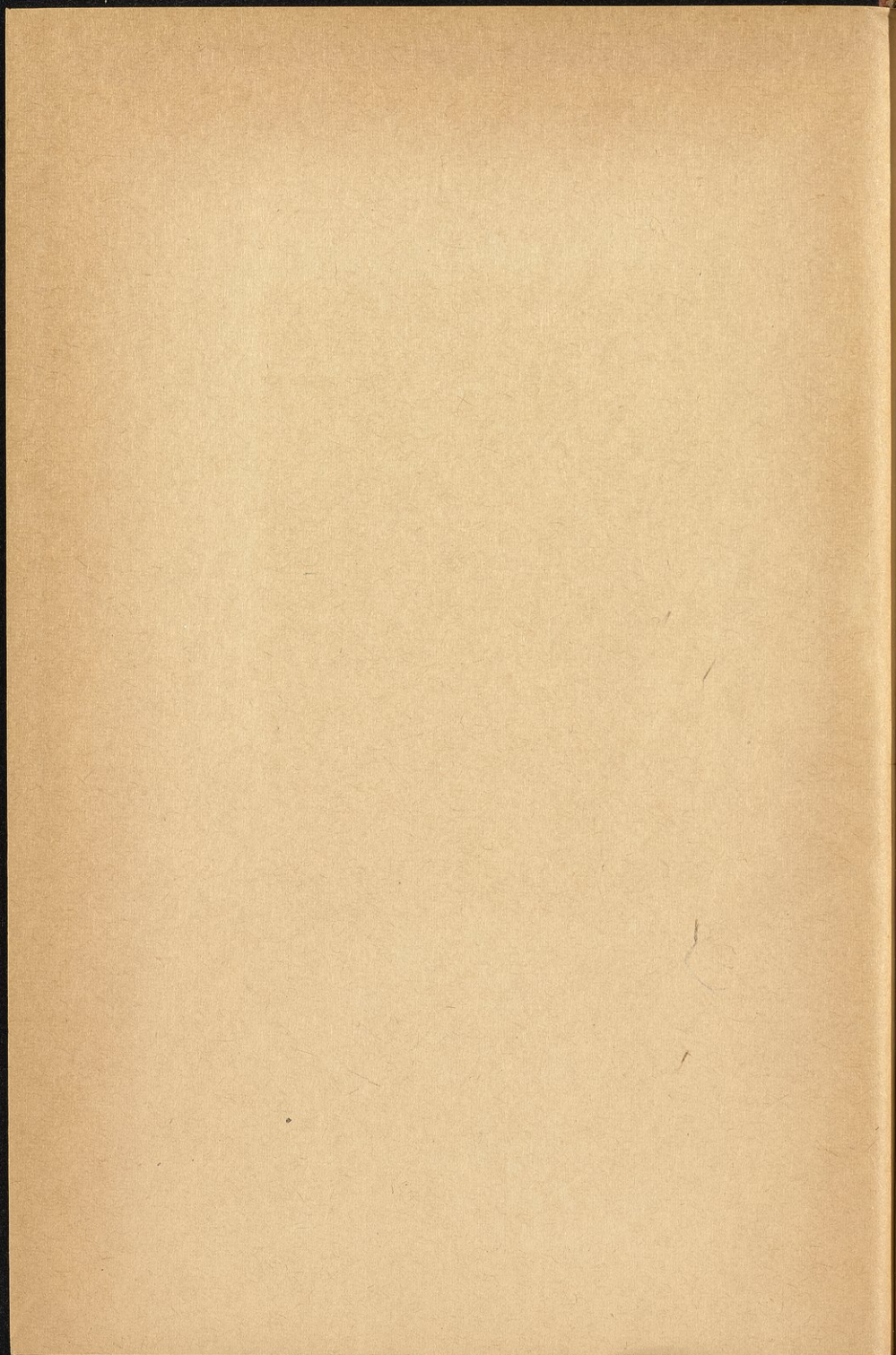
فهرس الجزء الرابع من كتاب مجاني الادب

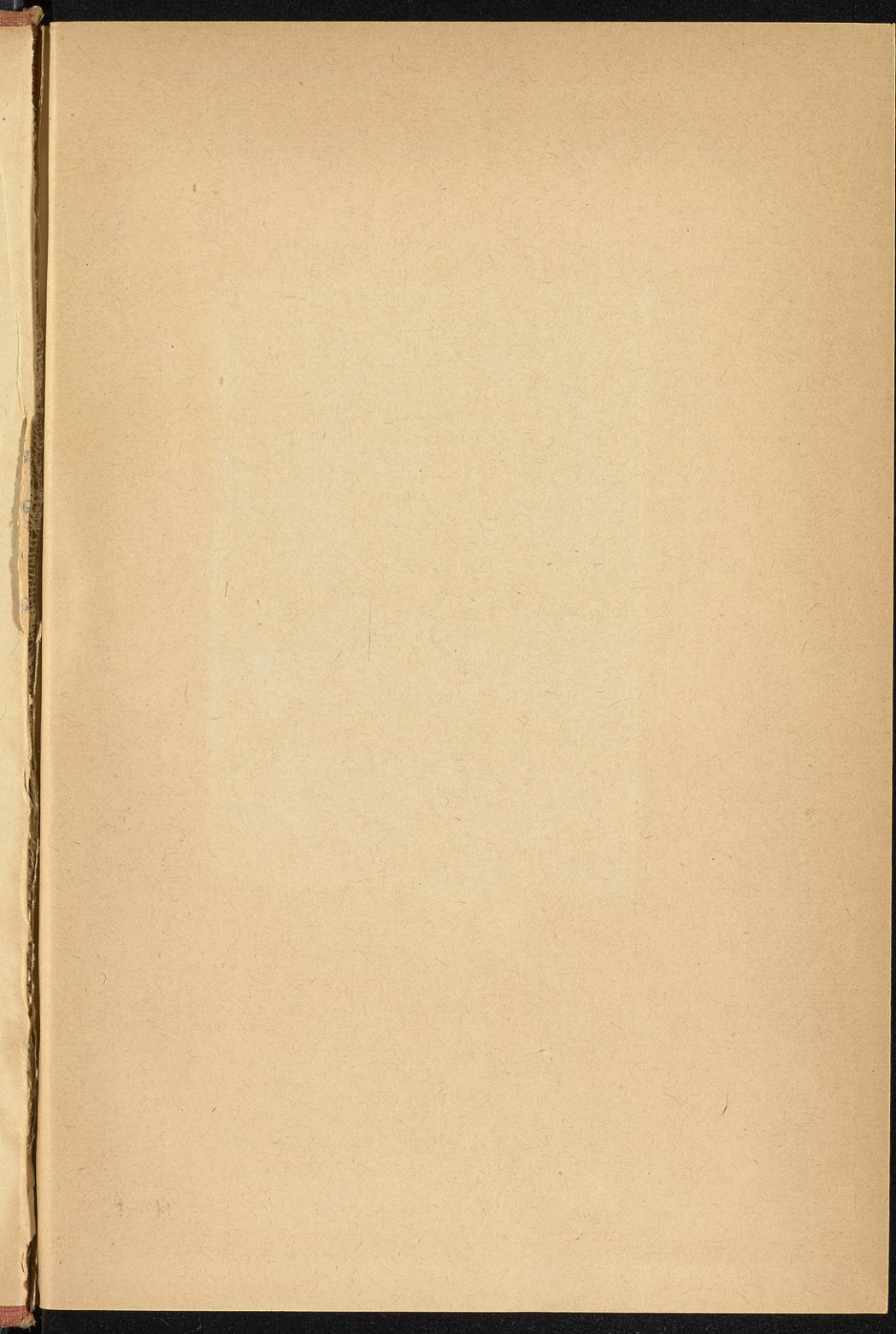
وجه	وجه
٦٧	وصية ابن سعيد المغربي لابنه
٧٣	وصية ابن طاهر لابنه
٨٠	وصية ابراهيم الدكجي لابنه
٨٤	نخبة من حكم ابي عثمان اثون النخعي
٨٦	نخبة من حكم اوردها البستي في ديوانه
٨٥	نخبة من اراجيز الشيخ السابوري
٨٦	التجارب
٨٧	الصمت وحفظ اللسان
٨٨	الصبر صدق النطق
٨٩	المكالم
٨٩	القصيدة الزينية لصالح بن عبد القدوس
٩٢	لامية ابن الوردي
٩٤	نونية ابي الفتح البستي
٩٨	الباب الخامس في الامثال
٩٨	امثال في معان مختلفة جمعها ابن عبد ربو
١٠٤	ايات مثلية للثني والحريري
١٠٨	نخبة من تعريف الصادق لابن حجة الحموي
١٠٩	نخبة من قصيدة ابي الغتاهية المثلية
	الباب السادس في الامثال والاشارات
١١٠	الملك المتروى
	نخبة من كشف الاسرار عن حكم الطيور
١١٧	والازهار لابن غانم المقدسي
١١٨	اشارة النسيم
١١٩	اشارة الورد اشارة المرسين
١٢٠	اشارة الترجس
١٢١	اشارة البان
٣	الباب الاول في التدين
٣	عظمة الخالق وجبروته
٤	متن الشيبانية في التوحيد
٥	قصيدة للبرعي في الاستدلال على الحق
٦	متن بدء الامالي في التوحيد
٧	قصيدة للبرعي في الحق سبحانه
٩	قصيدتان له في الابتهاال الى الله وحده
١١	وله ايضا من قصيدة في الرجاء بالله
١٢	قصيدة لعبد الغني التابلسي في الثقة بالله
١٣	قصيدة للباي في التوسل والاستعطاف
١٥	الباب الثاني في الزهد
١٥	الزهد في الدنيا والانتقطاع الى الله
١٧	قصيدة للبرعي في الزهد
٢٠	زهد رجل من بني عباس
٢١	ذو النون والزاهدة
٢٢	ذلة الدنيا
٢٣	زوال الدنيا
٢٧	ذكر الميتة والعواقب
٣٣	في الدهر ونوائبه
٣٤	قصيدة لاسماعيل المقرئ في التوبة
٣٥	للبرعي في الاغراء بالتوبة
٣٨	ما كتب على القبور
٤١	الباب الثالث في المراثي
٥٨	رثاء مشاهير العرب
٦٥	الباب الرابع في الحكم

وجه	وجه
١٥٩ قصيدة ابن البواب في وصف الخط	١٢٢ اشارة المنفعين
١٦٠ في الادب وتربية الصغار	١٢٣ اشارة الخزام
١٦٢ الباب الثامن في السيف والقلم	١٢٤ اشارة الشقيق
فصل في التفاوت بين مراتب السيف والقلم	١٢٥ اشارة السحاب
١٦٣ في الدول	١٢٦ اشارة الهزار
١٦٦ في شرف الكتاب	١٢٧ اشارة البار
١٦٨ الباب التاسع في اللطائف	١٢٨ اشارة الحمام
١٦٨ وزير المأمون والشاعر	١٣٠ اشارة الخطاف
١٦٩ مروان بن ابي حفصة وجمفر البرمكي	١٣١ اشارة البوم
١٧٠ الصلوات والصلاة	١٣٢ اشارة الدرّة
١٧١ معن بن زائدة والثلاث جوارى	١٣٣ اشارة الديك
١٧٢ الحسين بن الضحاك عند المتوكل	١٣٤ اشارة البط
١٧٣ الباهلي والرشيدي	١٣٦ اشارة الخيل
١٧٥ علي بن الحليل وزيد بن المزيدي	١٣٧ اشارة الشمع
١٨٠ الباب العاشر في المدح	١٣٨ اشارة الغراب
١٨٠ بلعاء بن قيس وبنو هاشم	١٤١ اشارة الهدهد
١٨٠ مدح المأمون	١٤٢ اشارة الكلب
١٨١ مدح مقامات الحريري	١٤٤ اشارة الجمل
١٩٣ الباب الحادي عشر في الفخر والحجاسة	١٤٥ اشارة الفرس
٢٠١ قصيدة ابن سناء الملك في الفخر	١٤٦ اشارة دود القز
٢٠٥ الباب الثاني عشر في الهجو	١٤٨ اشارة العنكبوت
٢٠٨ الباب الثالث عشر في الالغاز	١٤٩ اشارة النعامة
٢١٢ الباب الرابع عشر في الوصف	١٥٠ اشارة العنقاء
٢١٢ وصف مصر	١٥٢ الباب السابع في الذكاء والادب
	مدح مختلف العلوم
	١٥٢ ابو تمام والمتني وابو عبادة البجيري
	١٥٧ وصف القلم
	١٥٨ وصف الحمرة و وصف الخط

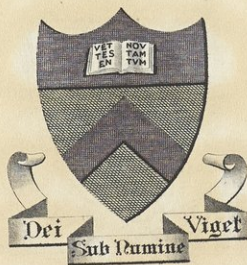


تمّ طبع هذا الكتاب على مطابع
المطبعة الكاثوليكية في بيروت
في الخامس من شهر نيسان ١٩٥٦





Library of



Princeton University.

Princeton University Library



32101 043490208



المكتبة الشرقية - بيروت